

آية الله العظمى تكاثر النيران

# الكتاب الأول

شرح عصري مجافى لشيخ الباقين

مؤلفه: محمد بن عبد الله  
إصدار: ١٤٢٥ هـ

للشيخ الطائي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# نفحات الولاية: شرح عصرى جامع لنهج البلاغه

كاتب:

ناصر مكارم شيرازى

نشرت فى الطباعة:

مدرسه الامام على بن ابى طالب ( عليه السلام )

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

## الفهرس

٥	الفهرس
٢٤	نفعات الولاية المجلد ٧
٢٤	اشارة
٢٤	الخطبة ١٨١
٢٤	اشارة
٢٥	نظرة إلى الخطبة
٢٥	الشرح والتفسير: مصير المشككين الجهال
٢٦	الخطبة ١٨٢
٢٦	اشارة
٢٧	نظرة إلى الخطبة
٢٧	القسم الاوّل
٢٧	اشارة
٢٧	الشرح والتفسير: هو من يستحق الشكر
٢٩	القسم الثاني
٢٩	اشارة
٢٩	الشرح والتفسير: دلالة السماء على الله
٣١	القسم الثالث
٣١	اشارة
٣١	الشرح والتفسير: احاطته العلميّة بكلّ شيء
٣٢	تأمل
٣٢	ما الأنواء؟
٣٣	القسم الرابع
٣٣	اشارة

- ٣٣ ..... الشرح والتفسير: عجزنا عن إدراك صفاته
- ٣٤ ..... تأملان
- ٣٤ ..... ١. سرّ صعوبة معرفة صفات الله
- ٣٤ ..... ٢. العرش والكرسى
- ٣٧ ..... القسم الخامس
- ٣٧ ..... اشارة
- ٣٧ ..... الشرح والتفسير: أين الفراغ والعمالقة؟
- ٣٨ ..... تأملات
- ٣٩ ..... ١. شوكة سليمان عليه السلام وموته
- ٣٩ ..... ٢. من هم العمالقة؟
- ٤٠ ..... ٣. فراغ مصر
- ٤٠ ..... ٤. أصحاب الرس
- ٤١ ..... القسم السادس
- ٤١ ..... اشارة
- ٤١ ..... الشرح والتفسير: خصائص ذلك الولي
- ٤٢ ..... تأمل
- ٤٢ ..... إشارات لنهضة الإمام المهدي عليه السلام
- ٤٣ ..... القسم السابع
- ٤٣ ..... اشارة
- ٤٣ ..... الشرح والتفسير: التذكير بما يلزم!
- ٤٤ ..... القسم الثامن
- ٤٤ ..... اشارة
- ٤٥ ..... الشرح والتفسير: النفير العام للجهاد
- ٤٦ ..... تأمل

- ٤٦ ..... صحب الإمام عليه السلام الميامين
- ٤٦ ..... اشارة
- ٤٦ ..... ١. عمّار بن ياسر
- ٤٧ ..... ٢. ابن التيهان
- ٤٧ ..... ٣. ذو الشهادتين
- ٤٧ ..... ٤. قيس بن سعد بن عبادة
- ٤٧ ..... ٥. أبو أيوب الأنصاري
- ٤٨ ..... الخطبة ١٨٣
- ٤٨ ..... اشارة
- ٤٨ ..... نظرة إلى الخطبة
- ٤٨ ..... القسم الأول
- ٤٨ ..... اشارة
- ٤٩ ..... الشرح والتفسير: دور الأنبياء عليهم السلام في هداية الأمم
- ٥٠ ..... القسم الثاني
- ٥٠ ..... اشارة
- ٥١ ..... الشرح والتفسير: الهدى في ظل القرآن
- ٥٣ ..... تأملان
- ٥٣ ..... ١. وحدة حكم الله في الأولين والآخرين
- ٥٤ ..... ٢. القرآن ناطق أم صامت؟
- ٥٤ ..... القسم الثالث
- ٥٤ ..... اشارة
- ٥٤ ..... الشرح والتفسير: منزلة التقوى
- ٥٧ ..... القسم الرابع
- ٥٧ ..... اشارة

- ٥٧ ..... الشرح والتفسير: العذاب الشديد يوم القيامة
- ٥٨ ..... القسم الخامس
- ٥٨ ..... اشارة
- ٥٨ ..... الشرح والتفسير: الامتحان الإلهي
- ٦١ ..... القسم السادس
- ٦١ ..... اشارة
- ٦١ ..... الشرح والتفسير: الانتقال إلى جيران الله
- ٦٢ ..... تأمل
- ٦٢ ..... طريق السير والسلوك إلى الله
- ٦٢ ..... الخطبة ١٨٤
- ٦٢ ..... اشارة
- ٦٣ ..... نظرة إلى الخطبة
- ٦٣ ..... الشرح والتفسير: صه يا أحمق
- ٦٣ ..... تأمل
- ٦٣ ..... من هو بُرج بن مُسهر؟
- ٦٤ ..... الخطبة ١٨٥
- ٦٤ ..... اشارة
- ٦٤ ..... نظرة إلى الخطبة
- ٦٤ ..... القسم الاول
- ٦٥ ..... اشارة
- ٦٥ ..... الشرح والتفسير: معرفة الله الحقيقية
- ٦٨ ..... القسم الثاني
- ٦٨ ..... اشارة
- ٦٩ ..... الشرح والتفسير: الأبعاد الوجودية للتبى الأكرم صلى الله عليه و آله

٧٠	القسم الثالث
٧٠	اشارة
٧٠	الشرح والتفسير: قدرته المطلقة في خلق الكائنات
٧٣	تأمل
٧٣	حياة النمل العجيبة
٧٤	القسم الرابع
٧٤	اشارة
٧٥	الشرح والتفسير: نظرة إلى كائنات السموات والأرض
٧٧	تأمل
٧٧	قبسات من برهان النظم
٧٨	القسم الخامس
٧٨	اشارة
٧٨	الشرح والتفسير: صنع الجراد
٧٩	تأمل
٧٩	عجائب الجراد
٨٠	القسم السادس
٨٠	اشارة
٨٠	الشرح والتفسير: الله العظيم
٨٢	تأمل
٨٢	دروس عظيمة بعبارات قصيرة
٨٢	الخطبة ١٨٦
٨٢	اشارة
٨٣	نظرة إلى الخطبة
٨٣	القسم الأول



٨٣	اشارة
٨٣	الشرح والتفسير: أضواء مهممة في صفات الله
٨٧	تأمل
٨٧	كيفية الجمع بين الضدين
٨٨	القسم الثاني
٨٨	اشارة
٨٨	الشرح والتفسير
٩١	القسم الثالث
٩١	اشارة
٩١	الشرح والتفسير: جانب من صفاته المطلقة
٩٤	القسم الرابع
٩٤	اشارة
٩٥	الشرح والتفسير: صفات أخرى في الجمال والجلال
٩٧	القسم الخامس
٩٧	اشارة
٩٧	الشرح والتفسير: العجز عن خلق بعوضة
٩٨	تأملان
٩٨	١. المعاد الجسماني واعادة المعدوم
٩٩	٢. الخلق العجيبة للبعوض!
٩٩	القسم السادس
٩٩	اشارة
١٠٠	الشرح والتفسير: الغنى عن الخلق
١٠١	تأمل
١٠١	هل هناك زمان دون مخلوق

١٠٢	القسم السابع
١٠٢	اشارة
١٠٢	الشرح والتفسير: دوام الخلقة والفناء
١٠٣	الخطبة ١٨٧
١٠٣	اشارة
١٠٣	نظرة إلى الخطبة
١٠٤	القسم الأول
١٠٤	اشارة
١٠٤	الشرح والتفسير: الحوادث المرعبة
١٠٦	تأمل
١٠٦	الحوادث الأليمة آخر الزمان
١٠٧	القسم الثاني
١٠٧	اشارة
١٠٧	الشرح والتفسير: وصايا للنجاه من الفتنة
١٠٨	تأمل
١٠٨	الانسحاب من الفتن
١٠٩	الخطبة ١٨٨
١٠٩	اشارة
١٠٩	نظرة إلى الخطبة
١٠٩	القسم الأول
١٠٩	اشارة
١٠٩	الشرح والتفسير: التوصية بالتقوى والحمد
١١٠	القسم الثاني
١١٠	اشارة

- ١١٠ ..... الشرح والتفسير: أفضل الوعظ
- ١١١ ..... تأمل
- ١١١ ..... ذكر الموت
- ١١٢ ..... القسم الثالث
- ١١٢ ..... اشارة
- ١١٢ ..... الشرح والتفسير: سبيل النجاة
- ١١٣ ..... الخطبة ١٨٩
- ١١٣ ..... اشارة
- ١١٤ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١١٤ ..... القسم الأول
- ١١٤ ..... اشارة
- ١١٤ ..... الشرح والتفسير: الإيمان الثابت والأجوف
- ١١٥ ..... تأمل
- ١١٥ ..... عناصر ثبات الإيمان
- ١١٥ ..... القسم الثاني
- ١١٥ ..... اشارة
- ١١٦ ..... الشرح والتفسير: سلونى قبل أن تفقدونى
- ١١٨ ..... تأمل
- ١١٨ ..... الهجرة فى الإسلام
- ١١٩ ..... الخطبة ١٩٠
- ١١٩ ..... اشارة
- ١١٩ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١٢٠ ..... القسم الأول
- ١٢٠ ..... اشارة

- ١٢٠ ..... الشرح والتفسير: نبى الرحمة والجهاد
- ١٢١ ..... القسم الثانى
- ١٢١ ..... اشارة
- ١٢١ ..... الشرح والتفسير: الأهوال القادمة
- ١٢٢ ..... القسم الثالث
- ١٢٢ ..... اشارة
- ١٢٣ ..... الشرح والتفسير: أهوال المحشر!
- ١٢٥ ..... القسم الرابع
- ١٢٥ ..... اشارة
- ١٢٥ ..... الشرح والتفسير: الاستعداد للرحيل
- ١٢٦ ..... القسم الخامس
- ١٢٦ ..... اشارة
- ١٢٦ ..... الشرح والتفسير: لكلّ شىء أجل ومدّة
- ١٢٧ ..... تأمل
- ١٢٧ ..... الثورات المتعجلة
- ١٢٧ ..... الخطبة ١٩١
- ١٢٧ ..... اشارة
- ١٢٧ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١٢٨ ..... القسم الأول
- ١٢٨ ..... اشارة
- ١٢٨ ..... الشرح والتفسير: بديع خلق الله
- ١٣٠ ..... القسم الثانى
- ١٣٠ ..... اشارة
- ١٣٠ ..... الشرح والتفسير: التقوى كهف فى الدنيا ونور فى الآخرة

- ١٣٢ ..... القسم الثالث
- ١٣٢ ..... اشارة
- ١٣٣ ..... الشرح والتفسير: سماع نداء التقوى
- ١٣٥ ..... القسم الرابع
- ١٣٥ ..... اشارة
- ١٣٥ ..... الشرح والتفسير: عاقبة أصحاب الدنيا
- ١٣٧ ..... الخطبة ١٩٢
- ١٣٨ ..... اشارة
- ١٣٨ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١٣٩ ..... القسم الأول
- ١٣٩ ..... اشارة
- ١٣٩ ..... الشرح والتفسير: الشيطان رأس العصبية
- ١٤١ ..... القسم الثاني
- ١٤١ ..... اشارة
- ١٤١ ..... الشرح والتفسير: الاعتبار بعاقبة إبليس
- ١٤٣ ..... تأملات
- ١٤٣ ..... ١. حبط الأعمال
- ١٤٣ ..... ٢. هل إبليس من الملائكة؟
- ١٤٤ ..... ٣. كبر إبليس أساس كفره
- ١٤٤ ..... ٤. وحدة حكم الله في الجميع
- ١٤٤ ..... القسم الثالث
- ١٤٤ ..... اشارة
- ١٤٤ ..... الشرح والتفسير: أعدى أعداء الإنسان
- ١٤٧ ..... القسم الرابع

١٤٧	.....	اشارة
١٤٧	.....	الشرح والتفسير: التحذير من التشبه بالشیطان أو قابیل
١٥٠	.....	القسم الخامس
١٥٠	.....	اشارة
١٥٠	.....	الشرح والتفسير: اجتناب تبعیة المتكبرین
١٥٤	.....	تأمل
١٥٤	.....	التكبر والعصبیة
١٥٥	.....	القسم السادس
١٥٥	.....	اشارة
١٥٥	.....	الشرح والتفسير: آفة التكبر
١٥٨	.....	تأمل
١٥٨	.....	تصحیح خطأ
١٥٨	.....	القسم السابع
١٥٨	.....	اشارة
١٥٨	.....	الشرح والتفسير: درس وعبرة فی قصة موسى علیه السلام
١٦٠	.....	القسم الثامن
١٦٠	.....	اشارة
١٦٠	.....	الشرح والتفسير: زهد الأنبياء
١٦١	.....	القسم التاسع
١٦١	.....	اشارة
١٦١	.....	الشرح والتفسير: الدروس والعبر فی بیت الله
١٦٤	.....	القسم العاشر
١٦٤	.....	اشارة
١٦٤	.....	الشرح والتفسير: الكعبة المقدسة

- ١٦٥ ..... تأمل
- ١٦٥ ..... «أفضلُ الأعمالِ أحمزُها!»
- ١٦٦ ..... القسم الحادى عشر
- ١٦٦ ..... اشارة
- ١٦٧ ..... الشرح والتفسير: آفة الكبر والغرور
- ١٦٨ ..... تأمل
- ١٦٨ ..... فلسفه العبادات
- ١٦٩ ..... القسم الثانى عشر
- ١٦٩ ..... اشارة
- ١٦٩ ..... الشرح والتفسير: العصبية الطائشة
- ١٧٠ ..... القسم الثالث عشر
- ١٧٠ ..... اشارة
- ١٧١ ..... الشرح والتفسير: العصبية الممدوحة
- ١٧٢ ..... تأمل
- ١٧٢ ..... العصبية الإيجابية والسلبية
- ١٧٣ ..... القسم الرابع عشر
- ١٧٣ ..... اشارة
- ١٧٣ ..... الشرح والتفسير: الاعتبار بالماضين
- ١٧٤ ..... القسم الخامس عشر
- ١٧٤ ..... اشارة
- ١٧٤ ..... الشرح والتفسير: عناصر انتصار المؤمنين الأوائل
- ١٧٥ ..... القسم السادس عشر
- ١٧٥ ..... اشارة
- ١٧٦ ..... الشرح والتفسير: الوحدة والفرقة، والنصر والهزيمة

١٧٧	القسم السابع عشر
١٧٧	اشارة
١٧٧	الشرح والتفسير: الاعتبار بولد إسماعيل وإسحاق
١٧٨	تأمل
١٧٨	القطرة والبحر
١٧٩	القسم الثامن عشر
١٧٩	اشارة
١٧٩	الشرح والتفسير: عزتكم بالاسلام
١٨٠	القسم التاسع عشر
١٨٠	اشارة
١٨١	الشرح والتفسير: اجتناب الفرقة
١٨٤	القسم العشرون
١٨٤	اشارة
١٨٤	الشرح والتفسير: تكليفى فى قتال المفسدين
١٨٥	تأمل
١٨٥	من هو ذو الثدية؟
١٨٦	القسم الحادى والعشرون
١٨٦	اشارة
١٨٦	الشرح والتفسير: التريبة فى كنف النبى صلى الله عليه و آله
١٨٩	تأملات
١٨٩	١. العلاقة الحميمة بين على عليه السلام والنبى صلى الله عليه و آله
١٩٠	٢. غار حراء
١٩٠	٣. النبى الأكرم صلى الله عليه و آله قبل البعثة
١٩١	القسم الثانى والعشرون



- ١٩١ ..... اشارة
- ١٩٢ ..... الشرح والتفسير: معجزة حركة الشجرة
- ١٩٤ ..... تأملان:
- ١٩٤ ..... ١. معجزة الشجرة في الروايات الإسلامية
- ١٩٥ ..... ٢. الفارق بين السحر والمعجزة
- ١٩٦ ..... القسم الثالث والعشرون
- ١٩٦ ..... اشارة
- ١٩٦ ..... الشرح والتفسير: أولياء الله
- ١٩٨ ..... الخطبة ١٩٣
- ١٩٨ ..... اشارة
- ١٩٨ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١٩٨ ..... إجابة عن سؤال
- ١٩٩ ..... القسم الأول
- ١٩٩ ..... اشارة
- ١٩٩ ..... الشرح والتفسير: صفات المتقين
- ٢٠٦ ..... تأمل
- ٢٠٦ ..... محاور هذا الجانب من الخطبة
- ٢٠٧ ..... القسم الثاني
- ٢٠٧ ..... اشارة
- ٢٠٧ ..... الشرح والتفسير: ليل المتقين
- ٢٠٨ ..... تأمل
- ٢٠٩ ..... القسم الثالث
- ٢٠٩ ..... اشارة
- ٢٠٩ ..... الشرح والتفسير: نهار المتقين

- ٢١١ ..... تأمل
- ٢١١ ..... إشفاق المتقين من أعمالهم
- ٢١١ ..... القسم الرابع
- ٢١١ ..... اشارة
- ٢١٢ ..... شرح وتفسير
- ٢١٢ ..... اثنتا عشرة صفة أخرى
- ٢١٦ ..... القسم الخامس
- ٢١٦ ..... اشارة
- ٢١٦ ..... الشرح والتفسير: تسع صفات أخرى
- ٢١٦ ..... اشارة
- ٢٢٢ ..... مصير همام بعد سماع الخطبة
- ٢٢٤ ..... تأمل
- ٢٢٤ ..... نظرة أخرى لخطبة همام
- ٢٢٥ ..... الخطبة ١٩٤
- ٢٢٥ ..... اشارة
- ٢٢٥ ..... نظرة إلى الخطبة
- ٢٢٥ ..... القسم الأول
- ٢٢٥ ..... اشارة
- ٢٢٥ ..... الشرح والتفسير: محن الرسالة
- ٢٢٧ ..... القسم الثاني
- ٢٢٧ ..... اشارة
- ٢٢٨ ..... الشرح والتفسير: خطر المنافقين
- ٢٣١ ..... القسم الثالث
- ٢٣١ ..... اشارة

٢٣١	الشرح والتفسير: التخطيط الدقيق للمناقين
٢٣٢	تأمل
٢٣٢	النفاق والمنافقون طيلة التاريخ
٢٣٣	الخطبة ١٩٥
٢٣٤	اشارة
٢٣٤	نظرة إلى الخطبة
٢٣٤	القسم الأول
٢٣٤	اشارة
٢٣٤	الشرح والتفسير: البعثة النبوية والظروف الصعبة
٢٣٥	القسم الثاني
٢٣٥	اشارة
٢٣٦	الشرح والتفسير: الموائد الإلهية المطلقة
٢٣٨	القسم الثالث
٢٣٨	اشارة
٢٣٨	الشرح والتفسير: أهوال القيامة
٢٤٠	الخطبة ١٩٦
٢٤٠	نظرة إلى الخطبة [١٠٠٦]
٢٤٠	القسم الأول
٢٤٠	اشارة
٢٤١	الشرح والتفسير: أهوال الدنيا
٢٤٢	القسم الثاني
٢٤٢	اشارة
٢٤٢	الشرح والتفسير: اغتنام الفرصة
٢٤٢	الخطبة ١٩٧

- ٢٤٣ ..... اشارة
- ٢٤٣ ..... نظرة إلى الخطبة
- ٢٤٣ ..... القسم الأول
- ٢٤٣ ..... اشارة
- ٢٤٣ ..... الشرح والتفسير: طاعتي المطلقة
- ٢٤٥ ..... القسم الثاني
- ٢٤٥ ..... اشارة
- ٢٤٥ ..... الشرح والتفسير: أولى الناس بالتبى صلى الله عليه و آله
- ٢٤٥ ..... اشارة
- ٢٤٧ ..... الحوادث الأليمة إبان وفاة التبى صلى الله عليه و بعدها
- ٢٤٩ ..... الخطبة ١٩٨
- ٢٤٩ ..... اشارة
- ٢٤٩ ..... نظرة إلى الخطبة
- ٢٥٠ ..... القسم الأول
- ٢٥٠ ..... اشارة
- ٢٥٠ ..... الشرح والتفسير: احاطة الله العلمية
- ٢٥١ ..... القسم الثاني
- ٢٥١ ..... اشارة
- ٢٥١ ..... الشرح والتفسير: التقوى مصدر الخيرات
- ٢٥٤ ..... القسم الثالث
- ٢٥٤ ..... اشارة
- ٢٥٥ ..... الشرح والتفسير: فضل الإسلام
- ٢٥٩ ..... القسم الرابع
- ٢٥٩ ..... اشارة

٢٥٩	الشرح والتفسير: ربيع الإسلام
٢٥٩	اشارة
٢٦٠	اجابة عن سؤال
٢٦١	تأمل
٢٦١	ربيع النبوة
٢٦١	القسم الخامس
٢٦١	اشارة
٢٦٢	الشرح والتفسير: خصائص القرآن الكريم
٢٦٦	تأملان
٢٦٦	١. عظمة القرآن لدى أمير المؤمنين عليه السلام
٢٦٧	٢. العلماء الأجانب والقرآن
٢٦٨	الخطبة ١٩٩
٢٦٨	اشارة
٢٦٨	نظرة إلى الخطبة
٢٦٨	القسم الأول
٢٦٨	اشارة
٢٦٩	الشرح والتفسير: الأهمية القصوى للصلاة
٢٦٩	اشارة
٢٧١	تأمل
٢٧١	دور الصلاة في تربية الإنسان
٢٧٢	القسم الثاني
٢٧٢	اشارة
٢٧٢	الشرح والتفسير: بركات الزكاة
٢٧٤	تأمل

- ٢٧٤ ..... الزكاة؛ ركن مهم في المجتمع الإسلامي
- ٢٧٤ ..... القسم الثالث
- ٢٧٤ ..... اشارة
- ٢٧٤ ..... الشرح والتفسير: أداء الأمانة
- ٢٧٥ ..... تأملان
- ٢٧٥ ..... ١. نقطة مهمة
- ٢٧٦ ..... ٢. أفضل علامات الإيمان
- ٢٧٧ ..... القسم الرابع
- ٢٧٧ ..... اشارة
- ٢٧٧ ..... الشرح والتفسير: عالم الغيب والشهادة
- ٢٧٨ ..... الخطبة ٢٠٠
- ٢٧٨ ..... اشارة
- ٢٧٨ ..... نظرة إلى الخطبة
- ٢٧٩ ..... الشرح والتفسير: السياسة الأئمة
- ٢٨٠ ..... تأمل
- ٢٨٠ ..... السياسة الإنسانية والسياسة الشيطانية
- ٣٢٨ ..... تعريف مركز

## نقحات الولاية المجلد ٧

## إشارة

عنوان و نام پديد آور : نقحات الولاية: شرح عصرى جامع لنهج البلاغه / ناصر مكارم شيرازى، بمساعده مجموعه من الفضلاء؛ اعداد عبدالرحيم الحمدانى.

مشخصات نشر : قم : مدرسه الامام على ابن ابى طالب (ع)، ١٤٢٦ ق. = ١٣٨٤.

مشخصات ظاهرى : ج.

شابك : ٣٠٠٠٠ ريال : دوره ٩٥٨-٨١٣-٩٦٤ X؛ ج. ١-٩٦٤-٨١٣-٩٠٧-٥؛ ج. ٢-٩٦٤-٨١٣-٩٠٨-٣؛ ج. ٣-٩٦٤-٨١٣-٩١٧-٢

؛ ج. ٤-٩٦٤-٨١٣-٩١٨-٠؛ ج. ٥-٩٦٤-٨١٣-٩٤١-٥؛ ج. ٦-٩٦٤-٨١٣-٩٦٤-٥٣٣-١٢٠-٥؛ ج. ٧-٩٦٤-٨١٣-٩٦٤-٧٩٧٨

٩٦٤-٥٣٣-١٢١-٢؛ ج. ١٠-٩٦٤-٨١٣-٩٦٤-٨٩٧٨-١٢٢-٩؛ ج. ١١-٩٦٤-٨١٣-٩٦٤-٩٩٧٨-١٢٣-٦؛ ج. ١٢-٩٦٤-٨١٣-٩٦٤-٧٠٠٠٠

ج. ١٣-٩٦٤-٨١٣-١٠٩٧٨-١٢٤-٣؛

يادداشت : عربى.

يادداشت : ج ١-٥ ( چاپ دوم : ١٣٨٤).

يادداشت : ج. ٦-١٠ ( چاپ اول : ١٤٣٢ ق. = ١٣٩٠).

يادداشت : كتابنامه.

مندرجات : . ج. ٦. من خطبة ١٥١ الى ١٨٠. ج. ٧. من خطبة ١٨١ الى ٢٠٠. ج. ٨. من خطبة ٢٠١ الى ٢٤١. ج. ٩. من رساله ١

الى ٣١. ج. ١٠. من رساله ٣٢ الى ٥٣

موضوع : على بن ابى طالب (ع)، امام اول، ٢٣ قبل از هجرت - ٤٠ ق -- خطبهها

موضوع : على بن ابى طالب (ع)، امام اول، ٢٣ قبل از هجرت - ٤٠ ق. -- كلمات قصار

موضوع : على بن ابى طالب (ع)، امام اول، ٢٣ قبل از هجرت - ٤٠ ق. -- نامهها

موضوع : على بن ابى طالب (ع)، امام اول، ٢٣ قبل از هجرت - ٤٠ ق. -- نهج البلاغه -- نقد و تفسير

شناسه افزوده : حمرانى، عبدالرحيم

شناسه افزوده : على بن ابى طالب (ع)، امام اول، ٢٣ قبل از هجرت - ٤٠ ق. -- نهج البلاغه. شرح

شناسه افزوده : مدرسه الامام على بن ابى طالب (ع)

رده بندى كنگره : BP٣٨/٠٢ م/ ١٣٨٤٧

رده بندى ديويى : ٢٩٧/٩٥١٥

شماره كتابشناسى ملي : م ٨٤-٤٠٣٤٧

## الخطبة ١٨١

## إشارة

وقَدْ أَرْسَلَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ، يَعْلَمُ لَهُ عِلْمٌ أَحْوَالِ قَوْمٍ مِنْ جُنْدِ الْكُوفَةِ، قَدْ هَمُّوا بِاللِّحَاقِ بِالْخَوَارِجِ، وَكَانُوا عَلَى خَوْفٍ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا عَادَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ قَالَ لَهُ: «أَأْمِنُوا فَقَطُّنُوا [١]»، أَمْ جَبَنُوا

فَطَعَنُوا [٢]؟» فَقَالَ الرَّجُلُ: بَلْ طَعَنُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

[٣]

### نظرة إلى الخطبة

لا بد من التعرف على سبب ذكر هذا الكلام الذي ورد في الخطبة بغية الوقوف على معناها. إن رجلاً يدعى الخريت بن راشد أحد بني ناجية قد شهد مع علي عليه السلام صفيين نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٦

فجاء بعد تحكيم الحكيم في ثلاثين من صحبه (وفي رواية الطبري ثلاثمائة) فقال: «وَاللَّهِ يَا عَلِيُّ لَا أُطِيعُ أَمْرَكَ وَلَا أُصَلِّيُ خَلْفَكَ وَإِنِّي غَدًا مُفَارِقُكَ».

فقال الإمام عليه السلام: «تَكَلَّمْتُكَ أُمَّكَ إِذَا تَعَصَى رَبُّكَ وَتَنَكَّتْ عَهْدَكَ وَلَا تَضُرُّ إِلَّا نَفْسَكَ» ، «أَخْبَرَنِي لِمَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟»

قال:

«لَأَنَّكَ حَكَمْتَ فِي الْكِتَابِ وَضَعْتَ عَنِ الْحَقِّ إِذَا جَدَّ الْجَدُّ فَأَنَا عَلَيْكَ رَاذٌ وَلَكُمْ جَمِيعًا مُبَايِنٌ».

فقال عليه السلام:

«وَيَحْكُ هَلُمَّ إِلَى أَدَارِسُكَ وَأَنَاظِرُكَ فِي الشُّنَنِ وَأَفَاتِحُكَ أُمُورًا مِنَ الْحَقِّ أَنَا أَعْلَمُ بِهَا مِنْكَ فَلَعَلَّكَ تَعْرِفُ مَا أَنْتَ الْآنَ لَهُ مُنْكَرٌ».

فقال الخريت:

«فَأِنِّي غَادٍ عَلَيْكَ غَدًا».

فقال عليه السلام:

«أُغْدُو وَلَا يَسْتَهْوِينُكَ الشَّيْطَانُ وَلَا يَتَّقَحَمِينَ بِحُكِّ رَأْيِ السُّوءِ وَلَا يَسْتَخْفَنُكَ الْجُهْلَاءُ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ، فَوَاللَّهِ إِنْ اسْتَنْصَيْتَنِي وَاسْتَرَشَدْتَنِي وَقَبِلْتَ مِنِّي لِأَهْدِيَنَّكَ سَبِيلَ الرَّشَادِ» [٤].

فقرر هذا الرجل الجاهل الالتحاق بقومه من الخوارج لبيتلى بذلك المصير الأسود، وإثر ذلك بعث الإمام عليه السلام أحد أصحابه خلف هذا الرجل عله يتراجع عن موقفه، ولكن سرعان ما عاد مبعوث الإمام عليه السلام ليخبره بالتحاقه وصحبه بالخوارج ومغادرته الكوفة.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٧

بُعْدًا لَهُمْ «كَمَا بَعْدَتْ ثَمُودُ! أَمَا لَوْ أُشْرِعَتِ الْأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ، وَصَبَّتِ السُّيُوفُ عَلَى هَامَاتِهِمْ، لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَتْ مِنْهُمْ. إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدْ اسْتَقْلَبَهُمْ، وَهُوَ غَدًا مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ، وَمُتَخَلِّ عَنَّهُمْ. فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَى، وَارْتِكَاسِهِمْ فِي الضَّلَالِ وَالْعَمَى، وَصَدَّهُمْ عَنِ الْحَقِّ، وَجَمَّاهُمْ فِي التَّبَيُّهِ».

### الشرح والتفسير: مصير المشككين الجهال

كما مضى سابقاً كان الكلام من قبل فئة قليلة جاهلة ومتعصبة أشكلت على الإمام عليه السلام بسبب استجابته لتحكيم القرآن، والحال هذا وأمثاله مما كانوا قد مارسوا ضغوطهم على الإمام عليه السلام لقبول التحكيم، والأسوأ من ذلك وإثر اعتراضهم على الإمام عليه السلام الذي يمثل محور الهدى انشقوا عنه وإلتحقوا بالخوارج محور الجهل والتعصب والضلال، ويشرح الإمام عليه السلام في هذه



الخطبة عوامل تعاسة هذه الفئة الضالة بغية تجنب الآخرين السقوط في هذا المستنقع فقال عليه السلام:

«بُعْدًا [٥] لَهُمْ

«كَمَا بَعَدَتْ نُمُودٌ»

!». كان هذا التعبير إشارة لما ورد في القرآن الكريم بشأن قوم ثمود إذ قال تعالى

«أَلَا بُعِيدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتْ ثُمُودٌ» [٦] والذي كان لعنة لقوم شعيب الوثنيين، كما كان إشارة إلى الجهات المشتركة بين هؤلاء القوم

الضالين وقوم شعيب وقوم صالح،

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٨

حيث كان هؤلاء اناساً متكبرين ومغرورين وردت قصتهم في عدة سور من القرآن الكريم، ثم قال عليه السلام:

«أَمَّا لَوْ أُشْرِعَتْ [٧] الْأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ، وَصَبَّتِ السُّيُوفُ عَلَى

هَامَاتِهِمْ [٨]، لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَتْ مِنْهُمْ، إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدْ اسْتَقْلَهُمْ [٩]، وَهُوَ عَدَا

مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ، وَمُنْحَلٌّ عَنْهُمْ».

يشير هذا الكلام في الواقع إلى ما ورد مراراً في القرآن الكريم بخصوص الطغاة الغافلين الذين ما أن يركبوا السفينة وتغشاهم أمواج

البحار الهادرة ويستشعروا بالخطر حتى تطرح عنهم حجب الغفلة ويتوجهون إلى الله، ولكن سرعان ما يعودون لتلك الغفلة إذا ما بلغوا

ساحل النجاة [١٠].

كما يشير أيضاً إلى ما ورد كراراً في القرآن الكريم أن الشيطان [١١] وأئمة الضلال [١٢] يتبرأون يوم القيامة من أتباعهم.

ثم قال عليه السلام:

«فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَى، وَارْتِكَاسِهِمْ [١٣] فِي الضَّلَالِ وَالْعَمَى،

وَصَدَّهُمْ عَنِ الْحَقِّ، وَجَمَاحِهِمْ [١٤] فِي التَّبِيهِ».

إشارة إلى أنه نتيجة تلك اللجاجة التيه في الضلال والحيرة والابتعاد عن الهدى وهذا المصير الأسود الذي يصنعه كل إنسان لجوج

وجاهل، جدير بالذكر أنه يستفاد من هذا الكلام وتلك المقدمه التاريخية الواردة في سبب ذكره:

إن الإمام عليه السلام كان رحيماً حتى بالأفراد من أهل اللجاجة والجهل والتعصب، وكان

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٩

يسعى قدر المستطاع لإصلاحهم، وإن لم تؤثر مواعظه البليغة كان يقرعهم بكلمات عنيفة ويربهم عاقبة أعمالهم في الدنيا والآخرة

لعلهم يفيثون إلى الحق.

\*\*\*

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ١١

## الخطبة ١٨٢

### إشارة

رَوَى عَنْ نَوْفِ الْبَكَّالِي قَالَ: خَطَبْنَا بِهِذِهِ الْخُطْبَةَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْكُوفَةِ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى حِجَارَةٍ، نَصَّ بِهَا لَهُ جُعْدَةً بِنِ

هُبَيْرَةٌ [١٥] الْمَخْرُومِي، وَعَلَيْهِ مِدْرَعَةٌ [١٦] مِنْ صُوفٍ  
وَحَمَائِلُ سَيْفِهِ لَيْفٌ، وَفِي رِجْلَيْهِ نَعْلَانِ مِنْ لَيْفٍ، وَكَأَنَّ جَبِينَهُ نَفْنَةٌ [١٧] بِعَيْرٍ [١٨]

## نظرة إلى الخطبة

يستفاد من أواخر هذه الخطبة أن الإمام عليه السلام خطبها قبل شهادته بأسبوع، وهدفه

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٢

منها إعداد الناس لجهاد معاوية ولصوص الشام، واستجابوا لدعوته فتقاطروا عليه ألوفاً مؤلفه، ولكن للأسف ....

خاض الإمام عليه السلام في استعراض عدّة أمور من هذه الخطبة بغية إثارة أرواحهم وعواطفهم لمواجهة الأعداء الظلمة، فاستهل حديثه في القسم الأول والثاني والثالث من الخطبة بحمد الله والثناء عليه إلى جانب بيان صفاته الجمالية والجلالية ومن ثم وحدانيته وعلمه المطلق بذرات الوجود كافة، وأن ذاته وصفاته أسمى من أن يستوعبها الفكر، كما لا يقوى على ذلك الأمر حتى الملائكة المقربون.

ثم تطرق الإمام عليه السلام في القسم الرابع إلى الورع والتقوى والزهد في الدنيا، وبين جوانب من سيرة سالف الأنبياء مثل نبي الله سليمان عليه السلام الذي عاش الزهد في الدنيا مع ما كان لديه من الملك.

وبين في القسم الخامس من الخطبة المصير الأسود الذي طال طغاة العالم كالفراعنة والعمالق وأصحاب الرس الذين قتلوا أنبياء الله وسعوا لإطفاء نور الله، ولكن سرعان ما صرعوا وغادروا الدنيا.

وأشار في الفصل السادس إلى ظهور المهدي عليه السلام وتشكيل حكومة العدل العالمية وتطرق إلى جانب من فضائله ومناقبه.

وخاض في القسم السابع ثانياً في الوعظ والإرشاد، وتحدث عن غدر الدنيا وتقلب أحوالها وتفاهتها، وذكر شهداء صفين الذين عانقوا الشهادة وبكى عدداً من أصحابه مثل عمار بن ياسر وابن التيهان وخزيمة ذي الشهادتين، ثم مدحهم على طاعتهم لأوامر الله وإحيائهم لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وإماتتهم البدع واستعدادهم الدائم للجهاد.

وأصدر في القسم الثامن من خطبته أمره بالجهاد ودعى الجميع للإلتحاق بسوح الوغى.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٣

## القسم الأول

### إشارة

الْحَمِيدُ لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ الْخَلْقِ، وَعَوَاقِبُ الْأَمْرِ. نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ، وَتَبَرُّ بُرْهَانِهِ، وَنَوَامِي فَضْلِهِ وَامْتِنَانِهِ، حَمِيداً يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً، وَلِشُكْرِهِ أَدَاءً، وَإِلَى ثَوَابِهِ مُقَرَّباً، وَلِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِباً. وَنَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةً رَاجٍ لِفَضْلِهِ، مُؤَمِّلٌ لِنَفْعِهِ، وَاثِقٌ بِدَفْعِهِ، مُعْتَرِفٌ لَهُ بِالطَّوْلِ، مُدْعِنٌ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ. وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيْمَانٌ مِنْ رِجَاءِ مُوقِنًا، وَأَنَابٌ إِلَيْهِ مُؤْمِنًا، وَخَنَعٌ لَهُ مُدْعِنًا، وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّدًا، وَعَظَّمَهُ مَمَجِّدًا، وَلَذَّ بِهِ رَاغِبًا مُجْتَهِدًا.

الشرح والتفسير: هو من يستحق الشكر

ينبغي قبل الشروع في شرح هذه الخطبة الإشارة إلى شخصيته (نوف البكالي) راوى هذه الخطبة، لا شك ولا ريب في أنه من أصحاب الإمام على عليه السلام وقيل حاجبه، ويعتقد البعض أنه من قبيلة حمير التي سكنت اليمن، بينما يراه البعض الآخر من قبيلة همدان، وهنالك كلام في لقبه، قيل بكال (على وزن فعّال) وقيل بكال (على وزن كِتَاب) وقيل بكال (على وزن طَواف)، على كل حال فقد كان رجلاً عفيفاً ومؤمناً ووفياً.

\*\*\*

استهل الإمام عليه السلام هذا القسم من الخطبة بحمد الله والثناء عليه بهدف إعداد قلوب المخاطبين وإزالة صدأ الغفلة عنها، ثم استعان بذاته المقدسة وأبرز إيمانه المطلق بها

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٤

فقال في الحمد والثناء:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ [١٩] الْخَلْقِ، وَعَوَاقِبُ الْأَمْرِ».

نعم فمنه تعالى بداية الخلق وإليه المصير، فموجودات هذا العالم كافة من فيض وجوده وستؤول عاقبة أمرها إليه، وهذه إشارة إلى قضية المعاد ويوم القيامة فالحديث في هذه العبارة عن مبدىٍ نحمده ونثنى عليه.

ولكن لم هذا الحمد والثناء؟ قال عليه السلام:

«نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ، وَنَثِيرُ بُرْهَانِهِ، وَنَوَامِي [٢٠] فَضْلِهِ وَامْتِنَانِهِ».

العبارة:

«عَظِيمِ إِحْسَانِهِ»

يمكن أن تكون إشارة إلى نعمة الإيمان والاعتقاد الخالص بالله تعالى بقرينه

«نَثِيرُ بُرْهَانِهِ»

التي تشير إلى الأدلة الواضحة، وكما يمكن أن تكون إشارة إلى نعمة الحياة والخلق التي تعدّ من أعظم نعم الله، إلّا أنّ التفسير الأوّل أنسب، والعبارة:

«وَنَوَامِي فَضْلِهِ وَامْتِنَانِهِ»

إشارة إلى تكامل الإنسان في المجالات الماديّة والمعنويّة والتي تعدّ من النعم الإلهيّة الكبرى.

ثم خاض عليه السلام في بيان كيفية هذا الحمد فقال:

«حَمْدًا يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً، وَلِشُكْرِهِ أَدَاءً، وَإِلَى ثَوَابِهِ مُقَرَّبًا، وَلِحَسَنِ مَزِيدِهِ مُوجِبًا».

من البديهي أن لا يسع أحد أداء حقّ الشكر والحمد لله تبارك وتعالى، ويعجز عن ذلك حتى جميع الأنبياء والأولياء والملائكة المقربين، وعليه فالمراد من الأداء ما كان في وسع الإنسان والذي يوجب ثواب الله ونيل المزيد من نعمه.

وعلى هذا الأساس تطرق في هذه الجملات الحكيمه، تارة الصفات الإلهيّة وإحسانه ونعمه، وتارة أخرى إلى أساس النعم المتنوعه الإلهيّة وأصولها، وفي الثالثة إلى كيفية الحمد والشكر، وبذلك تطرق إلى مجموعته كامله من الصفات الإلهيّة ونعمه.

ثم تطرق بعد الحمد - كما ورد شبيه ذلك في سورة الفاتحة - إلى الاستعانة بالله

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٥

تبارك وتعالى فقال:

«وَنَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةً رَاجٍ لِفَضْلِهِ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ، وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ، مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطُّوْلِ [٢١]، مُدْعِنٍ [٢٢] لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ».

تشير هذه العبارات الخمس إلى مواضيع متنوعه؛ الأوّل: الحديث عن الأمل بفضل الله في الأمور المعنويّة، والثاني: الأمل والرجاء في

المنافع والمصالح الماديّة، والثالث: الثقة بدفع الآفات والمضرات عن العباد، والرابع: مقام الاعتراف بالنعمة، وأخيراً أداء حقّ الشكر بالقول والعمل.

فقد اتّجه الإمام عليه السلام بعد بيانه لما يستحقّ الله تعالى من حمد واستعانة تامّة بذاته المقدّسة الإفصاح عن إيمانه بالذات المقدّسة، وهو الإيمان الذي انطوى على جميع المزايا فقال عليه السلام:

«وَتُؤْمِنُ بِهِ إِيْمَانٌ مِّن رَّجَاهُ مُوقِنًا، وَأَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِنًا، وَخَنَعَ [٢٣] لَهُ مُدْعِنًا، وَأَخْلَصَ لَهُ مُوحِّدًا، وَعَظَّمَهُ مُمَجِّدًا، وَلَآذَ بِهِ رَاغِبًا مُجْتَهِدًا».

حقّاً إنّ الإيمان الذي ينطوى على كلّ هذه الصفات ويختزن كلّ هذه الآثار لهو أرفع إيماناً وأرسخ عقيدة، ولا يتأتّى مثل هذا الإيمان إلّا من خلال تطهير القلب من دنس المعصية والإبتعاد عن الأهواء والسعى إلى تهذيب النفس والتوجه إلى الله سبحانه وتعالى، ولعلّ هنالك من يتساءل: لماذا استهل الإمام عليه السلام كلامه بحمد الله والثناء عليه ثم استعان بذاته المقدّسة ليتجه أخيراً إلى الإيمان، والحال أنّ الإيمان هو دافع الحمد والاستعانة؟

والجواب عن ذلك، إنّ الإيمان الذي تطرق إليه الإمام عليه السلام هنا هو الإيمان الجامع للكمال، والذي لا يحصل إلّا بعد حمد الله والاستعانة بذاته المقدّسة وما وجب سابقاً قبل الحمد والاستعانة إنّما يمثل المراحل الابتدائية للإيمان.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٧

## القسم الثاني

### إشارة

لَمْ يُوَلَّدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونَ فِي الْعِزِّ مُشَارِكًا، وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْرُوثًا هَالِكًا.

وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتُ وَلَمَّا زَمَانٌ، وَلَمْ يَتَعَاوَرَهُ زِيَادَةٌ وَلَمَّا نَقْصَانٌ، بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عَلَامَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتَقِنِ، وَالْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ. فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ مُوَطَّدَاتٍ بِلَمَّا عَمِيدٍ، قَائِمَاتٍ بِلَمَّا سَيِّدٍ. دَعَا هُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُدْعِنَاتٍ، غَيْرِ مُتَلَكِّئَاتٍ وَلَا مُبْطِنَاتٍ؛ وَلَوْلَا إِفْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَإِدْعَائُهُنَّ بِالطَّوَاعِيَّةِ، لَمَّا جَعَلَهُنَّ مُؤَصِّبَةً مَعَا لِعَرْشِهِ، وَلَا مَسِيكَةً لِمَلَائِكَتِهِ، وَلَا مَضِيحَةً لِللَّكِيمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ.

## الشرح والتفسير: دلالة السماء على الله

قال الإمام عليه السلام في هذا القسم من الخطبة- في مواصلة شرح صفات الله التي تصدرت بها الخطبة: «لَمْ يُوَلَّدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونَ فِي الْعِزِّ مُشَارِكًا، وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْرُوثًا هَالِكًا، وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتُ وَلَا زَمَانٌ، وَلَمْ يَتَعَاوَرَهُ [٢٤] زِيَادَةٌ وَلَا نَقْصَانٌ». إنّ من بين القوانين التي تحكم عالم المادة والممكنات أنّ كلّ جماعة ترد الحياة تفارقها بعد مدّة لتحل محلها طائفة أخرى فالأبناء يرثون صفات الآباء، كما ينقل هؤلاء صفاتهم إلى الأبناء، وبما أنّ الذات الإلهية أزليّة وأبدية فهي لم تولد من أحد ليكون لها مثل ولم يولد منها أحد ليرثها.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٨

والعبارة:

«وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ ...»

إشارة إلى أنّه يفوق الزمان؛ لأنّ الزمان نتيجة لحركة الموجودات من النقص إلى الكمال وبالعكس، وبما أنّ وجوده المقدّس عين

كماله المطلق وليس للزيادة والنقصان من سبيل إلى ذاته فلا معنى لطرو الوقت والزمان عليه [٢٥].

وحيث إن نفي الشبيه والنظير والزمان والزيادة والنقصان عن ذاته القدسيه ربما يخلق وهماً يتمثل في تعطيل معرفة الله، وبعبارة أخرى إنعدام السبيل إلى معرفته؛ فقد قال:

«بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عَلَامَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتَقِنِ، وَالْقَضَاءِ الْمُجْرِمِ».

إشارة إلى أن الذات القدسيه وإن كانت خارجة عن متناول العقول البشريه إلا أن إثبات أصل وجودها ممكن من خلال تأمل نظام الخليقة والتدبير الحكيم الذي يحكمه، وهذا ما أشارت إليه بعض الروايات الإسلاميه التي حثت على عدم الاستغراق في الذات المقدسه، بل التفكير في آثار قدرته وعظمته وعلمه في عالم الوجود، الأمر الذي جعله القرآن الكريم محوراً في معرفة الله ودعى أصحاب الفكر وأولوا الألباب إلى التفكير على الدوام فقال تعالى «أَنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ \* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» [٢٦].

ثم ركز الإمام عليه السلام على مصاديق هذا البيان الكلى والعام فقال:

«فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ مُوَدَّاتٍ [٢٧] بِلَا عَمَدٍ [٢٨]، قَائِمَاتٍ بِلَا سَنَدٍ [٢٩].»

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٩

ثم أشار إلى هذه الحقيقة:

«دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُدْعِنَاتٍ، غَيْرِ مُتَلَكِّنَاتٍ [٣٠] وَلَا مُبْطِنَاتٍ».

يبدو هنالك رأيان بشأن المراد من طاعة السماوات لأوامر الله وإقرارها بربوبيته تعالى؛ قال البعض: إن المراد الإقرار والطاعة بلسان الحال، أى أن الله سبحانه وتعالى خلقها بهذه الصيغه بحيث تعيش حالة التسليم له من حيث نظام العله والمعلول وقوانين الخلق دون أن يكون لها أية إرادة أو علم، لأنها موجودات جامدة ولا روح لها.

وقال البعض: إن العبارات أعلاه تدل على أن جميع عالم الوجود- من الإنسان والحيوان والجماد وجميع الكواكب السماويه- له عقل وشعور، وقد أقرّوا بإرادتهم على ربوبيته تعالى وأذعنوا له بالطاعة.

طبعاً هذان التفسيران صحيحان ولا يختلفان عما أراد الإمام عليه السلام بيانه، لأن الهدف بيان عظمة الخلق وتسليم عالم الوجود لأمر الله تبارك وتعالى.

ثم قال عليه السلام:

«وَلَوْ لَا إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَإِذْعَانُهُنَّ بِالطَّوَاعِيَّةِ [٣١]، لَمَا جَعَلَهُنَّ

مَوْضِعًا لِعَرْشِهِ، وَلَا مَسْكَنًا لِمَلَائِكَتِهِ، وَلَا مَضْعَدًا [٣٢] لِلِكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ».

أشار الإمام عليه السلام في هذه العبارة إلى أن طاعة السماوات لأوامر الله منحها ثلاثة امتيازات: الأول: أنها موضع عرش الله، والثاني:

مسكن لملائكته، والثالث: موضع لصعود الأعمال والأقوال الصالحة للعباد؛ بمعنى أن حفظه الأعمال وكتبه الأفعال

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٠

تكتبها في سجل الأعمال ويرفع إلى السماء ما يستحق منها القرب الإلهي.

ومن الطبيعي أن يختار الله تعالى موضعاً لهذه الأمور خاضعاً لسيطرته وهيمته، وبعبارة أخرى بما أن جميع السماوات في قبضته فقد أسغ عليها تلك الأمور، والتعبير بالملائكة في العبارة المذكورة إشارة إلى الملائكة المقربين، وإلا فللملائكة حضور في العالم برمته

من أرض وسماء.

وأما حقيقة العرش فهذا ما سيأتى شرحه فى هذه الخطبة إن شاء الله.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢١

### القسم الثالث

#### إشارة

جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلَامًا يَسْتَدِلُّ بِهَا الْخَيْرَانُ فِي مُخْتَلَفِ فِجَاجِ الْأَقْطَارِ، لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا اذْلِهَمَامَ سُجْفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَلَا اسْتِطَاعَتْ جَلَائِبُ سَوَادِ الْحَنَادِسِ أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِي السَّمَاوَاتِ مِنْ تَلَالُؤِ نُورِ الْقَمَرِ، فَسَبَّحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ عَسَقِ دَاجٍ، وَلَا لَيْلِ سَاجٍ، فِي بَقَاعِ الْأَرْضِينَ الْمُتَطَاظِمَاتِ، وَلَمَّا فِي يَفَاعِ السُّنْعِ الْمُتَجَاوِرَاتِ؛ وَمَا يَتَجَلَّجَلُ بِهِ الرَّعْدُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ، وَمَا تَلَّاشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْعَمَامِ، وَمَا تَسَقَطُ مِنْ وَرَقَةٍ تَزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ وَأَنْهَطَالُ السَّمَاءِ! وَيَعْلَمُ مَسْقَطُ الْقَطْرَةِ وَمَقَرَّهَا، وَمَسْحَبُ الذَّرَّةِ وَمَجْرَاهَا، وَمَا يَكْفِي الْبُعُوضَةَ مِنْ قُوَّتِهَا، وَمَا تَحْمِلُ الْأَثَى فِي بَطْنِهَا.

#### الشرح والتفسير: احاطته العلمية بكل شيء

تطرق الإمام عليه السلام فى مواصلته لبيان آثار عظمه الله فى عجائب السماوات فى العالم العلوى عن القمر والنجوم حيث قال ابن أبى الحديد: إن هذا القسم من كلام الإمام عليه السلام بيان لتوحيد الله وتمجيده بأحسن وجه وبأفصح الكلام وأجمل العبارات حيث قال عليه السلام:

«جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلَامًا يَسْتَدِلُّ بِهَا الْخَيْرَانُ فِي مُخْتَلَفِ فِجَاجِ [٣٣] الْأَقْطَارِ [٣٤].»

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٢

هذه العبارة إشارة إلى ما ورد كراراً فى القرآن الكريم بشأن النجوم: «وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ» [٣٥].

وقال تعالى فى موضع آخر: «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ» [٣٦].

نعلم أن النجوم الثابتة التى تشكل تقريباً أغلب كواكب السماء إنما تطلع من نقاط معينة وتغيب فى أخرى معينة كذلك وأن مواضعها فى السماء من شأنها تعيين الجهات الأربع الشمال والجنوب والشرق والغرب وتعد أفضل وسائل للإهتداء فى الأسفار الطويلة خلال الليالى المظلمة فى الصحارى والبحار.

ثم أشار عليه السلام إلى نقطة بديعة أخرى فقال:

«لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا اذْلِهَمَامَ [٣٧] سُجْفِ [٣٨]

اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَلَا اسْتِطَاعَتْ جَلَائِبُ [٣٩] سَوَادِ الْحَنَادِسِ [٤٠] أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِي السَّمَاوَاتِ مِنْ تَلَالُؤِ نُورِ الْقَمَرِ.»

فقد أشار الإمام عليه السلام فى الواقع إلى نكتة ظريفة إلى أن الله سبحانه وتعالى خلق ظلمة الليل كنعمة كبيرة لهدوء المخلوقات وراحتها من جانب، ومن جانب آخر جعل النجوم ليتهدى بها فى الصحارى والبحار وخلق القمر منيراً، إلماً أن هذين المصدرين

المُضِيِّين خُلِقوا بحيث لا يقضيان على عتمه الليل، والجمع بين هذا النور والظلمة بهدفين مختلفين نموذج لقدرته المطلقة سبحانه.

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٣

وما أن فرغ الإمام عليه السلام من بيان آثار عظمه الله وقدرته في عالم الخلق حتى تطرق لسعة علمه وإحاطته بجميع الموجودات في الأرض والسماء؛ حتى أشار بشرح رائع إلى عشرة موارد منها تجسد سعة علمه سبحانه فقال:

«فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقِ [٤١] دَاجِ [٤٢]، وَلَا لَيْلِ سَاجِ [٤٣]، فِي بَقَاعِ الْأَرْضِينَ الْمُتَطَائِفَاتِ [٤٤]، وَلَا فِي

يَفَاعِ [٤٥] الشُّفَعِ [٤٦] الْمُتَجَاوِرَاتِ؛ وَمَا يَتَجَلَّجَلُ [٤٧] بِهِ الرَّعْدُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ، وَمَا تَلَأَشَتْ [٤٨]

عَنْهُ بُرُوقُ الْعُمَامِ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقِهِ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ [٤٩] الْأَنْوَاءِ [٥٠]

وَأَنْهَطَالُ [٥١] السَّمَاءِ! وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَةِ وَمَقَرَّهَا، وَمَسْحَبَ [٥٢] الدَّرَّةِ وَمَجْرَهَا [٥٣]، وَمَا

يَكْفِي الْبُعُوضَةَ مِنْ قُوَّتِهَا، وَمَا تَحْمِلُ الْأَنْثَى فِي بَطْنِهَا».

حقاً إن تأمل عبارة الإمام عليه السلام بشأن علم الله تبارك وتعالى بجميع الكائنات في السماوات والأرض التي تجعل أعظم الأشياء وأصغر الموجودات وأخفى المخلوقات يغوص في بحر من التفكير هل بالإمكان خفاء أعمالنا وأقوالنا، بل تياتنا وأفكارنا على الله تبارك وتعالى المحيط بكل شيء؟ وهذه أحد أهم الآثار التربوية للإيمان بسعة علم الله وإحاطته بجميع الأشياء.

والطريف أن الإمام عليه السلام حين يتحدث عن ظلمة الليل أو سكونه يشير إلى آثاره المختلفة في مختلف بقاع الأرض من قمم الجبال إلى سفوحها، وحين يتحدث عن

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٤

تساقط الأوراق يخوض في جملة الأسباب التي تؤدي إلى هذا التساقط، وبالتالي حين يتطرق إلى هطول قطرات المطر لا ينسى الحديث عن مواضع استقراره في جوف الأرض الذي يعدّ خزاناً مباركاً لتلك المياه، وحين يتحدث عن طعام ذبابة يشير إليه بمقدار، وهذا بدوره ما يجعل هذه الخطبة في مصاف أفصح وأبلغ خطب نهج البلاغة، وهي الفصاحة والبلاغة التي بلغت حد الإعجاز.

جدير بالذكر أن لأغلب هذه التعبيرات جذوراً في الآيات القرآنية، فالله تبارك وتعالى حين يشير إلى علمه بجميع الموجودات يقول: «اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ» [٥٤] ويقول تعالى في موضع آخر: «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ» [٥٥].

## تأمل

### ما الأنواء؟

تضمنت الخطبة إشارة إلى عواصف الأنواء التي تستحق المزيد من الشرح، فأنواء جمع نوء على وزن نوع تعني لغوياً طلوع النجوم أو غروبها، إلا أنهم اقتصروا على معنى الطلوع، وإن أضاف البعض إليها الغروب واعتبرها من مفردات الأضداد، ومن العقائد السائدة لدى العرب أن القمر يطوى ٢٨ منزلاً خلال دورته حول نفسه ويستغرق كل منزل ١٣ يوماً، وتقرن بداية كل منزل بطلوع نجم في المشرق وغروب آخر في المغرب، كما يعتقدون بحصول تغيير في الجو وسقوط مطر أو هبوب رياح يتزامن مع بداية كل منزل، ومن هنا كانوا يقولون: (مُطِرْنَا بِنُوءِ فُلَانٍ)، وقد اتخذ هذا الاعتقاد صيغة خرافية بالتدريج ليعتقدوا بأن هذا النجم هو العنصر المسبب لتزول الأمطار ولا بد من التضرع إليه بغية نزول المطر.

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٥

ذكر العلامة المجلسي رحمه الله في الجزء ٥٥ من بحار الأنوار باباً مفصلاً حمل عنوان:

«في النهي عن الاستمطار بالأنواء والطيرة والعدوى»

ونقل فيه عدّة روايات بهذا الشأن منها ما روى عن الإمام الباقر عليه السلام:

«ثَلَاثَةٌ مِنْ عَمَلِ الْجَاهِلِيَّةِ، الْفُخْرُ بِالْأَنْسَابِ وَالطَّغْنُ فِي الْأَحْسَابِ وَالْإِسْتِشْقَاءُ بِالْأَنْوَاءِ» [٥٦].

والذي تجدر الإشارة إليه هنا أن أحداً لو طرح الموضوع بصيغته بحث فلكى وقال باقتران هبوب رياح شديدة أو سقوط مطر في كل منزل من المنازل الثمانية والعشرين بأمر الله فإنه لم يجانب الحقيقة، وليس هناك من نهى عن هذا الكلام، غير أن عرب الجاهلية نسبوا هبوب الرياح وهطول الأمطار إلى تلك الأنواء وهذا نوع من الشرك، لأنهم قالوا باستقلالية تلك الأنواء بعيداً عن إرادة الله، من هنا يتضح عدم وجود أي إشكال في عبارة الإمام:

«تُرِيْلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ»

لأن مراد الإمام عليه السلام أن كل ما اقترن بطلوع وغروب هذه الأنواء تابع لإذن الله وأوامره.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٧

## القسم الرابع

### إشارة

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيُّ أَوْ عَرْشٌ، أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ، أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ. لَا يُدْرِكُ بِهِمْ، وَلَا يُقَدَّرُ بِهِمْ، وَلَا يَشْغَلُهُ سَائِلٌ، وَلَا يَنْقُضُهُ نَائِلٌ، وَلَا يَنْظُرُ بَعِينٌ، وَلَا يَحْدُ بِأَيْنٍ، وَلَا يُوصَفُ بِالزَّوْجِ، وَلَا يُخْلَقُ بِعَلَاجٍ، وَلَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ، وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ. الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا، وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيمًا؛ بَلَمَا جَوَارِحَ وَلَمَا أَدْوَاتٍ، وَلَمَا نُطِقَ وَلَا لَهَوَاتٍ. بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لِمُوصَفِ رَبِّكَ، فَصِفْ جِبْرِيْلَ وَمِيكَائِيْلَ وَجُودَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، فِي حُجْرَاتِ الْقُدْسِ مُرَجِحِينَ، مُتَوَلِّهِ عَقُولَهُمْ أَنْ يَحْدُوا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. فَإِنَّمَا يُدْرِكُ بِالصِّفَاتِ ذُووَالْهَيْئَاتِ وَالْأَدْوَاتِ، وَمَنْ يَنْقُضِي إِذَا بَلَغَ أَمِيدَ حُدِّهِ بِالْفَنَاءِ. فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَضَاءَ بُنُورِهِ كُلِّ ظَلَامٍ، وَأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلِّ نُورٍ.

## الشرح والتفسير: عجزنا عن إدراك صفاته

تابع الإمام عليه السلام بيان صفات الله تعالى بعد أن أشار إلى عظمة الخالق وقدرته وذكر آياته في عالم الوجود، فشرح في هذا القسم جانباً مهماً من الصفات الثبوتية والسلبية والصفات الفعلية بصورة رائعة فأتى درسه لمخاطبيه في سبيل معرفة الله، فقد تحدّث في بادئ الأمر عن أزلية الله تبارك وتعالى المقرونة بالأبدية فقال عليه السلام:

«وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيُّ أَوْ عَرْشٌ، أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ، أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ».

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٨

فالأمر الستة هذه إشارة إلى تكوين العالم، ذلك لأنها الأصل والأساس وما سواها تابع لها، على كل حال فإن هذه العبارة إشارة إلى أهم صفاته الجمالية سبحانه والتي تعود إليها سائر الصفات وهي عدم تناهي ذاته القدسيّة من جميع الجهات، فلكل المخلوقات زمان وتاريخ لحدوثها سوى الذات القدسيّة التي كانت منذ الأزل وستبقى إلى الأبد، ومن هنا أشار إثر ذلك إلى إحدى عشرة صفة من صفاته السلبية والتي تنبع جميعها من ذاته القدسيّة اللامتناهية.

فقال في العبارة الأولى والثانية:

«لَا يُدْرِكُ بِهِمْ، وَلَا يُقَدَّرُ بِهِمْ».



ذهب بعض شراح نهج البلاغة إلى أن الفارق بين هاتين العبارتين هو أن الوهم هنا إشارة إلى القوة التي تدرك الجزئيات، والفهم إشارة إلى إدراك الكلّيات، وهنالك احتمال آخر هو أن الوهم إشارة إلى قوة الحدس والفرض، والفهم إشارة إلى الإدراك واليقين، أى لا- يمكن الوصول إليه تعالى عن طريق العلم ولا- الحدس ولا الظن، أضف إلى ذلك أن العبارة الأولى إشارة إلى إدراك أصل وجوده، والعبارة الثانية إشارة إلى قياس ذاته القدسيّة وبما أنّها لامتناهية فهي لا تدرك بوهم ولا تقاس بعقل.

ثم قال في الصفتين السلبيتين الثالثة والرابعة:

«وَلَا يَشْغَلُهُ سَائِلٌ، وَلَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ [٥٧].»

إنّ الإنسان مهما كان ذكياً وفطناً إن تحدّث إليه شخص أو عدّة أشخاص بشأن موضوع مهم لا يسعه إدراك مطلب الآخرين، أو تعامله مع شخص يحول دونه والآخرين، ذلك لأنّه وجود محدود ومتناهٍ، أمّا الذات الإلهيّة القدسيّة فلا يضيق بها التعامل مع جميع المخلوقات وفي آن واحد فهي تسمع أصواتهم وتقضى حاجاتهم وتعلم بتياتهم ولا يشغلها سائل عن آخر، وكذلك لو طرق جميع العباد باب الله وسألوه ما سألوا وضمن لهم الإجابة لما نقص شيء من ملكه وخزائنه، بل لما شكل

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٩

ذلك قطرة من بحر وجوده، كيف لا وهو الخلاق لما يشاء وفيضه غنى عن الحدود [٥٨].

ثم قال عليه السلام: في الصفتين الخامسة والسادسة:

«وَلَا يَنْظُرُ بَعَيْنٍ، وَلَا يُحَدُّ بِأَيِّنٍ [٥٩].»

أجل! إنّه يرى كلّ شيء وكل مكان والعالم برمته حاضر عنده، مع ذلك ليس له عين ولا مكان، لأنّه أسمى من الزمان والمكان والعوارض الجسميّة.

ثم قال عليه السلام في الصفتين السابعة والثامنة:

«وَلَا يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ [٦٠]، وَلَا يُخْلَقُ

بِعَلَّاجٍ.»

ذكروا عدّة معانٍ لأزواج منها: جمع زوج مثل النظير والقرين والزوج والشبيه والمثيل والضد والتركيب، ولا مانع من جمع كلّ هذه المفاهيم في العبارة السابقة، أى أنّ الله منزّه عن كلّ هذه الأمور، والعبارة

«لَا يُخْلَقُ بِعَلَّاجٍ»

إشارة إلى الناس وأشباههم إن أرادوا خلق شيء- أو بتعبير أدق- إن أرادوا تركيب هيئة من أشياء إنّما يستعينون ببعض الوسائل التي قد تكون بسيطة وأخرى صعبة، والمخلوق الوحيد الذي لا يحتاج إلى أيّة وسائل وأدوات هو الحقّ سبحانه وتعالى [٦١]، بل أبعد من ذلك كما قال القرآن الكريم: «أَنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» [٦٢].

ثم قال في الصفتين التاسعة والعاشر من صفاته السلبيّة سبحانه:

«وَلَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ، وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ.»

إننا نعلم بأنّ دائرة حواس الإنسان هي الأجسام الماديّة، وعليه فالذات القدسيّة

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٠

التي تفوق عالم المادة لا تدرك إلّا بالعقل والفكر، ويخطئ أولئك الذين يعتقدون بإمكانية رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة بهذه العين.

العبارة:

«لَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ»

تشير إلى أصل كلّي بشأن صفات الله تعالى في عدم إمكانية مقارنة هذه الصفات بصفات المخلوق فإن ذلك ينتهي إلى الضلالة، وهذا المعنى ورد في الخطبة الأولى من نهج البلاغة:

«وَكَمَالُ الْأَخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ».

وقال أخيراً في بيان آخر الصفات:

«الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا، وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيمًا؛ بِلَا جَوَارِحَ وَلَا أَدَوَاتٍ، وَلَا نُطْقَ وَلَا لَهَوَاتٍ [٦٣]».

بما أنه نقل في السابق مختلف الصفات وأثبتها لله تعالى بأكمل وجه، فقد خاض هنا في مسألة تكلم الله سبحانه وتعالى وأوضح أن الله كلم موسى عليه السلام ولكن ليس على غرار الناس الذين يتكلمون بواسطة اللسان والفم والأمواج الصوتية وأداء الحروف، بل يخلق الأمواج الصوتية ليتحدث بواسطتها مع موسى عليه السلام، فكان موسى يسمع الكلام من ست جهات وهذا من عظمة آيات الله دون الحاجة إلى الجوارح والأعضاء الصوتية، وظاهر كلام الإمام عليه السلام أن عظمة آيات الله هو سماع كلامه سبحانه من الجهات الست، والشاهد على ذلك قوله عليه السلام:

«بِلَا جَوَارِحَ وَلَا أَدَوَاتٍ، وَلَا نُطْقَ وَلَا لَهَوَاتٍ».

الاحتمال الآخر الذي ذكره شراح نهج البلاغة بهذا الشأن أن المراد من عظيم آياته المعجزات التسع التي حبي بها موسى بن عمران [٦٤]، ولكن يبدو هذا الاحتمال بعيداً ولا ينسجم مع سياق كلام الإمام عليه السلام فهو لا يخلو من تكلف ومخالفة الظاهر،

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣١

ويحتمل أن يكون المراد معجزتي العصا واليد البيضاء التي اقترنت بتكليم موسى عليه السلام.

على كل حال فلا يصح إطلاق صفة الناطق أو اللافظ على الله تبارك وتعالى، هذين اللفظين يشيران إلى حركة اللسان ومخارج الحروف والأمواج الصوتية التي ينتزعه عنها الله تبارك وتعالى، بينما يصح إطلاق لفظ المتكلم على الله لأنه يوجد الكلام ويخلق الأمواج الصوتية في ست جهات كي لا يتصور موسى والآخرين أن الله يحويه مكان.

ثم خاض الإمام عليه السلام في مطلبين آخرين بهدف إكمال هذه الصفات وإثبات عجز الفكر البشري عن تبيانه لحقيقة الله تبارك وتعالى فقال في الأولى

«بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَتَيْهَا الْمُتَكَلِّفُ [٦٥] لَوْصِفِ رَبِّكَ، فَصِفْ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَجُنُودَ الْمَلَائِكَةِ

الْمُقَرَّبِينَ، فِي حُجْرَاتِ الْقُدُسِ مُرْجِحِينَ [٦٦]، مُتَوَلِّهِ [٦٧] عَقُولُهُمْ أَنْ يَحُدُّوا أَحْسَنَ

الْخَالِقِينَ».

إشارة إلى أن الإنسان الذي يعجز عن بيان صفات ملائكة الله المقربين ولا يسعه إدراك حقيقة وجودها وحقيقة صفاتها، فكيف يتوقع إدراك صفات الخالق ويستوعب في حيزه الفكرى صفاته الجمالية والجلالية، مع العلم أن الملائكة الذين نعجز عن بيان صفاتهم يعيشون حالة الحيرة ضمن دائرتهم.

ثم خاض عليه السلام في النقطة الثانية التي تعدد دليلاً عقلياً واضحاً فقال:

«فَإِنَّمَا يُدْرِكُ بِالصِّفَاتِ ذَوُوهَيْتَاتِ وَالْأَدَوَاتِ، وَمَنْ يَنْقُضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ».

ثم اختتم هذا القسم باستنتاج واضح فقال عليه السلام:

«فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ، وَأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ».

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٢

وقد ركز شراح نهج البلاغة في تفسيرهم لهذه العبارة على معنى مطابق؛ فقالوا:

المراد القضاء على ظلمة الليل بضياء النهار وجمع ضياء النهار بظلمة الليل وجعل الظلمة المقرونة بالسكون والهدوء تعم كل مكان،

بينما أخذ البعض الآخر المعنى الكنائى، فقال: إن المراد من الظلمات الأخلاق القبيحة التى تزول من روح الإنسان بنور معرفة الله، وبالمقابل فإن الأفراد الذين يعيشون ظلمة الجهل وعدم معرفة الله إنما تزول عن وجودهم أنوار الفضيلة والأخلاق الإنسانية. نعم، ليست هنالك من حاجة للتفسير الكنائى استناداً إلى إمكانية التفسير على ضوء المعنى المقارن وعدم وجود القرينة على المعنى الكنائى وإن أمكن الجمع بين المعنيين.

## تأملان

### ١. سر صعوبة معرفة صفات الله

ذكرنا كراراً أن طريق معرفة الله صعب بنفس الدرجة التى يتضح فيها السلوك إليه والتعرف عليه، وبعبارة أخرى فإن العلم بوجود الله عن طريق تدبر أسرار الخلق فى الأرض والسماء والوقوف على عجائب الخلق أمر فى غاية الصعوبة، فكل إنسان مهما كان لديه من علم وشعور يرى آثار علمه وقدرته وعظمته تعالى فى كل مكان وفى كل شىء، ولكن يستحيل عليه فهم كنه ذاته وصفاته، ذلك لأنه كما ذكر الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة أننا نعانى من القياس المضل بهذا الشأن، فليس لنا حظ سوى معرفة الصفات بواسطة الوسائل والأدوات والمقرون بالزمان والمكان، فكان من الطبيعى أن يتعذر علينا إدراك ما يفوق الزمان والمكان والأدوات واللامتناهى من حيث الوجود والصفات، أو بتعبير: «ما لُتْرَابٍ وَرَبِّ الْأَرْبَابِ».

إننا لنعجز عن إدراك صفات بعض المخلوقات الأسمى كالملائكة المقربين - كما أشار إلى ذلك الإمام عليه السلام فى الخطبة - فضلاً عن إدراك صفات خالقها، وعلى هذا

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٣

الأساس أمرنا بالإكتفاء بالعلم الإجمالى فى مرحلة إدراك كنه الذات والصفات، وأن لا نسعى للوصول للعلم التفصيلى فهو خارج عن طاقتنا، على سبيل المثال إننا نعلم أن الله عالم بكل شىء وقادر على كل شىء، ولكن هل علمه عن طريق الصور الذهنية كالذى عليه الأمر بالنسبة للإنسان؟ طبعاً لا! ولكن كيف ذلك، حقاً إننا لا نعلم وهذه هى الحقيقة التى أشار إليها الإمام عليه السلام كراراً فى خطب نهج البلاغة ولا سيما فى الخطبة ٩١ المعروفة بخطبة الأشباح، كما حذرنا سائر أئمة الهدى عليهم السلام من سلوك هذا الوادى وقد نقل المرحوم الكلينى فى الكافى والصدوق فى كتاب التوحيد بعض نماذج ذلك.

يذكر أن عبد الملك بن أعين أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام كتب له رسالته أن طائفة فى العراق يصفون الله بالأوصاف الجسمية فطلب منه بيان المذهب الحق فى التوحيد فكتب الإمام عليه السلام:

«سَأَلْتُ عَنِ التَّوْحِيدِ رَحِمَكَ اللَّهُ، فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، وَأَنَّهُ أَسْمَى مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي يَشَبَّهُ بِهَا مَخْلُوقَاتِهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَذْهَبَ الصَّحِيحَ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَتَرَهُ عَنِ الشَّيْءِ» [٦٨]

(إشارة إلى أنه فى باب صفات الله أن لا نشبّهه بالمخلوقات وأن لا نعتقد بالعدم بصورة كلية بالاكتفاء بالمعرفة الإجمالية).

### ٢. العرش والكرسى

قيل الكثير فى العرش والكرسى، وقد أسهبنا فى شرح العرش وحملته فى الخطبة الأولى من نهج البلاغة [٦٩]. تكررت مفردة العرش فى القرآن الكريم ٢٠ مرة، وإن لم تكن جميعها متعلقة بالعرش الإلهى، كما ذكرت مفردة الكرسى مرتان تتعلق إحداها فقط بكرسى الله

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٣٤

كما وردت عبارة «العرش» في نهج البلاغة سبع مرّات والكرسى مرّة واحدة في هذه الخطبة، ورغم أنّ العرش يعنى المسند المعهود والأريكة التى ينصبها السلاطين ويجلسون عليها فى الأعياد والمناسبات الرسمية، ويعنى الكرسى الأريكة القصيرة الدعامة التى يجلسون عليها فى الأيام الاعتيادية، ولكن قطعاً ما ورد فى القرآن ونهج البلاغة والروايات بشأن العرش والكرسى ليس المراد منه هذا المعنى وإنما هى كناية عن أمور أخرى.

فقد اعتبر البعض العرش إشارة إلى مجموع عالم الوجود، بينما عدّه البعض الآخر علم الله تعالى، وذهبت طائفة ثالثة إلى أنّ المراد به صفات الجمال والجلال، كما فسّروا الكرسى بهذا المعنى أيضاً، وهناك من اعتبر الكرسى إشارة إلى تدبير الأمور الجزئية للعالم والعرش بمعنى التدبير الكلى والأحدى والذى يفرز جميع التدبيرات الجزئية، ولكن كما أشرنا سابقاً فإنّ ما يفهم من القرآن الكريم أنّ أحد معانى الكرسى على الأقل مجموعة السماوات والأرض وعالم المادة أو الحاكمية عليه، والعرش إشارة إلى عالم الأرواح والملائكة وعالم ما وراء المادة أو الحاكمية عليها، ذلك أنّ القرآن الكريم قال فى آية الكرسى: «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» [٧٠] ومن الطبيعى أنّ العرش أسمى وأرفع من الكرسى، طبعاً ما ذكرناه هو أحد التفاسير الواضحة للعرش والكرسى، وهناك بعض التفاسير الأخرى كما صرحت بها الروايات [٧١].

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٣٥

## القسم الخامس

### إشارة

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَلْبَسَكُمْ الرِّيَاشَ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ الْمَعَاشَ؛ فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سَلِمًا، أَوْلَدَفَعَ الْمَوْتَ سَبِيلًا، لَكَانَ ذَلِكَ سَلِيمًا بِنِ دَاوُودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِي سَخَّرَ لَهُ مَلَكُ الْجِنِّ وَالْأَنْسِ، مَعَ الثُّبُورَةِ وَعَظِيمِ الرُّلْفَةِ. فَلَمَّا اسْتَتَوَفَى طُعْمَتَهُ، وَاسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ، رَمَتْهُ قَبِيضَةُ الْفَنَاءِ بِنَيْلِ الْمَوْتِ، وَأَصْبَحَتْ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً، وَالْمَسَاكِينُ مُعْطَلَةً، وَوَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ. وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً!

أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ! أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ! أَيْنَ أَصْحَابِ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيَّ، وَأَطْفَأُوا شِنَنَ الْمُؤَسِّلِينَ، وَأَخْيُوا شِنَنَ الْجَبَّارِينَ! أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُبُوشِ، وَهَزَمُوا بِالْأُلُوفِ، وَعَشَكُرُوا الْعَسَاكِرَ، وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ!

### الشرح والتفسير: أين الفراعنة والعمالقة؟

خاض الإمام عليه السلام فى هذا القسم من الخطبة بعد الأبحاث المرتبطة بصفات الجمال والجلال وعظمته عالم الوجود بالأبعاد العملية، ذلك لأنّ الأعمال الصالحة إنّما تفرزها العقيدة الصالحة، فقد دعى الإمام عليه السلام الجميع للتقوى إزاء تلك النعم التى أفاضها تعالى على عباده فقال عليه السلام:

«أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَلْبَسَكُمْ الرِّيَاشَ [٧٢]، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ الْمَعَاشَ».

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٣٦

فقد أشار الإمام عليه السلام فى الواقع إلى نعمتين عظيمتين تعدان مصدرًا لنعم جمة أخرى؛ النعمة الأولى أنواع الثياب التى تحفظ البدن من الحرارة والبرودة ومختلف المخاطر، وتضفى على الإنسان الوقار والهيبة والاحترام وتميّزه عن الحيوانات.

والنعمه الأخرى المعاش، أى أنواع الرزق التى يحتاجها الإنسان فى حياته، وللمعاش من مادة معيشة مفهوم واسع يشمل الطعام والماء

والهواء والدواء والسكن، وجميع مواهب الحياة ولا يبدو صحيحاً ما تصوره البعض من أنه يقتصر على الماء والغذاء، ورغم أن هذا المفهوم عام إلا أنه يشمل أنواع الألبسة الفاخرة، ولكن ممكن ذكر ذلك بالخصوص بسبب أهميته الفائقة في حياة الإنسان. وبما أن حب الدنيا رأس كل خطيئة فقد خاض الإمام عليه السلام في تقلب أحوال الدنيا وزوالها ثم ركز على مصداق واضح فقال عليه السلام:

«فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سَيْلًا، أَوْ لِدَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلًا لَكَانَ ذَلِكَ سَيْلِيمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِي سَيَّخَرُ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَالنَّاسِ، مَعَ التُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ [٧٣].»

نعم فسلیمان عليه السلام مع ما كان له من جلال وجبروت وقدرة وعزة وكر وفر لم يستطع الحيلولة دون الموت ليغادر الدنيا في الأجل المعين دون أدنى تأخير أو تريث، ومن هنا واصل الإمام عليه السلام كلامه قائلاً:

«فَلَمَّا اشْتَوْفَى طُعْمَتَهُ، وَاسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ، رَمَتْهُ قِسِي [٧٤] الْفَنَاءِ بِبِتَالِ [٧٥] الْمَوْتِ، وَأَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً، وَالْمَسَاكِينُ مُعْطَلَةً، وَوَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ.»

يا له من تشبيه رائع! فقد شبه الإمام عليه السلام قانون الفناء بالنبال التي تحمل الموت! وقد صوبت هذه النبال نحو الجميع لتنتظر آخر لقمة طعام يتناولونها وآخر دقيقة عمر يقضونها لتصوب نحوهم سهام الموت فتصيب أهدافها، سواء كان هذا الهدف نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٧

نملة ضعيفة أو سليمان الذي سخرت له جنود الإنس والجن والوحش والطير، والعجيب أن قانون الموت والفناء من القوانين التي لا تعرف من معنى للاستثناء، فهو يطال الصالحين والسيئين والأتقياء والأشقياء والأقوياء والضعفاء دون أن يرحم أحداً أو يمهله مدة: «فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَيْسَتْ تُخْرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ» [٧٦] وسنورد بحثاً مهماً في التأملات بشأن كيفية موت سليمان عليه السلام. ثم خلص الإمام عليه السلام إلى هذه النتيجة:

«وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً! أَيَّنَ الْعَمَالِقَةَ وَأَبْنَاءَ الْعَمَالِقَةِ! أَيَّنَ الْفِرَاعِنَةَ وَأَبْنَاءَ الْفِرَاعِنَةَ! أَيَّنَ أَصْحَابَ مِدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيَّ، وَأَطْفَأُوا سُنْنَ الْمُرْسَلِينَ، وَأَحْيَوْا سُنْنَ الْجَبَّارِينَ! أَيَّنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ، وَهَزَمُوا [٧٧] بِالْأُلُوفِ، وَعَسَكُرُوا الْعَسَاكِرَ، وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ!»

فالإمام عليه السلام في هذه العبارات العميقة المعنى وعقب إشارته للاعتبار بموت سليمان عليه السلام يسלט الضوء على تاريخ البشرية السالفة فيتطرق إلى ذوى النفوذ والقدرة الذين حكموا البلاد بقبضتهم الفولاذية آنذاك ولم يبق منهم اليوم سوى حفنة من التراب مركزاً على طائفة معينة منهم فقد أشار بادئ الأمر إلى العمالقة الذين ينحدرون من العملاق أحد أحفاد نبي الله نوح عليه السلام ممن كانت لهم أجساد قوية وضخمة وقد حكموا البلاد لسنين متمادية.

ثم أشار إلى الفراعنة أي ملوك مصر الذين كانوا من أقوى ملوك التاريخ، بينما تطرق في المرحلة الثالثة إلى أصحاب الرس (نهر الرس أو الأبار المليئة بالماء التي كانت في بعض مناطق إيران)، وهم أولئك الذين وقفوا بوجه الأنبياء وقتلواهم وأطفاؤا سنن الله وأحياوا سنن الظلمة.

وأشار في المرحلة الأخيرة بصورة كلية إلى الملوك المتجبرين السابقين كافة

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٨

الذين كانوا يمتلكون العدة والعدد وشيدوا المدن الجميلة والرائعة، ولكن لم تكن عاقبتهم سوى الركوع للموت ومغادرة العروش المذهبة والاكتفاء بحفرة صغيرة في باطن الأرض.

## ١. شوكة سليمان عليه السلام وموته

خلافاً للتوراة المعاصرة التي تصور سليمان عليه السلام كملك جبار وصانع للمعابد الوثنية [٧٨] يعتبره القرآن الكريم من الأنبياء العظام ونموذجاً للقدره والحاكمية الاستثنائية، وقد اختزنت سيرته العديد من الدروس والعبر للجميع فالقرآن الكريم يصرح بأن الله سبحانه وتعالى أفاض عليه العديد من النعم فسخر له الريح التي تنقله من مكان إلى آخر وسخر له الإنس والجن وأفاض عليه العلم الجم حتى علمه منطق الطير وزوده بالعديد من الجنود والعمال، مع ذلك كان موته عبرة ودرساً، جاء في بعض الروايات: أن سليمان عليه السلام قال ذات يوم لأصحابه:

«إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَهَبَ لِي مُلْكًا عَظِيمًا وَمَعَ جَمِيعِ مَا أُوتِيتُ مِنَ الْمَلِكِ مَا تَمَّ لِي سُرُورَ يَوْمٍ إِلَى اللَّيْلِ، وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَدْخَلَ قَصْرِي فِي غَدٍ فَأُصْعِدَ أَعْلَاهُ وَأَنْظُرُ إِلَى مَمَالِكِي فَلَا تَأْذُنُوا لِأَحَدٍ بِالْدُّخُولِ عَلَيَّ»

فلما كان من الغد أخذ عصاه بيده وصعد إلى أعلى موضع من قصره ووقف متكئاً على العصا ينظر إلى مملكه مسروراً بما أوتي فرحاً بما أعطى، إذ نظر إلى شاب حسن الوجه واللباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره فقال له سليمان:

«مَنْ أَدْخَلَكَ إِلَى هَذَا الْقَصْرِ وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَخْلُو فِيهِ الْيَوْمَ فَيَاذَنَ مَنْ دَخَلَ»

. فقال الشاب:

«أَدْخَلَنِي هَذَا الْقَصْرَ رَبُّهُ وَيَاذَنِي دَخَلْتُ»

. فقال:

«رَبُّهُ أَحَقُّ بِهِ مِنِّي فَمَنْ أَنْتَ؟»

قال:

«أَنَا مَلِكُ الْمَوْتِ»

. قال:

«وَفِي مَا جِئْتُ»

. قال:

«لَأَقْبِضَ رُوحَكَ»

. قال سليمان:

«إِمضِ لِمَا أَمَرْتُ بِهِ فَهَذَا يَوْمُ سُرُورِي وَأَبَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَكُونَ لِي

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٩

سُرُورٌ دُونَ لِقَائِهِ»

، فقبض ملك الموت روحه وهو متكئاً على عصاه (ولم يمنحه إذن الجلوس) وهو ميت ما شاء الله والناس ينظرون إليه وهم يقدرون أنه حتى فافتنوا فيه واختلفوا فمنهم من قال إن سليمان عليه السلام قد بقي متكئاً على عصاه هذه الأيام الكثيرة ولم يتعب ولم ينم ولم يأكل ولم يشرب، إنه لربنا الذي يجب علينا أن نعبد، وقال قوم إن سليمان عليه السلام لساحر وأنه يرينا أنه واقف متكئ على عصاه يسحر أعيننا وليس كذلك، فقال المؤمنون: إن سليمان هو عبد الله ونبيه يدبر الله أمره بما شاء، فلما اختلفوا بعث الله الأرض فدبت في عصاه فلما أكلت جوفها انكسرت العصا وخر سليمان عليه السلام على وجهه فعلموا جميعاً بموته [٧٩].

وكما أشار الإمام عليه السلام في الخطبة لما تم عمر سليمان صوبت إليه أقواس المتيه وأصابه سهم الموت.

## ٢. من هم العمالقة؟

«عمالقة»:

جمع «عملاق» اسم شخص من أحفاد نوح وإليه تنسب قبيلة العمالقة وكان هؤلاء الأفراد أقوياء وأشداء ومقاتلين عاشوا في شمال الحجاز لألفى سنة قبل الميلاد حسب بعض المؤرخين، هجموا على مصر فاحتلوا وحكموها مدة، ولكن حمل عليهم المصريون لسبعة عشر قرن قبل الميلاد فعادوا إلى جزيرة العرب وأقاموا في اليمن والحجاز وسائر المناطق وشكلوا هناك بعض الدويلات ويرى بعض المفسرين أن الجبابرة الذين تحدّث عنهم القرآن في قصّة دخول موسى وبنى اسرائيل إلى بيت المقدس هم طائفة من أولئك العمالقة.

وأخيراً قضى عليهم يوشع حيث أمر بنى اسرائيل بأمر من موسى عليه السلام، وقد تساءل أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الخطبة قائلاً:  
«أَيُّنَ الْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاؤُ الْعَمَالِقَةِ»

الذين

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٠

كانوا يتمتعون بقدرات هائلة وشكلوا الحكومات المقتدرة ليحكموها لعقود من الزمان، ثم زالوا من صفحة الوجود ولم يبق سوى اسمهم ٨٠].

### ٣. فراعنة مصر

كان ملك مصر يسمى (فرعون) وسلطان الروم (القيصر) وسلطان ايران (كسرى) ، ويُدعى فرعون مصر الذي عاصر نبي الله موسى عليه السلام رمسيس الثاني والذي عاصر نبي الله يوسف عليه السلام كان الريان بن الوليد، وقيل إن الفراعنة الذين حكموا مصر قبل الميلاد بلغوا ٣٢ فرعوناً، كان بعضهم من مصر والبعض الآخر من العمالقة والروم واليونانيين وبعض الايرانيين الذين أوفدوا من قبل بعض السلاطين لفتح مصر فحكموا البلاد ولم يبق لهم من اليوم أثر.

### ٤. أصحاب الرس

تعنى مفردة الرس في الأصل (الأثر المختصر)، ويرى البعض أن الرس مختصر الأرس (نهر معروف في شمال ايران) بينما يرى الأعم الأغلب أنها بئر ويعتقدون أن القوم الذين لم يبق منهم الآن إلا القليل كانوا مزارعين ولديهم عدّة آبار مليئة بالمياه فكانت أوضاعهم المعاشية جيدة، وهنالك خلاف بين المفسرين بشأن المكان الذي عاشوا فيه والتبى الذي أرسل إليهم، فالبعض يعتقد أنهم بقايا عاد وثمود، بينما يرى البعض الآخر أنهم عاشوا في اليمامة وكان نبيهم يدعى حنظلة، ويرى آخرون أن نبيهم كان شعيب.

جاء في كتاب عيون أخبار الرضا أن أمير المؤمنين على عليه السلام قال:

«إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا يَعْبُدُونَ شَجَرَةً صُنُوبِرٌ يُقَالُ لَهَا شَاهُ دَرَخْتٍ وَكَانَتْ لَهُمْ إِثْنَا عَشَرَ قَرِيَةً عَلَيَّ

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٤١

شاطئ نهر يقال له أرس يُسمى إحداهن أبان والثانية آذر والثالثة دى والرابعة بهممن والخامسة اسفندار والسادسة فروردين والسابعة اردبيشت والثامنة خرداد والتاسعة تير والعاشره مُرداد والحادية عشرة شهر يور والثانية عشرة مهر، وكانوا يأتون بشياهٍ وبقرٍ فيذبونها للشجرة ويشعلون النيران بالحطب فإذا ارتفع دخان تلك الذبائح حزوا للشجرة سجداً يبكون ويتضرعون إليها، ثم بعث الله عز وجل إليهم نبياً من بنى اسرائيل فلم يتبعوه فدعا الله قائلاً: أَيَسُّ شَجَرُهُمْ أَجْمَعُ، أَرِهْمُ قُدْرَتَكَ وَسُلْطَانَكَ، فَأَصْبَحَ الْقَوْمُ وَقَدِ يَسُّ شَجَرَهُمْ كُلَّهُ فَهَالَهُمْ ذَلِكَ وَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ وَاتَّخَذُوا أَنَايِبَ طُولِ مِنْ رِصَاصٍ وَاسِعَةٍ الْأَفْوَاهِ ثُمَّ أَرْسَلُوهَا فِي قَرَارِ الْعَيْنِ وَأَرْسَلُوا فِيهَا نَبِيَّهُمْ حَيًّا

حَتَّى مَاتَ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رِيحًا عَاصِيفًا، شَدِيدَةً الحُمْرَةَ؛ فَأَمَاتَهُمْ جَمِيعًا» [٨١].

نعم، لقد رأت الدنيا الكثير من السلاطين والأقوام المنحرفة والجبابرة الظالمة، وقد طفق غبار النسيان لا على قبورهم فحسب بل على تاريخهم، وهذا أفضل سند ودليل على عدم وفاء الدنيا لأحد.

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٣

## القسم السادس

### إشارة

ومنها: قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا، وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدْبِهَا، مِنَ الْأَقْبَالِ عَلَيْهَا، وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا، وَالتَّفَرُّغِ لَهَا؛ فَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّةٌ الَّتِي يَطْلُبُهَا، وَحَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا، فَهُوَ مُعْتَرِبٌ إِذَا اعْتَرَبَ الْأَسْلِمَامُ، وَضَرَبَ بِعَسِيْبِ ذَنْبِهِ، وَأَلْصَقَ الْأَرْضَ بِجِرَانِهِ، بَقِيَّةً مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ، خَلِيفَةً مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ.

## الشرح والتفسير: خصائص ذلك الولي

ما ورد في هذا القسم يبدو ظاهراً عديم الارتباط بالأقسام السابقة من الخطبة وسبب ذلك أن السيد الرضى لا ينقل جميع الخطبة في أغلب الأحيان، بل يختار قطوفاً منها، ويدل على ذلك ما صدر به هذه الخطبة بقوله «منها»

، وهذا ما أدى إلى نوع من الإبهام والغموض في هذا القسم وعودة الضمائر فيه ليقدم كل شارح ما يراه من احتمال بشأنها، لكننا نعتقد بوجود بعض القرائن لها هنا.

فقال عليه السلام:

«قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا» [٨٢]، وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدْبِهَا، مِنَ الْأَقْبَالِ عَلَيْهَا، وَالْمَعْرِفَةَ بِهَا، وَالتَّفَرُّغِ لَهَا».

هنالك عدّة احتمالات بشأن هذا الشخص الذي تدرع بالحكمة وأخذ بجميع آدابها ومنها أربعة احتمالات هي:

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٤

١. قال البعض: المراد به الإمام المهدي عليه السلام وغيبته ونهضته، وقد نسب ابن أبي الحديد هذا الرأي إلى الإمامية ولم يقرّ به بادي الأمر، بينما أذعن أخيراً بأنه الشخص الذي سيولد في آخر الزمان واسمه المهدي عليه السلام.

٢. قال الفلاسفة: هم نخبة من العرفاء يتواجدون بين الناس في كل زمان.

٣. جاء عن بعض المتصوفة أن المراد أولياء الله وسالكي طريق الحق الذين يتواجدون على الأرض على الدوام.

٤. وترى المعتزلة أن المراد به العالم العدل والموحد من المؤمنين من الأفراد الذين يعيشون بين الناس، ولكن حين نسلط الضوء على هذه العبارات إلى آخر القسم سيتضح لدينا بما لا يقبل الشك أن المراد هو الإمام المهدي عليه السلام.

على كل حال فالعبارة:

«قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا»

تشير إلى أنه حكيم وقد لبس جلباباً لحفض هذه الحكمة والمراد من ذلك طبعاً جلباب الورع والتقوى، كما ورد في هذا الحديث الشريف:



«مَا أَخْلَصَ عَبْدُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا إِلَّا جَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ» [٨٣].

والعبارات اللاحقة:

«وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدْبِهَا...»

كلها تشير إلى أنه حكيم، قد عمّت الحكمة والعلم كل كيانه وبها يدير شؤون من حوله.

ثم قال عليه السلام:

«فَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا، وَحَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا».

وهذا الكلام تأكيد آخر على أن ذلك الولي ينطلق في مشروعه من الحكمة والعلم ليمارس قبل كل شيء خلق الثورة العلمية والثقافية،

وينسجم هذا الكلام تماماً وما ورد في الروايات بشأن المهدي عليه السلام.

ومن ذلك ما روى عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«إِذَا قَامَ قَائِمُنَا وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْعِبَادِ فَجَمَعَ بِهَا عُقُولَهُمْ وَكَمَلَتْ بِهَا أَخْلَاقَهُمْ» [٨٤].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٥

وواصل كلامه عليه السلام في بيان ميزة أخرى لذلك الولي فقال:

«فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ [٨٥] الْأَسْلَامَ، وَضَرَبَ بِعَسِيبِ [٨٦] ذَنْبِهِ [٨٧]، وَالصَّقَ الْأَرْضَ بِجِرَانِهِ [٨٨]».

حين تتخلف الناقة عن المشى فإنها تفتش الأرض بحيث يلتصق ذنبها بالأرض حتى تضع عليه أسفل عنقها وهذه دلالة على شدة

التعب ويستفيد العرب من هذا الأمر بصفته كناية عن الضعف والعجز، وهذا الكلام إشارة واضحة أخرى إلى أحد صفات ذلك الولي

الرباني في أن الإسلام والمسلمين يعيشون أقصى درجات الضعف في غيبته وتتكالب عليهم الأعداء من كل حذب وصبوب بغية

القضاء على الإسلام وكسر شوكة المسلمين.

وجاء في حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام:

«الْعِلْمُ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ حَرْفًا فَجَمِيعُ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ حَرْفَانِ فَلَمْ يَعْرِفِ النَّاسُ حَتَّى الْيَوْمِ غَيْرَ الْحَرْفَيْنِ فَإِذَا قَامَ قَائِمُنَا أَخْرَجَ خَمْسَةَ

وَعِشْرِينَ حَرْفًا فَبَثَّهَا فِي النَّاسِ وَصَمَّ إِلَيْهَا الْحَرْفَيْنِ حَتَّى يَبْثَّهَا سَبْعَةً وَعِشْرِينَ حَرْفًا» [٨٩].

(إشارة إلى أن الإمام المهدي عليه السلام يمارس ثورة ثقافية هائلة وسريعة بحيث يرقى بسطح العلم والمعرفة عشرة أضعاف ما كانت

عليه).

ويختتم الإمام عليه السلام هذا القسم بمسألة واضحة بهذا الخصوص فيقول:

«بَقِيَّتُهُ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ، خَلِيفَتُهُ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ».

وكما يفهم من بيان هذه الصفات فإن مرجع الضمير في العبارات السابقة لا يعود

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٦

إلا إلى الإمام المهدي عليه السلام سيما من خلال هذه المفردات «بقية»، «بقية الله»، «الحجة»، «الخليفة» الواضحة في نصوصنا الدينيّة.

## تأمل

### إشارات لنهضة الإمام المهدي عليه السلام

يستفاد من الإشارات الواضحة التي تضمنتها هذه الخطبة بشأن نهضة الإمام المهدي عليه السلام وخلافاً لما يتصوره الجهال فإن

القاعدة الأصلية التي ينطلق منها الإمام عليه السلام إنما تستند إلى الثورة الثقافية والعلمية والفكرية، لا النهضة العسكرية التي تختزن

إراقه الدماء، حيث يرتقى بالمستوى العلمى لدى الناس بحيث يمارس حكومته القائمة على أساس العدل والقسط، طبعاً سيواجه الإمام عليه السلام فى بداية مشروعه تلك الأقلية المتعترسة والمنحرفة التى تحاول إعاقة مشروعه مما يضطره لمعالجتها عسكرياً، ولكن يبقى همه محصوراً فى طلب العلم والارتفاع بالمستوى العلمى لدى الأمة ولسان حاله وقاله على غرار سيرة جدّه النبى الأكرم صلى الله عليه وآله: «رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا» [٩٠].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٧

## القسم السابع

### إشارة

ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ بَشَّتُ لَكُمْ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَّمَهُمْ، وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَشْتَقِمْوْا، وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوْجِرِ فَلَمْ تَشْتَوْسِقُوْا، لِلَّهِ أَنْتُمْ! أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَامًا غَيْرِي يَطُّ بِكُمْ الطَّرِيقَ، وَيُرْشِدُكُمْ السَّبِيلَ؟

أَلَمْ إِنَّهُ قَدْ أَذْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِرًا، وَأَزَمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادُ اللَّهِ الْأَخْيَارُ، وَبَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا لَابْتِغَى، بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَةِ لَا يَفْنَى. مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سَفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ بِصَفِينِ أَلَّا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءَ؟ يُسِغُونَ الْغَصَصَ وَيَشْرَبُونَ الرَّثْقَ! قَدْ وَاللَّهِ لَقُوا اللَّهَ فَوَفَّاهُمْ أَجُورَهُمْ، وَأَحْلَهُمْ دَارَ الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ.

## الشرح والتفسير: التذكير بما يلزم!

خاض الإمام عليه السلام فى الوعظ والإرشاد والنصح المشوب بالتحذير فقال:  
«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ بَشَّتُ [٩١] لَكُمْ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَّمَهُمْ، وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَشْتَقِمْوْا، وَحَدَوْتُكُمْ [٩٢] بِالزَّوْجِرِ فَلَمْ تَشْتَوْسِقُوْا» [٩٣].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٨

تشير هذه العبارات إلى أن الإمام عليه السلام كان يستغل كل فرصة بغية هداية أهل الكوفة الذين عرفوا بالضعف والتشتت وقد مارس شتى الأعمال الثقافية بهذا الشأن حتى أفاض عليهم مختلف مواعظ الأنبياء وإرشادات الأوصياء إلا أن المطر الرحمة الإلهية لم يجد له من سبيل فى أرض قلوبهم السبخة، ثم تخلى عن الرفق والمرونة ليجابهم بشدة علمهم يعودون إلى أنفسهم ويعيشون الوحدة؛ ومرة أخرى لم تجد هذه المسامير من سبيل فى تلك الأحجار الصلدة، ليتضح بجلاء أن لا نقص ولا عيب فى الزعامة والقيادة، بل العيب كله فى تلك الفئة الجاهلة الفاقدة للحمية.

كما تفيد هذه العبارات أن مساعي جميع الأنبياء والأوصياء لا تبدو مجدية مع هؤلاء القوم.

«لِلَّهِ أَنْتُمْ! أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَامًا غَيْرِي يَطُّ بِكُمْ الطَّرِيقَ، وَيُرْشِدُكُمْ السَّبِيلَ؟».

أى حين لا يتمكن زعيم مثلى من إعادةكم إلى جادة الصواب فسوف لن يكون هنالك قط من يسعه القيام بذلك.

والغريب أنه رغم حالة اليأس والقنوط التى تفرزها طبيعة تلك الفئة إلا أن الإمام عليه السلام لا يكف عن النصح والإرشاد، فيستعرض لهم طبيعة ما حولهم وما تحكمه من ظروف ويكشف لهم عن منزلة الشهادة فى سبيل الله فيقول:

«أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَذْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِرًا».

إشارة إلى اقبال جميع الفضائل على المجتمع الإنساني إبان بزوغ فجر الإسلام وشروق شمس النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، إلّا أنّ هذه القيم والسنن الإلهية قد ولّت ظهرها لهذا المجتمع وحلّت محلّها قبائح عصر الجاهلية التي طويت صفحاتها عن المجتمع الإسلامي بفعل ظهور بنى أمية وسليلى عصر الجاهلية.

ثم ذكر عليه السلام مقدمه بهدف الاشارة بمقام الشهداء فى سبيل الله وترسيخ ثقافة الجهاد والشهادة إزاء الطواغيت والظلمة فقال: «وَأَزْمَعُ [٩٤] التَّرْحَالَ [٩٥] عِبَادُ اللَّهِ الْأَخْيَارُ،

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٤٩

وَبَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا لِيَبْقَى بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَةِ لَأَيُّنِي».

تشير هذه العبارة اللطيفة إلى أنّ أولئك الأخيار الذين فازوا بالشهادة وتقلدوا وسام الشرف بالجهاد فى سبيل الله لم يجانبوا الضرر فحسب، بل مارسوا تجارة مربحة حيث باعوا القليل من متاع الدنيا الفانى بالكثير من متاع الآخرة الباقي، كما أنّ أولئك الذين وفقوا لجهاد أنفسهم ولم ينالوا الشهادة وولّوا ظهورهم لخرق الدنيا وزبرجها وأقبلوا على الآخرة ونعيمها هم أيضاً فى مصاف عباد الله الأخيار.

ثم أكد الإمام عليه السلام ذلك بقوله:

«مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سَفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ بِصَفِينٍ أَلَّا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءَ؟ يُسِغُونَ [٩٦] الْغُصَصَ وَيَشْرَبُونَ الرَّثِقَ! [٩٧]».

إشارة إلى أنّهم ذهبوا واستراحوا لبقى اليوم ونشهد هذه الأوضاع المزريّة التى يصول ويجول فيها العدو بينما يكتفى الأصحاب الضعاف فى الحقّ والفاقدو الإرادة بالفرج على هذا المشهد الذى يهز من الأعماق كلّ مؤمن غيور، والواقع أنّ الإمام عليه السلام يشير بهذه العبارات إلى جنایات معاوية وجند الشام وسكوت وضعف أهل الكوفة والعراق.

ثم بلغ كلام الإمام عليه السلام ذروته فقال:

«قَدْ وَاللَّهِ لَقُوا اللَّهَ فَوَفَّاهُمْ أَجُورَهُمْ، وَأَحْلَهُمْ دَارَ الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ».

أجل، فالأمر كما قال القرآن الكريم: «وَلَمَّا تَحَسَّبَ الَّذِينَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلَّ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ»، بل الموتى أولئك الذين استسلموا للذل وواصلوا حياتهم المادية التافهة فى ظلّ راية الطواغيت والظلمة، والحقّ أنّ الشهادة مدعاة للفخر، ويتضاعف هذا الفخر حين يكون فى وسط اجواء فاسدة وقدره وتنتهى إلى الخلاص من الطغمة المفسدة والمتجبرة.

ولعل الرسالة التى اطلقها الإمام على عليه السلام من محراب عبادته حين شهادته بقوله:

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٥٠

«فُرْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ»

لتختزن العديد من الدروس والعبر التى ينبغى أن يحتذى بها المؤمنون.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٥١

## القسم الثامن

### إشارة

أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ، وَمَضَوْا عَلَى الْحَقِّ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ؟ وَأَيْنَ ابْنُ التَّيْهَانِ؟ وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ؟ وَأَيْنَ نَظْرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمْ

الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَيْتَةِ، وَأُبْرِدَ بِرُؤُوسِهِمْ إِلَى الْفَجْرَةِ!

قال: ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة، فأطال البكاء، ثم قال عليه السلام: (أَوْهَ عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَّوْا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَتَدَبَّرُوا الْفُرْضَ فَأَقَامُوهُ، أَحْيَوْا السُّنَّةَ وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ. دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا، وَوَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ).  
ثم نادى بأعلى صوته: الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللَّهِ! أَلَا وَإِنِّي مُعَسِّكِرٌ فِي يَوْمِي هَذَا؛ فَمَنْ أَرَادَ الرِّوَاخَ إِلَى اللَّهِ فَلْيَخْرُجْ!

### الشرح والتفسير: النفير العام للجهاد

تغيّر خطاب الإمام عليه السلام في هذا القسم من الخطبة ليواصل خطبته بعبارات مليئة بالحزن ويذكر تلك الثلة من الشهداء في صفين التي خلا مكانها الآن بين الأصحاب فقال:

«أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ، وَمَضُوا عَلَى الْحَقِّ؟»

ثم ركز عليه السلام على الطليعة منهم في الاثرة والشهادة والعلم والمعرفة فقال:

«أَيْنَ عَمَّارٌ؟ وَأَيْنَ ابْنُ السَّيِّهَانِ؟»

ثم ذكرهم بصورة كلية وعمامة فقال:

«وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ؟ وَأَيْنَ نُظْرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَيْتَةِ، وَأُبْرِدَ [٩٨]

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٢

بِرُؤُوسِهِمْ إِلَى الْفَجْرَةِ!».

إشارة إلى عشرات الأفراد من أصحاب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الذين لزموا علياً عليه السلام ونالوا الشهادة في صفين وقام جناة جيش معاوية بحز رؤوسهم وارسالها إلى طاغيتهم معاوية [٩٩].

«قال: ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى لِحْيَتِهِ الشَّرِيفَةِ الْكَرِيمَةِ، فَأَطَالَ الْبُكَاءَ»

، ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«أَوْهَ [١٠٠] عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَّوْا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَتَدَبَّرُوا الْفُرْضَ فَأَقَامُوهُ، أَحْيَوْا

السُّنَّةَ وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ. دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا، وَوَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ».

فهذه الصفات الست تنفد عظمة مقامهم في العمل والعلم في حفظ الدين والجهاد وطاعة الإمام والزعيم الرباني، فقد كانوا على بصيرة بالقرآن فيطبقونه على تفاصيل حياتهم كما كانوا على علم بالواجبات فيعملون بها ويميتون البدعة ويحيون السنة كما كانوا من أهل الإيثار والتضحية حين الجهاد.

في الواقع أن الإمام عليه السلام أراد أن يقدم لأصحابه أسوة حسنة ويقول إن المؤمن الواقعي والمسلم الحقيقي وصاحب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من يتصف بهذه الخصائص، أملاً في أن تفعل هذه الكلمات الحماسية فعلها في تلك القلوب الباهتة فيهب أصحابها لجهاد الظلمة والطواغيت.

«ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللَّهِ! أَلَا وَإِنِّي مُعَسِّكِرٌ فِي يَوْمِي هَذَا؛ فَمَنْ أَرَادَ الرِّوَاخَ إِلَى اللَّهِ فَلْيَخْرُجْ!»

. وهكذا دعا الإمام عليه السلام القوم للجهاد بعد تلك المواعظ البالغة، فأقبل العديد منهم وشعر بخطورة المسؤولية فتأهب للجهاد.

«قال نوف: وَعَقَدَ لِلْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامِ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ، وَلِقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ فِي عَشْرَةِ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٣

آلاف، وِلَابِي أَيْوِبِ الْأَنْصَارِيِّ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ، وَلِغَيْرِهِمْ عَلَى أَعْدَادٍ أُخْرَى، وَهُوَ يُرِيدُ الرَّجْعَةَ إِلَى صَتَفَيْنَ، فَمَا دَارَتْ الْجُمُعَةُ حَتَّى ضَرَبَهُ الْمَلْعُونُ ابْنُ مُلْجَمٍ لَعْنَةُ اللَّهِ، فَتَرَجَعَتِ الْعَسَاكِرُ، فَكُنَّا كَأَغْنَامٍ فَقَدَّتْ رَاعِيَهَا، تَحْتَطِفُهَا الذَّنَابُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ!».

وعلى هذا الأساس فرح ذئاب الشام ولصوص جيش معاوية بتخلصهم من ذلك الخطر العظيم، بينما عاش المؤمنون حالة من الأسى والهم، جاء في الرواية أن الشام لما بلغها خبر قتل أمير المؤمنين عليه السلام علم بذلك عمرو بن العاص فبشر معاوية قائلاً: «انَّ الأسدَ المُفْرِشَ ذِرَاعِيهِ بِالْعِرَاقِ لَأَقِي شُعُوبَهُ» [١٠١].

## تأمل

### صحاب الإمام عليه السلام الميامين

## إشارة

ذكر الإمام عليه السلام في هذه الخطبة بعض الأصحاب الأوفياء الذين كانوا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله الأشداء، ثم فوا بما عاهدوا عليه الإمام عليه السلام حتى نالوا الشهادة في صفين، وكما ذكر سابقاً وجاء في الرواية أن ٣٠٠ من صحابة النبي صلى الله عليه وآله الذين بايعوه في بيعه الرضوان وكان منهم ممن شهد بدر قد وقفوا إلى جانب علي في صفين فقتل منهم ٦٣ وقد ذكر الإمام عليه السلام ثلاثة منهم، ونذكر هنا نبذة عن كل واحد منهم ثم نخوض في سيرة قيس بن سعد وابي أيوب الأنصاري الذين ورد إسماهما في آخر الخطبة بصفتها من امراء جيش الإمام عليه السلام.

### ١. عمّار بن ياسر

كنيته أبو اليقظان، أسلم في مكة وتحمل أشد العذاب، وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أن ياسر حين قدم إلى مكة تزوج من جارية هي سمية التي ولدت له عمّاراً الذي عذب على يد المشركين وأجبر على الطعن بالإسلام، فأتى النبي صلى الله عليه وآله

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٤

بأكياف نزلت الآية الشريفة: «الَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» [١٠٢] التي تدلّ على التقية في هذه الموارد، وأجمع المفسرون على أن الآية نزلت في عمّار، وكان ممن هاجر الحبشة وصلى إلى القبليتين ومن أوائل المهاجرين الذين شهدوا بدرًا وجميع الغزوات الإسلامية.

قال فيه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

«أَنَّهُ مَلِيٌّ إِيمَانًا إِلَى أَحْمَصِ قَدَمَيْهِ»

؛ وقال أيضاً:

«مَنْ أَبْغَضَ عَمَّارًا أَبْغَضَهُ اللَّهُ»

؛ وقال صلى الله عليه وآله:

«تَشْتَاقُ الْجَنَّةَ إِلَى أَرْبَعَةِ: عَلِيٍّ وَعَمَّارٍ وَسَلْمَانَ وَأَبِي ذَرٍّ».

وأضاف ابن عبد البر تواتر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:

«تَقْتُلُ عَمَّارًا الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ».

وعده ابن عبد البر من أصحاب الأخبار، وقد قتل يوم صفين وهذا أعظم دليل على بطلان معاوية، وروى ابن عبد البر عن أبي عبد الرحمن السلمانية قال: شهدنا صفين فرأيت عمّار بن ياسر ومعه أصحاب محمد وكأنه رأيتهم وسمعت عمّار يقول لهاشم ابن عتبة (عتبة) احمل يا هاشم فالجثة في ظلال السيوف، اليوم نلقى محمداً وأصحابه فإنما نحن على الحق وهم على الباطل. يقول عبد الله ابن سلمة: نظرت

عمّار في صفين وقد أصابه العطش فالتمس ماء، فأتوه بظرف من اللبن فقال اليوم التقى أصحابي فقد قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إِنَّ آخِرَ شَرَابِكَ مِنَ الدُّنْيَا صَبَاحًا مِنْ لَبْنٍ» [١٠٣].

جدير ذكره أنه لما بلغ معاوية خبر قتل مالك الأشر - بعد صفين - خطب الناس فقال: «أما بعد فإنه كانت لعلي يمينان فقطعت إحداهما بصفين - يعني عمّار بن ياسر، وقطعت الأخرى اليوم - يعني الأشر» [١٠٤].

## ٢. ابن التيهان

هو أبو الهيثم بن التيهان واسمه مالك من قبيلة الأنصار، وهو أحد النقباء ليله

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٥

العقبه وممن شهد بدرًا، وقيل إنه أدرك صفين وقتل فيها، ويؤيد ذلك هذه الخطبة، وذكر ابن أبي الحديد أسماء طائفة من علماء أهل السنة الذين قالوا بقتله في صفين [١٠٥].

## ٣. ذو الشهادتين

هو خزيمه بن ثابت الأنصاري وكنيته أبو عمّار وممن التحق بالنبي صلى الله عليه وآله في المدينة وقد وروى ابن الأثير في أسد الغابة سبب لقبه ذو الشهادتين فقال: إن النبي صلى الله عليه وآله اشترى فرسًا من سواء بن قيس المحاربي، فوجد سواء، فشهد خزيمه بن ثابت للنبي فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما حَمَلَكَ عَلَى الشَّهَادَةِ وَلَمْ تَكُنْ مَعَنَا حَاضِرًا»

، فقال: صدقتك بما جئت به وعلمت أنك لا تقول إلّا حقًا، فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله:

«مَنْ شَهِدَ لَهُ خُزَيْمَةُ أَوْ عَلَيْهِ فَحَسْبُهُ» [١٠٦]

، فجعل رسول الله شهادة خزيمه بشهادتين (طبعًا هذا استثناء وذلك بسبب إيمان خزيمه ولعل ذلك كون شهادته تدعو إلى علم القاضي). كان ممن شهد الغزوات الإسلامية، وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أنه شهد صفين فقاتل فيها حتى قتل [١٠٧].

## ٤. قيس بن سعد بن عباد

كنيته أبو الفضل. كان رجلًا شجاعًا وجوادًا، وأبوه سعد رئيس الخزرج، وكان قيس من كبار شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وهو معروف بمحبته وولائه للإمام وشهد معه حروبه كلها وروى انس بن مالك أن قيس بن سعد كان رئيس حاجبي النبي صلى الله عليه وآله وآله (وكان ثقة في كل الأمور) وذكر ابن شهاب: أن قيس بن سعد كان أحد الساسة العرب الخمسة الذين يحلّون المشاكل والفتن [١٠٨].

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٦

## ٥. أبو أيوب الأنصاري

هو خالد بن زيد ويعرف عادة بالكنية، كان ممن صحب رسول الله صلى الله عليه وآله وشهد العقبة وشهد بدرًا، وعليه نزل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حين قدم المدينة ولم يزل عنده حتى بنى مسجده ومساكنه، شهد مع علي عليه السلام الجمل وصفين وكان في المقدمة يوم النهروان، عاش عشر سنوات بعد علي عليه السلام وتوفي سنة ٥٠ للهجرة [١٠٩]. ويتضح مما مر معنا سابقاً هذه النقطة التاريخية من هم الأفراد الذي قاتلوا مع علي عليه السلام قاسطى الشام وسائر البغاة؟ ومن هم أولئك الأفراد الذين نالوا الشهادة مع علي عليه السلام ومن هم قادة جيشه؟ ولو لم يكن هناك من دليل على أحقيته عليه السلام وبطلان خصمه سوى هذا لكفى.

نفحات الولاية؛ ج ٧؛ ص ٥٦

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٧

## الخطبة ١٨٣

### إشارة

فِي قُدْرَةِ اللَّهِ وَفِي فَضْلِ الْقُرْآنِ وَفِي الْوَصِيَّةِ بِالتَّقْوَى [١١٠]

### نظرة إلى الخطبة

هذه الخطبة من الخطب الغاية في الفصاحة والبلاغة والتي تتضمن عدّة مباحث تبدو غير متصلة الأقسام، وذلك بسبب اسلوب السيد الرضى رحمه الله المعهود في الاختيار. على كل حال تتعرض الخطبة لخمسة مواضيع مهمّة هي:

١. جانب من صفات الله الجلالية والجمالية بعبارة عميقة المعنى.
٢. التعريف بالقرآن الكريم وبيان بعض خصائصه المهمّة.
٣. الوصية بالورع والتقوى وشرح آثارها وبركاتها.
٤. ذكر للقيامة ونار جهنم الأليمة وعجز الإنسان عن تحملها.
٥. بيان سبل النجاة من نار جهنم والاستفادة من إمكانات الدنيا في هذا السبيل وأهمها إغاثة المحرومين والمساكين.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٩

### القسم الأوّل

### إشارة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصِبَةٍ. خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَاسْتَعْبَدَ الْأَرْيَابَ بِعِزَّتِهِ، وَسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ؛

وهو الذي أسكن الدنيا خلقه، وبعث إلى الجن والإنس رسوله، ليكشفوا لهم عن غيبتها، وليحذروهم من ضرائها، وليضربوا لهم أمثالها، وليبصروهم غيوبها، وليهجموا عليهم بمعتبر من تصرف مصاحها وأشقائها، وحلالها وحرامها، وما أعد الله للمطيعين منهم والعصاة من جنه ونار، وكرامه وهوان. أحمده إلى نفسه كما استحمد إلى خلقه، وجعل لكل شيء قدراً، ولكل قدر أجلاً، ولكل أجل كتاباً.

### الشرح والتفسير: دور الأنبياء عليهم السلام في هداية الأمم

جدير ذكره أن «ابن أبي الحديد المعتزلي» لما بلغ هذه الخطبة تأثر جداً بفصاحتها وبلاغتها. ثم خاض في مقارنتها مع أحد أبرز وأفضل الخطب التي خطبها الكاتب العربي المعروف (ابن أبي الشحماء العسقلاني) فأشار إلى ضعف تلك الخطبة إزاء خطبة أمير المؤمنين عليه السلام، واستنتج أن مثل هذه العبارات لا تصدر إلا من على عليه السلام وعرض بالذم لأولئك المتعصين الذي يحاولون عبثاً نسب خطب نهج البلاغة لغير الإمام عليه السلام ويراهم لا يتبعون إلا أهواءهم وورغباتهم [١١١].

على كل حال استهل الإمام عليه السلام خطبته قائلاً:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَيْهِ،

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٦٠

وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبِهِ [١١٢]. خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَاسْتَعْبَدَ الْأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ، وَسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ».

لا شك في أن الرؤية والمشاهدة تختص بالأجسام، والله أسمى من الجسمية، والتعب والإرهاق أثر القيام بالأعمال من شؤون الأفراد ذوى القدرة المحدودة، وليس لها من سبيل إلى من كانت جميع صفاته لامتناهية في خلقه لما يشاء، فخلق هذا العالم أهون عليه من رؤيتنا لبعضنا خلال لحظة، كما ليس لمقتدر من قدرة أمام الله، فهو القادر على فناء كل شيء بعاصفه أو صاعقه أو زلزه أو سيل جارف.

العبارة:

«وَسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ»

إشارة لطيفة إلى هذه الحقيقة أن عظمة الإنسان في جوده وكرمه فكلما كانت كرمه أكبر كان عظمته كذلك، ولكن بما أن جميع نعم الأرض والسماء من الله الذي بسط مائدته لتشمل الجميع فهو أعظم من كل عظيم.

ثم أشار إلى جانب من صفاته سبحانه في خلق الإنسان والهدف من هذه الخلق وطرق الأنبياء عليهم السلام في التربية والتعليم فقال:

«وهو الذي أسكن الدنيا خلقه، وبعث إلى الجن والإنس رسلاً».

ثم تطرق إلى الهدف من بعث الأنبياء ليجزها في عدة أمور فقال:

«ليكشفوا لهم عن غيبتها، وليحذروهم من ضرائها، وليضربوا لهم أمثالها، وليبصروهم غيوبها».

أجل، فزخارف الدنيا ومتاعها غفلة وعيشها نكد ومالها ومقامها ضلالة، ومن هنا كان أحد المبادئ الأساسية للأنبياء تحذيراتهم المتكررة للإنسان بغية عدم الغفلة عن الهدف الأساسي للخلق وعدم الاستغراق في هذه الدنيا واتخاذها قنطرة إلى الآخرة وعدم الركون إلى الإقامة فيها فهي ليست إلا منزل يتوقف فيه الإنسان لليلة.

ثم واصل عليه السلام كلامه بالإشارة إلى سائر أهداف الأنبياء فقال:

«وليهجموا [١١٣] عليهم

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٦١

بمعتبر [١١٤] من تصرف مصاحها [١١٥] وأشقائها، وحلالها وحرامها، وما أعد الله للمطيعين



مِنْهُمْ وَالْعَصَا مِنْ جَنَّةِ نَارٍ، وَكَرَامَةٌ وَهَوَانٌ».

إشارة إلى أن الأنبياء عليهم السلام وإضافة لما سبق ينشدون ثلاثة أهداف مهمّة أخرى لهداية الناس؛ فذكر في البداية الدروس والعبر التي تختزنها هذه الحياة العابرة، ومن ذلك أننا نرى بعض الأفراد الأصحاء والأقوياء الذين سرعان ما يهجم عليهم المرض فيسلبهم قدرة الحركة ويسير بهم إلى حافة الموت، وإذا بهم ينهضون فجأة ليستأنفوا نشاطهم من جديد، والآخر بيان الحلال والحرام الذى يشكل جانباً مهماً من دعوة الأنبياء ويمثل الحد الفاصل بين المنطقة الآمنة والمحظورة.

والثالث بيان الثواب والعقاب المادى والمعنوى- المادى مثل الجنة والنار والمعنوى مثل الاحترام والتحقير- فكل هذه الأمور من شأنها أن تكون دافعاً لطاعة الله [١١٦].

العبارة:

«لِيَهْجُمُوا»

إشارة إلى أن أنبياء الله يخوضون في أهداف الدعوة من خلال بياناتهم البلاغية وتعبيراتهم المؤكدة والتي تفعل فعلها في نفس المخاطب.

ثم عاد الإمام عليه السلام فى ختام هذا القسم إلى حمد الله والثناء عليه فقال:

«أَحْمَدُهُ إِلَى نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحَمَدَ إِلَى خَلْقِهِ».

وقد اختلف شراح نهج البلاغة فى مفهوم هذه العبارة، ولكن بالنظر إلى العبارة

«اسْتَحَمَدَ إِلَى فُلَانٍ»

التي تعنى أنه عامله بإحسان ليحمده [١١٧] يصبح معنى العبارة

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٦٢

(أحمده على إفاضة النعم) كما طلب من عباده.

وعاد عليه السلام فى الختام إلى ما استهل به الخطبة فطرق إلى محدودية الحياة الدنيا والحساب الدقيق الذى يسود العالم فقال:

«وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا، وَلِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلًا، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابًا».

نعم! فكل ذرات هذا العالم تسير وفق حساب وكل شىء فى لوح محفوظ، كما أن لجميع موجودات هذا العالم نهاية ستبلغها فى وقت معين ينتهى فيه عمرهم وهذه عبرة لجميع الناس ليعلموا من جانب أن الدنيا ليست باقية ومن جانب آخر أن هنالك حساباً دقيقاً ينتظر جميع الأعمال.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٦٣

## القسم الثانى

### إشارة

منها: فَالْقُرْآنُ أَمْرٌ زَاجِرٌ، وَصِيَامَةٌ نَاطِقٌ. حُجَّجَهُ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ. أَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُمْ، وَارْتَهَنَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ. أَتَمَّ نُورَهُ، وَأَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ، وَقَبَضَ نَبِيَّهُ صِلَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَدْ فَرَّغَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ الْهُدَى بِهِ. فَعَظَّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُخَفِ عَنْكُمْ شَيْئًا مِنْ دِينِهِ، وَلَمْ يَشْرِكْ شَيْئًا رِضِيَّةً أَوْ كَرِهَةً إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ عِلْمًا بَادِيًا، وَآيَةً مُحْكَمَةً، تَزَجُّرُ عَنْهُ، أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ، فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ،

وَسَيَخْطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدًا. وَاغْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بَشَىءَ سَيَخْطُهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَلَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَىءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. وَإِنَّمَا نَسِيْرُونَ فِي أَثَرِ بَيْنٍ، وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرَّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ. قَدْ كَفَاكُمْ مَوْوَنَةً دُنِيَاكُمْ، وَحَثُّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ، وَافْتِرَاضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمْ الذُّكْرَ.

### الشرح والتفسير: الهدى في ظل القرآن

تحدث الإمام عليه السلام في القسم السابق من الخطبة عن المبدأ والمعاد وصفات الجلال والجمال والثواب والعقاب يوم القيامة إلى جانب بعثة الأنبياء والرسل وبيانهم للحلال والحرام.

وتطرق هنا إلى القرآن الكريم لكونه معجزة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وأعظم مشروع عمل يوم القيامة وذكر له عدة أوصاف تشير جميعاً إلى جامعية القرآن وشموليته فقال:

«فَالْقُرْآنُ أَمْرٌ زَاجِرٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ. حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ. أَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُمْ،

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٦٤

وَارْتَهَنَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ».

فقد ذكر عليه السلام سبع صفات مهمة للقرآن كافيته شافية لبيان أهميته القرآن ومنزلته الرفيعة، العبارة

«أَمْرٌ زَاجِرٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ»

في الواقع كل منهما صفتان للقرآن وقد حذف واو العطف بينهما، أي للقرآن أوامر ونواهٍ سكت في بعض الأمور التي تقتضى المصلحة فيها السكوت وانطلق بيانه في الأمور التي يتوجب على الجميع الإلمام بها أو أن القرآن ساكت في الظاهر ذلك أنه ليس أكثر من حروف وكلمات، إلا أن حقيقة الأمر أنه تحدث بمنته لسان وإمات اللثام عن الحقائق، العبارة

«أَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُمْ»

إشارة إلى العهد الذي أخذه الله وأنبياءه من المؤمنين حين الإيمان بالتوحيد والنبوة، لأن من يبدي إيمانه بهذين المبدأين فمعنى ذلك تسليمه لأوامر الله وأوامر رسوله صلى الله عليه وآله، أو أن الله بافاضته للعقل من جانب وفطرة التوحيد من جانب آخر أخذ هذا العهد من جميع الناس من خلال التكوين ليسلموا لأمره ويعملوا بكتابه.

العبارة:

«وَارْتَهَنَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ»

إشارة إلى الحقيقة التي صرح بها القرآن الكريم «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ» [١١٨] فكما لا تطلق العين المرهونة دون تسديد الديون فإن الإنسان لا يبلغ حريته الحقيقية ما لم يمارس وظائفه الدينية.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه ليكشف عن عمق أهميته كتاب الله بذكره لصفتين أخريين فقال:

«أَتَمَّ نُورَهُ، وَأَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ».

والمراد من النور هنا الفيض الإلهي الذي يشمل العباد عن طريق القرآن، والعبارة

«أَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ»

إشارة إلى الآية: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» [١١٩] التي كمل بموجبها الدين بنزول القرآن ومشروع الولاية.

وتطرق الإمام عليه السلام إلى شمولية أحكام الإسلام والقرآن فقال:

«وَقَبَضَ نَبِيَّهُ صَلَّى

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٦٥

اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَدْ فَرَعْنَا إِلَى الْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ الْهُدَى بِهِ».

ثم استنتج من ذلك

«فَعَظَّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَتْ مِنْ نَفْسِهِ».

إشارة إلى عدم ارتجال الصفات لله وعدم الابتداع في العبادة والدعاء وتزيه الله سبحانه وتعالى عن كل شيء بل لا بد من اتباع هديه وإرشاده الذي ورد في القرآن في كل هذه الأمور (يمكن أن تكون هذه العبارة إشارة إلى توقيفيه صفات الله والتعبدية في الطاعة).

ثم خاض عليه السلام في بيان علّة هذا الموضوع فقال:

«فَإِنَّهُ لَمْ يُخْفِ عَنْكُمْ شَيْئًا مِنْ دِينِهِ، وَلَمْ يَتْرِكْ شَيْئًا رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ عِلْمًا بَادِيًا [١٢٠]، وَآيَةً مُحْكَمَةً، تَزُجِرُ عَنْهُ، أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ».

بعبارة أخرى أنّ الله سبحانه وتعالى أتمّ الحجة في جميع أوامره ونواهيه وجهد رسول الله في ابلاغ الرسالة؛ فأوضح المعالم من الدين وبين الأصول والفروع، وعليه فلم يدع من مجال للبدع في الدين.

ثم قال عليه السلام:

«فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ، وَسَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ».

وعليه فقد سلب هذه الذريعة في أنّ أحكام عصر النبي صلى الله عليه وآله إنّما تختص بعهدنا وعلينا الاجتهاد على ضوء تغير الزمان وتبدل الوسط، والواقع أنّ هذه العبارة إشارة إلى الحديث النبوي الشريف:

«حَلَالٌ مُحَمَّدٌ حَلَالٌ أَبَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَحَرَامٌ أَحْرَامٌ أَبَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» [١٢١].

وقال في تأكيده على وحدة الرسالة بشأن جميع الناس بما فيهم الماضون والحاضرون والقادمون:

«وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بَشِيءٌ سَخَطَهُ عَلَيَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَلَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بَشِيءٌ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرِ بَيْنٍ، وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرَّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ».

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٦٦

وتشير كلّ هذه العبارات إلى وحدة تعاليم الأنبياء وسفراء الله وطرق السعادة والتكامل التي ابلغت من جانب الله بواسطة أنبيائه، رغم رقى التكامل البشري بفعل تقادم الزمان وهذا في الواقع أحد فروع التوحيد، وهو ما أكدّه القرآن الكريم.

«آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَنْفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ» [١٢٢].

واختتم الإمام عليه السلام كلامه هنا بالإشارة لبعض الأمور المهمة فقال:

«قَدْ كَفَأَكُمْ مَوْوَنَةً دُنْيَاكُمْ، وَحَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ، وَافْتَرَضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الذِّكْرَ».

إشارة من جانب إلى أنّه شملكم بأنواع النعم: «وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» [١٢٣]

و

«هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا» [١٢٤] ومن جانب آخر أمركم بالشكر الذي يوجب زيادة النعمة واستمرار العناية الإلهية، ومن جانب آخر دعاكم لذكركم والذي يعود على قلوبكم بالطمأنينة والنجاة من مخالب الشيطان: «أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» [١٢٥] «إِنَّ

الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ» [١٢٦].

وما يلاحظ من أنّ الإمام عليه السلام أكد على ذكر اللسان من بين جميع الأعمال الواجبة والمستحبة كونه مدعاة ليقظة القلب وهذه اليقظة هي المصدر الرئيسي للحركة نحو الخير والسعادة، أضف إلى ذلك فإنّ اللسان إن لم يلهج بالذكر سينطلق لخدمة الشيطان وأنا لنعلم أنّ العديد من الكبائر إنّما تصدر من اللسان، جدير بالذكر أنّ التوجه إلى النعم وشكر المنعم على فضله ونعمه هو المحور الأصلي لمعرفة الله كما ورد في علم العقائد.

نقحات الولاية، ج٧، ص: ٦٧

## تأملان

## ١. وحدة حكم الله في الأولين والآخرين

إن وحدة الأحكام الشرعية وسريانها على الأولين والآخرين بما فيها الأقوام والأمم كافة لمن الأمور المهمة التي أكد عليها الإمام عليه السلام في هذا الجانب من الخطبة، وتوضيح ذلك أن تاريخ البشرية في الماضي والحاضر شهد أنواع التمييز بين الأقوام والشعوب في وضع القوانين والتشريعات، فكانت هنالك الأحكام المختلفة التي تتأثر عادة بلون البشرة والأخرى بالمنزلة الاجتماعية وكان دم ذوى البشرة البيضاء أثنى من نظيره لدى العبيد فكانت هنالك الامتيازات الخاصة لدى طبقة الأشراف في سن القوانين.

فانبثق الإسلام ليغى تلك الامتيازات كافة إثر تبنيه لرسالة المساواة وعدم التمايز الطبقي وتكافؤ جميع الأفراد مهما اختلفت ألوانهم وأعراقهم في الحقوق والواجبات وجاء في الخبر أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بينما كان في منى أيام الحج راكباً دابته إذ التفت إلى الناس فقال:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ أَلَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَسْوَدٍ عَلَى أَحْمَرَ [١٢٧]، وَلَا

لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدٍ إِلَّا بِالتَّقْوَى. أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا نَعَمْ! قَالَ لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ» [١٢٨].

ولم يقتصر النبي صلى الله عليه وآله على هذا الكلام في ذلك التجمع العظيم بمنى، بل أشار إليه في موارد كثيرة بصفته أحد المبادئ الإسلامية المسلمة، ففي الخبر أن سلمان الفارسي دخل مجلس النبي صلى الله عليه وآله فأكرمه النبي لفضله وسنه وأجلسه في صدر المجلس فلما رآه عمر أنكر ذلك وقال:

«مَنْ هَذَا الْعَجَمِيُّ الْمُتَّصِدُّرُ فِيمَا بَيْنَ الْعَرَبِ»

فصعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله المنبر (الأمر الذي كان يقوم به لبيان حكم عام وأساسى) فخطب الناس وقال:

نقحات الولاية، ج٧، ص: ٦٨

«إِنَّ النَّاسَ مِنْ آدَمَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا مِثْلُ أُسَيْنَانَ الْمِشْطِ؛ لَا فَضْلَ لِلْعَرَبِيِّ عَلَى الْأَعْجَمِيِّ وَلَا لِلْأَحْمَرَ عَلَى الْأَسْوَدِ إِلَّا بِالتَّقْوَى، سَلِمَانُ بَحْرٌ لَا يُنَزَفُ وَكَثْرٌ لَا يُنْفَدُ، سَلِمَانٌ مِّنْ أَهْلِ الْبَيْتِ» [١٢٩].

يشير هذا الحديث صراحة إلى عدم مساواة الناس الذين يعيشون في عصر معين إزاء القوانين الشرعية فحسب، بل شموليته لجميع الأفراد الذين سكنوا الأرض طيلة تاريخ البشرية في ظل نفس الظروف ويبدو لهذا المبدأ والحكم الإسلامى جدواه الفعلية آنذاك حين كانت الامتيازات القبلية بين العرب والامتيازات العرقية والتمايز الطبقي هو الحاكم في العالم آنذاك.

وكلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الخطبة إنما هو تأكيد لهذا الموضوع حين قال إن الله لن يرضى عنكم بشيء سخطه على من كان قبلكم ولن يسخط عليكم بشيء رضيه ممن كان من قبلكم وما زال هذا القانون هو الحاكم، كما يبدو لهذا الكلام الذى يمثل امتداداً لكلمات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قيمة القصوى على أساس إعادة تلك الامتيازات الجاهلية بما فيها امتياز العرب على العجم إبان خلافة عمر كما تفيد تواريخ الفريقين.

ونختتم الحديث هنا بعبارة من خطبته صلى الله عليه وآله في حجة الوداع حين بين للجميع أسس وقوانين الشريعة الإسلامية للجميع:

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ كُلُّكُمْ لِآدَمَ وَآدَمٌ مِنْ تُرَابٍ،

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»

وَلَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجْمِيٍّ فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَى؛ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ» [١٣٠].

## ٢. القرآن ناطق أم صامت؟

صدر الإمام عليه السلام كلامه في هذه الخطبة بأن القرآن صامت وناطق، بينما وصفه في

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٦٩

الخطبة ١٢٥ في قصة التحكيم قائلاً:

«هَذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ حُطٌّ مَشْتُورٌ بَيْنَ الدَّفَتَيْنِ لَا يَنْطِقُ بِلسَانٍ وَلَا يُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمان. وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرَّجَالُ»  
كما ورد شبيه ذلك في الخطبة ١٥٨.

فهل هنالك من تناقض بين هذه التعابير؟ الجواب هو أن المراد من ناطقيه القرآن أنه بين أحكام الله فيه بلسان عربي مبين، فكل من كان لديه استعداد دعاه لنفسه وهداه للخير والسعادة وعليه فهو ناطق بالنسبة لدعاة الحق؛ أما بالنسبة إلى أولئك الأفراد المتعصبين والذين انبروا للنزاع فهم لا يسمعون رسالة القرآن وإن سمعوها تظاهروا بعدم السماع، ولا مناص لهؤلاء الأفراد من قاضٍ وحكم عادل يبلغهم رسالة القرآن ويتم عليهم الحجّة، على سبيل المثال للقرآن رسالته واضحة في قصة صفيين حيث يقول: «فَإِنْ بَعَثَ إِخْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ» [١٣١]. فمن الواضح للجميع أن علياً عليه السلام وإضافته إلى نصبه لخلافه النبي صلى الله عليه وآله من جانب الله تعالى إنما بويع من قبل قاطبة المؤمنين وأغلبية المهاجرين والأنصار، ولم يكن معاوية وجيشه سوى حفنة من الطغاة الجفاه الذين أرادوا فرض أنفسهم على الأمة، ولكن حيث انبروا لمواجهة حكم الله لزم أن يكون هناك حكم يأخذ بأيديهم إلى الحق رغم أن مسألة التحكيم وللأسف لم تسر بالاتجاه الصحيح ولم تتوصل إلى النتيجة المتوخاة.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٧١

## القسم الثالث

### إشارة

وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى، وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ، وَحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ. فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ، وَنَوَاصِيَكُمْ بِيَدِهِ، وَتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ. إِنْ أَسِرَرْتُمْ عِلْمَهُ، وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كِتَابَهُ؛ قَدْ وَكَّلَ بِذَلِكَ حَفْظَهُ كِرَامًا، لَا يُسَيِّطُونَ حَقًّا، وَلَا يُثْبِتُونَ بَاطِلًا. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ (مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) مِنَ الْفِتَنِ، وَنُورًا مِنَ الظُّلْمِ، وَيُخَلِّدَهُ فِي مَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ، وَيُنزِلُهُ مَنَزِلَ الْكِرَامَةِ عِنْدَهُ، فِي دَارِ اضْطِنَاعِهَا لِنَفْسِهِ؛ ظِلُّهَا عَرْشُهُ، وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ، وَزُورًا هِيَ مَلَأَتْ كِتَابَهُ، وَرَفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ؛ فَبَادِرُوا الْمَعَادَ، وَسَابِقُوا الْأَجَالَ، فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الْأَمَلُ، وَيَرْهَقَهُمُ الْأَجَلُ، وَيُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ. فَقَدْ اضْطَبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَأَنْتُمْ بِنُوسِبِيلِ، عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارِ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، وَقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالْإِزْتِحَالِ، وَأَمَرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ.

## الشرح والتفسير: منزلة التقوى

أكد الإمام عليه السلام في هذا الجانب من الخطبة على الدعوة إلى التقوى إلى جانب ذكره لسبب ذلك مع الإشارة إلى آثار التقوى، كما قدم شرحاً عميقاً لتقلب الدنيا ورحلة الآخرة وما يلزمها من زاد ومتاع يكمن في الورع والتقوى.

فقال بادئ الأمر:

«وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى، وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ، وَحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ».

وتشير هذه العبارة إلى أن التقوى أفضل شيء سأل الله عباده وأعظم فخر يتقلده

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٧٢

الجميع والذي ينسجم مع الآيات القرآنية القائلة: «أَنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ» [١٣٢]، «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى» [١٣٣]، «تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا» [١٣٤] وجعل للتقوى قيمتها العميقة.

والحقيقة هي أن التقوى شعور باطنى بالمسؤولية فهي وليدة الإيمان القوى من جانب وأساس الطاعة واجتناب المعصية من جانب آخر، والتعبير بالحاجة بشأن الله تعالى لا يعنى أن الله محتاج إلى العباد فالحاجة لغوياً لا تقتصر على الفقر، بل ترد أحياناً بمعنى الطلب والسؤال.

ثم خاض الإمام عليه السلام في الإشارة إلى الداعي لرعايته تقوى الله فقال:

«فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ، وَنَوَاصِيكُمْ [١٣٥] بِيَدِهِ، وَتَقَلُّبُكُمْ [١٣٦] فِي قَبْضَتِهِ».

نعم فالعالم حاضر عند الله وزمام الجميع بيده سبحانه، ورغم أن العباد أحرار في ما يمارسون من أعمال، إلا أن هذه الحرية لا تعنى سلب الذات القدسية قدرتها.

ثم قال عليه السلام لمزيد من التأكيد:

«إِنْ أَسْرَرْتُمْ عِلْمَهُ، وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كِتْبَهُ؛ قَدْ وَكَّلَ بِذَلِكَ حَفَظَةَ كِرَامًا، لَا يُسْقِطُونَ حَقًّا، وَلَا يُثْبِتُونَ بَاطِلًا».

وجاء في القرآن أيضاً: «وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» [١٣٧].

وكذلك: «وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ \* كِرَامًا كَاتِبِينَ \* يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ» [١٣٨].

فمن البديهي أن كتابة الأعمال من قبل الملائكة الحفظة إنما هو للتأكيد، وإلا فقد اتضح من العبارات السابقة أن السر والعلانية سواء عند الله وعلمه محيط بكل ما فى السماوات والأرض، استناداً للعبارة

«قَدْ وَكَّلَ بِذَلِكَ»

وحصر هذه الكتابة بأعمال

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٧٣

معينه

«وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كِتْبَهُ»

فالذى يستفاد أن الملائكة ليست مأمورة بكتابه كل الأعمال الخفية وأن الله الستار للعيوب قد أخرج جانباً من هذه الأعمال عن دائرة علمهم واختص بها نفسه وهذا يشير إلى منتهى لطفه.

جاء فى دعاء كميل:

«وَكُلَّ سَيِّئَةٍ أَمَرَتْ بِإِثْبَاتِهَا الْكِرَامَ الْكَاتِبِينَ الَّذِينَ وَكَّلْتَهُمْ بِحِفْظِ مَا يَكُونُ مِنِّي وَجَعَلْتَهُمْ شُهُودًا عَلَيَّ مَعَ جَوَارِحِي وَكُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيَّ مِنْ وَرَائِهِمْ وَالشَّاهِدَ لِمَا خَفِيَ عَنْهُمْ وَبِرَحْمَتِكَ اخْفَيْتَهُ وَبِفَضْلِكَ سَتَرْتَهُ».

ثم خاض الإمام عليه السلام فى بيان آثار وبركات التقوى فذكر بعبارة قصيرة عميقة المعنى أربع نتائج تفرزها التقوى. فقال فى الأولى والثانية:

«وَاعْلَمُوا أَنَّهُ

«مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا»

مِنَ الْفِتَنِ، وَنُورًا مِّنَ الظُّلَمِ».

فالشق الأول من الكلام اقتباس من الآية الشريفة: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا» [١٣٩].

روى أبوذر الغفاري عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:

«إِنِّي لَأَعْلَمُ آيَةً لَوْ أَخَذَ بِهَا النَّاسُ لَكَفَفَتْهُمْ:

«وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا»

فَمَا زَالَ يَقُولُهَا وَيُعِيدُهَا» [١٤٠].

والشق الثاني من سائر الآيات مثل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا» [١٤١] (ورؤيته خاصة تتعرفون من خلالها على الحق والباطل).

وقال في الثمرة الثالثة والرابعة للتقوى:

«وَيُخَلِّدُهُ فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ، وَيُنزِلُهُ مَنزِلَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ، فِي دَارِ اضْطِنَاعِهَا [١٤٢] لِنَفْسِهِ».

فنتيجة التقوى في هذه العبارة الخروج من الفتنة وزوال الظلمات من حياة المتقين في هذا العالم والخلود في النعم المادية والمعنوية في العالم الآخر، فالواقع أن الله سبحانه وتعالى جمع للمتقين النعم المادية والمعنوية لهذا العالم والعالم الآخر

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٧٤

والعبارات تشير كل منها إلى إحدى هذه النعم.

وتشير العبارة

«اضْطِنَاعِهَا لِنَفْسِهِ»

أن الله خلق منازل الآخرة الخاصة لخواصه أو أنها من قبيل بعض العبارات مثل «بيت الله» و «شهر الله» التي تشير إلى عظمة تلك الدار وأهميتها.

ثم خاض الإمام عليه السلام في شرح صفات ذلك المنزل الخاص فقال:

«ظِلُّهَا عَرْشُهُ، وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ، وَزُورُهَا مَلَأَتْكَتُهُ، وَرُفْقَاؤُهَا رُسُلُهُ».

يا له من منزل رفيع ذلك الذي يفوق السماء والأرض وفي ظل عرش الله، أضاءته أشعة نور الله وتقاطرت فيه ملائكته على زيارة

ذلك الإنسان وجالس فيها رسل الله وأنبياءه، وهي الصفات التي تسحر الإنسان عند سماعها، فما ظنك برؤيتها؟

قال تعالى في القرآن الكريم: «وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا» [١٤٣].

وخلص الإمام عليه السلام في مواصلة كلامه بالدعوة إلى التقوى وبيانه لبركاتها بالقول:

«فَبَادِرُوا الْمَعَادَ، وَسَابِقُوا الْأَجَالَ».

كما قال القرآن: «سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» [١٤٤].

وقال في موضع آخر: «وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ \* سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ» [١٤٥].

ثم خاض عليه السلام في بيان العلة فقال:

«فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الْأَمَلُ، وَيَزْهَقَهُمُ [١٤٦] الْأَجَلُ، وَيُسَدِّدَ عَنْهُمْ بَابَ التَّوْبَةِ. فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٧٥

مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ».

والكلام إشارة لما ورد في القرآن: «حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ \* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا» [١٤٧].

ومراد الإمام عليه السلام بادرُوا اليوم إلى العمل الصالح والتوبة من الذنب قبل أن تعيشوا مثل هذا المصير وتطلبوا ما لا يلبي لكم.

وحدث إثر ذلك على التأهب لسفر الآخرة والاستعداد والتزود لذلك السفر الطويل والمليء بالمخاطر فقال:

«وَأَنْتُمْ بُنُو سَبِيلٍ، عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ».

واختتمها بالعبارة:

«وَقَدْ أُودِئْتُمْ مِنْهَا بِالْأَرْحَالِ، وَأُمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ».

وعادة ما يلاحظ مثل هذا التشبيه الرائع للدار الآخرة والدنيا وسكنة هذا العالم في بعض الآيات القرآنية والعديد من الروايات الإسلامية التي شبهت الإنسان بالمسافر الذي ينطلق نحو الهدف المطلوب وعليه أن يطرق بعض الأيام أثناء الطريق فيتوقف في بعض الأماكن فيهيء الزاد والمتاع وينطلق من هناك وليس المراد من الزاد والمتاع سوى التقوى كما ليس المراد من المركب سوى الإيمان، فأولئك الذين يقصرون في الإعداد إنما يتخلفون في الطريق ويهلكون ولا يبلغون المقصد قط فقافلة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام مازالت تنادي بالرحيل والتزود لذلك السفر الطويل، وإن غط البعض في نوم عميق وفقد الآذان الصاغية فصم عن سماع ذلك النداء.

قال تعالى في محكم كتابه:

«وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ» [١٤٨]

. وقال: «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى» [١٤٩].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٧٧

## القسم الرابع

### إشارة

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ، فَارْحَمُوا نَفُوسَكُمْ، فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا. أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشُّوْكَاهِ تُصَيِّبُهُ، وَالْعَثْرَةَ تُدْمِيهِ، وَالرَّمْضَاءَ تُحْرِقُهُ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ مِنْ نَارٍ، ضَجِيعَ حَجَرٍ، وَقَرِينِ شَيْطَانٍ! أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكًا إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ بَعْضَهَا لِعُصْبِهِ، وَإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعًا مِنْ زَجْرَتِهِ!

## الشرح والتفسير: العذاب الشديد يوم القيامة

إثر تأكيدات الإمام عليه السلام على الورع والتقوى في القسم السابق من الخطبة أشار هنا بعبارات رائعة إلى شدة العذاب يوم القيامة فقال:

«وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ، فَارْحَمُوا نَفُوسَكُمْ».

ثم جسد بمقارنه بسيطة وواضحة شدة إحراق نار جهنم فقال:

«فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا، أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشُّوْكَاهِ [١٥٠] تُصَيِّبُهُ، وَالْعَثْرَةَ تُدْمِيهِ [١٥١]، وَالرَّمْضَاءَ [١٥٢] تُحْرِقُهُ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ [١٥٣] مِنْ نَارٍ، ضَجِيعَ حَجَرٍ،

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٧٨

وَقَرِينِ شَيْطَانٍ!».

وقال في مواصلته لهذا الكلام:

«أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكًا إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ [١٥٤]

بَعْضَهَا لِعُصْبِهِ، وَإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ [١٥٥] بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعًا مِنْ زَجْرَتِهِ!».



وللمرحوم «مغنية» حين بلغ هذا القسم من الخطبة كلام رائع حيث يقول: «إن جميع خطب نهج البلاغة تبحث أصلين أو ثلاثة أصول مع بعضها، فمن جانب الثناء على صفات الله الجمالية والجلالية وأسمائه الحسنى ومن جانب آخر مدح النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وما أتى به من هدى للناس وأخيراً الكلام عن خداع الدنيا وسكرات الموت ووحشة القبر وأليم العذاب فى القيامة، والعجيب أن هذه الخطب لا تتضمن التكرار رغم تكرر هذه المواضيع، حيث يوردها بأسلوب بديع وشكل جديد، الأمر الذى أذهل شراح نهج البلاغة» [١٥٦].

على كل حال فإن الإمام عليه السلام شرح فى هذا الكلام عجز الإنسان وانزعاجه الشديد من مصائب الدنيا الهينة وقارنها مع أليم العذاب وشدّة المصائب فى الآخرة ليحذر الجميع من ذلك. وقد ورد شبيه ذلك فى دعاء كميل حيث يقول:

«يَا رَبِّ وَأَنْتَ تَعَلَّمْ صَدَغْفَى عَنْ قَلِيلٍ مِنْ بَلَاءِ الدُّنْيَا وَعُقُوبَاتِهَا وَمَا يَجْرَى فِيهَا مِنَ الْمَكَارِهِ عَلَى أَهْلِهَا عَلَى أَنَّ ذَلِكَ بَلَاءٌ وَمَكْرُوهٌ قَلِيلٌ مَكْنُتُهُ يَسِيرٌ بَقَاؤُهُ قَصِيرٌ مُدَّتُهُ فَكَيْفَ اِحْتِمَالِي لِبَلَاءِ الْآخِرَةِ وَجَلِيلِ وَقُوعِ الْمَكَارِهِ فِيهَا وَهُوَ بَلَاءٌ تَطُولُ مُدَّتُهُ وَيَدُومُ مَقَامُهُ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْ أَهْلِهِ».

والذى يستفاد ضمناً من العبارات المذكورة أن نار جهنم مخلوق فطن، يشعر بالرعب من غضب مالك خازن النار فيتأرجح هنا وهناك، كما يفهم من تلك

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٧٩

التعبيرات أن لعذاب جهنم بعد جسمى هو حرقه النار وآخر معنوى يتمثل فى مجاورة الشيطان.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٨١

## القسم الخامس

### إشارة

أَيُّهَا الْيَقِينُ الْكَبِيرُ، الَّذِي قَمَدَ لَهْزَهُ الْقَتِيرُ، كَيْفَ أَنْتَ إِذَا التَّحَمَّتْ أَطْوَاقُ النَّارِ بِعِظَامِ الْأَعْنَاقِ، وَنَشِبَتِ الْجَوَامِعُ حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ. فَاللَّهُ اللَّهُ مَعْدَرُ الْعِيَادِ! وَأَنْتُمْ سَيَالُمُونَ فِي الصَّحَّةِ قَبِيلِ السُّقْمِ، وَفِي الْفُسَيْحَةِ قَبِيلِ الضُّيْقِ. فَاسْرِعُوا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبِيلِ أَنْ تُعْلَقَ رَهَائِنُهَا. أَسْهَرُوا عْيُونََكُمْ، وَأَضْمِرُوا بَطُونَكُمْ، وَاسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ، وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ، وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فِجُودًا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَبْخُلُوا بِهَا عَنْهَا، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: «إِنْ تَنْصِرُوا اللَّهَ يَنْصِرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» وَقَالَ تَعَالَى: «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ». فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قَبْلِ؛ اسْتَنْصِرْكُمْ «وَلَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ». وَاسْتَقْرِضْكُمْ «وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَمِيدُ». وَإِنَّمَا أَرَادُ أَنْ «لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا».

## الشرح والتفسير: الامتحان الإلهي

تغيرت نبرة الإمام عليه السلام فى هذا الجانب من الخطبة ليخاطب الكهول ويستعرض لهم جانباً من أشد عذاب وأهوال يوم القيامة، ثم يدعو عباد الله كافة اغتنام الفرصة بغية الخلاص من عذاب الله ونقمته ليقدم تعاليم دقيقة بهذا الشأن يتمثل أحدها فى الانفاق فقال عليه السلام:

«أَيُّهَا الْيَفْنَ [١٥٧] الْكَبِيرُ، الَّذِي قَدْ

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٨٢

لَهَزَهُ [١٥٨] الْقَتِيرُ [١٥٩]، كَيْفَ أَنْتَ إِذَا التَّحَمَّتْ [١٦٠] أَطْوَاقُ النَّارِ بِعِظَامِ الْأَعْنَاقِ، وَنَشِبَتْ [١٦١] الْجَوَامِعُ [١٦٢] حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ [١٦٣]».

السؤال الذى يطرح نفسه هنا: لماذا خاطب الإمام عليه السلام الشيخ المسن؟ لعل ذلك يعود إلى أن شمس عمره توشك على المغيب- وإن كان الموت يأتى كل أحد بغته- وعليه أن يركز فى الانتباه لنفسه، أو لأين للكهول تأثيراً على أسرهم وأبنائهم وباستطاعتهم نصحتهم ووعظهم.

العبارة:

«قَدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ»

استناداً إلى أن

«لهز»

يعنى فى الأصل نفوذ الشئ و اتساعه فى شئ آخر و

«قتير»

من مادة قتر بمعنى التضييق والتصعب فالعبارة تفيد أن الشيخوخة قد نفذت فى كل كيانهم فقد ضعفت العظام وبهت الدماغ والأعصاب وعجزت أعضاء البدن كافة.

وقد أشار الإمام عليه السلام إلى نوعين من العذاب الأليم الذى يحيق بأهل جهنم، أحدهما أطواق النار التى تطوق أعناق المجرمين وتتغلغل فى لحومهم حتى تبلغ عظامهم والآخر غل الجامعة التى تربط أيديهم إلى أعناقهم بحيث تجرح سواعد أيديهم، طبعاً هذا العذاب وإن كان شديد الألم إلا أنه يعتبر رحمة بفعل دوره فى حجزهم عن الذنب والمعصية.

ثم واصل كلامه عليه السلام موجهاً الخطاب لجميع العباد فقال:

«قَالَ اللَّهُ مَعَشَرَ الْعِبَادِ!

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٨٣

وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصَّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ، وَفِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضُّيْقِ. فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا [١٦٤]».

فقد أشار الإمام عليه السلام هنا إلى نعمتين كبيرتين؛ إحداهما السلامة والعافية والأخرى إعداد الإمكانيات التى تمكن الإنسان من الإقدام على أى عمل. نعم فهو يحذر الجميع من استغلال هذه الفرص والخلاص من تبعات المسئولية.

وتشير العبارة

«فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ»

إلى سلسلة من التكليف التى لا مناص للإنسان من القيام بها، فقد كان السائد لدى الأقوام السابقة أن الدائن يستعبد المدين مالم يتمكن من أداء دينه، ولا يعتق مالم يسدد ذلك الدين، فالعبارة المذكورة يمكن أن تكون كناية عن هذا المطلب.

والعبارة:

«مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا»

إشارة إلى أن الشخص المدين إن تخلف عن أداء الدين خرج عن ملكيته ما كان مرتيناً لدى المدين (طبعاً بمقدار الطلب) فقد أشار الإمام عليه السلام إلى ضرورة أداء الديون الإلهية والمراد بها الواجبات بغية تحرير رهائهم لديه والمراد به أنفسهم.

ثم واصل الإمام عليه السلام بالخوض فى تفاسير العبارات التى ذكرها سابقاً بصورة كلية فركز على خمسة مواضع وقال:

«أَسْهَرُوا [١٦٥] عُيُونَكُمْ، وَأَضْمِرُوا [١٦٦] بُطُونَكُمْ،  
وَأَسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ، وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ، وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَبْخُلُوا بِهَا عَنْهَا».

والمراد من

«أَسْهَرُوا عُيُونَكُمْ»

أسهروا عيونكم المناجاة في الليل سيما صلاة التهجد.

«وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ»

إشارة إلى الصيام،

«وَأَسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ»

إشارة إلى قيام الليل أو السعي في قضاء حوائج الناس واغائه الملهوفين،

«وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ»

إشارة إلى الخمس والزكاة الواجبة والصدقات المستحبة

«وَأَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ»

إشارة إلى العبادة وتهذيب النفس والجهد في سبيل الله.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٨٤

ثم استدل الإمام عليه السلام على كلامه بالاستشهاد بآيتين من القرآن فقال:

«فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ:

«إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» [١٦٧].

وَقَالَ تَعَالَى: «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ» [١٦٨].

وقال عليه السلام في شرحه لهذه الآيات:

«فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ، وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ؛ اسْتَنْصَرَكُمْ

«وَلَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»

وَاسْتَقْرِضَكُمْ

«وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ»

وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ

«لِيُبَلِّغَكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا».

إشارة إلى أن الله اعتمد غاية اللطف في الكلام ليتعظ من كان له أدنى استعداد لطاعته بتلك التعبيرات المفعمة باللطف والمحبة فيحث الخطي على التسليم لله.

والحقيقة أن كلام الإمام عليه السلام جواب لسؤال هو هل يمكن لله تعالى الذي له جند السماوات والأرض أن يستعين بعبده الضعيف العاجز الذي لا يملك لنفسه سوى ما أفاض الله عليه؟ أم يستقرض عبده الضعيف الذي يرتع في نعمه وهو الذي بيده خزائن السماوات والأرض؟ فلو أراد الله اعانة ضعيف لما لا يعينه، ولو أراد ائراء فقير لما لا يقوم هو بهذا العمل؟ أشار الإمام عليه السلام إلى أن الهدف من كل هذه الأمور هو الامتحان والاختبار.

جدير بالذكر أن جميع ما ذكر اقتباس من القرآن الكريم، إذ قال تعالى في موضع «وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنْتَصِرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ» [١٦٩].

وفى موضع آخر: «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَتَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» [١٧٠] وآيات أخرى.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٨٥

## القسم السادس

### إشارة

فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللَّهِ فِي دَارِهِ. رَافِقَ بِهِمْ رُسُلَهُ، وَأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتُهُ، وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارِ أَبَدًا، وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوبًا وَنَصَبًا: (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ). أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ!

### الشرح والتفسير: الانتقال إلى جيران الله

خلص الإمام عليه السلام في ختام الخطبة إلى نتيجة واضحة وهي أن كان الأمر كذلك «فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللَّهِ فِي دَارِهِ».

ثم خاض عليه السلام في خصائص هؤلاء الجيران فقال:

«رَافِقَ بِهِمْ رُسُلَهُ، وَأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتُهُ، وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ [١٧١] نَارِ أَبَدًا، وَصَانَ [١٧٢] أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوبًا [١٧٣] وَنَصَبًا [١٧٤]:

«ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» [١٧٥].

فقد بين الإمام عليه السلام بهذه العبارات الرائعة أربع خصائص لجيران الله اثنان منها لهما

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٨٦

بعد معنوى والاثنان الآخران لهما بعد مادى؛ فمرافقة الأنبياء وزيارة الملائكة كرامتان معنويتان وكرامتان روحيتان لا مثيل لهما كما أن عدم سماع أدنى صوت لنار جهنم وصون الاجساد من أى تعب ونصب كرامتان ماديتان لا نظير لهما كذلك.

وليت شعري أى كرامة أسمى من أن يرافق الإنسان هؤلاء المقربين فى غرف الجنة ويشمل بهذه النعم المعنوية والمادية. ويؤكد الإمام عليه السلام ضمناً بالاستفادة من الآية الشريفة على أهمية هذه النعم الأخروية ويعدها من فضائل الله العظمى.

والعبارة:

«وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ ...»

اقتباس من الآية: «لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ» [١٧٦].

والعبارة:

«وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ ...»

إشارة إلى الآية الشريفة: «لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ» [١٧٧].

وهنا يرد هذا السؤال: ترى من هم جيران الله الذين لهم هذه الكرامات؟

فالتعبير بجيران الله يشير إلى أنهم من خواص الله ومقربيه بحيث استحقوا اسم جيران الله ويتضح من زيارة الملائكة والأنبياء لهم أنهم ليسوا أنبياء ولا ملائكة، وعليه فلا بد أن يكونوا من الصديقين والشهداء والحواريين الذين تمحوروا حول الأنبياء والأولياء وأصبحوا على ما هم عليه فى ظل الورع والتقوى وتهذيب النفس ليشملوا بكل هذه العناية الإلهية، على غرار ما قال القرآن الكريم: «وَمَنْ يُطِيعِ

اللَّهُ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا» [١٧٨].

والشاهد على هذا الموضوع ما ذكره الإمام عليه السلام في الرسالة ٢٧ بشأن تلك الثلثة

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٨٧

من المتقين الذى بلغوا درجته من الورع والتقوى ومنزله رفيعه من الزهد وعدم الاعتناء بزخارف الدنيا واكتسبوا بحق اسم جيران الله. ثم اختتم خطبته لإتمام الحجّة فقال:

«أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ!».

وعليه فقد أتمّ الحجّة عليهم من جانب ودعا لهم بالموقفية من جانب آخر وأفصح بالتالى عن توكله على الله فى جميع الأحوال.

## تأمل

### طريق السير والسلوك إلى الله

لقد كشف الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة عن أروع الدروس التى يمكن أن ينطوى عليها من سلك سبيل الحقّ بغيه التربية والتهديب كما تطرق بعبارات قصيرة وعميقة المعنى إلى منهج السير والسلوك إلى الله تعالى.

فقد أثار لديهم الشعور بخشية الله من خلال ذكره لجانب من العذاب الأليم لنار جهنم، ثم حذرهم من أن أعمارهم وعافيتهم إنّما هى أمانة مستودعة وستعاد يوماً ما إلى صاحبها.

وعليه فلا بدّ من اغتنام الفرصة والمبادرة إلى العمل كما ورد فى الحديث النبوى الشريف:

«إِغْنَمِ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ؛ حَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سُقْمِكَ وَفِرَاعَكَ قَبْلَ سُغْلِكَ وَشَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ» [١٧٩].

ثم أشار إلى العبادة وتهذيب النفس فأوصى بإحياء الليل وقلة الطعام وتوظيف الجوارح فى خدمة الخلق والسعى إلى الجهاد ومن ثم انفاق الأموال، وبالتالى الحد من الجسم لصالح الروح ليث الأمل فى قلوب السالكين بوعد الله من خلال استشهاد بعض الآيات القرآنية.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٨٨

وأخيراً رسخ الدوافع المعنوية عن طريق ذكر الثواب العظيم الذى ينتظرهم جوار قرب الله. نعم فقد أدى معلم الإنسانية العظيم وقائد الغرّ المحجلين حقّ المطالب بعبارات قصيرة واضحة فى اطار تعاليم متكاملة.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٨٩

## الخطبة ١٨٤

### إشارة

قَالَ لِلْبُرْجِ بْنِ مُسْهِرِ الطَّائِي، وَقَدْ قَالَ لَهُ بِحَيْثُ يَسْمَعُهُ:

«لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ»، وَكَانَ مِنَ الْخَوَارِجِ [١٨٠]

## نظرة إلى الخطبة

نعلم أن الخوارج - تلك الفئة الجاهلة والمتعصبة التي ثارت على الإمام عليه السلام بعد التحكيم في صفين - وكان شعارهم «لا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ»

ومرادهم عدم ضرورة تعيين حكم يوم صفين، فلا حكم إلا لله؛ وقد استعمل هذا الشعار بصيغته منحرفة وخاطئة من قبل الخوارج، وحين رفع بُرج بن مُسهر الطائي هذا الشعار عند الإمام عليه السلام، عنفه عليه السلام بكلمات لاذعة وعنيفة، حتى لا يجر واحداً غيره على رفع هذا الشعار المضل (قدمنا شرحاً وافياً بشأن هذا الشعار الذي رفعته هذه الفئة الضالة في الخطبة ٤٠ من هذا الشرح)

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٩١

اسْكُتْ قَبْحَكَ اللَّهُ يَا أَثْرُمُ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتَ فِيهِ ضَمِيلاً شَخْصُكَ، خَفِيّاً صَوْتُكَ؛ حَتَّى إِذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمْتَ نُجُومَ قَرْنِ الْمَاعِزِ.

## الشرح والتفسير: صه يا أحمق

في بداية الكلام أجبر الإمام عليه السلام هذا الخارجي على السكوت. ثم ليعرفه جيداً الناس ذكر صفاته السيئة وسابقته البشعة، فقال: «اسْكُتْ قَبْحَكَ اللَّهُ يَا أَثْرُمُ».

كلمة «أثرم» التي تعنى الشخص الذى ضرب على فمه وكسرت أسنانه الإمامية إشارة إلى أن فمك واسنانك تشير إلى أن مخالفيك ضربوك لأنك بذيء اللسان، إضافة إلى ذلك فإن من كسرت أسنانه الأمامية لا يستطيع أن يتكلم بطلاقة والأفضل له أن يسكت.

ثم واصل ذكر ماضيه السيء فقال:

«فَوَاللَّهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتَ فِيهِ ضَمِيلاً [١٨١]

شَخْصُكَ، خَفِيّاً صَوْتُكَ؛ حَتَّى إِذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمْتَ [١٨٢] نُجُومَ قَرْنِ الْمَاعِزِ [١٨٣].».

إشارة إلى أنك لم تحضر ولم تدافع عن الحق عند ظهور الإسلام حين بعثه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أو ظهور ولاية الحق لأمر المؤمنين على عليه السلام بل كنت شخصاً ضعيفاً لا يكثر لكلامك، أما الآن وقد صدع صوت الباطل فقد انضمت إليه لتطلق ذلك الشعار عن حماقة وجهل، ويتضح من خلال تأمل سوابق هذا الرجل ومن شاكلة

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٩٢

العقيدة والظروف التي كانت سائدة آنذاك أن هذه المواجهة العنيفة من قبل الإمام عليه السلام والعبارات المحقرة له كانت غاية في الحكمة، ولولا ذاك لكان يخشى انخداع الأفراد السطحيين بزيغ ذلك الشعار.

والخوارج فئة سطحية متعصبة جاهلة خلقت العديد من الإرباكات للمجتمع الإسلامي. كما أن قسوتهم وغلظتهم فاقت الوصف في تاريخ الإسلام، ولحسن الحظ فقد تعرفت عليهم المجتمعات الإسلامية طيلة التاريخ فاقصتهم عن الساحة ولعل هنالك القليل من سليلهم والذين لا يتظاهرون وبتلك العقيدة الباطلة.

## تأمل

### من هو بُرج بن مُسهر؟

اعتبر ابن أبي الحديد برج بن مسهر أحد شعراء الخوارج الذى ينتمى إلى يعرب بن قحطان؛ إلا أن البعض يعتقد أن برج بن مسهر

الشاعر هو شخص آخر، عاش في العهد الجاهلي (ويحتمل أنه أدرك ظهور الإسلام) وقد روى أبو تمام أبياتاً من شعره في الحماسة [١٨٤].

وبرج بن مسهر الطائي الخارجي الذي حقره الإمام عليه السلام شخص مجهول لم يرد اسمه في كتب الرجال المعروفة، ويؤيد ذلك عبارة أمير المؤمنين عليه السلام حين خاطبه بأنك شخص ضئيل ومجهول ولا قدرة لك على الكلام.  
نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٩٣

## الخطبة ١٨٥

### إشارة

يَحْمَدُ اللَّهُ فِيهَا وَيُثْنِي عَلَى رَسُولِهِ وَيَصِفُ خَلْقًا مِنَ الْخَيَوانِ [١٨٥]

### نظرة إلى الخطبة

تعدّ هذه الخطبة من الخطب الجامعة في نهج البلاغة والتي تسهب في المعارف الدينيّة وتتكون في الواقع من ستة أقسام، ففي القسم الأول- وعلى غرار أغلب خطب نهج البلاغة- جرى الكلام في حمد الله والثناء عليه وذكر أسمائه وصفاته بعبارات غاية في الدقة والروعة.

وتطرق القسم الثاني إلى رسالة الرسول صلى الله عليه وآله ومشاريعه العمليّة.

وركز في القسم الثالث على خلق بعض الأحياء كنموذج حي لآيات علم الله وقدرته سيما بشأن النمل وخلق السماوات والأرض والشمس والقمر.

وخاض- في القسم الرابع- في نتائج ما قيل ليكشف عن عظمة الخالق التي تقف وراء هذه المشاهد العجيبة وحذر أولئك الذين يرون هذه الآيات وينكرونها عملياً.

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٩٤

وتطرق في القسم الخامس ثانياً إلى خلقه كائن عجيب آخر هو الجرادّة وخاض في جزئيات خلقه.

واختتم الخطبة في القسم الأخير ليخلص في نتيجة جامعة لينهي خطبته ببحث كلّى بشأن نظام الخلق وعظمة الخالق وخضوع جميع المخلوقات لذاته القدسيّة.

جدير ذكره أنّ تنظيم الخطب هنا يختل في أغلب شروح نهج البلاغة؛ فقد ذكر البعض هذه الخطبة بالرقم ٢٣١ (مثل ابن أبي الحديد وفيض الإسلام) بينما ذكروا بدلاً من هذه الخطبة التي وردت بالرقم ١٨٥ في نسخة صبحي الصالح خطبة همام؛ والبعض بالرقم ٢٢٧ (مثل نسخة بنياد نهج البلاغة وشرح ابن ميثم).

وذكرها المرحوم الشارح الخوئي بالرقم ١٨٤؛ ولكننا- كما يعلم الإخوة القراء- نتبع نسخة صبحي الصالح.

\*\*\*

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٩٥

### القسم الأول

## إشارة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَاتُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ، وَلَا تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ، وَلَا تَرَاهُ النَّوَاطِرُ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ، الدَّالُّ عَلَى قَدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ، وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى وَجُودِهِ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَأَشْبَهَهُ لَهُ. الَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ، وَارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ، وَقَامَ بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ، وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ. مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَرْزَلِيَّتِهِ، وَبِمَا وَسَّيَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ، وَبِمَا اضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ. وَاحِدٌ لَابِعَدَدٍ، وَدَائِمٌ لَابَأَمَدٍ، وَقَائِمٌ لَا يَعْمَدُ. تَتَلَقَّاهُ الْأَذْهَانُ لَابِمُشَاعِرَةٍ، وَتَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِي لَابِمُحَاضِرَةٍ. لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ، بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا، وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا. لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النَّهَائِيَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجَسِّيمًا، وَلَا بِذِي عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْعَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجَسِيدًا؛ بَلْ كَبَّرَ شَأْنًا، وَعَظَّمَ سُلْطَانًا.

## الشرح والتفسير: معرفة الله الحقيقية

ما أن استهل الإمام عليه السلام الخطبة بحمد الله والثناء عليه حتى خاض في صفاته التي تنفى عنه الجسمية والحدوث والشبيه والمثيل فقال عليه السلام:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَاتُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ، وَلَا تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ، وَلَا تَرَاهُ النَّوَاطِرُ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ».

فما جاء في هذه الصفات الأربع أمور تنفى أي شائبة جسمية عن الله تعالى، فلا عين تراه ولا حواس تدركه ولا مكان يحويه ولا شيء يخفيه.

«شواهد»

جمع

«شاهدة»

بمعنى الحس و

«مشاهد»

جمع

«مشهد»

بمعنى

نغمات الولاية، ج ٧، ص: ٩٦

مكان الحضور والظهور.

«نواظر»

جمع

«ناظرة»

قوة الباصرة و

«سواتر»

جمع

«ساترة»

بمعنى الستر وكل ما يستر الأشياء.



فالصفات المذكورة والمقتبسة في الواقع من القرآن الكريم في عدد من الآيات تبطل عقيدة المجسمة (الفرقة التي تقول بجسمية الله) وتكشف مدى بعد أصحابها عن التعاليم الإسلامية.

ثم أشار عليه السلام إلى صفات أخرى ومنها صفة الأزلية وتنزيهه عن كل شبيه ومثيل فقال عليه السلام: «الدال على قدمه بحدوث خلقه، وبحدوث خلقه على وجوده، وباشتباههم على أن لاشبه له».

تستند هذه الأدلة الثلاثة إلى هذه النقطة وهي استحالة مضي سلسلة العلل ومعاليل العالم إلى مالا نهائية، لأن التسلسل باطل، وعليه فحدوث الموجودات دليل على وجود العلة الأزلية والأبدية التي ينبع وجودها من ذاتها؛ فالكل حادث وهو القديم، والكل مخلوق وهو الخالق، لأن ذاته الطاهرة لا متناهيته من جميع الجهات فليس له شبيه ولا مثيل، لاستحالة وجود وجودين لا متناهيين من جميع الجهات ذلك أن كلاً منها يحد الآخر أما المخلوقات المحدودة من جميع الجهات بما فيها الزمان والمكان إنما تعددت أشباهها وأمثالها.

ثم تطرق عليه السلام إلى صفتين من صفات الذات وهما تعدان من صفات الفعل فقال:

«الذي صدق في ميعاده، وارتفع عن ظلم عباده، وقام بالقسط في خلقه، وعدل عليهم في حكمه».

نعم، فليس في وعوده غير الصدق، ذلك لأن التخلف في الوعد إما يعزى إلى العجز أو إلى الجهل أو الحاجة (مثلاً يعد الإنسان ثم يعجز ويتخلف عمياً وعد بعد القيام به، أو يعد ثم يفهم لاحقاً ما كان ينبغي عليه أن يعد مثل ذلك أو يعد ويرى أن خلف الوعد لصالحه) ومن الطبيعي أن أيّاً من الصفات الثلاث؛ العجز والجهل والحاجة ليست لها من سبيل إلى الذات القدسية ومنها يستحيل عليه خلف الوعد.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٩٧

وأشار في بيانه للصفة الثانية إلى سمو مقام الله عن الظلم، وهو ذات الأمر الذي يفرزه العجز والجهل أو الحاجة.

ثم ركز عليه السلام على جانبين من جوانب عدله أحدهما في عدم التمييز والآخر العدل في القضاء والعقاب والثواب، وعليه فالعبارات الثلاث

«وارتفع عن ظلم عباده» «وقام بالقسط في خلقه» «وعدل عليهم في حكمه»

تشير جميعها إلى عدالة الله ونفى الظلم عنه في مختلف الجوانب.

ثم تطرق عليه السلام إلى صفات أخرى من صفات الجمال والجلال فقال:

«مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَرْزَلِيَّتِهِ، وَبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ، وَبِمَا اضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ».

فقد قال الإمام عليه السلام في العبارة الأولى: إن الله قد جعل حدوث الأشياء دليل على أزلتيته، ذلك لأننا نرى في هذا العالم مجموعة من الموجودات تنتهي إلى علل سابقة بصيغته سلسلة من العلل والمعاليل، فهل يمكن أن تستمر سلسلة العلل والمعاليل إلى مالا نهائية؟ وكل علة معلولة لآخر وعبارة أخرى هل نقبل تسلسل العلة والمعلول إلى مالا نهائية؟

الجواب عن هذا السؤال بالسلب قطعاً، لأن مفهوم ذلك أن المالا نهائية تتطلب التبدل إلى موجود غني، أو بتعبير آخر تتبدل مالا نهائية الصفر إلى عدد، وعليه فإننا ندرک من حدوث الأشياء وجوداً أزلياً ووجوده من ذاته وهو واجب الوجود.

وأشار في العبارة الثانية إلى حقيقة هي أن في جبين كل موجود علامة على العجز، فالأعمار والقدرات والاستعدادات كلها محدودة، وهذا العجز يكشف أن وراءها يد القدرة المطلقة التي أفاضت القدرة على كل شيء بالمقدار الذي تطلبت حكمته.

وجرى الحديث في العبارة الثالثة عن فناء الكائنات، وهو الفناء الذي يسير طواعية وقد كمن لها الموت بالمرصاد شئت أم أبت، ومن الواضح أن هذه الكائنات الفانية ليست خالقة لنفسها كما أن وجودها لا ينبع من ذاتها وإلا لما آلت إلى الفناء،

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٩٨

وعليه فهناك قدرة تفوقها أزلية وأبدية والكل مستند في وجوده إلى الذات المقدسة، والذي نود بيانه هنا أنه ما الفارق بين العبارة

«مُسْتَشْهَدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَيَّ أَزَلَّتِيهِ»

والعبارة السابقة

«الدَّالُّ عَلَيَّ قَدِمَهُ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ؟»

فهل العبارتان تفيدان اثبات أزلية الله عن طريق حدوث الموجودات؛ أى أنها صفة وضحت بعبارتين أم أن لكل منهما مفهوماً مستقلاً؟ طبعاً فصاحة وبلاغة الإمام عليه السلام تستلزم أن تختزن كل عبارة مفهوماً جديداً.

فلا يستبعد أن تكون العبارة السابقة إشارة إلى الدلالة التكوينية والعبارة الأخيرة إشارة إلى الدلالة التشريعية، أى كما يدل حدوث الموجودات على أزلية الله بلسان التكوين فى الآيات القرآنية وروايات المعصومين وردت مثل هذه الاستدلالات بعبارات مختلفة.

قال القرآن الكريم: «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ \* وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» [١٨٦].

وقال فى موضع آخر: «أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ» [١٨٧].

فالأية فى الواقع إشارة لبرهان العلية الذى جاء فى الفلسفة لإثبات وجود الله وهو أن العالم الذى نعيش فيه حادث لا شك، فهل وجد هذا الحادث بدون علمه أم أنه علمه لنفسه أم أنه معلول لعلة أخرى معلولة لعلة أخرى أو مخلوق لله تعالى واجب الوجود؟ الذى وجوده فى ذراته ولا يبقى سوى الاحتمال الرابع بعد الإلتفات إلى بطلان الاحتمالات الثلاثة الأولى.

ثم ذكر الإمام عليه السلام ثلاث صفات أخرى من صفات الله تعالى فقال:

«وَاحِدٌ لَابِعَدَدٍ، وَدَائِمٌ لَابَأَمَدٍ، وَقَائِمٌ لَابِعَمَدٍ».

والمراد من الواحد العددى الأشياء التى لها شبيه ومثيل وثانى وثالث ولكن لم يوجد إلّا فرد منها؛ كالشمس فى المنظومة الشمسية فهى واحدة فقط لا غير ولكن لها ثان.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٩٩

فهذا المعنى لا يصح بالنسبة لله تعالى؛ لأن وجوده لا متناه من جميع الجهات ويستحيل عليه التعدد، ولذلك فوحدة الذات القدسية ليست وحدة عددية، بل بمعنى انعدام الشبيه والنظير والمثيل لها، وهذات المعنى الوارد فى سورة التوحيد: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» [١٨٨].

وبعبارة أخرى يمكن التعدد فى الواحد العددى؛ لكنه يستحيل فى الواحد الذاتى.

وأشار فى العبارة الثانية

«دَائِمٌ لَابَأَمَدٍ»

إلى أن دوام وجوده سبحانه ليس بدوام زمانى لأن ذاته القدسية تفوق الزمان والمكان بل المراد منه الدوام الذاتى.

ومفهوم العبارة

«قَائِمٌ لَابِعَمَدٍ»

أن قيامه بذاته؛ لا بمساعدة الآخر وبعبارة أخرى فإن القيام ذو مفهوم مادى وهو وقوف الشىء على قدميه أو بالاستعانة بعمود، كما له مفهوم يفوق المادة وهو أنه وجود مدير ومدبر لعالم الوجود ودون الاستناد إلى شىء آخر وهذا هو معنى قائمية الله تعالى.

بعبارة أخرى فإن جميع الموجودات تعتمد على ذاته القدسية وهو قائم بهذه الذات.

ثم بلغ كلام الإمام عليه السلام ذروته ليخوض فى تلك الذات المطلقة إلى الحد الذى يسعه الفكر البشرى فشرح الذات المقدسة بأسلوب رائع ضمن عبارة قصيرة وعميقة المعنى بما يعدها عن التشبيه ولا ينتهى إلى تعطيل المعرفة فقال:

«تَلَقَّاهُ الْأَذْهَانَ لَابِمُشَاغَرَةٍ» [١٨٩]، وَتَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِي [١٩٠] لَابِمُحَاصِرَةٍ» [١٩١].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٠٠

دليل واضح إشارة إلى أن آثار عظمته وقدرته وعلمه وحكمته التي ملأت العالم على وجوده؛ الوجود الكائن خلف حجب الغيب وما وراء الطبيعة وجعل كل شيء تجلياً لعلمه وقدرته.

وقال في مواصلته لكلامه عليه السلام:

«لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ [١٩٢]، بَلْ تَجَلَّى لَهَا [١٩٣] بِهَا، وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا».

فالإمام عليه السلام طبق ما ورد أبطل مذهب التعطيل إلى جانب نفى التشبيه؛ أي أنه حذر من مغبة خطأ أولئك الذين يزعمون أنهم لا يفهمون من صفات الله تعالى سوى صفاته السلبية، إلى جانب أولئك الذين هبطوا بالله تعالى إلى درجة الممكنات فقالوا: له صفات محدودة وممكنة، فقد تحدت من جانب عن تلقي الأذهان وتجلي الصفات ومن جانب آخر عن عدم احاطة الأفكار بالذات القدسية وصفاتها وينتج من ذلك أن لدينا علماً إجمالياً بالنسبة لذاته وصفاته سبحانه رغم عجزنا عن الاستغراق في تفاصيلها وجزئياتها. ثم قال عليه السلام:

«لَيْسَ بِدَى كِبَرِ امْتَدَّتْ بِهِ النَّهَائِيَّاتُ فَكَبَّرْتَهُ تَجْسِيماً، وَلَا بِدَى عِظَمِ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَّمْتَهُ تَجْسِيداً؛ بَلْ كَبَّرَ شَأْناً، وَعَظَّمَ سُلْطَاناً».

إشارة إلى أننا حين نقول:

«الله أكبر»

إنما يقترح أحياناً إلى ذهن الأفراد غير المطلعين إلى أن أبعاده الوجودية ملأت شرق العالم وغربه وشماله وجنوبه، وحين نقول:

«الله عظيم»

يتصورون أنه كذلك بالنسبة لسائر الموجودات كالجبال والبحار والسموات، والحال ليس لكبره وعظمته من بعد جسمي، بل كبره وعظمته معنوي،

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٠١

لأنه إن كان الله جسماً كبيراً لاشتمل حتماً على أجزاء ونهاية وزمان ومكان بينما هو أسمى وأرفع من كل ذلك وبألها من كلمات رائعة تلك التي ساقها الإمام الصادق عليه السلام لذلك الشخص الذي قال عنده: الله أكبر، فسأله عليه السلام:

«أَكْبَرُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ؟»

قال:

«مِنْ كُلِّ شَيْءٍ».

فأشار عليه الإمام عليه السلام:

«بِأَنَّكَ جَعَلْتَ لَهُ حُدُوداً فِي الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ»

. فقال الشخص فماذا أقول: قال عليه السلام: قل:

«اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ» [١٩٤].

إشارة إلى أننا لا نعدو صفات مخلوقاته في كل صفة نطبقها عليه ذلك لأن فكرنا محدود في الاستيعاب، وعليه فهو أسمى من كل الصفات وهذا ما أكده القرآن الكريم بقوله: «سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ \* إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ» [١٩٥]. (الذين يصفونه بما يليق به).

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٠٣

القسم الثاني

إشارة

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّفِيُّ، وَأَمِينُهُ الرَّضِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ، وَظُهُورِ الْفَلَجِ، وَإِيضاحِ الْمَنْهَجِ؛ فَبَلَغَ الرَّسَالَهَ صَادِعاً بِهَا، وَحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ دَالاً عَلَيْهَا، وَأَقَامَ أَعْلَامَ الْإِهْتِدَاءِ وَمَنَارَ الضِّيَاءِ، وَجَعَلَ أَمْرَاسَ الْأَسْلَامِ مَتِينَةً، وَعُرَى الْإِيمَانِ وَثِيقَةً.

### الشرح والتفسير: الأبعاد الوجودية للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله

بعد أن فرغ الإمام عليه السلام من بيان صفات الجمال والجلال خاض في الأصل الثاني للدين أي الشهادة بنوّه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله و آله فوصفه بتلك الصفات التي تكشف عن أبعاده الوجودية كافة فقال:

«وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّفِيُّ، وَأَمِينُهُ الرَّضِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ-».

حقاً إن الله تعالى إن اصطفى شخصاً واعتبره أميناً وارتضاه من خلقه فذلك لكمال إخلاصه وطهارته على جميع المستويات، فهذه العبارات إشارة إلى عصمة النبي صلى الله عليه وآله من الذنب والخطأ.

ثم خاض عليه السلام في الأهداف المتوخاه من بعثته صلى الله عليه وآله وتعاليمه فقال:

«أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ، وَظُهُورِ الْفَلَجِ [١٩٦]، وَإِيضاحِ الْمَنْهَجِ».

وهكذا بين الإمام عليه السلام من خلال هذه العبارات الثلاث أهداف البعثة التي تتمثل في إتمام الحجية وانتصار الحق على الباطل وايضاح سبيل السعادة. آنذاك تناول

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٠٤

المهام العملية للنبي صلى الله عليه وآله فقال:

«فَبَلَغَ الرَّسَالَهَ صَادِعاً [١٩٧] بِهَا، وَحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ دَالاً

عَلَيْهَا، وَأَقَامَ أَعْلَامَ الْإِهْتِدَاءِ وَمَنَارَ الضِّيَاءِ، وَجَعَلَ أَمْرَاسَ [١٩٨] الْأَسْلَامِ مَتِينَةً، وَعُرَى [١٩٩]

نفحات الولاية؛ ج ٧؛ ص ١٠٤

الْإِيمَانِ وَثِيقَةً».

فقد ورد الحديث بادئ الأمر عن الخوض في إبلاغ الرسالة بصورة كلية على غرار ما ورد في القرآن الكريم: «فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ» [٢٠٠].

ثم خاض في الجزئيات في أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله دعا الناس إلى جادة الصواب وعرض لهم علامات لسير على هذا النهج ونصب لهم مصابيح الهدى حتى لا يضلوا الطريق في ظلمة الليل ولا يتخلفوا عن مواصلة السير، وبالتالي رسخ أسس الإسلام وشد عرى الإيمان بشرح واف وتدبير محكم.

وقلما نجد كلاماً يستعرض هذا المطلب بشأن أهداف النبي صلى الله عليه وآله و آله وخطته في الدعوة بهذه العبارة القصيرة والعميقة.

العبارة:

«جَعَلَ أَمْرَاسَ الْأَسْلَامِ مَتِينَةً»

كأنه شبه الإسلام بالخيمة التي شددت بحبال متينة من كل جانب إلى الأرض لتحول دون إقتلاعها من قبل العواصف وليست هذه الحبال سوى بعض الأمور من قبيل الجمعة والجماعة والحج والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد التي حفظت على الدوام بيضة الإسلام وذاذت عن كيانه، فالإسلام بخير ما طبقت هذه التعليمات الإسلامية فإن ضعفت هيمن الأعداء على المسلمين.

والعبارة:

«وَعُرَى الْإِيمَانِ وَثِيقَةً»

شبهت الإيمان بحبل له عده عقد لا بد من التمسك بها للنجاه من قعر البئر أو الخلاص من المطبات، ومن الطبيعي أن هذه العقد

نفحات الولاية، ج٧، ص: ١٠٥

إن كانت ضعيفة وخاوية فلا يتعذر على الإنسان النجاه فحسب بل يشرف على سقوط خطير فهذه العقد هي فروع الإسلام وتعليماته في مختلف مشاريعه العبادية والاجتماعية التي صرحت بها الأخبار والروايات، ومن ذلك ما ورد في الحديث النبوي الشريف أنه صلى الله عليه وآله سأل أصحابه يوماً:

«أى عرى الإيمان أوثق؟»

قالوا: «الله ورسوله أعلم؟» وذكر البعض الصلاة أو الزكاة و... فقال صلى الله عليه وآله:

«بلى في ذلك فضل، ولكن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله وتولى أولياء الله والتبى من اعداء الله» [٢٠١].

طبعاً يمكن أن تكون المفاهيم الأخلاقية التي أشارت إليها الروايات من قبيل التوكل والتفويض والتسليم والرضا والصبر واليقين وما شابه ذلك من عرى الإيمان وليست هنالك أى منافاة مع بعضها البعض الآخر.

نفحات الولاية، ج٧، ص: ١٠٧

### القسم الثالث

#### إشارة

وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ، وَجَسِيمِ النُّعْمَةِ، لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ، وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ، وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ عَلِيلَةً، وَالْبَصِيرَةَ مَدْحُولَةً! أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى صَاحِبِ مَا خَلَقَ، كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ، وَأَتَقَنَ تَرْكِيْبَهُ، وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصِيرَةَ، وَسَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَالْبَشِيرَةَ! انظُرُوا إِلَى النَّمْلِ فِي صَعْرِ جُشَّتِهَا، وَلَطَافِهِ هَيْئَتِهَا، لَاتَكَادُ تَنَالُ بِلِحْظِ الْبَصَرِ، وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكْرِ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا، وَصَبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا، تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُجْرِهَا، وَتُعِدُّهَا فِي مَسِدِّ تَقَرِّهَا. تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبُرْدِهَا، وَفِي وَرْدِهَا لِصَدْرِهَا؛ مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا، مَزْرُوقَةٌ بِوَفْقِهَا؛ لَا يُغْفَلُهَا الْمَنَانُ، وَلَا يَحْرِمُهَا الدِّيَانُ، وَلَوْ فِي الصَّفَا الْيَابِسِ، وَالْحَجْرِ الْجَامِسِ! وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا، فِي عُلُوقِهَا وَسُفْلِهَا، وَمَا فِي الْجُوفِ مِنْ شَرَّاسِيفِ بَطْنِهَا، وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا، لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَبًا، وَلَقِيْتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَبًا! فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا، وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا! لَمْ يَشْرَكْ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ، وَلَمْ يُعْنَهُ عَلَى خَلْقِهَا قَادِرٌ. وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَيَازِينِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ، مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلِ هُوَ فَاطِرُ النَّحْلِ، لِذَيْقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيْءٍ. وَمَا الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ، وَالتَّقِيْلُ وَالْحَفِيْفُ، وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيْفُ، فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءً.

### الشرح والتفسير: قدرته المطلقة في خلق الكائنات

عاد الإمام عليه السلام ثانية إلى موضوع معرفة الله الذي استهل به خطبته وعرج فيها

نفحات الولاية، ج٧، ص: ١٠٨

على معرفة النبي صلى الله عليه وآله ليخوض هنا في أدلة اثبات وجود الله وعلمه وقدرته المطلقة، فحذر أولئك الذين ضلوا الطريق فقال:

«وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ، وَجَسِيمِ النُّعْمَةِ، لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ، وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ».

إشارة إلى أمرين: أنه لو استعمل الفكر لا تضح آثاره عاجلاً على أعمال الإنسان؛ الأول التفكير في عظمة قدرة الله الذي خلق النجوم السماوية العظيمة ومليارات الكواكب في المجرة ومئات الملايين من المجرات بحيث لم يتضح لأحد سعة ملكه وعظمته، وكل ما

نورده بشأن عظمة العالم إنما يقتصر على الأشياء التي لا تتجاوز دائرة علمنا القاصر، ولعل كل ذلك لا يعدو ورقة شجرة بلغت عنان السماء في وسط غابة كثيفة، فالتفكير بهذا الشأن يجعل الإنسان خاضعاً لهذه القدرة فيقبل على الله ويتعلق به قلبه فينير باسمه وذكره حياته.

والآخر التفكير في النعم كونها ملأت وجودنا وهي متصله منذ لحظة انعقاد النطفة حتى ختام العمر؛ فقد سخر لنا لشمس والقمر والسموات والأرض ومنحنا التصرف في السحب والرياح والأمطار، فقد بسط نعمته في كل مكان وجعل الجميع يتغذى على رزقه، والحق أن شكر النعمة المودع في فطرة كل إنسان يسوقه إلى معرفة المنعم.

ثم تساءل عليه السلام ترى ما العامل الذي يصد الإنسان عن السبيل ويسوقه إلى العذاب الأليم مع وجود كل هذه الدوافع القوية؟ فقال:

«وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ عَلِيلَةٌ، وَالْبَصَائِرُ مَدْخُولَةٌ!» [٢٠٢].

فقد أشار الإمام عليه السلام هنا إلى سببين رئيسيين، لأن المراد من القلوب العقول التي تتعطل عن المعرفة أثر الهوى والهوس وسائر الآفات، والمراد من البصائر عيون البصيرة التي تطرح عليها حجب المعصية والتعصب وحب الذات.

وبالطبع فإن هذه الأمور طارئه على أصل الخلقة بل الغفلة والهوى والهوس

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٠٩

والشهوة هي التي قادت إلى ذلك، فقد أشار الإمام عليه السلام في هذه العبارة القصيرة إلى موانع المعرفة والتي أفصح عنها القرآن الكريم بقوله: «كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» [٢٠٣].

وقوله:

«أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً» [٢٠٤].

كما تضمنت العديد من الآيات القرآنية دعوة الجميع إلى تأمل أسرار الخلق والتفكير في قدرة الله ونعمه عليهم يعودون عن هذا الطريق إلى جادة الصواب.

ثم ركز الإمام عليه السلام على بعض الكائنات العجيبة في هذا العالم بعد فراغه من بيان أسرار الخليقة بصورة كلية فقال:

«أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرٍ مَا خَلَقَ، كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ، وَأَتَقَنَ تَرْكِيبَهُ، وَقَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ، وَسَوَّى [٢٠٥] لَهُ الْعُظْمَ وَالْبَشْرَ!» [٢٠٦].

حيث أشار الإمام عليه السلام إلى ستة أمور بشأن الحيوانات والحشرات الغاية في الصغر؛ الخلق المحكم، التركيب الصحيح، الإشتغال على الأذن والعين، والنظام الخاص في العظام والجلد، نعم فهذه الحشرات تتمتع بالأعضاء والوسائل كافة التي تحتاجها رغم صغرها فقد أفاض الله عليها بقدر جسمها وحاجتها ما أفاضه على بعض الحيوانات العظيمة كالفيل والجمل وبالطبع يبدو خلق هذه الكائنات الصغيرة أعظم من تلك الكبيرة لما فيها من دقة وظرافة عجيبة.

ثم خاض الإمام عليه السلام في مرحلة أدق في تفاصيل مخلوقين صغيرين غالباً ما لا يكثر الإنسان لخلقتهم بعبارات رائعة، فقال بادئ الأمر بشأن النملة:

«انظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا، وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا، لَأَنْتَ كَادُ تَنَالُ بِلِحْظِ الْبَصَرِ، وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكْرِ».

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١١٠

ثم قال عليه السلام:

«كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا، وَصِيَّبَتْ عَلَى رِزْقِهَا، تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى حُجْرِهَا، وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا. تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِجُرْدِهَا، وَفِي وَرْدِهَا [٢٠٧] لِصَدْرِهَا» [٢٠٨].

نعم، فهذا المخلوق الضعيف على درجة من الفطنة بحيث يعرف كيف يمارس حياته، فهو يتجول بهذه اليد والرجل الصغيرة في الجبل

والصحراء ويتسلق الأشجار ويختار ذلك النوع من الطعام من بين مختلف الأطعمة والذي ينسجم مع طبيعته ومزاجه ويجلب إلى عشه الحبوب من الطرق القريبة والبعيدة فهو يختار حتى هذه الحبوب ويسلك بعض الطرق المتشعبة في عشه كي لا يخلق بعض المتاعب لسائر جنسه في الحركة والعبور ثم يضع هذه الحبوب في مكان معين بغية الحيلولة دون فسادها، ويعمد في فصل الصيف بإلهام ذاتي ودون أن يرى فصل الشتاء- أى ولد في تلك السنة- لادخار بعض الحبوب والمواد الغذائية التي يحتاجها في المستقبل خشية هطول الأمطار وتعذر الحركة في فصل الشتاء فيلتقط ما يعينه على قضاء تلك المدّة.

ثم قال عليه السلام:

«مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا، مَرْزُوقَةٌ بِوَفْقِهَا؛ لَا يَغْفُلُهَا الْمَنَانُ، وَلَا يَحْرِمُهَا الدِّيَانُ ۚ [٢٠٩]، وَلَوْ فِي الصَّفَا [٢١٠] الْيَابِسِ، وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ! [٢١١].»

أشار إلى أن الله سبحانه وتعالى قد عمّ لطفه هذه الموجودات الصغيرة التي تعيش في الجبال والصحارى والسهول فزودها بالطعام الذي يلائم طبعها وقد وفر لها ما تحتاجه من غذاء ورطوبة لازمة عن طريق الهواء حتى وإن كانت تعيش في جوف صخرة صماء، والهتما قدرة التزود بالطعام لتلك التي تفتقد فيها هذه القدرة وهذا حقاً ما يذهل العقول.

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ١١١

هل تدرى هذه الحشرة أنه يتعذر عليها الخروج من عسها في بعض أيام الشتاء؟

وهل تفهم المقدار الذي تحتاجه من المواد الغذائية في تلك المدّة؟ وهل تعي طبيعة المواد التي يمكن أن تبقى سالمة أو فاسدة خلال هذه المدّة؟ وهل تعلم أين هذه المواد وكيف يجب عليها الحصول عليها؟ نعم، إنها تعرف كل ذلك بعد أن علمها خلقها.

ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى البنية العجيبة لهذا المخلوق الحي الصغير فقال:

«لَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا، فِي عُلُوقِهَا وَسُفْلِهَا، وَمَا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَّاسِيفِ [٢١٢]

بَطْنِهَا، وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا، لَفَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَبًا، وَلَقَيْتَ مِنْ وَضْفِهَا تَعَبًا!».

إشارة إلى أن الإنسان لو تأمل خلق هذا الموجود الصغير الذي لا يرى بسهولة لرآى عالماً عجيباً حقاً فذلك الرأس الغاية في الصغر يضم العين والأذن والفم وقرنان كأنهما هوائيان تستفيد منهما في الارتباط بالعالم الخارجى وتحوى بطنها شىء أشبه بالمعدة والأمعاء واحاطت به أضلاع غاية في الصغر والدقة كما لها أعصاب وعضلات ظريفة تتناسب مع حاجتها ويتولى دماغها الصغير إدامه حياتها المعقدة، ولأرجلها مفاصل مختلفة ولكل مفصل وظيفة معينة على غرار مفاصل الحيوانات الكبرى.

ثم خلاص الإمام عليه السلام ممّا سبق إلى هذه النتيجة فقال:

«فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا، وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا! لَمْ يُشْرِكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ، وَلَمْ يُعْنَهُ عَلَى خَلْقِهَا قَادِرٌ».

فقد لفت الإمام عليه السلام فى هذه العبارة انتباه الجميع إلى موضوعين:

وهو أن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الجسد الظريف على يد ورجل ظريفة تستطيع حمله بل أحياناً تحمل حملاً ثقيلاً يفوق دفعه أضعاف وزنها، والغريب أنّها

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ١١٢

تتسلق الحائط الأملس بهذا الحمل وتلتصق أحياناً بالسقف وتواصل طريقها وهو العمل الذى يتعذر على أى إنسان بطل القيام به، أضف إلى ذلك فقد خلق لها جهازاً عظيماً يناسب طبيعتها والذى عبّر عنه الإمام عليه السلام بالدعائم، وهذا الجهاز ليس ثقيلاً بحيث يحدّ من حركتها ولا خفيفاً وظريفاً إلى الدرجة التى لا تستطيع حفظ حياتها وما بجوفها.

ثم أشار عليه السلام إلى نقطة مهمّة أخرى فقال:

«وَلَوْ صَرَبَتْ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لَتَبْلُغَ غَايَاتِهِ، مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ، لِذَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ، وَغَامِضِ

اِخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ».

أى لا تعتقدوا أنّ بنية كائن كبير كالنخلة الضخمة أعقد من بنية موجود صغير كالنملة، لأنكم إن نظرتهم بدقّة فإنّ كليهما بنية غاية في التعقيد والدقّة وتحكم كلّ منهما قوانين معينه وتبدو عليهما الهداية الإلهية منذ الولادة حتى الممات بالإضافة إلى أنّ لتلك الشجرة الكبيرة أعضاء مختلفة صغيرة وكبيرة وقوية وضعيفة بحيث يؤدى كلّ منهما وظيفة معينة تتناسب معه (وعلى هذا الضوء تتضح علاقة العلة والمعلول في العبارات المذكورة).

وزبد الكلام إنّ الإنسان يرى أحياناً آثاراً مختلفة من حيث الصغر والكبر لصانع اساعه التي لا يعدو حجمها سانتيمتراً واحداً وأخرى التي تبلغ بضعة أمتار، أو كتاب من بضع صفحات وآخر ذو عشرة أجزاء، فإنّ الإنسان حين يقارنها مع بعضها ويرى وحدة الأصول الكلية السائدة فيها ويقف على انسجام الآداب التي ضمها ذلك الكتاب الصغير وذلك الكبير يفهم أنّ هذين الأثرين يعودان إلى مصدر واحد وأنّ الذي أبدعهما واحد أيضاً.

ثم أشار عليه السلام إلى نقطة مهمّة أخرى لمواصله كلامه السابق فقال:

«وَمَا الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ، وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ، وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ، فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءً».

إشارة إلى أنّ الصغير والكبير والبيسط والمعقد إنّما يتصور بالنسبة لموجود

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١١٣

محدود القدرة ويمتدح عليه ما كان خارجاً عن استعداده ويصعب عليه ما كان بمنتهى استعداده ويسهل عليه ما كان دون قدرته، أمّا الله تبارك وتعالى اللامتناهى القدرة فالجميع لديه على حد سواء، فلا فرق عنده بين تسيير المنظومة الشمسية وتسيير ذرة من الغبار، وخلق نملة غاية في الصغر مع خلق شجرة غاية في الضخامة.

وحمل حية قمع بالنسبة لنملة يفرق عما عليه في حمل حبتين، فلعل حملها للأولى يبدو سهلاً بينما يشقّ عليها حمل الثانية والحال لا نشعر نحن البشر بأدنى فارق بين الحالتين.

كما أننا نستطيع في تصوراتنا الذهنية أن نتصور قطرة ماء كما نستطيع بنفس البساطة تصور بحر متلاطم من المياه.

لعل هذه الأمثلة تستطيع إيضاح عمق البحث الذي ذكرناه بشأن قدرته المطلقة سبحانه.

## تأمل

### حياة النمل العجيبة

رغم أنّ طبيعة النمل بفعل كثرتها وتنوعها وتواجدها في الجبال والصحراء وداخل البيوت بحيث لا تحصى باهتمام عامة الناس، لكنها تبدو عجيبة للغاية بالنسبة للعلماء الذين فكروا لأكثر من عقدين بشأن حياتها فالدراسات التي أجريت بشأن أسرار خلقه هذه الكائنات فتحت الباب على مصراعيه أمام الوقوف على عظمة الخالق ونشير هنا إلى جانب من تلك الدراسات:

١. إنّ الحيوانات والحشرات التي تعيش بصورة جماعية ليست بالقليلة من قبيل:

الطيور والأسماك والغزلان بينما قليلة هي الحيوانات التي تستند حياتها الجماعية على أساس تقسيم الوظائف والأعمال وأبرزها النمل فلانث النمل وظيفه جمع

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١١٤

الطعام وحفظ الفرائح وحتى حراسة ملكة النمل في عشها، ووظيفه الذكور تلقيح الملكة كما أنّ وظيفه الملكة وضع البيوض، والغريب في الأمر أنّ الذكور تموت بعد التلقيح، وهنالك طائفة منها تبدو كمجموعة مسلحة لها مجسات قوية تنبرى للدفاع بها عن نفسها وصد



هجمات الأعداء على لاعشاش.

٢. تقوم العاملات بوظيفة ثقب الأرض وإيجاد حفرة بالتدرج لتوفر لبقيتها الحياة تحت سطح الأرض إلا أن جميع النمل لا يعيش تحت الأرض فهناك طائفة منها التي يطلق عليها «النجارة» تعتمد إلى ثقب الأخشاب لتصنع أعشاشها بداخلها

٣. تملك النملة - على الرغم من صغرها ودقّة هيكلها - جميع الأجهزة التي يملكها الحيوان الكبير بل لديها ما يفوق تلك الحيوانات من قبيل: الأرجل الإضافية والمجسات التي تمكنها من التعرف على الوسط الذي تعيش فيه.

٤. هناك نوع من النمل يتغذى على بعض الأحياء ومن ذلك النمل المعروف بالحنطى والذي يخدمه البرغوث النباتي، فهذه الحشرات تفرز سائلاً حلواً كالعسل يتغذى عليه النمل، كما يستفيد سائر النمل من بعض الحشرات التي تضع بيوضها على قشور الأشجار.

٥. إذا لا- يعتبركم العجب فإنّ بعض النمل يمارس الزراعة، فهناك نوع من النمل يدعى المظلي حيث يرتب مزرعة صغيرة حول أعشاشها ويزرعها بالفطريات الصغيرة وتقوم العاملات بفصل قطع صغيرة من الأوراق وتضعها على رأسها فتبدو وكأنّها مظلة وهذا سبب التسمية.

٦. هنالك نوع من النمل يدعى بالحرس الذي يتنقل كالبدو من مكان إلى آخر، وهو في الواقع حشرات مفترسة تتجنبها حتى الفيلة وإلا كبدتها خسائر جسيمة، وطائفة من هذه الحشرات التي تعيش في المناطق الحارة تأكل اللحوم، فإن هاجمت حيواناً افترسته ونهشت لحمه وعضلاته ولا تبقى منه سوى العظام وخلال مدّة وجيزة.

نفحات الولاية، ج٧، ص: ١١٥

٧. للنمل عادة رأس كبير وخصر نحيف وجثة قوية فهي قادرة على حمل الحبوب التي تعادل بضعة أضعاف وزنها وتتسلق الجدران التي لا يقوى على تسلقها الأبطال من حملة الأثقال، نعم فالنملة وخلافاً لجثتها الصغيرة تحمل ما يبلغ عشرة أضعاف وزنها وتنقله من مكان لآخر.

٨. نظرة النملة للمستقبل وإدارتها رائعة جداً، فهي تفكر في الصيف بمؤونة الشتاء والحال ربّما لم تكن شاهدت الشتاء طيلة عمرها، فتلتقط الحبوب وتخرجها أحياناً من عشّها لكي لا تفسد، وأحياناً أخرى تشطرها نصفين حتى لا تخضر وتنمو.

٩. للنمل خبرة عجيبة بالمكان فقد ذكر العلماء أنّهم جعلوا نملة وسط دائرة من النار فحاولت الخروج ولم تستطع حتى ماتت وكان ذلك في مركز الدائرة، أي أبعد نقطة عن النار.

١٠. ذكر العلماء أنّ النمل أنواع ربّما يتجاوز الأربعة آلاف وأنّ عدده على الأرض عشرة أضعاف عدد الناس، وتفيد المطالعات الحديثة أنّ النمل سبق الإنسان في التغلب على مشكلة الازدحام، فملايين النمل تتخذ أقصر الطرق لتبلغ مقصدها بأسرع وقت ودون أي تأخير.

إنّ عجائب عالم النمل ليفوق ما ذكرناه وقد سطرت العديد من المقالات والكتب بهذا الشأن، ومن هنا تتضح أهميّة المسألة التي ركز عليها الإمام عليه السلام في هذه الخطبة من شرحه لخلق الله سبحانه [٢١٣].

نفحات الولاية، ج٧، ص: ١١٧

## القسم الرابع

### إشارة

وَكَذَلِكَ السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ، وَالرِّيَّاحُ وَالْمَاءُ. فَانظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالنَّيَّاتِ وَالشَّجَرِ، وَالْمِيَاءِ وَالْحَجَرِ، وَاخْتَلَفِ هَذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَتَفَجَّرَ هَذِهِ الْبِحَارِ، وَكَثُرَتْ هَذِهِ الْجِبَالِ، وَطُولِ هَذِهِ الْقِلَالِ وَتَفَرَّقَ هَذِهِ اللَّغَاتِ، وَالْأَلْسِنِ الْمُخْتَلِفَاتِ. فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدَّرَ، وَجَحَدَ

الْمُدْبِرِ! زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَاللَّيَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ، وَمَا لِاخْتِلَافِ صُورِهِمْ صَيَانِعٌ؛ وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا، وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا أُوعِدُوا، وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بِنَانٍ، أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ؟!

### الشرح والتفسير: نظرة إلى كائنات السموات والأرض

تحدث الإمام عليه السلام في القسم السابق من الخطبة عن عجائب خلق النمل وبغية دفع التوهم بأنّ العجائب التي تسلب العقول وتخطف الأبصار ربّما تنحصر في هذه الموارد صرح مباشرة بأن تأمل مواضع هذا العالم الواسع في أرضه وسمائه إنّما ينطوي على مثل هذه العجائب أيضاً، فركز الإمام عليه السلام هنا على ست عشرة ظاهرة عجيبة في هذا العالم من السماء والأرض إلى بعض الأمور المرتبطة بالإنسان فقال:

«وَكَذَلِكَ السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ، وَالرِّيَّاحُ وَالْمَاءُ».

وواصل كلامه قائلاً:

«فَانظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ، وَالْمَاءِ وَالْحَجَرِ، وَاخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَتَفَجُّرِ هَذِهِ الْبِحَارِ، وَكَثْرَةِ هَذِهِ الْجِبَالِ، وَطُولِ هَذِهِ الْقِلَالِ [٢١٤] وَتَفَرُّقِ هَذِهِ اللَّغَاتِ، وَالْأَلْسِنِ الْمُخْتَلِفَاتِ».

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ١١٨

فقد طرح الإمام عليه السلام هنا سلسلة من الموجودات المتنوعة في هذا العالم لكل منها مميزاتاها العجيبة وخصائصها الجمّة، والمراد من السماء مجموعة العالم العلوي من الثوابت والسيارات إلى المجرات وعليه فالشمس والقمر في الجملة القادمة من قبيل ذكر الخاص بعد العام وأنا لنعلم أنّ السماء بهذا المعنى تنطوي على خلقه غاية في الدهشة كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم: «لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» [٢١٥].

المراد من الهواء هو ذلك الهواء المحيط بالكرة الأرضية، الأكثر حيوية من كلّ شيء والأكثر من كلّ شيء.

والرياح (جمع ریح) والتي له عدّة وظائف في تسيير عجلة حياة الإنسان والكائنات الحية فهي تسوق السحب والغيوم إلى الأراضي الجافة والقاحلة فتخرج النباتات، وتبث الأمواج في البحار وتزود الكائنات البحرية بالأوكسجين وتنقل الهواء الملوّث من مكان إلى آخر وتبعث إلى المدن بهواء الغابات النقي.

والماء هنا بقرينة الرياح إشارة إلى نزول الأمطار التي تبعث الحياة كما ذكر ذلك القرآن الكريم: «وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» [٢١٦].

ثم أمر الإمام عليه السلام بتأمّل مختلف كائنات هذا العالم من الشمس والقمر إلى النباتات والأشجار والمياه والأحجار (يبدو أنّ المراد من الماء الذي ذكر هنا إلى جانب الحجر هو العيون والأنهار الجارية) واختلاف الليل والنهار إشارة إلى النظام الدقيق ذو النور والظلمة حيث يعقب كلّ منهما الآخر وينبثق من بركتهما الفصول الأربعة وتلك الليالي الساكنة والهادئة والأيام المفعمة بالحركة والتي أشارت إليها العديد من الآيات القرآنية.

العبارة:

«وَتَفَجُّرِ الْبِحَارِ»

يمكن أن تكون إشارة إلى ظهور البحار أو الحركة التي

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ١١٩

تظهر تلك الأمواج العاتية ونعلم أنّ البحار مركز عجائب مخلوقات الله حيث ورد في دعاء الإمام السجاد عليه السلام:

«يَا مَنْ فِي الْبِحَارِ عَجَائِبُهُ» [٢١٧]

وأنها مصدر مهم للمواد الغذائية والمعدنية ووسيلة مناسبة للنقل بصورة واسعة جدا ومصدر ظهور السحب وهطول الأمطار. وكثرة الجبال إشارة إلى عددها الجرم والذى جعلها تبدو كدرع يحيط بالكرة الأرضية وتكسر الرياح العواتى وتحفظ بالسحب لسقى الأراضي وتمنح الأرض الهدوء والاستقرار إزاء عمليّة المد والجزر الناشئة من الجاذبية الأرضية، كما أنّ سفوحها مرعى خصب للدواب والأنعام. كما أنّ استطالة القطعان تؤدى إلى ادّخار المياه بصورة برّد أو حبات ثلج على سفوحها فتتحدّر تدريجيا إلى الأراضي القاحلة فتسقيها بالمياه، كما تسقى الإنسان والحيوان، قال القرآن الكريم: «وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا\* أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا\* وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا\* مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ» [٢١٨].

وأشار الإمام عليه السلام فى النهاية إلى نقطه مهمه من حياة الإنسان والى تمثل فى اختلاف اللغات واللهجات وكثرة الألسن، فكيف تعددت هذه اللغات وكيف كان لكل قوم لغتهم الخاصية مع أنّ الجميع ينحدر من ذات الأب والام؟ فالآن هنالك أكثر من ألف لغة فى العالم بما فيها اللغات الرسمية والمحلية، وقد أفاض الله على الإنسان استعداداً لخلق اللغة بحيث تتمكن كل جماعة من اختراع لغة ووسيلة للتفاهم بينها ولعل ذلك لى تنحصر أسرارهم بينهم دون أن يطلع عليها الآخرون، قال القرآن الكريم: «الرَّحْمَنُ\* عَلَّمَ الْقُرْآنَ\* خَلَقَ الْإِنْسَانَ\* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» [٢١٩].

وقال أيضاً: «وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتَلَفَ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ» [٢٢٠].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٢٠

ولما فرغ الإمام عليه السلام من استدلالاته الرصينة والمقنعة فى إثبات وجود الله أتجه صوب من ينكر وجود الله ليفند دعواه الواهية بدليلين. (طبعاً قلما يرى فى القرآن ونهج البلاغة كلام بشأن الماديين ومنكرى الذات الإلهية القدسية، ذلك لأنهم كانوا قلّة قليلة آنذاك وكان أكثر الناس ممن يعتقدون بالأديان والمذاهب).

فقال عليه السلام:

«فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدَّرَ، وَجَحَدَ الْمُدْبِرَ!».

إشارة إلى أنّ آثار التدبير فى أرجاء عالم الخلق كافّة على درجة من الوضوح بحيث لا يستحق منكر مدبر العالم سوى الويل واللعنة.

ثم قال عليه السلام:

«رَزَعُمَا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ، وَلَا لِاخْتِلَافِ صُورِهِمْ صَائِعٌ».

طبعاً هذه العبارة بسبب النظرة الساذجة التى يبدىها الإنسان عادة تجاه العلف المهمل والحال من وجهة نظر عالم النبات أنّ كلّ ورقة منها هى دفتر من معرفة الله تعالى وقد توصل العلماء المعاصرون اليوم إلى أنّ آلاف الأنوع من هذا النبات يختزن العديد من الخواص الطبية والعلاجية ولكل منها بنية معقدة، الجذور والسيقان والأوراق والبذور كلّ منها تبدو أعجب من الاخرى إذن يتّضح من تأملها أنّ لها زارعاً وخالقاً عليمًا وقديرًا.

ثم فند الإمام عليه السلام قولهم بدليلين: فقال أولاً:

«وَلَمْ يَلْجَأُوا [٢٢١] إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا،

وَلَا تَحْقِيقَ لِمَا ادَّعَوْا [٢٢٢].».

والدليل الثانى أنّ لكلّ بناء منظم ومبنى مرتب مهندس ومعمار فقال عليه السلام:

«وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ، أَوْ جِنَائَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ».

وتوجد اليوم العديد من الآثار والمباني هنا وهناك فى الكرة الأرضية وقد مرّت عليها آلاف السنين وحفظت كآثار تراثية لما فيها من دقة وفنون وليس هنالك أحد

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٢١

من عباد الله ولا أحد من الماديين من يدعى أن هذه المباني ظهرت بواسطة الأمطار والرياح والعواصف أو أنها رتبت من قبل أفراد جهال من عديمي الخبرة عن طريق الصدفة، بل يجمع الجميع دون استثناء على وجود الباني لها صاحب العقل والشعور ويشيد بهندسته وفنه في البناء.

والعبارة:

«أَوْجِنَايَهُ مِنْ غَيْرِ جَانٍ»

إشارة إلى أنه ليس فقط البناء بحاجة إلى علم وتدبير بل التخريب والجناية المتعمدة تحتاج إلى تخطيط الشخص العاقل الذي يتعين عليه انتخاب الزمان والمكان والوسيلة وكيفية ممارسة العمل لتحقيق الهدف.

ويستعان اليوم بذوى الخبرة والاختصاص فى هدم بعض المباني الضخمة بغية تفادى وقوع العوارض الجانبية، وعليه فالبناء والهدم المبرمج كلاهما يحتاج إلى العقل والتدبير.

والدليل على هذا الكلام ما سيرد فى القسم القادم من هذه الخطبة وكلام الإمام عليه السلام عن الجراد وبنيته العجيبة وعمله التخريبي المنظم ضد النباتات.

## تأمل

### قبات من برهان النظم

ما قاله الإمام عليه السلام فى العبارة الأخيرة من هذه الخطبة:

«وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ، أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ»

إشارة لطيفة إلى البرهان المعروف ببرهان النظم الذى يعدّ من أهم الاستدلالات على معرفة الله.

توضيح ذلك:

أنا حين نرد مبناً ضخماً ذا عدّة طبقات يحتوى على غرف متعددة، وصالة للاستقبال، ومطبخ وحمام، ومرافق صحية، ومصاعد وحين ننظر إلى الجدران والسقوف المزينة بالمرامى الجميلة والنقوش الظرفية الملونة ووسائل التكييف والتبريد ومد أنابيب المياه والغاز وخطوط الكهرباء والهاتف فرى كلّ شىء منظم ومرتب.

فهل هنالك من أحد- مهما كانت درجته من العقل والشعور- يحتمل أن الصدفة الناشئة من الحوادث الطبيعية المختلفة هي التى تقف وراءه؟ أم أن عدّة عمال أميين

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ١٢٢

جمعوا مقداراً من مواد البناء فبنوا هذا البناء الرائع دون أن يكون لديهم أدنى فن أو خبرة؟

قطعاً أن كلّ من يحتمل هذا الشىء إما أن يمزح أو أنه فقد عقله، فالعقلاء كافة يحكمون بأنّ بعض الأفراد الأذكياء أعدّوا خريطة مسبقة ثم تكاتف عدد من المهندسين البنائين المهرة والمختصين وذوى المهن المنزلية ليشيدوا معاً هذا المبني.

ويصدق هذا الكلام على كلّ بناء وكل مصنع وكل كتاب علمى و... ويعبر عن ذلك ببرهان النظم ويقال إنّ النظم يدل دائماً على عقل وشعور من يأتى به، وكلّما كان النظم أدق وأعقد كان صاحبه أوعى عقلاً وشعوراً وعلماً.

ولو تأملنا بنية نملّة والتي يمكن أن نقضى عليها لحظة واحدة دون أن نلتفت إليها لوقفنا على أنّها أعظم وأهم من تلك المباني الشاهقة والضخمة، فبنية الأرجل، ومفاصلها والأيدى والمجسات والعين الغاية فى الصغر وجهاز الشائمة القوى الذى يمكنها من الشّم من مسافات بعيدة والفم والأمعاء وجهاز الهضم وسلسلة الأعصاب والأهم من كلّ ذلك الدماغ الغاية فى الصغر والخارق للذكاء

لكشف كل منها بمفرده خلقه من قبل خالق عالم وقدير.

أضف إلى ذلك فإن هذه الحشرة الصغيرة تتغذى وتنمو وتنجب بينما ذلك المبنى الضخم موجود جامد خالٍ من الروح لا يأكل ولا يشرب ولا ينمو ولا ينجب.

والحق أن إيماننا ليتعمق بذلك الخالق القادر والعالم إن اتجهنا صوب بنية الإنسان وأجهزته الغاية في التعقيد كالقلب والدماغ والأعصاب وألوف الكيلومترات من الشرايين والأوعية الدموية التي تغذى كل لحظة جميع ذرات البدن.

أضف إلى ذلك فإننا نعلم أن العالم يحتوى على مئات الألوف من أنواع النباتات ومئات الألوف من أنواع الحيوانات والطيور والحشرات و... ولكل منها قصته العجيبة والمذهلة.

والقرآن المجيد جعل كل واحدة منها آية من آياته فقال: «سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ» [٢٢٣].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٢٣

## القسم الخامس

### إشارة

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجَرَادَةِ، إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ، وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ، وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ، وَفَتَحَ لَهَا الْفَمَ السَّوِيَّ، وَجَعَلَ لَهَا الْحِسَّ الْقَوِيَّ، وَنَابَتَيْنِ بِهِمَا تَقْرُضُ، وَمِنْجَلَيْنِ بِهِمَا تَقْبُضُ. يَزْهَبُهَا الزُّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ، وَلَا يَسِدُّ تَطْيَعُونَ ذُبَّهَا، وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ، حَتَّىٰ تَرَدَّ الْحَرْتُ فِي نَزْوَاتِهَا، وَتَقْضَىٰ مِنْهُ شَهَوَاتِهَا. وَخَلَقَهَا كُلُّهُ لِأَيْكُونَ إِضْبَعًا مُشْتَدِّقَةً.

## الشرح والتفسير: صنع الجراد

يمكن تصنيف الحشرات إلى ثلاثة أنواع؛ الصنف الذي يخدم الإنسان كالنحل الذي يزودنا بالشهد وعامة النحل التي تنقل حبوب اللقاح وتنمي ثمار الأشجار.

والصنف الآخر الحشرات غير المؤذية (ظاهرياً) التي لا تعود على الإنسان بالنفع ولا تصيبه بضرر، والصنف الثالث الحشرات التي تعد من الآفات مثل الجراد.

وقد أسهب الإمام عليه السلام في الأقسام السابقة من هذه الخطبة في عجائب خلقه النمل في أنها وجودات خالية من الأضرار غالباً ومجدة ومثابرة يمكن أن تكون نموذجاً للإنسان؛ لكنه تحدت هنا عن حشرة تعد من وسائل العذاب الإلهي وبإمكانها أن تجهز جيشاً لتهاجم به على الحقول والمزارع ولا يسع قوة الحد من زحفها، وهكذا يفصح الله تعالى عن قدرته في جميع الجهات ويرسخ لدى الإنسان شعور الخوف والرجاء.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٢٤

فقال:

«وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجَرَادَةِ [٢٢٤]، إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ، وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ [٢٢٥]، وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ، وَفَتَحَ لَهَا الْفَمَ السَّوِيَّ [٢٢٦].»

وأضاف قائلاً:

(وَجَعَلَ لَهَا الْحِسَّ الْقَوِيَّ، وَنَابَتَيْنِ [٢٢٧] بِهِمَا تَقْرُضُ، وَمِنْجَلَيْنِ [٢٢٨] بِهِمَا

تَقْبِضُ».

صرح بعض العلماء بأن الجراد حشرة عجيبة يشبه كل عضو منها أحد الحيوانات، وبعبارة أخرى مع أنها تبدو حشرة ضعيفة لكنها تشبه عشرة حيوانات قوية، فوجهها كوجه الفرس، وعيونها كعيون الفيل ورقبتها كرقبة البقرة، ومجساتها كقرني الضبي وصدورها كصدر الأسد وبطنها كبطن العقرب وأجنحتها كأجنحة العقاب وسيقانها كسيقان الجمل وأرجلها كأرجل النعامة وذيلها كذيل الحية، وقد أشار الإمام عليه السلام في هذه العبارات إلى سبع خصائص عجيبة فيها؛ كالعيون والأحداق والأذن الخفية والفم والشعور القوى والأسنان الحادة والعضوين اللذين يشبهان منجلين على جانبي الفم (وسنعرض لها في التأمّلات).

ثم تطرق عليه السلام إلى الأخطار العظيمة لهذه الحشرة التي تبدو ضعيفة فقال:

«يَرْهَبُهَا الزُّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ، وَلَمَّا يَسِي تَطْيَعُونَ ذَبَّهَا، وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ، حَتَّى تَرِدَ الْحَرْثَ فِي نَزْوَاتِهَا [٢٢٩]، وَتَقْضِي مِنْهُ شَهَوَاتِهَا. وَخَلَقَهَا كُلُّهُ لَأَيْكُونَ إِصْبَعًا مُسْتَدْفِقًا [٢٣٠].»

حقاً أنه لمن العجب أن كبار أبطال التاريخ كلما جهّزوا جيشاً لمقاومة هذه الحشرة الضعيفة فشلوا في التخلص منها؛ فأسراب الجراد تظهر كقطع السحب

نفحات الولاية، ج٧، ص: ١٢٥

الكبيرة في السماء فتهاجم بغتة على البساتين والمزارع الواسعة، فتلتهم خلال مدّة قصيرة سيقان النباتات وأغصانها وأوراقها فتحيلها إلى أشجار عارية جرداء من الأوراق والثمار.

ويستعان اليوم بالطائرات التي ترش المبيدات الحشرية وسائر الوسائل لمواجهة خطر هذه الآفة مع ذلك لم تحرز سوى بعض التقدم وفي بعض الأحيان، وإن كانت حملة الجراد قوية، فإنّ الوسائل المعاصرة هي الأخرى تعجز عن مواجهتها.

**تأمل**

### عجائب الجراد

إنّ إحدى الحشرات العجيبة هي الجراد، الحشرة التي تبدو بصورة عادية خالية من الضرر والأذى حيث تعيش هنا وهناك في المزارع والبساتين والوديان والجبال، ولكن ما أن تتلقى بعض الأوامر المشفرة حتى تتكاثر بسرعة وتتطاير كأسراب عظيمة بمثابة السحب في السماء لتحط على كل مزرعة وبستان فتحيله خراباً.

ويقول العلماء: إنّ بنية هذه الحشرة غاية في التعقيد والدهشة ومن ذلك لها عيانان مركبتان وثلاثة عيون بسيطة، وتتكون عيونها المركبة من أربعة آلاف قسم ولكل قسم بنيتة الخاصّة وتتشكل من جميع هذه العيون المركبة رؤية واحدة.

أمّا العيون الثلاثة البسيطة فتقع في أعلى الرأس، ويتألف صدرها من ثلاث حلقات وبطنها من عشر حلقات تشبه بعضها البعض الآخر. لها زوجان من الأجنحة زوج أمامي بصيغة مقوسة لا- يستعمل في الطيران ووظيفته حفظ أجنحة الطيران الظرفية التي تنطبق حين الاستراحة لتحفظ تحت الأجنحة الأمامية القوية.

وقد استطالت أرجلها الخلفية لتساعد في القفز والوثوب، تضع الجراد بيوضها في فصل الصيف أو الربيع، حيث تخرج هذه البيوض بواسطة نوع من المواد

نفحات الولاية، ج٧، ص: ١٢٦

من ذيلها فتضعها في ثقب من الأرض تصنعها بنفسها، وتمتاز صغار الجراد التي تتفقس عن البيوض بشدّة النهم والحرص فتأكل كل ما يصادفها في طريقها، ومن هنا لا بدّ من التعرف على موضع بيوضها من أجل مكافحتها والتصدي لصغارها قبل تفقيسها من البيوض.

والجراد أنواع وأقسام منه الجراد البحرى والجراد المراكشى والجراد الإيطالى الذى يسبب خسارة للمزارع أكثر من غيره من سائر الأنواع، ومن عجائب هذه الحشرة أنها تغير شكلها ست مرّات منذ تفقيسها من البيضة إلى تكاملها كحشرة قادرة على الطيران. وتبدو أسراب الجراد على درجة من السعة بحيث تغطى آلاف الكيلومترات المربعة من السماء [٢٣١].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٢٧

## القسم السادس

### إشارة

فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ (مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا)، وَيُعَفِّرُ لَهُ خَدًّا وَوَجْهًا، وَيُلْقِي إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سَلْمًا وَضَعْفًا، وَيُعْطِي لَهُ الْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفًا! فَالطَّيْرُ مُسِيخَةٌ لِأَمْرِهِ؛ أَحْصَى عِدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا وَالنَّفْسَ، وَأَرْسَى قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدى وَالْيَبْسِ؛ وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا، وَأَحْصَى أَجْنَاسَهَا. فَهَذَا غُرَابٌ وَهَذَا عَقَابٌ. وَهَذَا حَمَامٌ وَهَذَا نَعَامٌ؛ دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ، وَكَفَلَ لَهُ بَرزُقِهِ. وَأَنْشَأَ (السَّحَابَ الثَّقَالَ) فَأَهْطَلَ دِيَمَهَا، وَعَدَّدَ قِسَمَهَا. فَبَلَ الْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا، وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا.

### الشرح والتفسير: الله العظيم

بين الإمام عليه السلام فى ختام الخطبة خلاصة عامة ليعتبر موجودات الأرض والسماء كافة وأنواع الطيور والسحب والرياح مؤتمرة بأمره سبحانه وتعالى فقال:

«فَتَبَارَكَ [٢٣٢]

اللَّهُ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ

«مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا» [٢٣٣]

، وَيُعَفِّرُ [٢٣٤] لَهُ خَدًّا [٢٣٥]

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٢٨

وَوَجْهًا، وَيُلْقِي إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سَلْمًا وَضَعْفًا، وَيُعْطِي لَهُ الْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفًا!.

ربما يكون السجود هنا إشارة إلى الخضوع الإرادى للذات الإلهية المقدسة فاعله أصحاب العقول والذى يفهم من كلمة «مَنْ»، كما يحتمل أن يكون المراد من السجود الإرادى التشريعى والتكوينى، إستناداً إلى أن مفردة «مَنْ» تشمل هنا ذوى العقول وغيرهم (أى لها حيثية تغليبية كما فى الاصطلاح).

ويمكن أن تكون العبارة

«طَوْعًا وَكَرْهًا»

إشارة إلى هذا المعنى، لأنّ السجود التشريعى قائم على أساس الإرادة، بينما ليست هنالك مثل هذه الإرادة فى السجود التكوينى، وعليه فربما تكون إشارة إلى الطائفة التى تسجد مختارة لله والآخرى التى تسجد حين البلاء والشدة كما ورد فى القرآن الكريم: «فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ» [٢٣٦].

كما أن العبارة

«يُعَفِّرُ لَهُ ...»

إن فسرت بمعناها الحقيقى فهى إشارة إلى السجدة الاعتيادية التى يضع فيها الإنسان جبهته على التربة، وإن فسرت بالمعنى المجازى

فهى شاملة للخضوع التشريعى والتكوينى.

كما أن العبارة

«يُلْقَى إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ...»

واردة بهذا المعنى أيضاً فى أن طائفة من العقلاء يخضعون لله إنطلاقاً من الرغبة والاختيار والشعور بالضعف والعجز بينما تعيش الموجودات غير العاقلة حالة التسليم لقوانين الخلق دون إرادة واختيار.

وتشير العبارة

«يُعْطَى لَهُ الْقِيَادَ...»

إلى مرحلة أبعد من مرحلة الطاعة لأن الإنسان يسمع أمر المولى فى الطاعة فينهض ويباشر العمل، أما فى القيادة فهو يسلم نفسه لمولاه ليأخذه حيث يشاء.

ثم وذهب بعض اللغويين إلى التمييز بين «الرهبة» و «الخوف» فى أن «الخوف» يعنى مطلقه، بينما تعنى الرهبة الخوف المقرون بالاضطراب وضبط النفس.

ثم خاض الإمام عليه السلام ثانية فى جانب من مخلوقات الله العجيبة هى الطيور التى

نفحات الولاية، ج٧، ص: ١٢٩

تمتاز حقاً بعالمها العجيب. فلا يقتصر الأمر على تحليقها إلى السماء باتجاه مضاد للجاذبية الأرضية فتنتقل هنا وهناك بسرعة فائقة، بل تمتاز بنيتها ببعض الأشياء المعقدة من جميع الجهات التى سنعرض إلى جانب منها فى ختام هذا البحث فقال:

«فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ».

والعبارة اقتباس من الآية الشريفة: «أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» [٢٣٧].

ثم أسهب الإمام عليه السلام فى شرح هذه الطيور فأشار إلى بعض الأمور المهمة فقال:

«أَخْصَى عَدَدَ الرِّيشِ [٢٣٨] مِنْهَا وَالنَّفْسَ، وَأَرْسَى [٢٣٩] قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدى [٢٤٠] وَالْيَيْسِ؛ وَقَدَّرَ

أَقْوَاتَهَا، وَأَخْصَى أَجْنَاسَهَا. فَهَذَا عُرَابٌ وَهَذَا عُقَابٌ. وَهَذَا حَمَامٌ وَهَذَا نَعَامٌ؛ دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ، وَكَفَّلَ لَهُ بَرزْقِهِ».

أشار الإمام عليه السلام فى هذه العبارات إلى أمور رائعة، فعَدَّ ريش الطيور من أغرب عجائبها فكل منها يشبه البرعم الجميل الذى غاصت جذوره بصورة سطحية فى لحم بدنه وظهرت أغصانه وأوراقه بصورة منتظمة وتجمعت على بعضها بهيئة خاصّة على جوانب الرأس والعنق والجناح والصدر وما أن يسقط أحد منها حتى ينمو آخر غيره فلطافتها عجيبة وألوانها أعجب.

ثم أشار إلى أقدامها فقد صممت بعضها لليابسة فهى قصيرة ومحكمة، وأخرى للفائدة عند حافات البحار والأنهار فهى طويلة ومرتفعة وبرقبة طويلة لتمكن الطائر من تناول طعامه من داخل المياه.

ثم تطرق عليه السلام إلى موادها الغذائية حيث لكل حصته من الحبوب وما شابه ذلك

نفحات الولاية، ج٧، ص: ١٣٠

والطريف فى الأمر أن أثيراً من الطيور لا- يملك أسناناً لضم هذه الحبوب وبالمقابل زودت بمعدة (والتي يطلق عليها اسم القانصة) والتي تمتاز بحراراتها الشديدة فتفرز بعض السوائل التى تطحن الحبوب وتمتصها، وحيث لا تمتلك الوقت الكافى لالتقاط الحبوب خشية مهاجمتها من مختلف الأعداء فقد زودت بعضو آخر هو الحوصلة التى تشبه الكيس فتقوم عن طريقها بجمع سريع لتلك الحبوب ثم تهضمها وتمتصها.

ثم أشار إلى أنواع مختلفة ومتفاوتة للطيور حيث لكل بيتته الخاصية وطريقته المختصة به كالغراب والعقاب إلى الحمام والنعام والى



انطوت على العديد من العجائب والغرائب بما يبهت الإنسان فتعالى الله الملك الحق الذي أبدع كل هذا الخلق.

ولعل العبارة

«دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ»

تشير إلى هذا الموضوع حيث إنه سبحانه خلق كل طائر من هذه الطيور على ضوء ما أَرَادَهُ من خصائص والواقع هذه دعوة تكويته مع مجموعة الخصائص التي عبّر عنها بالاسم وشبيه تلك العبارة التي وردت في القرآن الكريم بشأن خلق جميع الموجودات: «أَنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» [٢٤١].

واختتم الإمام عليه السلام خطبته بالإشارة إلى السحب التي تعدّ المصدر الأصلي بما تفيضه من مياه ضرورية لحياة جميع الموجودات فقال:

«وَأَنْشَأَ

«السَّحَابَ الثَّقَالَ» [٢٤٢]

فَأَهْطَلَ [٢٤٣] دِيمَهَا [٢٤٤]، وَعَدَّدَ قِسَمَهَا. فَبَلَ الْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا [٢٤٥].»

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٣١

وإننا لنعلم أن السحب على أنواع فهناك السحب المغطاة التي تخلو تقريباً من المياه وتلك التي تحمل قليلاً من الماء، والنوع الثالث السحب المتجمعة المليئة بالمياه والشديدة الرطوبة وكأنها بحار علقت في عنان السماء وتكون عادة في الطبقات السفلى من الجو والتي عبّر عنها القرآن الكريم بالسحاب الثقال فقال:

«وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَاهُ لِبَدِّ مَيْتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ» [٢٤٦].

## تأمل

### دروس عظيمة بعبارات قصيرة

تعلمنا من هذه الخطبة عدّة دروس؛ ومن ذلك أن نتأمل أسرار عظمة الله حتى في أصغر موجودات هذا العالم، فما أكثر الموجودات الصغيرة والتي لا تبدو في ظاهرها مهمّة كالنمل والجراد بينما تختزن عجائب أسرار الخلق، فما علينا إلّا أن نعيد النظر في رؤيته كل شيء وكأننا نراه لأول مرّة لنقف على عجائبه فنستدل من خلالها على خالقها الحكيم والقادر العليم.

جدير ذكره أن الأسلاف ذكروا بعض الأمور عن أسرار خلق الموجودات ولا سيما الحيوانات والتي لا تخلو من الأساطير والخرافات والحال ما ذكره الإمام عليه السلام في هذه الخطبة وسائر خطب نهج البلاغة عن أسرار الخليفة يخلو تماماً من أي إغراق وخرافة واسطورة.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٣٣

## الخطبة ١٨٦

### إشارة

فِي التَّوْحِيدِ وَتَجْمَعُ هَذِهِ الْخُطْبَةُ مِنْ أَصُولِ الْعِلْمِ  
مَا لَا تَجْمَعُهُ خُطْبَةٌ [٢٤٧]

### نظرة إلى الخطبة

تحدّث الإمام عليه السلام في هذه الخطبة عن صفات الله تعالى ليشير إلى أكثر من سبعين صفة حيث لم يلاحظ ذكر هذا العدد من صفات الجلال والجمال في أي من سائر الخطب.

والواقع كشف الإمام عليه السلام في هذه الخطبة عن قدرات تفكيره الرباني في شرح وتوضيح أعقد المسائل العقائدية، فتطرق إلى تفاصيل صفاته تعالى الثبوتية والسلبية

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ١٣٤

والإضافية بنظام خاص ورائع، وما أحرانا أن نعدّ ذلك بمنزلة سورة التوحيد- التي اعتبرتها بعض الروايات أنها تعدل ثلث القرآن الكريم- في نهج البلاغة.

والخطبة في الحقيقة قسم واحد هو شرح أسماء الله وصفاته لكننا من باب المسامحة نقسمها إلى ثلاثة أقسام، قسم يتحدّث عن صفات الله الثبوتية والقسم الآخر في صفاته السلبية وقسم ثالث في قدرته تعالى في مسألة المعاد وعودة الناس إلى الحياة الآخروية.

وبالتالي فإنّ كلّ من يتأمل هذه الخطبة ليقطع بأنّ أحداً من الفلاسفة الإلهيين في الماضي والحاضر لم يقدموا مثل هذه الصورة الرائعة والدقيقة والجلية بشأن الله تعالى؛ حتى أنّ من يطلع على هذه الخطبة من غير المسلمين لا يملك إلّا الإشادة بقائلها.

\*\*\*

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ١٣٥

### القسم الأول

#### إشارة

مَا وَحَدَّهُ مِنْ كَيْفِهِ، وَلَمَّا حَقِيقَتُهُ أَصَابَ مِنْ مَثَلِهِ، وَلَا إِيَّاهُ عَنَى مِنْ شَبَّهَهُ، وَلَا صَمَدَهُ مِنْ أَسَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ. كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَضِينُوعٌ، وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ. فَاعِلٌ لِابْأَضْرَابِ آلِهِ، مُقَدَّرٌ لِابْجَوْلِ فِكْرِهِ، غَنِيٌّ لَا بَاسِيَةَ تَفَادَهُ. لَا تَصِيحْبُهُ الْأَوْقَاتُ، وَلَا تَرْفُدُهُ الْأَدْوَاتُ؛ سَبَقَ الْأَوْقَاتُ كَوْنَهُ، وَالْعَدَمَ وَجُودَهُ، وَالْأَبْتِدَاءَ أَرْزَلَهُ. بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عَرَفَ أَنْ لَمْشَعَرَ لَهُ، وَبِمُضَادَّتِهِ بَيَّنَّ الْأُمُورَ عَرَفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ، وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيَّنَّ الْأَشْيَاءَ عَرَفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ. ضَادَّ النُّورَ بِالظُّلْمَةِ، وَالْوُضُوحَ بِالْبُهْمَةِ، وَالْجُمُودَ بِاللَّبَلِ، وَالْخُرُورَ بِالصَّرْدِ. مُؤَلَّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا، مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايَنَاتِهَا، مُقَرَّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا، مُفَرَّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا.

### الشرح والتفسير: أضواء مهمة في صفات الله

تشتمل هذه الخطبة الشريفة كما ورد سالفاً على مواضيع قيمة ومباحث هامة في علم الله والتي بينت بمنتهى الفصاحة والبلاغة وحسن الأسلوب وانسجام العبارات، فقد استهل الإمام عليه السلام الخطبة بالإشارة إلى جانب من صفات الله السلبية فقال:

«مَا وَحَدَّهُ مِنْ كَيْفِهِ، وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مِنْ مَثَلِهِ، وَلَا إِيَّاهُ عَنَى مِنْ شَبَّهَهُ، وَلَا صَمَدَهُ [٢٤٨] مِنْ أَسَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ».

نقحات الولاية، ج٧، ص: ١٣٦

فقد أشار الإمام عليه السلام في أول صفه من صفاته السلبية إلى مسألة نفى الكيفية عن الله تعالى، تلك الحالة التي تعرض على الجسم المادى أو الموجود الروحاني وبما أن طرو العوارض دليل على المخلوقية فإن الذات الإلهية الطاهرة لا تطرأ عليها الكيفية كونها أزلية وأبدية.

ثم نفى الإمام عليه السلام عن الله في الصفه الثانية أى شبيه ومثيل، ذلك إن كان له مثل وكانت هذه المثلية في جميع الجهات لأصبح عينه، وإن كانت في بعض الجهات لزم منها التركيب (تركيب ما به الاشتراك وما به الامتياز) والتركيب لا ينسجم مع كونه واجب الوجود، ذلك لأن كل مركب يحتاج أى أجزائه ولا معنى للحاجه في واجب الوجود، وبعبارة أخرى تكون الأجزاء في المرتبة السابقة للكل، وعليه إن كان واجب الوجود لكانت تلك الأجزاء، لا (الكل) المولود من تلك الأجزاء، ومن جانب آخر فإن الذى يلزم من الأجزاء التعدد والتعدد محال في واجب الوجود، لأن واجب الوجود لامتناه من جميع الجهات ويستحيل وجود لامتناهين من جميع الجهات.

ونفى الشبيه في الصفه الثالثة عن الذات القدسيه، فالذات اللامتناهيه من جميع الجهات لا شبيه لها (الفارق بين المثل والشبيه أن المثل يلاحظ في جميع الجهات أو أكثر الصفات بينما الشبيه يمكن في بعض الجهات).

وقال في الصفه الرابعة والخامسة: من أشار إلى الله أو توهمه لم يعرفه، لأن الإشارة الحسية دلالة على الجسميه والاشتمال على الجهه والمكان المنزه لله منها، وتوهمه يعنى جعل حدود لذاته اللامحدوده، وعلى هذا الأساس نقول ليس لأحد درك ذاته سبحانه وعلمنا به هو علم إجمالى فنقول مثلاً: الله خالق وخالق لهذا العالم.

ثم أشار عليه السلام إلى صفتين أخريين فقال:

«كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ، وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُومٌ».

نقحات الولاية، ج٧، ص: ١٣٧

قلنا كراراً أن الله وجود لا متناه من جميع الجهات ولا يستوعبه فكرنا المحدود، ولهذا فهو أسمى من الخيال والقياس والظن والوهم، فإن قيل: فكيف نعرف الله؟

نقول: عن طريقين رئيسيين؛ الأول الإشارة إلى آثاره وأفعاله التي ملأت عالم الوجود وكلما أمعنا النظر في شىء رأينا إجمالاً خلفه، والآخر عن طريق تحليل حقيقة الوجود التي تنتهى إجمالاً بواجب الوجود والذى يصطلح عليه (برهان الصديقين) والذى أشير إليه في الأحاديث والأدعية بعنوان

«يا مَنْ دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ»

وهو أيضاً علم إجمالى؛ لا علم بكنهه وحقيقته ذاته الخارجة عن متناول جميع الأفكار بما فيها أفكار الأنبياء والأولياء.

كما توضح هذه النقطة أن كل شىء قائم بآخر سواء بصورة عرض عارض على ذلك الشىء أو بصورة وجود جوهرى متوقف عليه، على كل حال معلول آخر والله تعالى واجب الوجود ليس بمعلول؛ بل هو القيوم؛ أى القائم بذاته وقيام الآخرين به.

ثم أشار عليه السلام إلى أفعاله وتدييره وغناه فقال:

«فَاعِلٌ لِبَاطِطِرَابِ آلِهِ، مُقَدَّرٌ لَأَبْجُولِ [٢٤٩] فِكْرِهِ، غَنِيٌّ لِبَاسْتِفَادَةِ».

لأن الشخص إنما يستعين فى عمله بالوسائل والأدوات من حيث كانت قدرته محدودة ولا بد له من الاستفادة والاستعانة بتلك الوسائل ومن يحتاج فى تدييره الفكر والمطالعة فإنما يعزى ذلك لمحدودية علمه وهذا ما يدفعه لزيادة فكره ومطالعاته؛ أما من كان علمه وقدرته لامتناهين فهو غنى عن كل ذلك كما أن جميع الأغنياء غيره يصبحون أغنياء عن طريق كسب المال والمقام وأمثال ذلك من خارج وجودهم أما الله تعالى فهو الغنى بالذات.

قال تعالى في القرآن الكريم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ» [٢٥٠].

نفحات الولاية، ج٧، ص: ١٣٨

ثم واصل كلامه عليه السلام في بيان هذه الصفات فقال:

«لَا تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ، وَلَا تَرْفُدُهُ [٢٥١] الْأَدْوَاتُ؛ سَبَقَ الْأَوْقَاتُ كَوْنُهُ، وَالْعَدَمَ وُجُودُهُ، وَالْأَبْتِدَاءَ أَرْزُلُهُ».

العبارة:

«لَا تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ ...»

تشير إلى أنّ الزمان أمر حادث واللّه تعالى الأزلي والأبدى الذات لم ولن يقترن بالحوادث كما لم تكن الأدوات والآلات سنده ومعينه.

والفارق بين هذه العبارة والعبارة:

«فَاعِلٌ لِّأَبَاضِطْرَابِ آلِهِ»

يمكن أن تكون في أنّ الكلام في العبارة السابقة في أفعال الله التي لا- تتطلب الآلات والأدوات؛ بينما تشير هذه العبارة إلى عدم استعانتها بهذه الأدوات في بقائه.

العبارة:

«سَبَقَ الْأَوْقَاتُ كَوْنُهُ ...»

في الواقع، شرح للعبارة

«لَا تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ»

لأننا حين نفرّ بأن وجوده أسمى من الزمان والمكان نخلص إلى نتيجة أنّ وجوده سبق الزمان وتقدم على العدم وأنّ أزلته مقدمة على كلّ بداية.

وهنا يرد هذا السؤال، وهو أنّ الإمام عليه السلام قال: وجوده سبق عدمه والحال العدم ليس بالشىء الذى يسبقه وجود الله والجواب

يمكن القول إنّ المراد من العدم هنا هو انعدام المخلوقات أى أنّ الله تعالى كان موجوداً حين لم يكن أى من الموجودات.

ويقال أحياناً هذه العبارة كناية عن كون الله واجب الوجود لأنّ الذات الواجبة الوجود كائنه وستكون على الدوام وتتغلب على العدم ولا يعرض لها العدم بأى شكل من الأشكال.

وتشير العبارة:

«وَالْأَبْتِدَاءَ أَرْزُلُهُ»

إلى أنّ الذات الأزليّة والأبدية أسمى من أن يكون لها ابتداء.

ثم خاض عليه السلام في صفات أخرى كلّ واحدة منها أهم من الأخرى فقال:

نفحات الولاية، ج٧، ص: ١٣٩

«بِتَشْعِيرِهِ [٢٥٢] الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَمْ شَعَرَ لَهُ»

، لأنّ وجود الحواس من لوازم المخلوقات الممكنة الوجود ويتنزّه عن ذلك واجب الوجود، أضف إلى ذلك أنّ الحواس من عوارض

الموجودات، والعرض والمعروض شيان مختلفان بينما نعلم أنّ ليس للتركيب من سبيل إلى ذات الله.

بعبارة أخرى لقد دلّ الله تعالى بخلقه الحواس لعباده أنّ الاحساس والحواس عارضة ومنفصلة عن ذات الأشياء، وهنا فهم العباد أنّ

ليس له حواس لأنّ ذاته ليست محلاً للعوارض.

ثم قال عليه السلام:

«وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَأُضِدَّ لَهُ، وَبِمُقَارَبَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَأَقْرِبَنَّ لَهُ»

وتفسير هذا الكلام أنّ وجودين متضادين يكونان قطعاً محدودين ولهما حالتان مختلفتان، والحال الذات الإلهية ليست محدودة ولا شيء عارض عليها، كما أنّ الموجودين المقرونيين محدودان ولهما عوارض مشابهة بينما الذات الإلهية لامحدودة من كلّ الجهات وعارياً من كلّ العوارض.

وواصل الإمام عليه السلام كلامه بالإشارة إلى بعض المصاديق من الأمور المتضادة فقال:  
«ضَادُّ النَّوْرِ بِالظُّلْمَةِ، وَالْوُضُوحُ بِالْبُهْمَةِ» [٢٥٣]، وَالْجُمُودُ بِالْبَلْبَلِ، وَالْحَزْرُورُ بِالصَّرْدِ [٢٥٤].

طبعاً ينطوي هذا التضاد على فلسفه تتمثل في إيجاد التوازن وإزالة آثار السوء لكلّ شيء بآخر، فلو أشرقت الشمس على جانب من الكرة الأرضية دائماً وغط الجانب الآخر منها في ظلمة دائمة لزلت الحياة عاجلاً؛ فالجانب الذي يتعرض إلى الشمس يحترق بفعل شدة الحرارة ويهلك، كما يجمد ويزول ذلك الذي يعيش الظلمة: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَظْلَمَةٍ» [٢٥٥]؛ «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكُونُونَ فِيهِ أَوْ لَظْلَمَةٍ» [٢٥٦]؛ «وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» [٢٥٧].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٤٠

قد يقال هنا إنّ الظلمة أمر عدمي وليس بالشئ الذي خلقه الله أو يكون مضاداً للنور.

وهو ذات السؤال الذي ورد في الآية الشريفة: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ» [٢٥٨].

ولكن بالإلتفات إلى هذه النقطة وهي أنّ ظلمة الليل وأمثالها ليست ظلمة مطلقة لتكون عدمية، بل ضعف شديد للنور ومن هنا حين تطفأ المصابيح في الليل فجأة لا نكاد نرى شيئاً مطلقاً، ولكن بالتدرج تعاد عيوننا ذلك النور الضعيف في جوف الظلمة فنبداً برؤية الأشياء من حولنا، وعليه فالظلمة مخلوق من مخلوقات الله مضادة للنور.

ويمكن أن تكون العبارة

«وَالْوُضُوحُ بِالْبُهْمَةِ»

إشارة إلى اختلاف الألوان وفلسفه ذلك تمييز الأشياء عن بعضها البعض الآخر، فالوضوح إشارة إلى الألوان الفاتحة والبهمه إلى الألوان الغامقة والقائمة، أو إشارة إلى الحالات شبه المضيئة وشبه المظلمة بين الطلوعين والغروبين.

«وَالْجُمُودُ بِالْبَلْبَلِ»

أشار إلى اليابسة والبحار والأشياء الجامدة والمرطوبه والتي لكلّ منها فلسفته الوجودية المختصة به.

كما تشير

«وَالْحَزْرُورُ بِالصَّرْدِ»

إلى فصول السنة أو بصورة كلية الحرارة والبرودة والتي لكلّ منهما دوره في حياة ورشد الكائنات الحية.

ثم أشار عليه السلام إلى أربع صفات أخرى فقال:

«مُؤَلَّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا، مُقَارَنٌ بَيْنَ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٤١

مُتَبَايِنَاتِهَا، مُقَرَّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا، مُفَرَّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا»

. حيث تطرق الإمام عليه السلام إلى أمور غاية في الأهمية اعتمدها الله سبحانه وتعالى في تدبير عالم الوجود، فقد جمع في أغلب الموارد بين الضدين فربط بين الروح هذا الجوهر اللطيف الذي يفوق المادة مع هذا الجسم الترابي وجعل عدّة موجودات مختلفة إلى جانب بعضها البعض الآخر الأمر الذي نلاحظه في تركيب بدن الإنسان والحيوان والنبات حيث جعل عشرات الفلزات وأشباه الفلزات

إلى جانب بعضها البعض الآخر ليخلق منها ذلك التركيب البديع، والعجيب أنه جعل الجاذبية والتناقض بين الضدين كالقطب الكهربائي الموجب والقطب السالب وبين القطبين المتشابهين أو جد حالة من التنافر كما في القطبين الموجبين أو القطبين السالبيين كما جعل جاذبية بين الجنس المذكر والمؤنث والتنافر بين المتجانسين.

وهكذا فقد أشار الإمام عليه السلام إلى أربعة أقسام من موجودات العالم: قسم منها متضاد كالنور والظلمة والروح والجسم، وآخر متباين كأنواع النباتات والحيوانات المتباينة غير المتضادة وقد جعل الله بينها جميعاً نوعاً من الألفة.

والقسم الثالث تلك المتباعدة وقد قربها الله كالأزواج من قومين منفصلين عن بعضهما البعض الآخر ويقتربان ببعضهما إثر الحب والمودة.

وأخيراً القسم الرابع الأمور القريبة من بعضها ذاتاً، وقد أبعدها الله عن بعضها بتدبيره لهذا العالم مثل كرات المنظومة الشمسية التي كانت مع بعضها البعض حسب النظرية المعروفة ففصلها الله تعالى وخلق المنظومة الشمسية.

رغم أن الأجزاء المركبة للنباتات وأوراقها تنفصل عنها بعد الجفاف وتتحول إلى عناصر فعالة لتنمية سائر الأشجار والنباتات كما أن سحب الغيوم أحياناً تتصل مع بعضها من مختلف المناطق بواسطة الرياح فتتهطل الأمطار الحيوية، كما يأمر الرياح بحملها إلى مناطق أخرى

نعم! فربوبيته وتدبيره تقتضى أحياناً أن يجمع بين الضدين وأحياناً أخرى للتقريب بين المتباينين وثالثة تقريب المتباعد وإبعاد المتقارب.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٤٢

## تأمل

### كيفية الجمع بين الضدين

يعتقد البعض أن العالم مؤلف من جمع الأضداد والتضاد سبب التكامل وحسب بعض الحكماء

«لَوْلَا التَّضَادُّ مَا صَحَّ الْفَيْضُ عَنِ الْمَبْدَأِ الْجَوَادِ»

. كما استدلل البعض على هذا المطلب بعبارة الإمام عليه السلام الواردة في الخطبة:

«مُؤَلَّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا، مُقَارَنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا...».

ويرى اتباع المدرسة المادية الديالكتيكية أن أحد المبادئ الأربعة يتمثل في الجمع بين الضدين ويزعمون أن كل موجود يحمل ضده في داخله وبظهور الضد يزول الموجود السابق ويضربون على ذلك مثال البيض والدجاجة وأمثال ذلك ليخلصوا في النتيجة إلى أن المجتمع الرأسمالي يبلور مضطراً داخله ضده الذي يتمثل في المجتمع الاشتراكي والشيوعي وما تظهر حتى تزول الرأسمالية، وهكذا طرحوا مبادئهم الواهية الجوفاء على هذا الأساس بحيث اتضح ضعفهم وعجزهم عملياً على مستوى الظاهر، وقد لمسنا كيفية إنهاء هذه المدرسة.

ويجب الالتفات إلى أن الجمع بين الضدين (أو النقيضين) مصطلح فلسفي يعنى الجمع في محل واحد من جميع الجهات بمعنى أن يكون الشيء الواحد أسوداً وأيضاً في آن واحد، وهذا محال؛ أو يكون مكان معين في لحظة معينة ليلاً ونهاراً أو يكون الإنسان حياً وميتاً في زمن معين ومن الطبيعي أن الجمع بين هذين النقيضين محال بهذا المعنى، ولكن أحياناً يكون المراد الجمع العرفي: كأن يجتمع جسمان أبيض وأسود مع بعضهما في آن واحد أو في زمنين متصلين، فأحياناً يكون الجسم أيضاً وأخرى أسوداً.

وهذا المعنى ليس ممكناً فقط فحسب بل شمل جوانب عظيمة من هذا العالم وعلى ضوء هذه النقطة نعود إلى أصل الموضوع فنقول:

فى العالم الذى نعيش فيه فإن مدبره هو الذات الإلهية القدسية التى أشاعت نظام الأضداد، وكما ورد فى كلام

نفحات الولاية، ج٧، ص: ١٤٣

الإمام عليه السلام فقد مزج النور بالظلمة والحرارة والبرودة واليبوسة والبلل ووظف نظام الليل والنهار والفصول الأربعة والسحب والأمطار والشمس ببعض الأعمال المهمة، وأحياناً يلاحظ بين الأمثال أن عضواً من أعضاء الإنسان أو النبات ليس فقط لا يتضادان بل هما منسجمان مع بعضهما.

على كل حال فإن التضاد بالصيغة المذكورة من شأنه فى أغلب المواقع أن يلعب دوراً مهماً فى تطوير المجتمع البشرى وتكامل الكائنات؛ والتنافس البناء فى كل مجتمع مدعاة للتطور وعادة ما يؤدى إلى القوة والمنعة فى مختلف المجالات حتى أن وجود الشيطان أمام المؤمنين مدعاة لتأصل ورسوخ إيمانهم.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج٧، ص: ١٤٥

## القسم الثانى

### إشارة

لَا يُشْمَلُ بِحَدِّ، وَلَا يُحَسَبُ بِعَدِّ، وَإِنَّمَا تَحْدُ الْأَدْوَاتُ أَنْفُسَهَا، وَتُشِيرُ الْأَلَاتُ إِلَى نَظَائِرِهَا. مَنَعَتْهَا «مُنْدُ» الْقَدَمِ، وَحَمَّتْهَا «قَدُ» الْأَزْلِيَّةِ، وَجَبَّتْهَا «لَوْلَا» التَّكْمِلَةُ! بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ، وَبِهَا امْتَنَعَ عَنِ نَظَرِ الْعُيُونِ، وَلَا يَجْرَى عَلَيْهِ السُّكُونُ وَالْحَرَكَةُ، وَكَيْفَ يَجْرَى عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ، وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ، وَيَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثَهُ! إِذَا لَتَفَاوَتْ ذَاتُهُ، وَلَتَجَزَأَ كُنْهُهُ، وَلَامْتَنَعَ مِنَ الْأَزْلِ مَعْنَاهُ، وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءَ إِذْ وُجِدَ لَهُ أَمَامٌ، وَلَالْتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ. وَإِذَا لَقَامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ، وَلَتَحَوَّلَ دَلِيلًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولًا عَلَيْهِ، وَخَرَجَ بِسُلْطَانِ الْأَمْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثَّرَ فِيهِ مَا يُؤَثَّرُ فِي غَيْرِهِ. الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْأَفْوَلُ. لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُودًا، وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُودًا. جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ، وَطَهَّرَ عَنِ مُلَامَسَةِ النَّسَاءِ.

## الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فى هذا القسم إلى صفات أخرى من صفات الله السلبية فقال:

«لَا يُشْمَلُ بِحَدِّ، وَلَا يُحَسَبُ بِعَدِّ، وَإِنَّمَا تَحْدُ الْأَدْوَاتُ أَنْفُسَهَا، وَتُشِيرُ الْأَلَاتُ إِلَى نَظَائِرِهَا».

وتفسير العبارة الأولى والثانية واضح لأن الله وجود لا متناه من جميع الجهات ولو كان محدوداً لما كان واجب الوجود، بل لأصبح ممكن الوجود كذلك لو حسب بعدد لكان من الممكنات التى يمكن عدها، وقولنا إن الله واحد لا بمعنى الواحد

نفحات الولاية، ج٧، ص: ١٤٦

العددى بل بمعنى عدم وجود مثل له: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» [٢٥٩].

بينما اختلف شراح نهج البلاغة فى تفسيرهم للعبارتين الثالثة والرابعة بسبب الإبهام الذى يسودها ولعل مفتاح حل المشكلة فى تفسير هاتين العبارتين يكمن فى هذا الأمر وهو أن القرائن تشير إلى أن المرحوم السيد الرضى قد حذف العبارات المرتبطة بهاتين العبارتين درجاً على عادته فى الاقتطاف.

ورغم حرص المرحوم الرضى على عدم بتر العبارات المرتبطة مع بعضها إلا أن ذلك قد يقع سهواً ونسياناً أحياناً.

والشاهد على سقوط بعض العبارات في هذه الخطبة ما ورد في «تحف العقول» حيث قال الإمام عليه السلام: «لَا تَفَوَّتُهُ مَتَى وَلَا تَدْنِيهِ قَدٌّ وَلَا تَحْجُبُهُ لَعْلٌ وَلَا تُفَارِئُهُ مَعَ وَلَا تَشْتَمِلُهُ هُو» إِنَّمَا تَحَدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا وَتَشِيرُ الْأَلَّةُ إِلَى نَظَائِرِهَا». فهذه الكلمات (بعض العبارات مثل متى وقد ولعل ومع وهو) تحدد نفسها (أى تستعمل فقط حين يكون للزمان والمكان وعدم العلم إليها من سبيل) وهذه العبارات إنما تشير إلى نظائرها (النظائر الموجودة في عالم الممكنات لا الذات المقدسة التي لا نظير لها). ثم أكد عليه السلام هذا الكلام بقوله:

«مَعْتَهَا مُنْدٌ، الْقِدْمَةُ، وَحَمَّتْهَا قَدٌّ، الْأَزْلِيَّةُ، وَجَبَّتْهَا لَوْلَا» [٢٦٠].

توضيح ذلك: أن المفردة  
(مُنْدٌ)

تستعمل حيث السيرة التاريخية لوجود الشيء، وعليه واستناداً إلى استعمال هذه المفردة بشأن الممكنات يمكن التوصل بسهولة إلى أنها حادثة وليست قديمة، كما أن المفردة  
(قَدٌّ)

حين تستعمل في الماضي تعنى

نفحات الولاية، ج٧، ص: ١٤٧

وقوع الشيء القريب من الزمن الحاضر وهذا أيضاً لا ينسجم مع الأزلية، كما تستعمل المفردة  
(لَوْلَا)

حيث المانع الذى يكمن فى طريق تكامل الشيء، كالقول الذى نقله القرآن الكريم على لسان الكافرين حين مخاطبتهم للمستكبرين: «لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ» [٢٦١]. واستناداً إلى أزليته وأبديته سبحانه وكماله المطلق فلا تستعمل بحقه هذه الأدوات والعبارات. ثم قال الإمام عليه السلام فى بيانه لصفات أخرى من صفات الله أنه تجلى للعقل بخلقه لمخلوقاته ومن هنا تعذرت رؤيته بهذه العيون: «بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ، وَبِهَا امْتَنَعَ عَن نَظَرِ الْعُيُونِ».

نعم، فآثاره واضحة فى كل زاوية من زوايا عالم الوجود ومنها ندرك وجوده المقدس؛ مع ذلك لا يمكن رؤيته بعين، لأن رؤية العين تختص بالأجسام ذات الزمان والمكان والأجزاء والجهة، والله منزّه عن كل هذه الأمور.

ثم تعرض الإمام عليه السلام لمسألة مهمّة أخرى ليتحدّث بشأن نفى السكون والحركة عن الذات القدسيّة فقال عليه السلام:

«وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ السُّكُونُ وَالْحَرَكَةُ، وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ، وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ، وَيَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَخْدَثُهُ!».

نعم، فالحركة والسكون من عوارض الممكنات، والحركة أن يكون للشيء موضعين أو حالتين فى زمانين، والسكون أن يكون له فى زمانين نفس المكان والحالة، وعليه فالسكون حادث والحركة كذلك؛ لأن كلا الصفتين بيان للحالة الثانية للشيء التى مضى عليها الزمان، بعبارة أخرى فى الحالة الأولى لا سكون ولا حركة بينما للسكون والحركة معنى فى الحالة الثانية، فإن كان فى المكان الأول سكون كان فى موضع آخر حركة.

أضف إلى ذلك إن كانت الحركة فى المكان والزمان والكييفية وما شابه ذلك فهى من عوارض الجسم وكذلك إن كانت الحركة فى الجوهر، وأنا لنعلم أن الله ليس

نفحات الولاية، ج٧، ص: ١٤٨

بجسم ولا بجوهر.

والنتيجة هى أن الحركة والسكون من مخلوقات الله ومن الممكنات وليس لها من سبيل قط إلى الذات القدسيّة واجبة الوجود.

ثم خاض الإمام عليه السلام ليدكر ثمانية أدلة على هذا الموضوع فقال:



الأول: لوجرت عليه الحركة والسكون

«إِذَا لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ»

ونعلم أنه وجود ذوكمال مطلق وليس لأى تغيير من سبيل إلى ذاته الثابتة.

والثانى لزم أيضاً:

«وَلَتَجَزَأَ كُنْهَهُ»

لأن ما يلزم الحركة بلوغ الموجود نقطة لم تكن عنده، وعليه فوجوده مركب مما ما بالفعل وما بالقوة.

والثالث:

«وَلَأَمْتَنَعَ مِنَ الْأَزْلِ مَعْنَاهُ»

، لأن الحركة والسكون كما قلنا حادثان وذاته سبحانه أزليته وقديمته ويستحيل الجمع بين الحادث والقديم.

والرابع: يلزم من الحركة

«وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءَ إِذْ وُجِدَ لَهُ أَمَامٌ»

، لأن للحركة بأى اتجاه وبأى مفهوم لها جهة تعدد أمامية وما يعاكسها جهة خلفية.

والخامس: يلزم من الحركة البحث عن الكمال، فمن عانى النقص يبحث عن الكمال

«وَلَأَلْتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النَّقْصَانُ»

، لأن الحركة إما إلى النقص أو الكمال، ومهما كانت فهي تعنى عدم مطلقيته الموجود المتحرك.

السادس: لو تخللت الحركة لظهرت فيه آية الخلق

«وَإِذَا لَقَامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ».

السابع: أنه لو كان كذلك لكان دليلاً على وجود خالق آخر، لا أن تكون المخلوقات دليلاً عليه:

«وَلَتَحْوَلَ دَلِيلًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولًا عَلَيْهِ».

الثامن: فسوف لن يؤثر عليه ما يؤثر على غيره بسبب قوته المطلقة

«وَخَرَجَ بِسُلْطَانِ الْأَمْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثَّرَ فِيهِ مَا يُؤَثَّرُ فِي غَيْرِهِ»

. إشارة إلى أن سلطته المقتدرة وغير القابلة للتغيير إلا أن يكون فى معرض الحوادث وما يؤثر فى غيره لا يؤثر عليه، لأن ذاته القدسيّة

ليست قابلة للتغيير.

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ١٤٩

وزبدة الكلام فإن الحركة سواء كانت فى العرض أو الجوهر، فى الكمية (كنمو بدن الإنسان أو النبات) أو فى الكيفية (كتغير الألوان

فى عالم الطبيعة وزيادة ونقصان الحرارة والبرودة فى فصول السنة) وسواء كانت نحو الكمال (كنمو الطفل) أو نحو النقصان (كالضعف

والعجز لدى الكهول) ليس لها من سبيل إلى الذات القدسيّة، واجب الوجود وكمال مطلق وتختص الحركة بالممكنات والوجودات

الناقصة.

أضف إلى ذلك فإن الحركة عبارة عن الجزئية والحدوث التى ليس لها من سبيل إلى الذات الأزليّة.

ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى بيان سبع صفات أخرى ذات علاقة قوية بمسألة الحركة فقال:

«الَّذِي لَا يَحْوُلُ وَلَا يَزُولُ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْأَفُولُ».

فالتغيير والزوال والأفول والغروب كلها من عوارض الموجودات الممكنة والمحدودة والناقصة ولا تتصور هذه الصفات على الله.

ثم قال عليه السلام:

«لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُودًا، وَلَمْ يُوَلَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُودًا. جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ، وَطَهَّرَ عَنِ مُلَامَسَةِ النِّسَاءِ».

لا شك في أن كل هذه الأمور من قبيل الولادة والزواج والولد والابن من عوارض الوجودات الجسمية، والله سبحانه ليس بجسم وليست له عوارض جسمية، أضف إلى ذلك كل هذه الأمور من علامات الحدوث وكذلك الحاجة، وهوليس بحادث ولا محتاج. والعبارة:

«لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُودًا»

إشارة إلى الوضع المعروف لدى الكائنات الحيّة التي تولد من أحد ومن جانب آخر يولد منهم أولادهم، وعليه فلا يبدو النقص على آدم عليه السلام أنه صاحب ولد لكنه لم يولد من أحد لا يبدو وارداً لأن آدم عليه السلام كان فرداً استثنائياً، إضافة إلى أن آدم إن لم يولد من إنسان فقد ولد من التراب وهذا بحد ذاته نوع ولادة.

\*\*\*

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ١٥١

### القسم الثالث

#### إشارة

لَا تَنَالُهُ الْأَوْهَامُ فَتَقْدَرُهُ، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطْنُ فَتَصَوِّرُهُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتَحِسُّهُ، وَلَا تَلْمِسُهُ الْأَيْدِي فَتَمَسُّهُ. وَلَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ، وَلَا يَتَبَدَّلُ فِي الْأَحْوَالِ. وَلَا تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ، وَلَا يُعَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظُّلَامُ. وَلَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ، وَلَا بَعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ، وَلَا بِالْغَيْرِيَّةِ وَالْأَبْعَاضِ. وَلَا يَقَالُ: لَهُ حَدٌّ وَلَا نِهَايَةٌ، وَلَا انْقِطَاعٌ وَلَا غَايَةٌ؛ وَلَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ فَتَقْلَهُ أَوْ تُهْوِيهِ، أَوْ أَنَّ شَيْئًا يَحْمِلُهُ، فَيَمِيلُهُ أَوْ يَعْدِلُهُ. لَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ بَوَالِجٍ، وَلَا عَنْهَا بِخَارِجٍ. يُخْبِرُ لَا يَلْسَانٌ وَلَهَوَاتٍ، وَيَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَأَدْوَاتٍ. يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ، وَيَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَظُ، وَيُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ.

يُحِبُّ وَيُرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ، وَيُبْغِضُ وَيُبْغِضُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ. يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ: (كُنْ فَيَكُونُ)، لَا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ، وَلَا بِبِنَاءٍ يُسْمَعُ؛ وَإِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ وَمَثَلُهُ، لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَائِنًا، وَلَوْ كَانَ قَدِيمًا لَكَانَ إِلَهًا ثَانِيًا.

### الشرح والتفسير: جانب من صفاته المطلقة

إن من النقاط المهمّة الواضحة والمتجلية في كلمات الإمام عليه السلام في هذه الخطبة هي نفيه عليه السلام عن الله تعالى أي صفة من الصفات الماديّة والجسميّة بعبارات متنوعة؛ ذلك لأن أغلب الناس يعانون من التشبيه في معرفة الله ويصورون له في أذهانهم بعض صفات المخلوقات وهذا خطأ جسيم لا يغفر.

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ١٥٢

وقد ركز هذا الموحد العارف بالله كراراً على هذه المسألة لينقذ مخاطبيه من هوة التشبيه بعبارات غاية في الجمال والروعة والدقة.

ومن هنا قال في مواصلته للأبحاث السابقة في هذا الجانب من الخطبة:

«لَا تَنَالُهُ الْأَوْهَامُ فَتَقْدَرُهُ، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطْنُ فَتَصَوِّرُهُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتَحِسُّهُ، وَلَا تَلْمِسُهُ الْأَيْدِي فَتَمَسُّهُ. وَلَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ، وَلَا يَتَبَدَّلُ فِي الْأَحْوَالِ. وَلَا تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ، وَلَا يُعَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظُّلَامُ».

«أوهام»

جمع

«وَهُمْ»

بمعنى قوة الخيال التي تتعلق بالمادة والمحسوسات ولو أحاط الوهم بالله لكان له مكان وزمان وكيفية وكمية، بينما ذاته المقدسة منزّهة عن هذه الأمور فللجسم أجزاء والزمان والمكان والتغير والحركة أمور ليست لها من سبيل إلى ذاته اللامتناهيّة.

«فِطْنٍ»

جمع

«فِطْنُهُ»

قوة العقل ويقال

«الْفِطْنِ»

وتشغل قوة العقل أيضاً بمساعدة الواهم والتصورات الذهنية المتعلقة بالأجسام، وعليه فلو أدرك بالعقل وبمساعدة الوهم لظهرت ثانية قضية العوارض الجسميّة.

العبارة:

«وَلَا تَلْمِئْهُ...»

بالنظر إلى أنّ اللمس يختلف عن المس، حيث يطلق المس على التماس بالأجسام بينما يطلق اللمس على الطلب والسعى للتماس - إشارة إلى أنه مهما يسعى الإنسان للمس تعالى بيده لما أمكن ذلك لأنه ليس بجسم فيلمس.

وأما بالإلتفات إلى ثبات ذاته فإنّ تغييره بمرور الزمان والحوادث كالنور والظلمة ليس بممكن؛ لأننا قلنا كراراً أنه وجود كامل ولا متناهٍ من جميع الجهات ويفوق المكان والزمان والحركة، ومثل هذه الذات لا تتأثر بالحوادث والتغيرات كما لا يجرى عليها ليل ونهار ونور وظلمة.

ثم أردف ذلك عليه السلام بقوله:

«وَلَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ، وَلَا بِعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ، وَلَا بِالْغَيْرِيَّةِ وَالْأَبْعَاضِ».

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٥٣

من الواضح أنّ جميع هذه الأمور أي الاشتمال على الأجزاء وأعضاء البدن وقبول العوارض - مثل الألوان والكمية المتفاوتة والكيفية - كلّها من خواص الجسم والجسمانيات والمادة والممكنات وكذلك التفاوت مع الأشياء الأخرى، لأنه يلزم من ذلك التركيب من قدر مشترك وما به الامتياز، وكل تركيب دليل على احتياج المركب إلى أجزائه والموجود المحتاج لا يكون واجب الوجود.

ثم بين الإمام عليه السلام صفات أخرى في مواصلته لبيان صفاته السليبة فقال:

«وَلَا يُقَالُ: لَهُ حَدٌّ وَلَا نِهَآيَةٌ، وَلَا انْقِطَاعٌ وَلَا غَايَةٌ؛ وَلَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ فَتَقِلُّهُ [٢٦٢] أَوْ

تُهْوِيَهُ [٢٦٣]، أَوْ أَنَّ شَيْئًا يَحْمِلُهُ، فَيَمِيلُهُ أَوْ يُعَدِّلُهُ».

هذه الصفات الست (الحد والنهائية والانقطاع والغاية والاحاطة والحمل) كلّها من صفات الأجسام والله منزّه عن الجسميّة فليس لهذه الصفات من سبيل إلى ذاته المقدسة.

وعلى فرض أنّ بعض هذه الصفات صادقة على غير الموجودات الماديّة، فمما لا شك فيه أنّها من صفات ممكن الوجود المحدود من كلّ جهة دائماً، وقلنا كراراً أنّ ذات واجب الوجود لامتناهيّة من جميع الجهات وعليه فلا- تجرى أي من هذه الصفات على تلك الذات.

أضف إلى ذلك فإنّ للصفات المذكورة لوازم هي الأخرى مرتبطة بعالم الأجسام، فالاحاطة بالشئ تؤدي إلى رفعه أو خفضه، وحمل

الشيء يسبب أحياناً ميله إلى جانب معين أو ثباته وكل ذلك من صفات الأجسام.

بل ذهب بعض الفلاسفة إلى أنه لا يمكن وصف الله تعالى باللانهاية لأنه قد يتداعى منه اللانهاية الجسمية، على كل حال سعى

الإمام عليه السلام في جوانب هذه

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٥٤

الخطبة لانتقال مخاطبيه من الوقوع في فخ التشبيه فنزه الله تعالى عن كل صفة من صفات مخلوقاته.

ثم أردف حديثه عن الصفات بذكر صفات أخرى فقال عليه السلام:

«لَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ بَوَالِجٌ [٢٦٤]، وَلَا عَنْهَا بَخَارِجٌ».

قد يتصور البعض من هذه العبارات التي وردت بشأن إحاطة الله تعالى بجميع الأشياء في هذه الخطبة وسائر الخطب والروايات أن

هنالك شيئاً من التناقض فكيف يكون هنالك وجود لا داخل في الأشياء ولا خارج عنها، إلا أن هذه حقيقة واقعة، ففي تشبيه ناقص

يمكن القول إن ذاته المقدسة هي روح عالم الوجود، وروح الإنسان في بدنه لا بمعنى أنها جزء من البدن كما أنها خارجة من البدن

لا بصفته غريبة عنه بل لها إحاطة تدبير وتصرف في الجسم، وإن خرجت هذه الروح من الجسم قطعت علاقتها تدبيرها وتصرفها؛

فيموت. فالله تعالى بمنزلة عالم الوجود.

ثم خاض عليه السلام في بيان خمس صفات أخرى فقال:

«يُخْبِرُ لَا يَلِيسَانِ وَلَهَوَاتٍ [٢٦٥]،

وَيَسْمَعُ لَا يَخْرُوقُ [٢٦٦] وَأَدَوَاتٍ. يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ، وَيَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَّظُ، وَيُرِيدُ وَلَا

يُضْمَرُ».

إشارة إلى اطلاق بعض الصفات على الله تعالى كالسميع والحفيظ والمتكل والمريد؛ لكنه مجرد من العوارض الجسمية والأسباب

المادية، لأنه ليس بجسم ولا- مادة، والسميع أو الحفظ بمعنى علمه بجميع الأقوال والكلمات وحفظه لجميع الحوادث الماضية وهي

نتيجة للحفظ والسمع والإرادة، عبارة أخرى فإن هذه العبارات من قبيل المجازات التي تفوق الحقيقة ولا ينبغي أبداً حين نسمع هذه

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٥٥

الألفاظ التي ابتدعها البشر لحياته اليومية وتتصف عادةً بالجسمية والمادية أن نتصور أنها تجري كذلك على الذات القدسية، بل لا بد

من التخلص من الأغشية الجسمية والمادية كافة حين استعمال هذه الألفاظ بشأن الله تعالى، وهي بالتالي من قبيل:

«خُذِ الْغَايَاتِ وَاتْرُكِ الْمَبَادِيءَ»

ليمكن استعمالها بشأن الله تعالى.

احتمل بعض شراح نهج البلاغة أن المراد في العبارة

«يَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَّظُ»

أن الله تعالى يحفظ الموجودات من الحوادث وهو لا- يحتاج إلى حافظ، ولكن بالالتفات إلى سائر الصفات التي وردت قبل هذه

الصفة يتضح أن المفهوم الصحيح لهذا الكلام ما ورد سابقاً بمعنى الإشارة إلى قوة الحافظة.

ثم أشار عليه السلام إلى صفتين فقال:

«يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ، وَيُغْضُ وَيَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ».

رغم أن البعض تصور معنيين مختلفين لـ

«يُحِبُّ وَيَرْضَى»

وكذلك

«يُغَضُّ وَيَغْضَبُ»

غير أن سياق كلام الإمام عليه السلام يفيد أنهما ذات معنى واحد أو استعملتا بمعنى واحد.

على كل حال فهاتان الصفتان تشبهان الصفات المذكورة سابقاً، لأسبابهما بعد سماوى، لكن نتيجهما تصدق على الله فمحبتنا ورضانا ممزوجة برقه القلب ونوع من الرغبة الباطنية كما أن بغضنا وغضبنا ألّم ومعاناه باطنية مقرونة بإثارة الأعصاب وارتفاع ضغط الدم، ومن البديهي أن هذه المعاني ليست صادقة على الله، ولذلك فسروا هذه الأوصاف بالنتيجة، فقالوا إن حب الله لعباده ورضاه عنهم بهذه الصيغة أنه يشملهم عملياً بنعمه وتوفيقاته وبغضه وغضبه على شخص في أن يسلبه النعمة والتوفيق والسعادة.

هذا النوع من التفسير بالنتيجة أحد المبادئ الأساسية الذي يستعمل بشأن العديد من صفات الله.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٥٦

ثم قال عليه السلام:

«يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ:

«كُنْ فَيَكُونُ» [٢٦٧]

نفحات الولاية؛ ج ٧؛ ص ١٥٦

، لَابِصُوتٌ يَفْرَعُ، وَلَا يَنْدَاءُ

يُسْمَعُ؛ وَإِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ وَمِثْلَهُ، لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَانَتْ، وَلَوْ كَانَ قَدِيمًا لَكَانَ إِلَهًا تَانِيًا.

مراد الإمام عليه السلام من هذا الكلام أن العبارة

«كُنْ فَيَكُونُ»

وردت في الآيات القرآنية بمعنى الأمر اللفظي؛ ليس من قبيل أوامر الملوك والسلطين لمن دونهم بحيث يجرون بعض الألفاظ على ألسنتهم ويسمعون مخاطبيهم، وربما ينفذون الحرس أحياناً للصراخ حتى يسمع صوتهم من مكان بعيد، بل أوامر الله تعالى هي أوامر تكوينية وبتعبير آخر هي فعل، فإن أراد شيئاً (الإرادة أيضاً بمعنى العلم بالنظام الأصح) يوجد مباشرة، فلو أراد لوجدت الكائنات في لحظة واحدة كما توجد في تلك اللحظة السماء والأرض والنجوم والمجرات ولو أراد أيضاً لوجدت بصورة تدريجية خلال ألف سنة أو ملايين السنين دون زيادة أو نقصان.

وفعل الله هو خلق الموجودات ليس على سبيل شبيه سابق؛ لأن الأمر لو كان كذلك لزم تعدد الوجود الأزلي وتعدد الإله والمعبود، وكما ذكرنا في أبحاث التوحيد فإن التعدد في هذا المورد محال لأن الوجود اللامتناهي واللامحدود من جميع الجهات يأبى التعدد.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٥٧

## القسم الرابع

### إشارة

لَمَا يُقَالُ: كَانَ بَعِيدًا أَنْ لَمْ يَكُنْ، فَتَجَرَى عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ، وَلَمَا يَكُونُ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَهُ فَضِيلٌ، وَلَمَا لَهُ عَلَيْهِمَا فَضْلٌ، فَيَسْتَوِي الصَّانِعُ وَالْمَصْنُوعُ، وَيَتَكَافَأُ الْمُتَبَدِّعُ وَالْبَدِيعُ. خَلَقَ الْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالِ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ، وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ. وَأَنْشَأَ الْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اسْتِعَالٍ، وَأَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ، وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمٍ، وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمٍ، وَحَصَّنَهَا مِنَ الْأَوْدِ وَالْأَعْوِجَاجِ، وَمَنْعَهَا مِنَ التَّهَابُفِ وَالْأَنْفِرَاجِ. أَرْسَى أَوْتَادَهَا، وَضَرَبَ أَسْدَادَهَا، وَاسْتَفَاضَ عُيُونَهَا، وَخَمَدَ أَوْدِيَّتَهَا؛ فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ، وَلَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ. هُوَ الظَّاهِرُ

عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَهُوَ الْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَالْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ. لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبَهُ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيْغْلِبُهُ، وَلَا يَفُوتُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقُهُ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى ذِي مَالٍ فَيَزُرُّهُ. حَصَّ عَمَتِ الْأَشْيَاءَ لَهُ، وَذَلَّتْ مُسِيئَتُهَا لِعَظَمَتِهِ، لَا تَسْتَطِيعُ الْهَرَبُ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعُ مِنْ نَفْعِهِ وَضَرِّهِ، وَلَا كُفَاءَ لَهُ فَيَكْفِيهِ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ فَيَسَاوِيهِ.

### الشرح والتفسير: صفات أخرى في الجمال والجلال

أشار الإمام عليه السلام في هذا الجانب من الخطبة إلى صفات أخرى من صفات الله ليكمل ما تطرق إليه سابقاً، فاتجه بادئ الأمر صوب أزلية الله تعالى فقال عليه السلام:

«لَا يُقَالُ: كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، فَتَجْرَى عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ، وَلَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٥٨

فَضْلٌ، وَلَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ، فَيَسْتَوِي الصَّانِعُ وَالْمَصْنُوعُ، وَيَتَكَافَأُ الْمُبْتَدِعُ وَالْبَدِيعُ [٢٦٨].

ثم خاض في شرح صفة أخرى من صفاته البارزة تعالى أي قدرته فتعرض لمسألة الابدع والخلق دون سابقة فقال:

«خَلَقَ الْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالِ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ، وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ»

. فحين نتأمل عالم الخلقه تطالعنا أنواع لا تحصى من المخلوقات في عالم الحشرات والنباتات والجمادات التي يمتاز كل منها ببنيتها البديعة وخلقها الرائع الخاص، وهي الموجودات التي ليس لها من سابقة وقد كساها الله سبحانه حلة الوجود من طيات العالم وساقها لمسيرتها التكاملية، والحال لو كان للإنسان بعض الصناعات لاكتسبها من الآخرين، فمثلاً تأمل الإنسان أجنحة الطيور وكيفيه طيرانها ففكر في صنع طائرة غاية في البساطة، ثم جاء العلماء في زمان لاحق الواحد تلو الآخر ليستفيدوا من الاختراع السابق ويجدوا في إتمامه حتى بلغ الأمر ذروة تكامله في عصرنا الراهن.

وعلى هذا الأساس فإن علماءنا إما يستلهمون من الطبيعة في اختراعاتهم أو من الآخرين فهم لا يقومون بعمل دون سابقة ولا يقومون به دون الاستعانة بالآخرين والحال أعمالهم محدودة بينما الله تعالى وفي إيجاده لهذه المخلوقات المتنوعة كافة والتي لا تعد ولا تحصى ليس بحاجة إلى سابقة ولا لمعونه أحد.

ثم اتجه عليه السلام إلى جانب آخر من قدرته اللامتناهية فقال:

«وَأَنْشَأَ الْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اسْتِعَالٍ، وَأَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ، وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمٍ، وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمٍ، وَحَصَّنَهَا مِنَ الْأَوْدِ [٢٦٩] وَالْأَعْوِجَاجِ، وَمَنَعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ [٢٧٠] وَالْأَنْفِرَاجِ [٢٧١].»

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٥٩

من المسلم به اليوم من قبل الجميع أن الكرة الأرضية تدور منذ ملايين السنين حول نفسها والشمس في مدار معين في الحركة وهذه الحركة على درجة من السرعة المنتظمة والهادئة بحيث لا يشعر بها سكان الأرض مما دفع العلماء السابقين لاعتبار الأرض ثابتة ومركز العالم، ترى ماهذه القدرة العظيمة التي حفظت ثبات الكرة الأرضية منذ ملايين السنين ورغم تعدد حركاتها دون دعائم وأعمدة، ودون أدنى تشقق وتحطم أجزاء رغم مضي كل هذه المدة الزمائية؛ وهل من قدرة غير القدرة الإلهية من شأنها القيام بهذا العمل؟ إننا لنعلم اليوم أن المسافة التي جعلت الأرض بهذا البعد عن الشمس وفي وضع طبيعي معلول للتعاقد بين قوة الجاذبة والدافعة، وعلى أساس الجاذبية فإن كل كتلتين تجذب إحداهما الأخرى بقوة تتناسب طردياً مع حاصل ضرب الكتلتين وعكسياً مع مربع المسافة بينهما. فهذه القوة تجعل الأرض تندفع بسرعة نحو الشمس فتجذب إليها وتتحول إلى بخار، ومن جانب آخر فإن الحركة الدورانية حول المركز تسبب فرار ذلك الجسم من المركز والتي تسمى قوة الطرد المركزي وكلما كانت الحركة أسرع كانت القوة الطاردة أكبر، ولذلك حين يدور القلاب الحجري بسرعة ويترك فجأة فإنه يقذف إلى نقطة بعيدة، وعليه وبغية دوران الأرض في مدارها

لملايين السنين بصورة طبيعية لا بد من مساواة قوة الجاذبية للقوة الطاردة، وتختل لهذه المعادلة لو إزدادت أو قلت المسافة وكذلك لو ازدادت أو قلت الحركة فتتية الأرض في الفضاء أو تنجذب باتجاه الشمس.

وهنا يرد هذا السؤال: لم كل هذه العبارات المختلفة؟

ذهب بعض شراح نهج البلاغة إلى أنها من قبيل العطف التفسيري؛ ولكن يبدو أن الإمام عليه السلام استعمل كل عبارة بمعنى معين ليوضح جوانب الموضوع كافة، توضيح ذلك إن أريد ثبات جسم فلا بد من موضع يستند إليه، ومن ثم حاجته لدعائم وأعمدة قوية ومحكمة، وقد قال الإمام عليه السلام إن الله أثبت الأرض دون الحاجة إلى

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ١٦٠

هذه الأمور، فهي تسبح في الفضاء بانتظام دون موضع وأعمدة، ثم أشار في العبارة اللاحقة إلى أن الله حال دون إعوجاج الأرض أو تهافتها وانفراجها وأودها، ولكل من هذه المفردات معنى معين، فالأود إشارة إلى الثقل والضغط الذي يؤدي إلى الإعوجاج، كما يوجب أحياناً التهافت أو الانفراج في البناء، والله حفظ الأرض من كل ذلك.

ثم تطرق عليه السلام إلى سائر عجائب الأرض والتدبير الإلهي لإعدادها للحياة البشرية فقال عليه السلام:

«أرسي أوتادها، وضرب أسدأدها» [٢٧٢]، واستفأض عُيونها، وخد [٢٧٣] أوديتها؛

فلم يهن ما بناه، ولا ضعف ما قواه».

فالعبرة الأولى إشارة إلى العديد من الآيات القرآنية الواردة بشأن الجبال وأن الله وتد بها الأرض وجعلها كالمسامير، فقد جاء في سورة النبا: «والجبال أوتاد» [٢٧٤][٢٧٥] ولما كان أحد آثار الجبال أنها تكمن بصورة سد في مقابل السيول والعواصف فقد عبر عنها بالأسداد، وبالنظر إلى أن الخلل والشق في الجبال والمواضع الخالية في بعض أقسامها يؤدي إلى خزن الماء ومن ثم جريان العيون، وكذلك شقوق الجبال التي تؤدي إلى ظهور الأودية وانحدار مياه الأمطار إلى الأودية فقد ركز عليها الإمام عليه السلام في خطبته.

ولما أراد عليه السلام الإشارة إلى ربوبيه الله وتدبيره والتي تعد من صفات أفعاله فقد تطرق إلى صفات الذات وأشار بعبارة غاية في الروعة والدقة إلى علم الله وقدرته ووحدانته فقال:

«هو الظاهر عليها بسطوانه وعظمته، وهو الباطن لها بعلمه ومعرفته، والعالى على كل شىء منها بجلاله وعزته. لا يعجزه شىء منها طلبه، ولا

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ١٦١

يمتنع عليه فيعلبه، ولا يفوته السريع منها فيسبقه، ولا يحتاج إلى ذى مال فيوزقه».

أساس كل هذه الصفات في الواقع علمه وقدرته اللامتناهية، ومن له القدرة اللامتناهية يغلب كل شىء ويسمو على كل موجود، لا يغلبه شىء ولا يفر من قدرته وبالطبع غنى عن الكل، لأنه القادر على كل شىء.

كما أن من كان علمه لامتناهياً فهو عليم ببواطن الأشياء وظواهرها بل الظاهر والباطن لديه على حد سواء، كما يتساوى لديه القوى والضعيف والبعيد والقريب والأعلى والأسفل.

ولا يخفى الدور الذى يلعبه الإلتفات إلى هذه الصفات فى تربية الإنسان وتزكيتة بغض النظر عن الارتقاء بمستوى معرفته.

ثم واصل كلامه عليه السلام فى شرحه لقدرة الله تعالى فى عالم الوجود فقال:

«خضعت الأشياء له، وذلك مستكينة لعظمته، لاتستطيع الهرب من سلطانة إلى غيره فتمتنع من نفعه وضره».

نعم فالعالم كله ملك الله وقوانينه حاكمه فى كل مكان وأينما أتجهنا فإنما نحن خاضعين لسلطانه وليس خارج ذلك إلى العدم ولا معنى للفرار من سلطته.

وهنا يتساءل شراح نهج البلاغة أن الفرار من الضرر ممّا لا شك فيه؛ ولكن ما المراد بالهروب من المنفعة؟

فأجابوا: إن المراد بأن الشخص إذا لم يرد أن يكون مديناً لآخر لكى لا يخضع له أو بعبارة أخرى يهرب من منافعه وعطاياه لكى لا

يضطر للخضوع له؛ فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا الْعَدَدِ لَا مَعْنَى لَهُ إِزَاءَ اللَّهِ وَلَطْفِهِ وَقَهْرِهِ.

قال تعالى: «قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً» [٢٧٦].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٦٢

ثم جرى الكلام هنا عن الامتناع عن قبول رحمة الله وعقابه فأشار عليه السلام إلى أن لا سبيل أمامكم سوى القبول سواء أراد بكم رحمة أو مصيبة إزاء رحمته؛ ففي كل الأحوال أنتم مدينون له.

ثم اختتم عليه السلام الخطبة بالتأكيد على وحدانيته سبحانه فقال:

«وَلَا كُفَّاءَ لَهُ فَيُكَافِئُهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ فَيَسَاوِيهِ».

قلنا مراراً، إن الذات الإلهية لامتناهية من جميع الجهات، ومن الطبيعي أن تستحيل الأثنية في الوجود اللامتناهي، لأن التعدد إنما يقترن دائماً بالمحدودية، لأن كل واحد منهما فاقد لوجود الآخر، أو بعبارة أخرى فإن حد كل واحد منهما نقطة نهايته وهذا ما لا ينسجم مع الذات الإلهية اللامتناهية وغير المحدودة.

والجدير بالذكر أن هذا القسم ينطلق بالتوحيد ويختتم بالتأكيد عليه بعد ذكر سلسلة من صفات الذات وصفات الأفعال.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٦٣

## القسم الخامس

### إشارة

هُوَ الْمُنْفَى لَهَا بَعِيدٌ وَجُودِهَا، حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا. وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعِيدٌ ائْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ ائْتِدَاعِهَا وَاخْتِرَاعِهَا. وَكَيْفَ وَلَوْ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا، وَمَا كَانَ مِنْ مَرَاكِهَا وَسَائِمِهَا، وَأَصْنَافِ ائْتِدَاعِهَا وَأَجْنَاسِهَا، وَمُتَبَلِّدَةِ أَمَمِهَا وَأَكْيَاسِهَا، عَلَى إِحْدَاثِ بَعْضِهَا، مَا قَدَّرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا، وَلَا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلِ إِلَى إِيجَادِهَا، وَلَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَتَاهَتْ، وَعَجَزَتْ قُوَاهَا وَتَنَاهَتْ، وَرَجَعَتْ حَاسِنَةُ حَسِيرَةٍ، عَارِفَةٌ بِأَنَّهَا مَفْهُورَةٌ، مُقَرَّةٌ بِالْعَجْزِ عَنِ ائْتِدَاعِهَا، مُدْعِنَةٌ بِالضَّعْفِ عَنِ ائْتِدَاعِهَا!

### الشرح والتفسير: العجز عن خلق بعوضة

تحدّث الإمام عليه السلام في هذا الجانب من الخطبة عن قضية فناء العالم وقدره الله المطلقة على خلق العالم وعدمه بعد أن فرغ من أبحاثه العميقة في الأقسام السابقة من هذه الخطبة بشأن خلق العالم ولا سيما الأرض وعجائبها فقال:

«هُوَ الْمُنْفَى لَهَا بَعْدَ وَجُودِهَا، حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا».

ثم واصل كلامه فقال:

«وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعِيدٌ ائْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ ائْتِدَاعِهَا وَاخْتِرَاعِهَا. وَكَيْفَ وَلَوْ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا، وَمَا كَانَ مِنْ مَرَاكِهَا [٢٧٧] وَسَائِمِهَا [٢٧٨]، وَأَصْنَافِ ائْتِدَاعِهَا [٢٧٩] وَأَجْنَاسِهَا، وَمُتَبَلِّدَةِ [٢٨٠] أَمَمِهَا وَأَكْيَاسِهَا،

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٦٤

عَلَى إِحْدَاثِ بَعْضِهَا، مَا قَدَّرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا، وَلَا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلِ إِلَى إِيجَادِهَا».

فهذا الكلام لا يعد حقيقة إبان صدوره من الإمام عليه السلام آنذاك، بل هو حقيقة واقعة اليوم، ذلك أنه لو اجتمع علماء العالم كافة



لخلق بعوضة لعجزوا عن ذلك، لأنّ قضيه بعث الحياة في الجمادات مستحيله، أضف إلى ذلك فإنّ بنية البعوضة من حيث الأجنحة والأرجل والدماغ والأعصاب وجهاز الهضم والانجاب على درجة من التعقيد والدقّة فغير الخالق سبحانه لا يستطيع المخلوق خلق بعوضة.

وتشير كل عبارة من العبارات:

«مَا قَدَرْتُ عَلَى إِحْدَائِهَا، وَلَا عَرَفْتُ كَيْفَ السَّبِيلِ إِلَى إِيجَادِهَا»

إلى نقطة معينة، فالعبارة الأولى تشير إلى عجز الإنسان والحيوان عن خلق بعوضة، بينما تشير العبارة الثانية إلى الجهل بتلك الأسباب والعوامل.

وقد ورد مثل هذا المعنى في القرآن الكريم بشأن خلق الذباب حيث قال تعالى:

«إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ» [٢٨١].

ثم قال عليه السلام:

«وَلْتَحَيَّرْتَ عَقُولَهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَتَاهَتْ، وَعَجِزَتْ قُوَاهَا وَتَنَاهَتْ، وَرَجَعَتْ خَاسِئَةً [٢٨٢] حَسِيرَةً [٢٨٣]، عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ، مُقَرَّةٌ بِالْعَجْزِ عَنِ إِثْنَائِهَا، مُدْعِنَةٌ بِالضَّعْفِ عَنِ إِفْنَائِهَا!».

نعم لو عزمت هذه البعوضة الصغيرة على أذى الإنسان وسائر الحيوانات ولم يحد الله من انجابها لتكاثرت بشكل يضيق الحياة على الإنسان ولعجزت كل المبيدات عن مواجهتها، وما نشاهده اليوم من القضاء عليها في بعض المناطق بفعل المواد السامة فذلك لأنها محدودة في انجابها وإلا لكانت كالجراد في خروجها عن

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٦٥

السيطرة ولشكلت أسراباً عظيمة تملأ أركان الفضاء، وهذه البعوضة التي تبدو في ظاهرها ضعيفة قد كشفت في بعض الأحيان عن قدرتها- بإذن الله- لتهاجم أحياناً بصورة جماعية فيلما فتقضى عليه.

ويمتاز بعضها- في ظروف معينة- بنقلها للميكروبات الخطيرة أو السموم القاتلة فتشعر الإنسان بعجزه عن مواجهتها لتثبت له مدى قدرتها.

## تأملان

### ١. المعاد الجسماني وإعادة المعدوم

تحدّث بعض شراح نهج البلاغة بشأن المعاد الجسماني عند العبارة

«هُوَ الْمَفْنَى لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا»

التي تصدر بها هذا الجانب من الخطبة واستشهدوا على ذلك بهذه الآية: «يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ» [٢٨٤].

ثم أضافوا أنّ جميع الأنبياء وخاصة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أخبر عن فناء هذا العالم، وأضافوا أنّ الفلاسفة خالفوا هذا الأمر لا على أساس عدم إمكانيّة فناء العالم، بل على أساس استحالة انعدام العالم مع بقاء العلة وهي الذات الإلهية المقدّسة.

ثم خاضوا في شرح مسألة امتناع إعادة المعدوم وأشاروا إلى شكّ البعض في مسألة المعاد الجسماني، والحقّ فناء العالم ليس بمحال، لأنّ الله فاعل مختار وإن رأى المصلحة خلق الشيء أو عدمه، كما ليس هنالك من شكّ في المعاد الجسماني، فقد صرح القرآن في

العديد من آياته بهذا الأمر، كما أنه ليس هنالك من دليل عقلي على امتناعه [٢٨٥].

وليست هنالك من علاقة بين مسألة استحالة إعادة المعدوم ومسألة المعاد، لأننا إن قلنا إعادة المعدوم مستحيلة؛ يعنى ذلك أن إعادة ذلك الشيء بجميع خصوصياته حتى الزمان والمكان محال وبالطبع ليست هنالك من عودة للزمان الذى مضى، إلا نقحات الولاية، ج٧، ص: ١٦٦

أن عودة الإنسان فى المعاد يوم القيامة لا تعنى عودة الزمان والمكان الماضيين، فليس هنالك من عاقل يزعم بعودة ذلك الزمان الذى عاشه فى الدنيا يوم القيامة، بل المراد عودة إنسان بجميع خصائصه فى زمان ومكان آخر، مثلاً حين يحيى المسيح عليه السلام ميتاً فسيكون ذلك الشخص السابق قطعاً وإن أحياء فى زمان ومكان آخر، وهكذا إحياء الأموات فى القيامة. وزبدة الكلام فما جاء فى هذه الخطبة هو بعينه ما ورد فى القرآن الكريم، بل شرح الإمام عليه السلام فى الواقع آيات المعاد هنا بعبارات رائعة وعميقة.

## ٢. الخلقه العجيبه للبعوض!

صرح الإمام عليه السلام فى هذا الجانب من الخطبة لواجتمعت الكائنات كافة لخلق بعوضه لما استطاعت، ولواطق الله العنان للبعوض فى التكاثر لما كانت هنالك من قوه فى العالم قادرة على القضاء عليها وكما أسلفنا فإن هذا الكلام لا يبدو حقيقه على عهد نزول القرآن وعصر الإمام فحسب بل هو كذلك حتى فى عصرنا الراهن.

فلبعوضه خلقه معقده؛ أغلبها لا تعيش سوى فى المياه الراكده فى حافات الأنهار والمستنقعات وما شابه ذلك، وتضع انثى البعوض ما يقرب من ١٥٠ بيضة فى كل مرة لتفقس عن بعوضه ولكل بعوضه وليده انبوب تنفسى نحيف للغاية يرتبط بسطح المياه تتعلق به البعوضه، ثم تظهر بعد بضعة أيام قشره على جوانبه كما يحدث الكثير من التغييرات فى بنيتها داخل القشره التى تبدو ظاهراً عديمه الحركة، وبعد عدده أيام تخرج البعوضه غير الكامله من تلك القشره فتطير وتقضى سائر عمرها لتعيش فى الهواء.

والتغييرات التى تطرأ خلال هذه المده القصيره على بنيه البعوضه وتحولها من كائن مائى إلى طائر حقاً لمذهله وعجيبه. يقول العلماء إن ذكور البعوض تتغذى على عصارة الفواكه وسوائل النباتات؛

نقحات الولاية، ج٧، ص: ١٦٧

بينما تتغذى الاناث على امتصاص الدم فهى تلسع الإنسان وتمتص دمه كماده غذائيه.

والبعوض حشرات صغيره لها جناحان ولو وضعت تحت المجهر لشوهدت بنيتها الظريفه والعجيبه ويستحيل على الإنسان صنع مثلها فضلاً عن كائن حى قادر على التغذيه والنمو والانجاب.

والعجيب أن بعضها عديمه اللون بحيث لا ترى بالعين المجرده.

والبعوض العادى وإن كانت حشرات مؤذيه قد تسلب الإنسان القوى والشديد البنيه نومه ليله كامله، لكنها غالباً ليست خطيره، مع ذلك هنالك بعض البعوض خطير وسام بحيث يستطيع القضاء على أقوى الحيوانات [٢٨٦].

نقحات الولاية، ج٧، ص: ١٦٩

## القسم السادس

### إشارة

وإنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ، يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحَدَهُ لَأَشَى مَعَهُ كَمَا كَانَ قَبْلَ ابْتِدَائِهَا، كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا، بِلَا وَقْتٍ وَلَا مَكَانٍ، وَلَا حِينَ وَلَا

زَمَان.

عُدِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْأَجَالِ وَالْأَوْقَاتِ، وَزَالَتِ السُّنُونَ وَالسَّاعَاتُ. فَلَا شَيْءَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الْأُمُورِ. بَلَا قُدْرَةَ مِنْهَا كَانَ ابْتِدَاءُ خَلْقِهَا، وَبَعِيرِ امْتِنَاعِ مِنْهَا كَانَ فَنَائُهَا، وَلَوْ قَدَرْتَ عَلَى الْأَمْتِنَاعِ لَدَامَ بَقَاؤُهَا. لَمْ يَتَكَأَذْهُ صُيُوعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ، وَلَمْ يُوَدِّهِ مِنْهَا خَلْقُ مَا خَلَقَهُ وَبَرَّاهُ، وَلَمْ يَكُونْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانِ، وَلَا لِحَوْفِ مِنْ زَوَالِ وَتُقْصَانِ، وَلَا لِلْإِسْتِغْنَاءِ بِهَا عَلَى نَدِّ مُكَاتِرٍ، وَلَا لِلْإِحْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدِّ مَثَاوِرٍ، وَلَا لِلْإِزْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِهِ، وَلَا لِإِمْكَاتِرِهِ شَرِيكَ فِي شَرْكِهِ، وَلَا لِيُوحِشَهُ كَانَتْ مِنْهُ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا.

### الشرح والتفسير: الغنى عن الخلق

قال الإمام عليه السلام في هذا الجانب من الخطبة ومواصلته لكلامه السابق بشأن وجود العالم وعدمه: «وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ، يُعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحَدَهُ لَأَشْيَاءَ مَعَهُ. كَمَا كَانَ قَبْلَ ابْتِدَائِهَا، كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا، بَلَا وَقْتٍ وَلَا مَكَانٍ، وَلَا حِينَ وَلَا زَمَانَ».

ثم واصل كلامه فقال:

«عُدِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْأَجَالِ وَالْأَوْقَاتِ، وَزَالَتِ السُّنُونَ وَالسَّاعَاتُ».

ثم استنتج من ذلك:

«فَلَا شَيْءَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٧٠

الأُمُورِ. بَلَا قُدْرَةَ مِنْهَا كَانَ ابْتِدَاءُ خَلْقِهَا، وَبَعِيرِ امْتِنَاعِ مِنْهَا كَانَ فَنَائُهَا، وَلَوْ قَدَرْتَ عَلَى الْأَمْتِنَاعِ لَدَامَ بَقَاؤُهَا».

إشارة إلى تسليم جميع عالم الخلق لإرادة الله سبحانه وتعالى، فليس له من اختيار في بداية خلقه ولا حين زواله ونهاية حياته، فلو كان خلقه وفنائها بيده لعاش الخلود، فمما لا شك فيه كل كائن يسعى لبقائه.

طبعاً هذا الكلام لا يتنافى مع كون الإنسان مختاراً في أفعاله، لأن مراد الإمام عليه السلام بيان بداية الخلق وختامه الخارج عن الإرادة والاختيار والذي يتم وفق الحكمة والمصلحة.

ثم أشار عليه السلام إلى هذه النقطة فقال:

«لَمْ يَتَكَأَذْهُ [٢٨٧] صُيُوعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ، وَلَمْ يُوَدِّهِ [٢٨٨] مِنْهَا خَلْقُ مَا خَلَقَهُ وَبَرَّاهُ».

لأن التعب والضعف والعجز من خصائص الإنسان المحدود القدرة، فإن أراد القيام بعمل يفوق طاقته فإنه يعجز، وإن كان بمستوى طاقته فإنه يشعر بالتعب أما بالنسبة لمن كانت قدرته مطلقة فحمل القشة من الأرض والجبل العظيم لديه على حد سواء فهو ليس بحاجة لوسيلة أو أداة ليستعين بها وإرادته تكفي في ذلك: «إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» [٢٨٩].

وينسجم كلام الإمام عليه السلام هذا مع ما ورد في جانب من آية الكرسي: «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا» [٢٩٠]:

وقال في موضع آخر بعد الإشارة إلى خلق السماء والأرض «وَلَمْ يَعْزِ بِخَلْقِهَا» [٢٩١].

ثم خاض عليه السلام في بيان هذه النقطة المهمة في أن خلقه لعالم الخلق لم يكن ليجلب

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٧١

نفع أو دفع ضرر لأنه غني بالذات ولا فناءه بعد خلقه لتعب منه، وهكذا ينفي أي حاجة تحتاجها الذات القدسية في خلق العالم ومن ثم في فوائده.

فقد أشار عليه السلام في القسم الأول إلى الأهداف السبعة التي يتطلع إليها الإنسان عادة في قيامه بأعماله ثم نفاها جميعاً عن الله تعالى كونها دلالات على الضعف والعجز والنقص فقال إنه لم يخلق الموجودات لتوطيد حكومته كونه وجوداً لا متناهي وغنى من جميع الجهات:

«وَلَمْ يُكَوِّنْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ».

كما أنه واجب الوجود الذي ليس للزوال والنقصان من سبيل إليه  
«وَلَا لِيَخُوفٍ مِنْ زَوَالٍ وَنُقْصَانٍ».

كما ليس له مثل:

«وَلَا لِلْإِسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى نِدِّ مُكَاتِّرٍ [٢٩٢]».

وبما أنه لا ضد له ولا عدو والكل خاضع لسيطرته

«وَلَا لِلْإِخْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدِّ مُتَأَوِّرٍ [٢٩٣]».

كما أنه ليس بحاجة لمخلوقاته ليقضى بها حاجته

«وَلَا لِلْإِزْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِهِ».

وحيث له شريك ولا قرين

«وَلَا لِمُكَاتَّرَةٍ شَرِيكَ فِي شِرْكِهِ».

وكذلك:

«وَلَا لَوْحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا».

لأن الوحشة حيث الشعور بالخطر من جانب العدو أو بروز المشاكل والمصائب ولا عدوله ولا مشكلة تجرى عليه، ومن الطبيعي أن هذه الأهداف السبعة إنما تعود لجلب المنفعة ودفع الضرر، لكن الإمام عليه السلام شرحها بأسلوب رائع وركز على جميع المصاديق بما لا يتصور أبلغ وأفصح منه ومن الواضح حين تنتفى كل هذه الأهداف يثبت أن الله خلق الخلق إفاضةً ولطفاً بالمخلوقات لا لجلب منفعة، لأن جلب المنفعة ودفع الضرر من لوازم الممكنات وهو واجب الوجود.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٧٢

## تأمل

### هل هناك زمان دون مخلوق

ما ذكره الإمام عليه السلام في هذا الجانب من الخطبة حول فناء الدنيا في البداية والنهاية حيث إن الله واحد أزلي أبدي ليس له بداية ولا نهاية، آثار سؤالاً لدى شراح نهج البلاغة وهو كيف مرت مدة لم يظهر فيها الفيض من الذات الإلهية الفياضة على الدوام وأجابوا بأن المراد ليس إنعدام وجود الأشياء بصورة مطلقة بل في مرحلة الذات الإلهية، أي كانت هنالك موجودات لكنها ليست مستقلة عنه (طبعاً هذا الجواب لا يبدو مقنعاً).

إن السؤال الأهم الذي نطرحه هنا هو: كيف ينسجم ما طرحه الإمام عليه السلام بشأن فناء العالم مع ظاهر الآيات القرآنية؟ فقد صرح القرآن في عدة آيات أن هذا العالم سيتعرض إلى الدمار في خاتمة المطاف لا أنه يعدم بالمرّة إذ قال: «إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ\* وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ\* وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ\* وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ\* وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ\* وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ» [٢٩٤]. وقال في موضع آخر: «يَوْمَ تَبَدَّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ» [٢٩٥].

كما قال: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا\* لَّا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا» [٢٩٦].

إضافه إلى ذلك يقول إن الموتى يخرجون من قبورهم، ويعتقد أغلب العلماء أن الجنة والنار موجودتان الآن طبق ظاهر الآيات والروايات وأعمالنا هي التي تبلورهما، فكيف والحال هذه يصرح بانعدام جميع الأشياء بنهاية العالم ولا يبقى سوى الله فيزول حتى الزمان والمكان؟ كما ورد في الخطبة المذكورة، والذي يقال

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ١٧٣

في جواب السؤال الأول: كما أن الله فياض فهو حكيم على الاطلاق وفاعل ليس بمجبر فممکن أن تقتضى حكمته أن لا يكون شىء فى البداية ثم يوجد، وعليه فإن فيضه لا يمنع من انعدام الأشياء قبل خلقها.

ويقال فى الجواب على السؤال الثانى، إن العالم يتحطم فى البداية كما ورد فى الآيات المذكورة، لكنه يعدم بعد ذلك بصورة كلية بحيث لا يبقى سوى الذات القدسيه ثم يكتسب كل ما فنى - بطريقة إعادة المعدوم وبالطبع بشكلها المعقول [٢٩٧]- حله الحياة وكما كان فى السابق بالضبط من تلك الجنة والنار والإنسان والقبور وهذا أمر معقول وسنشير إلى هذا المطلب فى القسم القادم من الخطبة أيضاً.

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ١٧٥

## القسم السابع

### إشارة

ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا، لَلِسَّامِ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَضَرُّفِهَا وَتَدْبِيرِهَا، وَلَا لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ، وَلَا لِثِقَلِ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ. لَّا يُمِلُّهُ طَوْلُ بَقَائِهَا فَيَذَعُوهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا، وَلَكِنَّهُ سَبَّحَانَهُ دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ، وَأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ، وَأَثَقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ، ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا، وَلَا اسْتِعَانَةَ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا، وَلَا لِإِنْصِرَافٍ مِنْ حَالٍ وَخَشَّةٍ إِلَى حَالٍ اسْتِثْنَاءً، وَلَا مِنْ حَالٍ جَهْلٍ وَعَمَى إِلَى حَالٍ عِلْمٍ وَالتَّمَّاسِ، وَلَا مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ إِلَى غِنَى وَكَثْرَةٍ، وَلَا مِنْ ذُلٍّ وَضَعْفٍ إِلَى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ.

## الشرح والتفسير: دوام الخلقه والفناء

لما فرغ الإمام عليه السلام من بيانه لأهداف عالم الخلق تحدت في هذا الجانب من الخطبة عن فناء العالم والهدف من ذلك فقال:

«ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا، لَلِسَّامِ [٢٩٨]

دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَضَرُّفِهَا وَتَدْبِيرِهَا، وَلَا لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ، وَلَا لِثِقَلِ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ.

لَّا يُمِلُّهُ طَوْلُ بَقَائِهَا فَيَذَعُوهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا».

فجميع هذه الأمور كالتعب والعجز والملاة وطلب الراحة، ناشئة من محدودية القوة وقدرة الفاعل وليس لهذه الحوادث من سبيل إلى صاحب القدرة المطلق، فهذه كلها صفات الممكنات ومن توهم مثل هذه الصفات على الله فقد وقع فى هوة

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ١٧٦

التشبيه (الواجب بالممكن).

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا أو هنالك من يحتمل هذه الأمور على الله لينفيها الإمام عليه السلام؟

لا شك فى أن أصحاب العقول السليمة لا يتصورون مثل هذا الاحتمال، إلّا أن هذه الوسوسة قد تساور أذهان بعض الأفراد العاديين، أولئك الذين يرون الله جسمًا ويرون له أذنًا وعينًا ويدًا ورجلاً وظيفرة ويا له من وهم ساذج! والسؤال الآخر الذى يرد هنا أن الإمام

عليه السلام يذكر هذه الأهداف لنفى فناء الدنيا إلاً أنه لم يذكر بدل ذلك أى هدف ايجابى والجواب على هذا السؤال واضح: أن الله حكيم وكل أفعاله تستند إلى الحكمة والتي تعود آثارها وفوائدها على الإنسان وسائر الموجودات، لا إلى ذاته القدسية الغنية عن كل شىء، ولعل الهدف الأصلي من هذا الفناء حتى لا يشبه الإنسان فيتصور وجوده من نفسه ويعتقد بأزليته وأبدية السماء والأرض وليعلم أن كل شىء متوقف على إرادة الله.

ثم قال عليه السلام فى مواصلته لكلامه وفى خلاصة للأبحاث السابقة:

«وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ، وَأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ، وَأَتَقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ، ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا، وَلَا اسْتِعَانَةَ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا، وَلَا لِإِنْصِرَافٍ مِنْ حَالٍ وَحْشَةٍ إِلَى حَالٍ اسْتِنَاسٍ، وَلَا مِنْ حَالٍ جَهْلٍ وَعَمَى إِلَى حَالٍ عِلْمٍ وَالتَّمَّاسِ [٢٩٩]، وَلَا مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ إِلَى غِنَى وَكَثْرَةٍ، وَلَا مِنْ ذُلٍّ وَضَعَةٍ [٣٠٠] إِلَى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ».

فما بينه الإمام عليه السلام فى ختام هذه الخطبة وضمن ست عبارات نفى الأهداف التى لا تليق بذاته الطاهرة بالنسبة لخلق العالم؛ باختلاف طفيف مع الأهداف السبعة التى مضت فى الأقسام السابقة فذكرها الإمام عليه السلام هنا بصيغة خلاصة وبعبارات جديدة وخلصتها أنه لم تكن لديه من حاجة لإيجاد عالم الخلق ولا فى فئاته ولا فى

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٧٧

الخلق الجديد بعد الفناء.

وهنا يطرا هذا السؤال أيضاً: إن كان خلق الله للعالم ثم إنفاؤه ثم الخلق الجديد لا لنفع ولا حاجة ودفع نقص فماذا كان هدفه من ذلك ولماذا لم يشر الإمام عليه السلام إلى ذلك الهدف؟

والجواب على عن هذا السؤال هو ما ذكرناه سابقاً فهو وجود كامل من جميع الجهات، وليس هنالك لقيامه بأفعاله ما يعود إليه، بل يعود عادة على المخلوقات والممكنات دون أن يعود عليه بشىء، وبعبارة أخرى كل ما لدى مخلوقاته منه وليس لديهم من شىء فيهبوه لله: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ» [٣٠١].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٧٩

## الخطبة ١٨٧

### إشارة

وهي فى ذِكْرِ المَلَأِجِمِ [٣٠٢]

### نظرة إلى الخطبة

تتكون هذه الخطبة فى الواقع من قسمين، تطرق الإمام عليه السلام فى القسم الأول إلى قوم سيتصدون فى المستقبل للدفاع عن الحق والقيام من أجل بسط القسط والعدل فى عصر يُملأ فيه العالم بالمفاسد ويضيق فيه الناس والذى يتناسب مع ظهور المهدي عليه السلام وصحبه.

وفى القسم الثانى وعظ أصحابه وأهل زمانه فى اجتناب الفتن وعدم التفرق عن إمامهم.

وجدير ذكره أن المدائنى - كما ورد فى سند الخطبة - ذكر فى كتابه (صفيين) أقسام أخرى من هذه الخطبة التى لم يذكرها المرحوم

السيد الرضى وقال فى

نفحات الولاية، ج٧، ص: ١٨٠

آخرها: إن رجلاً من أهل البصرة قال لرجل من أهل الكوفة إلى جانبه: أشهد أنه كاذب على الله ورسوله. قال الكوفي: وما يدريك؟ (فلم يجبه) ثم أضاف، قال الكوفي: والله ما نزل من المنبر حتى شلت يد الرجل البصري ورجله فحملوه إلى بيته ومات في تلك الليلة [٣٠٣].

نفحات الولاية، ج٧، ص: ١٨١

## القسم الأول

### إشارة

أَلَا بِأَبِي وَأُمِّي، هُمْ مِنْ عِدَّةِ أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ وَفِي الْأَرْضِ مَجْهُولَةٌ. أَلَا فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِذْبَارِ أُمُورِكُمْ، وَأَنْقِطَاعِ وَصَلِكُمْ، وَاسْتِيعْمَالِ صِهْرِكُمْ. ذَاكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ الدَّرْهِمِ مِنْ حِلِّهِ. ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى أَكْبَرَ مِنْ الْمُعْطَى. ذَاكَ حَيْثُ تَشْكُرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ، بَلْ مِنَ التَّعْمَةِ وَالنَّعِيمِ، وَتَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍ، وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِخْرَاجٍ. ذَاكَ إِذَا عَضَّكُمْ الْبَلَاءُ كَمَا يَعَضُّ الْقَتَبُ غَارِبَ الْبُعَيْرِ. مَا أَطْوَلَ هَذَا الْعَنَاءَ، وَأَبْعَدَ هَذَا الرَّجَاءَ!

### الشرح والتفسير: الحوادث المربعة

استهل الإمام عليه السلام هذه الخطبة بالحديث عن طائفة من خواص الله تعالى الذين ينهضون بمهمته خاصة فقال:

«أَلَا بِأَبِي وَأُمِّي [٣٠٤]، هُمْ مِنْ عِدَّةِ أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ وَفِي الْأَرْضِ مَجْهُولَةٌ».

والسؤال من هي هذه الطائفة وما مهمتها؟ مر ذلك مجملًا في متن الخطبة ومن هنا كان هنالك اختلاف بين شراح نهج البلاغة، فالبعض يعتقد أنهم الأحد عشر معصوماً من ولد علي عليه السلام الذين هم أسماؤهم في السماء معروفة، بينما لا يعرفهم في الأرض سوى طائفة معينة.

نفحات الولاية، ج٧، ص: ١٨٢

وذكر بعض علماء أهل السنة أن المراد بهم طائفة من المؤمنين والأولياء الذين عبر عنهم بالقطب والأبدال، وهي العبارات التي عادة ما يستخدمها المتصوفة في كلماتهم، إلا أن العديد من القرائن تشير إلى أن المراد بهم الإمام المهدي عليه السلام وخواص أصحابه لأن الإمام عليه السلام، أخبر بعد هذه العبارة عن حوادث خطيرة تذكر الإنسان بعلامات آخر الزمان وظهور المهدي عليه السلام. أضيف إلى ذلك فقد ورد في جانب من الخطبة التي رواها المدائني في كتاب (صفين) [٣٠٥] إشارة إلى الخسف في البيداء وهروب طائفة منها وأنا لنعلم أن الخسف في البيداء من علامات الظهور التي أشارت إليها الروايات [٣٠٦].

ويتضح منها أن مهمتهم هي تلك المهمة التي أشارت من الروايات في مصادر الفريقين ومنها «يَمَلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مَلَأَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا» [٣٠٧].

وطرح البعض هذا السؤال: كيف يقول الإمام عليه السلام (بأبي أنتم وأمي) والحال أن المهدي أحدهم بينما البقية هم أصحابه؟ والجواب على هذا السؤال أنه صدرت مثل هذه العبارات من الأئمة عليهم السلام بشأن من لهم مهمات خاصة، ومن ذلك ما ورد ذيل زيارة وارث

«بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي طِبْتُمْ وَطَابَتِ الْأَرْضُ الَّتِي فِيهَا دُفِنْتُمْ»

التي وردت عن بعض الأئمة عليهم السلام حين قرأوا هذه الزيارة على قبور شهداء كربلاء.

ونقل المرحوم الأربلي في كشف الغمة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: رأيت عمى الحمزة وأخى جعفر بن أبي طالب في المنام فقلت لهما:

«بأبي وأمي أنتما أي الأعمال وجدتما أفضل؟»

فقالا: فديناك بآبائنا وأمهاتنا:

«وَجَدْنَا أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ وَسَقَى الْمَاءِ وَحَبَّ عَلِيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ» [٣٠٨].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٨٣

ثم تنبأ الإمام عليه السلام بالحوادث الخطيرة مستقبلاً والتي تنتظر الناس، وهي الحوادث التي تشبه العلامات التي ذكرت في الظهور فقال عليه السلام:

«أَلَا فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِدْبَارِ أُمُورِكُمْ، وَانْقِطَاعِ وُصْلِكُمْ، وَاسْتِعْمَالِ صِعَارِكُمْ».

ومن الطبيعي أن تبدأ مسيرة التخلف وتقطع الأواصر الاجتماعية حين يتزعم بعض الأفراد قليلي الخبرة والسذج والذين يفتقرون إلى الكفاءة، لكن لماذا تتجه طائفة من الزعامات إلى الصغار وقليلي التجربة في الإدارة والتدبير؟ لا شك في كونهم فئة من المهزوزين والآذان الصاغية لكل أمر وهذا من أكبر عوامل البؤس والشقاء.

ثم خاض عليه السلام في شرح هذه الحوادث الأليمة فقال:

«ذَاكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ الدَّرْهِمِ مِنْ حِلِّهِ. ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى أَعْظَمَ أَجْرًا مِنَ الْمُعْطَى».

فقد ذكر الإمام عليه السلام بادئ ذي بدئ في هذا الجانب من الخطبة مسألة حلية وحرمة الأموال وذلك لتوقف المصير المادي والمعنوي للمجتمعات عليها حيث أشار عليه السلام إلى أن جمع الأموال الملوثة بالحرام والغصب والرشوة والغش إنما يبلغ درجة في المجتمع بحيث يكون تحصيل الدرهم من الحلال أعقد من تحمل ضربة السيف في المعركة، ومن هنا قلما يتعرض من ينفق أمواله في سبيل الله آنذاك إلى الأجر والثواب لأنهم يعلمون أن أموالهم ليست طاهرة، إلا أن الآخذين لا يعلمون ذلك، أو أنهم يعلمون لكنهم يضطرون لأخذ تلك الأموال المشكوكة أو المحرمة، وعليه فلا مسؤولية عليهم أمام الله وأجرهم وثوابهم ثابت عنده بينما تبدو القضية معكوسة لو كان المجتمع سليماً وعلى ضوء الحديث النبوي المعروف:

«إِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى» [٣٠٩]

فيكون أجر المعطى أعظم من المعطى له.

على كل حال فما ورد في كلام الإمام عليه السلام بشأن كثرة الأموال الحرام في آخر الزمان صرحت بها بعض الروايات ومن ذلك ما ورد في الحديث النبوي الشريف:

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٨٤

«أَفْلُ مَا يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَحْ يُوْتَقُّ بِهِ أَوْدِرْهُمْ مِنْ حَلَالٍ» [٣١٠].

ويتضح ممّا ذكرنا آنفاً أن العبارة لا تنطوي على مفهوم معقد ومجهول كما ذهب إلى ذلك بعض شراح نهج البلاغة فقدموا عدّة احتمالات مستبعدة وضعيفة.

ثم خاض عليه السلام في سائر المشكلات التي يعاني منها ذلك المجتمع الفاسد والذي ينتظره الناس بحكم الإجماع فقال:

«ذَاكَ حَيْثُ تَسْكُرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ، بَلْ مِنَ النَّعْمَةِ وَالنَّعِيمِ، وَتَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍ، وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِخْرَاجٍ».

فأي مجتمع إنما يؤول إلى الانهيار إن شهد هذه البلايا الثلاث، الأثرياء يسكرون بالثروة فينسون الله وخلقه، وبالطبع فإن سكر النعمة أخطر من سكر الشراب، فسكر الشراب قد ينتهي بعد مرور ليلة بينما قد يستمر سكر النعمة طيلة العمر، كذلك القسم من غير اضطرار



والذى يوهن من شأن الله تعالى، والكذب من دون احراج الذى يزيل الثقة والاطمئنان وبالتالي تتعقد الحياة فى ظل هذا المجتمع. وقال عليه السلام فى اختتامه لهذا التكهن:

«ذَاكَ إِذَا عَضُّكُمْ [٣١١] الْبَلَاءُ كَمَا يَعَضُّ الْقَتَبُ [٣١٢]  
عَارِبَ [٣١٣] الْبُعِيرِ مَا أَطْوَلَ هَذَا الْعَنَاءَ، وَأَبْعَدَ هَذَا الرَّجَاءَ!».

يعتقد أغلب الشراح أن هذه العبارة منفصلة عن العبارات السابقة فإن السيد الرضى - طبق عاداته - أسقط بعض العبارات حين اقتطافه لبعض العبارات الرائعة لخطب الإمام عليه السلام. ولا يبدو هذا الكلام مستبعداً، لأنَّ «ذَاكَ»

تشير ظاهراً إلى النجاة والفرج الذى سيحصل للمؤمنين بعد كل ذلك البلاء، والعبارة «مَا أَطْوَلَ هَذَا الْعَنَاءَ وَأَبْعَدَ هَذَا الرَّجَاءَ»

شاهد متين على هذا المعنى حيث قال عليه السلام: هنالك أمل فى النجاة بعد كل هذا البلاء.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٨٥

كما تشير العبارة

«الْأَبَى وَأُمِّى»

أنَّ الإمام عليه السلام كان ينتظر تلك الفئة التى تنتشل المجتمع الإسلامى من الشر والفساد، وعلى كل حال فإنَّ أنسب تفسير لمجموع هذا البحث ما ذكر سابقاً وقلنا إنَّه ناظر لحوادث آخر الزمان المريرة ونجاة المجتمع البشرى منها بواسطة الإمام المهدي عليه السلام. وهنا لابد من الإشارة إلى نقطتين ضروريتين: الأولى أنَّه لماذا شبَّه الإمام عليه السلام البلاء بالقتب (خشبة توضع على الناقة لحل مشكلة سنامها الذى يؤذى ظهر الناقة)؟ لا يستبعد أنَّ هذا التشبيه على أساس أنَّ القتب يوضع لانقاذ الناقة من مشكلة بروز السنام، لكنه يخلق مشكلة أخرى فى أنه يؤذى ظهر الناقة ورقبتها ويجرحها أحياناً، والبلاء فى ذلك الزمان والحوادث هكذا فى أنَّ التفكير بالسبيل للخلاص منها يخلق مشكلة أخرى للناس.

والسؤال الذى يطرح نفسه كيف يصرح عليه السلام باستبعاد الأمل بالنجاة بينما تورد الروايات قرب ذلك الأمل؟

والجواب أنَّ ظهور الإمام عليه السلام مشروط بشرائط إن تحققت كان الفرج قريباً وإن لم تتحقق فهو بعيد؛ وعبارة أخرى يمكن للمؤمنين بتوفيرهم لشرائط الظهور من قبيل التزكية والتهديب والاستعداد الكامل والأدعية المتواصلة أن يقربوا ظهور الإمام عليه السلام بينما إن تركت هذه الأمور تأخر الظهور، وعليه فالظهور قريب من جهة وبعيد من جهة والذى نأمل أن يكون قريباً بلطف الله ورحمته.

## تأمل

### الحوادث الأليمة آخر الزمان

وردت فى هذه الخطبة وبعض خطب نهج البلاغة وروايات النَّبى الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام بعض الأخبار عن المستقبل المظلم والمعقد الذى ينتظر المؤمنين.

ومن خصائص ذلك الزمان عدم إكتراث أغلب الناس بالحلال والحرام. فيرون

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٨٦

كل ما يقع فى أيديهم حلالاً كيفما حصلوا عليه ومن أى شخص اقتنصوه وهذه القدارة تلوث جميع حياتهم.

الخاصية الأخرى سكر النعمة الذى يؤدى إلى نسيان المبدأ والمعاد فيعيش الإنسان فى عالم من الجهل على غرار من يسكر من الشراب، كما أن الإبتعاد عن الأحكام والتمسك بالحجج الواهية لممارسة الأفعال غير المباحة والتعويل على الحيل الشرعية من الخصائص الأخرى لذلك الزمان وبالتالي تتحول البدع إلى سنن وتلبس السنن ثوب البدع.

جاء فى الحديث النبوى الشريف:

«يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا أَكَلَ الرَّبَا فَإِنْ لَمْ يَأْكُلْهُ أَصَابَهُ مِنْ غُبَارِهِ» [٣١٤].

كما ورد فى حديث آخر فى وصايا الرسول صلى الله عليه و آله إلى ابن مسعود أنه يأتى على الناس زمان يتناولون فيه الأظعمة اللذيذة ويركبون المراكب الفارهة ويتزين الرجال لنساءهم وتخرج النساء دون حجاب ويشاركن فى التجمعات حتى وصفهم النبى صلى الله عليه و آله بأنهم منافقو الأمة فى آخر الزمان ثم قال:

«يَأْتِيَنَّ مَشْعُودٌ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ عَلَى دِينِهِ مِثْلُ الْفَابِضِ عَلَى الْجُمْرَةِ بِكَفِّهِ» [٣١٥]

، وسائر الحوادث الأليمة التى يطول ذكرها.

هذه النبوات وبالإضافة إلى جانبها الاعجازى هى تحذير للمسلمين المخلصين للإسلام فى ضبط أنفسهم ويعلم أن هذا العصر سينتهى بظهور المهدي الموعود (أرواحنا فداه).

نفحات الولاية، ج٧، ص: ١٨٧

## القسم الثانى

### إشارة

أَيُّهَا النَّاسُ، أَلْقُوا هَذِهِ الْأَزِمَةَ الَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورُهَا الْأَثْقَالَ مِنْ أَيْدِيكُمْ، وَلَا تَصَدَّعُوا عَلَى سُلْطَانِكُمْ فَتَدْمُوا غِبَّ فِعَالِكُمْ. وَلَا تَفْتَحُوا مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ فُورِ نَارِ الْفِتْنَةِ، وَأَمِيطُوا عَنْ سَنَنِهَا، وَخَلُّوا قَصْدَ السَّبِيلِ لَهَا: فَقَدْ لَعِمْرَى يَهْلِكُ فِي لَهَبِهَا الْمُؤْمِنُ، وَيَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ الْمُسْلِمِ. إِنَّمَا مِثْلِي بَيْنَكُمْ كَمِثْلِ السَّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ، يَسْتَضِي بِهِ مَنْ وَلَجَهَا. فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَعُودُوا، وَأَخْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا.

### الشرح والتفسير: وصايا للنجاه من الفتنة

ما أن فرغ الإمام عليه السلام من كلامه عن الحوادث الأليمة فى المستقبل فى الجانب السابق من هذه الخطبة حتى ذكر أصحابه هنا ببعض الوصايا التى تنجيهم من أخطار تلك الأحداث فقال عليه السلام:

«أَيُّهَا النَّاسُ، أَلْقُوا هَذِهِ الْأَزِمَةَ [٣١٦] الَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورُهَا الْأَثْقَالَ مِنْ أَيْدِيكُمْ».

هذه العبارة كناية عن أن الحوادث ستقع حولكم وتحمل آثار الفتنة والفساد فعليكم أن لا تتزعموها ولا تسهموا فى تطورها، فالواقع أنه يذكرهم بما أمر به القرآن الكريم حين يقول: «وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ» [٣١٧].

نفحات الولاية، ج٧، ص: ١٨٨

ثم أضاف:

«وَلَا تَصَدَّعُوا [٣١٨] عَلَى سُلْطَانِكُمْ فَتَدْمُوا غِبَّ [٣١٩] فِعَالِكُمْ. وَلَا تَفْتَحُوا [٣٢٠] مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ فُورِ نَارِ الْفِتْنَةِ، وَأَمِيطُوا [٣٢٢] عَنْ سَنَنِهَا [٣٢٣]، وَخَلُّوا قَصْدَ السَّبِيلِ [٣٢٤] لَهَا».

هذا الكلام إشارة إلى أن الناس إن لم يسهموا في استفحال الفتن ولم يلجوها وابتعدوا عنها وقطعوا دابرها فسوف لن تتنامى مخلفاتها والقضية بالضبط أشبه بسيل الماء العظيم الذى يعجز الناس عن السيطرة عليه، لكنهم إن فسحوا المجال لكى ينحدروا إلى الوديان والسهول فإن الأضرار التى تصيبهم ستكون أقل مما لو ولجوه وكانوا فى وسطه.

ثم ذكر عليه السلام علّة ذلك فقال:

«فَقَدْ لَعَمْرِي يَهْلِكُ فِي لَهَبِهَا الْمُؤْمِنُ، وَيَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ الْمُسْلِمِ».

إشارة إلى أن موج الفتنة على درجة من القوة بحيث لو انبرى المؤمنون لمواجهته لهلكوا ولسلم غيرهم من نحي نفسه عنها، وعليه لا ينبغي تبديد الطاقات عبثاً فى مثل هذه الموارد، بل لابد من الحفاظ عليها والتربص حتى تحين الفرصة المناسبة وهذا بالضبط الفلسفة الأصلية للتيقن فى المسائل الدينية والاجتماعية والسياسية التى تعنى ببساطة حفظ الطاقات وانتظار الفرصة.

ثم اختتم الإمام عليه السلام الخطبة بالإشارة إلى موقعه بغية فواق الغافلين والانتفاع بفيوضاته عليه السلام فقال:

«أَمَّا مَتَلَى بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ السَّرَاحِ فِي الظُّلْمَةِ، يَسْتَضِي بِهِ مَنْ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٨٩

وَلَجَهَا. فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَعُوا [٣٢٥]، وَأَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا».

نعم، فالإمام عليه السلام حين يتكهن بحوادث المستقبل المريرة وظلمات الفتن يشير إلى سبيل النجاة فيقول: إنكم إنما تنجون من شر الأشرار والفتن التى يثيرها المفسدون إن سمعتم ما أقول لكم وحفظتموه وفكرتم فيه كما ينبغي.

وقد شبه الإمام عليه السلام نفسه هنا بالسراج المنير فى أمواج الظلمة ثم أمر الناس بالاستضاءة بنور هذا السراج، فقد أمر أولاً بسماع كلامه وحفظه ثم أردفه بالأمر للتعلم به وإدراك حقيقته (وهذا هو الفارق بين مفهوم العبارة

«فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَعُوا»

، والعبارة

«وَأَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا»

حيث الأولى سماع وإدراك وحفظ والأخرى دقة وتعمق).

## تأمل

### الانسحاب من الفتن

أحياناً تظهر فى المجتمعات البشرية بعض الفتن التى لا يقوى الأفراد المؤمنون على مواجهتها، كما لا يستطيعون تشكيل خلية للوقوف بوجهها وليس للأفراد الذين يقفون مباشرة إزاء هذه الفتن ويقتحمونها من مصير سوى الهزيمة والانكسار.

فأفضل سبيل فى ظل هذه الظروف هو الانسحاب من أمام سيول الفتنة والتربص بالفرصة المناسبة بغية مواجهتها، وبالطبع فإن الاجراءات المتهورة لا- تنطوى على نتيجة سوى التضحية بالطاقات والقضاء على الفرص المستقبلية، وهذه هى فلسفة النهى عن النهضات فى عصر أئمة العصمة عليهم السلام وهذا فى الواقع فرع من فروع التيقن التى تهدف إلى حفظ القوى واستغلالها فى الوقت المناسب.

فقد أكد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فى هذه الخطبة على هذه النقطة وأكد عليها مع أنه أشجع فرد فى الأمة ومن ابطال مواجهته أعداء الإسلام وخصوم الدعوة.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٩١

## الخطبة ١٨٨

## إشارة

في الوصية بأُمور [٣٢٦]

## نظرة إلى الخطبة

أشار الإمام عليه السلام في هذه الخطبة إلى ثلاثة أمور مهمّة: أوصى أولاً بالورع والتقوى واجتناب المعصية وذكرهم بنعم الله لتكون لهم دافعاً نحو التقوى والطاعة. ثم ذكرهم بالموت والانتقال من الدنيا وكيفية هذا الانتقال بعبارة تهز النفس لتكون عاملاً نحو الطاعة وترك المعصية. وأخيراً حذّر من سرعة انقضاء الأيام والليالي والساعات ولا بدّ من الجد والمثابرة للتزود للدار الآخرة. نقحات الولاية، ج ٧، ص: ١٩٣

## القسم الأوّل

## إشارة

أوصيكم، أيها الناس، بتقوى الله وكثرة حمده على آلائه إليكم، ونعمائه عليكم، وبلائه لديكم. فكم خصكم بنعمه، وتداركم برحمته! أعوزتم له فستركم، وتعرضتم لآخذه فأمهلكم!

## الشرح والتفسير: التوصية بالتقوى والحمد

دعا الإمام عليه السلام جميع مخاطبيه في هذا القسم من الخطبة كما أشرنا سابقاً إلى التقوى وشكر الله على نعمه فقال: «أوصيكم، أيها الناس، بتقوى الله وكثرة حمده على آلائه إليكم، ونعمائه عليكم، وبلائه لديكم».

رغم أن

«آلاء» و «نعماء»

تستعمل في أغلب الموارد بمعنى واحد هو النعمة، إلّا أن البعض يعتقد أن آلاء إشارة إلى النعم المعنويّة ونعماء إشارة إلى النعم الماديّة؛ سيما إن وردت المفردتان مع بعضهما.

وتستعمل كلمة

«البلاء»

بمعنى الامتحان والاختبار أو بمعنى الحوادث السارّة والأليمة وفي العبارة السابقة وبالنظر إلى تناسق العبارات فهي بمعنى الحوادث السارّة، وقال البعض: المقصود هو الحوادث الأليمة التي يختبر الله الإنسان بها وتسبب ارتقاء رتبته وزيادة ثوابه عند الله وتعتبر نعمة بالنظر إلى هذا الأمر.

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ١٩٤

على كلّ حال فكلام الإمام عليه السلام هذا شبيه ما إستند إليه علماء الكلام في بحث معرفة الله، وقالوا: الدافع الرئيسي لهذا البحث هو

مسألة شكر المنعم، لأنَّ الإنسان يرى نفسه غارقاً في النعم وحيث إنَّ شكر منعم النعمة كامن في فطرة الإنسان فإنه يفكر في واهب النعمة فيتجه إليه ليتعرف عليه ومن شأن هذا الأمر أن يكون سبباً لطاعته وتركه للمعصية.

ثم خاض الإمام عليه السلام في شرح بعض هذه النعم فقال:

«فَكَمْ حَصَّكُمْ بِنِعْمَةٍ، وَتَدَارَكَكُمْ بِرَحْمَةٍ! أَعَوَزْتُمْ [٣٢٨] لَهُ فَسْتَرَكُمُ، وَتَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ [٣٢٩] فَأَمْهَلَكُمُ!».

فقد أشار الإمام عليه السلام بادئ الأمر إلى النعم والرحمة المختصة بهذه الأمة مثل خاتمية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وكونها خير أمة وعدم نزول البلاء على الأمة ما دام النبي فيهم أو هم يستغفرون، ثم خاض عليه السلام بعد ذلك إلى مسألة ستر الله تعالى مقابل خرق هذا الستر من قبل العصاة وكذلك إعطاء المهلة الكافية من أجل التوبة والعودة إلى النفس وعدم العجلة في معاقبتهم وكل واحدة منها نعمة عظيمة للغاية.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٩٥

## القسم الثاني

### إشارة

وَأَوْصِيَكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَإِقْلَالِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ. وَكَيْفَ غَفَلْتُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفَلُكُمْ، وَطَمَعْتُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمَهَّلُكُمْ! فَكَفَىٰ وَاِعْظَاءً بِمَوْتِي عَابَاتِيئْتُمُوهُمْ، حُمِلُوا إِلَىٰ قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ، وَأُنزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ، فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّارًا، وَكَأَنَّ الْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَارًا. وَأَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ، وَأَوْطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ، وَاشْتَغَلُّوا بِمَا فَارَقُوا، وَأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ انْتَقَلُوا. لَاعَنَ قَيْحٌ يَشِي تَطِيعُونَ انْتِقَالًا، وَلَا فِي حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ اِزْدِيَادًا. اُنْسُوا بِالْدُّنْيَا فَغَرَّ نُهُمُ، وَوَتَّفُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُمْ.

## الشرح والتفسير: أفضل الوعظ

أشار الإمام عليه السلام في هذا الجانب من الخطبة إلى نقطة مهمة من شأنها أن تكون دافعاً قوياً للتقوى آنفة الذكر؛ والتي تكمن في ذكر الموت، فأوصى بصورة عامة إلى ذكر الموت فقال:

«وَأَوْصِيَكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَإِقْلَالِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ. وَكَيْفَ غَفَلْتُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفَلُكُمْ، وَطَمَعْتُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمَهَّلُكُمْ!».

نعم! فليس هنالك من عقل يسوغ للإنسان الغفلة عن حادثه لا بد له من الوصول إليها، وعدم الإكتراث للشئ الذي لا أمل في الفرار منه، فالعقل من يقرّ بهذه الحقيقة في أن الموت مصير حتمي لجميع الناس، بل الموجودات كافة، وما أعظم ما قال الشاعر:

كُلُّ ابْنِ انْتَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَوْمًا عَلَىٰ آلِهِ حَدْبَاءٌ مَحْمُولٌ

ثم خاض الإمام عليه السلام في شرح دقيق يهز الأعماق في تفاصيل لحظات الموت خلال ١٢ عبارة صغيرة وعميقة المعنى فقال:

«فَكَفَىٰ وَاِعْظَاءً بِمَوْتِي عَابَاتِيئْتُمُوهُمْ، حُمِلُوا إِلَىٰ قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ، وَأُنزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ».

نعم! فقد حملوا على أكتاف الناس ليتجهوا بهم صوب موطنهم الأبدى دون رغبتهم وأوردوهم حفرة القبر دون إرادتهم.

ثم كشف عليه السلام عن مصيرهم بيانه لصفتين فقال:

«فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّارًا [٣٣٠]، وَكَأَنَّ الْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَارًا».

إشارة إلى أن كل شئ ينتهي في لحظة فيبلغ بهم البعد عن الدنيا درجة كأنهم لم يعيشوا فيها ويقتربوا من الآخرة كأنهم عاشوا فيها منذ الأزل.

ثم قال عليه السلام:

«أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ، وَأَوْطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ».

أجل! كانوا يشعرون بالوحشة حين يمرون بتلك القبور الهامدة فيشبحون عنها بوجوههم، سيما إن كان مرورهم بالليل، بينما أصبحت الآن وطنهم ولو عادوا اليوم بهذه الحال إلى بيوتهم ومساكنهم لاستوحش منهم الناس وبالعكس سيعيشون هم أيضاً تلك الوحشة- إن كان لهم إدراك وشعور-.

من جانب آخر فإن مشكلتهم الرئيسيّة أنهم لم يعمروا دار الآخرة واستفرغوا كلّ طاقتهم في عمران الدنيا حيث وصف ذلك الأمم عليه السلام في مواصلته لكلامه فقال:

«وَأَشْتَعَلُوا بِمَا فَارَقُوا، وَأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ انْتَقَلُوا».

والأسوأ من ذلك لا مجال هنا لتلافي ما فرط منهم وهذا ما أكدّه الإمام عليه السلام بقوله:

«لَا عَنْ قِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ انْتِقَالَ، وَلَا فِي حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ ازْدِيَادًا».

فهل لثمار الشجرة إن انفصلت عنها من عودة إليها ومواصلة حياتها ناضجة كانت أم فاسدة؟ وهل الوليد الذي يخرج من بطن أمه سواء كان جنيناً كاملاً أم ناقصاً يستطيع العودة إلى رحمها ويواصل نموه؟ كلا، نعم هذا هو حال أصحاب الدار

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٩٧

الآخرة ليس لهم من سبيل إلى العودة ولذلك تغلق صحيفة أعمالهم وإلى الأبد، فلا يسعهم تلافى سيئته ولا إضافة حسنة، ولعل هذه أعظم مصيبة يفجع بها أصحاب الدنيا الآثمين، وإلا فإن اقترن الموت بالأعمال الصالحة فلا يعدّ مصيبة فحسب بل سعادة ورحمة فهو لا يعنى سوى تحطيم القفص وانطلاق الروح الإنسانيّة وتحليقها في الفضاء العلوي، ومن هنا حين نزلت ضربة أشقى الأولين والآخرين عبد الرحمن بن ملجم على رأس مولى المتقين على عليه السلام قال:

«فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ».

ثم تناول عليه السلام سبب ذلك البؤس والشقاء فقال:

«أَنَسُوا بِالْذُّنُوبِ فَغَرَّتْهُمْ، وَوَثِقُوا بِهَا فَصَرَّعَتْهُمْ [٣٣١]».

نعم! فالوثوق بالدنيا كالوثوق بالسراب الذي يدعو الإنسان في الصحراء المحرقة نحوه فلا- يزيده إلا عطشاً ويحيل أمله يأساً، أو كالاعتماد على الجدار الرخو الذي ينهار عاجلاً أم أجلاً فيبقى الإنسان تحت أنقاضه.

## تأمل

### ذكر الموت

لم يقتصر التأكيد على ذكر الموت ونهاية الحياة على أمير المؤمنين عليه السلام بل هذا ما أكدّه اساتذة الأخلاق والهداة إلى الصراط وفي مقدمتهم جميعاً القرآن الكريم بغية إيقاظ الغافلين الموتى في أنّ هذه الحياة زائلة وليست خالدة، فأطفال الأمس هم شباب اليوم وشباب اليوم هم كهول الغد وكهول الغد كأوراق الخريف التي تتساقط برياح الأجل لتلتحق بصفوف الأسلاف.

ويبدو الإلتفات إلى هذه الحقيقة مدعاة لليقظة والاعتبار، فأغلب الناس يجدون في العمل وكأنهم مخلدون في هذه الدنيا، والحال ليس هنالك من طمأنينة لاستمرار هذه الحياة ولولساعة أخرى ويكفي الإلتفات إلى هذه النقطة في انزال

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٩٨

الإنسان من مركب الغرور وفتح عينه على الحقائق وإنارة الطريق أمامه.

ويبدو ذكر الموت وختام الحياة مفيداً نافعاً حين يتأمل الإنسان تلك الأحداث التي تواجهه حين الموت والانفتاح على العبارات

والأمور التي ركز عليها أمير المؤمنين في هذه الخطبة؛ فالانفصال عن الأعزّة، ومغادرة الثروة والقصور والمقامات، والإبتعاد عن الأحبّة، ونزول تلك الحفرة تحت التراب، والأهم من كلّ ذلك غلق صحيفة الأعمال واستحالة تلافى الأخطاء كلّ هذه الأمور تعدّ أعظم واعظ وأفضل ناصح.

ومن هنا جاء في الحديث النبوي الشريف:

«إِنَّ أَكْبَرَ أَسْمَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلْمَوْتِ وَأَشَدَّهُمْ لَهُ اسْتِعْدَادًا» [٣٣٢].

وفي حديث آخر أنه صلى الله عليه وآله سئل:

«هَلْ يَحْشُرُ مَعَ الشُّهَدَاءِ أَحَدٌ؟»

فقال:

«نَعَمْ مَنْ يَذْكُرُ الْمَوْتَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ عَشْرِينَ مَرَّةً» [٣٣٣].

ونختتم هذا البحث بحديث ينطوي على الدروس والعبر ورد بهذا الشأن عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال:

«إِنَّ ابْنَ آدَمَ إِذَا كَانَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ مَثَلٌ لَهُ مَالُهُ وَعَمَلُهُ وَوَلَدُهُ، فَيَلْتَفِتُ إِلَى مَالِهِ وَيَقُولُ: وَاللَّهِ إِنِّي كُنْتُ عَلَيْكَ حَرِيصًا شَدِيدًا فَمَا لِي عِنْدَكَ؟ فَيَقُولُ: خُذْ مِنِّي كَفَنَكَ، قَالَ: فَيَلْتَفِتُ إِلَى وُلْدِهِ فَيَقُولُ: وَاللَّهِ إِنِّي كُنْتُ لَكُمْ مُحِبًّا وَعَلَيْكُمْ مُحَامِيًّا فَمَاذَا لِي عِنْدَكُمْ، فَيَقُولُونَ:

تُؤَدِّيكَ إِلَى حُفْرَتِكَ وَنُورِيكَ فِيهَا، قَالَ فَيَلْتَفِتُ إِلَى عَمَلِهِ فَيَقُولُ: إِنِّي وَاللَّهِ كُنْتُ فِيكَ لَزَاهِدًا وَإِنْ كُنْتُ عَلَيَّ لِثَقِيلًا فَمَاذَا عِنْدَكَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا قَرِينُكَ فِي قَبْرِكَ وَيَوْمَ نَشْرِكَ حَتَّى أَعْرَضَ أَنَا وَأَنْتَ عَلَيَّ رَبِّكَ» [٣٣٤].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ١٩٩

## القسم الثالث

### إشارة

فَسَابِقُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى مَنَازِلِكُمْ الَّتِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا، وَالَّتِي رَغِبْتُمْ فِيهَا، وَدُعِيتُمْ إِلَيْهَا. وَاسْتَيْتَمُوا نَعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالْمَجَانِبَةِ لِمَعَصِيَتِهِ، فَإِنَّ غَدًا مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ. مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ، وَأَسْرَعَ الْأَيَّامِ فِي الشَّهْرِ، وَأَسْرَعَ الشُّهُورِ فِي السَّنَةِ، وَأَسْرَعَ السِّنِينَ فِي الْعُمُرِ!

### الشرح والتفسير: سبيل النجاة

كشف الإمام عليه السلام في هذا الجانب من الخطبة سبيل النجاة بعد أن فرغ من التذكير بالموت ونهاية الحياة الدنيا والانتقال السريع إلى عالم الآخرة والحسرة على ما بدر من تقصير واسراف فقال عليه السلام:

«فَسَابِقُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى مَنَازِلِكُمْ الَّتِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا، وَالَّتِي رَغِبْتُمْ فِيهَا، وَدُعِيتُمْ إِلَيْهَا».

قطعاً المراد من المنازل الآخرة التي ورد الحث في الآيات والروايات على إعمارها كما ورد الحث على الرغبة فيها والدعوة إليها، حيث قال الله تعالى في كتابه الكريم: «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» [٣٣٥].

وقال في موضع آخر: «وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٠٠

مُسْتَقِيمٍ». [٣٣٦] وقال في سورة البقرة: «وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ» [٣٣٧].

ثم أشار عليه السلام إلى سبيل آخر من سبل النجاة فقال:

«وَأَسْتَيْمُوا نِعْمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالْمُجَابَبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ».

ويمكن أن يكون هذا الكلام إشارة إلى إكمال النعم المادية والديوية أو إتمام هذه النعم مع زيادة نعم الله الكبرى في القيامة، لأن الصبر على الطاعة والابتعاد عن المعصية بمقتضى الآية الشريفة: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» [٣٣٨] سبب زيادة النعم المادية والمعنوية الدنيوية والأخروية، ونعلم أن الشكر الحقيقي في أن يستعين الإنسان بنعم الله على طاعته ولا يستغلها أبداً ويتقوى بها على معصيته.

ونقرأ في حديث عن علي عليه السلام أنه قال:

«أَقْلُ مَا يَلْزِمُكُمْ اللَّهُ أَنْ لَا تَشْتَعِينُوا بِنِعْمَتِهِ عَلَى مَعْصِيَتِهِ» [٣٣٩].

ثم قال في الختام كدليل على ما ذكر:

«فَإِنَّ عَدَاً مِّنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ. مِمَّا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ، وَأَسْرَعَ الْأَيَّامِ فِي الشَّهْرِ، وَأَسْرَعَ الشُّهُورِ فِي السَّنَةِ، وَأَسْرَعَ السِّنِينَ فِي الْعُمُرِ!» [٣٤٠].

والمراد من الغد في هذه العبارة إما الموت كما قال الشاعر:

عَلَى الْمَوْتِ إِعْدَادُ النَّفْسِ وَلَا أَرَى بَعِيداً غَدًا مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ غَدٍ

أو المراد يوم القيامة كما ورد في الخطبة ٢٨:

«أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارُ وَغَدًا السَّبَاقُ».

ولكن بالالتفات إلى أن جانباً مهماً من هذه الخطبة ركز على الموت ونهاية

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٠١

الحياة الدنيا وعلق صحيفة الأعمال؛ فالمعنى الأول هو الأمل والعبارات الواردة بشأن سرعة مضي الأيام والشهور والسنوات والعمر شاهد آخر على هذا المعنى.

والطريف في الأمر أن الإمام عليه السلام ولتوضيح سرعة مضي العمر انطلق من أجزاء الصغيرة فأشار في البداية إلى سرعة مضي الساعات في اليوم ثم مضي الأيام في الشهر والشهور في السنة والسنوات في العمر ليوضح تماماً هذا المرور السريع والحق أن الأمر كذلك. فأغلب الكهول حين يسألون: كيف مضي عمركم؟ يجيبون:

أسرع من البرق أو كطرفه العين، كأننا بالأمس كنا نلعب مع الصبية في الأزقة ونسرح ونمرح مع الشباب، ولم نكد ننظر في المرأة حتى طالعنا علامات الكهولة وبدت واضحة على رؤوسنا ووجوهنا، فضعف البدن وثلت الأعضاء عن الحركة وانحنت القامة وتقطعت الأنفاس.

والحق أن الخطبة برمتها سيما الجانب الأخير منها تحذير غاية في التأثير لإيقاظ العقول النائمة، قال ابن أبي الحديد في ختام هذه الخطبة:

«كَلَامٌ شَرِيفٌ وَجِيزٌ بَالِغٌ فِي مَعْنَاهُ وَالْفَضْلُ كُلُّهُ نَادِرٌ لَا نَظِيرَ لَهُ» [٣٤١].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٠٣

## الخطبة ١٨٩

### إشارة



في الإيمان ووجوب الهجرة [٣٤٢]

## نظرة إلى الخطبة

رغم قصر هذه الخطبة إلا أنها عظيمة المضامين ومؤلفة من أربعة أقسام، خاض القسم الأول في أقسام الإيمان (الإيمان الراسخ والمتقلب) وتطرق الثاني إلى مفهوم الهجرة في الإسلام على أنها من المفاهيم المستمرة والدائمة، وأشار في القسم الثالث إلى صعوبة إدراك بعض أحاديث المعصومين أو تعذر تحملها، وأخيراً أشار القسم الرابع إلى سعة علمه عليه السلام داعياً الجميع للانتهال من منبعه الفيض قبل فقده.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٠٥

## القسم الأول

### إشارة

فَمِنَ الْإِيْمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتًا مُسْتَقِرًّا فِي الْقُلُوبِ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِي بَيْنَ الْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ، إِلَى أَجْلِ مَعْلُومٍ، فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَفَقُوهُ حَتَّى يَحْضُرَهُ الْمَوْتُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَعُ حَدُّ الْبَرَاءَةِ.

## الشرح والتفسير: الإيمان الثابت والأجوف

كما أشير سابقاً فقد أشار الإمام عليه السلام في هذا القسم من الخطبة إلى أقسام الإيمان الثابت منه وغير الثابت، فقال: «فَمِنَ الْإِيْمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتًا مُسْتَقِرًّا فِي الْقُلُوبِ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِي بَيْنَ الْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ، إِلَى أَجْلِ مَعْلُومٍ». فتقسيم الإيمان إلى ثابت ومستقر وأجوف ومتزلزل وبعبارة أخرى عار مما وردت الإشارة إليه في الأخبار والروايات. فقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية الشريفة: «وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ» [٣٤٣]. «فَالْمُسْتَقَرُّ الْإِيْمَانُ الثَّابِتُ وَالْمُسْتَوْدَعُ الْمُعَارُ» [٣٤٤].

وفي حديث آخر عن أبي الحسن عليه السلام في تفسير الآية السابقة:

«مَا كَانَ مِنَ الْإِيْمَانِ الْمُسْتَقَرُّ فَمُسْتَقَرٌّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَبَدًا وَمَا كَانَ مُسْتَوْدَعًا سَلَبَهُ اللَّهُ قَبْلَ الْمَمَاتِ» [٣٤٥].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٠٦

ورغم الاختلاف في تفسير الآية المذكورة؛ ومن ذلك ما قيل أن المراد من المستقر أولئك الذين قرؤوا في الدنيا من الرحم والمستودع أولئك الذين ما زالوا في الأرحام، إلا أن ذلك لا يمنع من أن يكون للآية عدة تفاسير.

على كل حال فإن كان للإنسان نفس مطمئنة ورسوخ الإيمان في أعماقه كان إيمانه مستقراً ولا يتزلزل مهما تغيرت الظروف وتعرض للترغيب والترهيب؛ بينما يمكن زواله بسهولة إزاء المغريات ما لم يكن راسخاً.

وأسباب تزلزل الإيمان متعددة؛ منها عدم الانفتاح على الأدلة المحكمه واتباع الهوى وضعف النفس ومقارفة الذنوب والمعاصي، فكل من هذه الأمور قد يزلزل الإنسان آواخر عمره ليغادر الدنيا في خاتمة المطاف بلا إيمان.

والعبارة:

«عَوَارِي بَيْنَ الْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ»

كناية عن أن الإيمان لم يتسلل لحدّ إلى قلب الإنسان وروحه ولذلك لم يستقر، أشبه بالإنسان الذي يبلغ جدار منزل ولا يدخله، فبالطبع ليس لهذا الشخص من استقرار.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه فحذر من البراءة من الأفراد قبل اختتام عمرهم، ذلك لأن مصير الإنسان يتضح آخر عمره؛ فقال عليه السلام:

«إِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَفُؤُوهُ حَتَّى يَخْضُرَهُ الْمَوْتُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَعُ حَدُّ الْبَرَاءَةِ».

وعلى هذا الضوء فلا يمكن إصدار الأحكام القطعية بحق أي شخص، لا بشأن الفرد المؤمن ولا غير المؤمن، لإمكانية عودته كلّ منهما آخر الطريق بفعل بعض العوامل المختلفة، وإن كان هنالك من حكم فهو حكم مرحلي ومؤقت.

## تأمل

### عناصر ثبات الإيمان

أشار الإمام عليه السلام في القسم الأول من هذه الخطبة المذكورة آنفاً إلى تصنيف الإيمان إلى صنفين مستقر ومتزلزل، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما هي العناصر

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٠٧

التي تقف وراء زعزعة الإيمان وثباته؟

وتبدو الإجابة عن هذا السؤال واضحة إجمالاً، فالكبائر والاستخفاف بالوظائف الشرعية لمن دواعي زعزعة الإيمان وسوء العاقبة؛ إلّا أن الآيات والروايات أكّدت على أمور معينة، منها:

مجالسة رفاق السوء والمنافقين؛ ففي الآية ٢٨ و ٢٩ من سورة الفرقان يُعرب بعض أصحاب النار يوم القيامة عن أسفهم لاتخاذهم بعض الأصدقاء فيقولون: «يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا» لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي».

وفي الآية ٥٦ و ٥٧ من سورة الصافات ينادي أحد أصحاب الجنة صاحبه الضال في جهنم: «تَاللَّهِ إِنْ كِدْتُمْ لِتُزَيِّنُوا لَنَا نِعْمَةَ رَبِّي لَكُنْتُمْ مِنَ الْمُحْضَرِينَ».

وسئل الإمام الصادق عليه السلام عما يثبت الإيمان في قلب الإنسان؟ فقال:

«الَّذِي يُثَبِّتُهُ فِيهِ الْوَرَعُ، وَالَّذِي يُخْرِجُهُ مِنْهُ الطَّمَعُ» [٣٤٦].

وروى عنه عليه السلام أنه قال:

«مَنْ كَانَ فِعْلُهُ لِقَوْلِهِ مُوَافِقًا فَانْتَبَهَ لَهُ الشَّهَادَةُ بِالنَّجَاهِ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِعْلُهُ لِقَوْلِهِ مُوَافِقًا فَإِنَّمَا ذَلِكَ مُسْتَوْدَعٌ» [٣٤٧].

كما بين أمير المؤمنين على عليه السلام لكميل سبيل ثبات الإيمان فقال:

«يَا كَمِيلُ! إِنَّمَا تَسْتَحِقُّ أَنْ تَكُونَ مُسْتَقْرراً إِذَا لَزِمْتَ الْجَادَّةَ الْوَاضِحَةَ الَّتِي لَا تُخْرِجُكَ إِلَى عَوْجٍ وَلَا تُزِيلُكَ عَنْ مَنْهَجٍ مَا حَمَلْنَاكَ عَلَيْهِ وَهَدَيْتْنَاكَ إِلَيْهِ» [٣٤٨].

طبعاً لا تقتصر عناصر ثبات وزعزعة الإيمان على ما ذكر سالفاً، غير أنها تمثل أهم تلك العناصر.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٠٩

## القسم الثاني

### إشارة

وَالْهَجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الْأَوَّلِ. مَا كَانَ لِلَّهِ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِرِّرِ الْأُمَّةِ وَمُغْلِنِيهَا. لَا يَقَعُ اسْمُ الْهَجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الْأَرْضِ. فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقْرَبَ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ. وَلَا يَقَعُ اسْمُ الْأَسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاها قَلْبُهُ. إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَضْعَبٌ، لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ ائْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ، وَلَا يَبْعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ، وَأَخْلَامٌ رَزِينَةٌ. أَيُّهَا النَّاسُ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَلَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مَنِّي بِطُرُقِ الْأَرْضِ، قَبْلَ أَنْ تَشْعَرَ بِرِجْلِهَا فَتَنْتَهَ تَطَأً فِي خِطَامِهَا، وَتَذْهَبَ بِأَخْلَامِ قَوْمِهَا.

### الشرح والتفسير: سلوني قبل أن تفقدوني

أشار الإمام عليه السلام في هذا الجانب من الخطبة إلى ثلاثة أمور مهمة: الأول تفسير واضح لمفهوم الهجرة، فنحن نعلم أن الهجرة كانت من علامات الإيمان أوائل الدعوة؛ أي أن من آمن وكان في سائر المناطق غير المدينة ومنها مكة وجب عليه الالتحاق بالنبي صلى الله عليه وآله في المدينة؛ لينهل من تعاليم الإسلام ويشد بحضوره شوكة المؤمنين، إلا أن الهجرة فقدت مفهومها كما يبدو بعد بسط الإسلام لنفوذه على الجزيرة العربية، وعليه فلم يعد من ضرورة لأن يلتحق بالنبي من آمن في سائر المناطق، غير أن الهجرة بمفهومها الواقعي أي جوهر الهجرة وروحها ما زال باقياً

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢١٠

فقد أشار الإمام عليه السلام إلى هذا المعنى من الهجرة فقال:

«وَالْهَجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الْأَوَّلِ. مَا كَانَ لِلَّهِ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِرِّرِ [٣٤٩] الْأُمَّةِ وَمُغْلِنِيهَا» [٣٥٠].  
«إِمَّةً»:

بكسر الهمزة في العبارة المذكورة بمعنى (الحالة) وتشير هنا إلى الإيمان، أي الشخص الذي يكتفئ إيمانه، إلا أن البعض قرأها بضم الهمزة ليصبح معنى العبارة، وأولئك الأفراد من الأمة الإسلامية الذين كتموا إيمانهم وأولئك الذين أعلنوه.

ثم تطرق الإمام عليه السلام بعد هذا البيان الإجمالي إلى شرح معنى الهجرة بكلام رقيق فقال:

«لَا يَقَعُ اسْمُ الْهَجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الْأَرْضِ. فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقْرَبَ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ. وَلَا يَقَعُ اسْمُ الْأَسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاها قَلْبُهُ» [٣٥١].

وزبدت كلام الإمام عليه السلام أن الهجرة باقية في كل زمان ومكان على غرار عصر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، لكن ليس بمعنى انتقال المؤمن من مكان إلى آخر، بل بمعنى معرفة حجة الله أي خليفته رسول الله الحق، وحسب تعبير الحديث النبوي الشريف معرفة إمام الزمان والإيمان به، سواء حصل هذا الأمر عن طريق الهجرة المكاتبية أو بدونها، فالمهاجر الحق من عرف إمام زمانه، لأن الهدف من الهجرة الذي يتمثل في معرفة حجة الله في الأرض قد حصل عليه، ومن لم يكن كذلك فهو مستضعف قد يكون معذوراً وقد لا يكون كذلك.

فأولئك الذين تعذر عليهم السبيل إلى المعرفة هم من الطائفة الأولى (معذورون) وأولئك الذين اتيح لهم سبيل المعرفة ولم يغتنموه فهم من الطائفة الثانية (غير معذورين).

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢١١

ويطلق «المستضعف» في القرآن والروايات الإسلامية على معنيين: الأول:

الأفراد الذين يعانون من الضيق في الحياة المادية كما ورد في الآية ٥ من سورة القصص: «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ». هذه الآية إشارة إلى قصة بني إسرائيل والفراعنة وتشير إلى أصل كلى في باب المستضعفين. الثاني: الأفراد الذين يعانون من الضيق من الناحية الدنيوية ولا يستطيعون الهجرة من مناطقهم وقد قال القرآن الكريم فيهم: «وَمَا لَكُمْ

لَاتَقَاتِلُونَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا» [٣٥٢]. فهذه الآية تتحدث عن مسلمي مكة الذين تعذرت عليهم الهجرة وضيقت عليهم المشركون في أداء مناسكهم الدينيّة بحريّة وقد شجع القرآن مسلمي المدينة على إنقاذهم من مخالبي المشركين واطلق عليهم اسم الاستضعاف.

ولهذه المفردة معنى ثالث في الروايات حيث يراد بها الشخص العاجز عن تحرى الحقّ ومعرفته؛ سواء بسبب الضعف الفكري أو بعده عن مصادر التحقيق.

ففي الخبر سئل الإمام الباقر عليه السلام عن المستضعف فقال:

«هُوَ الَّذِي لَا يَهْتَدِي حِيلَةً إِلَى الْكُفْرِ فَيَكْفُرُ وَلَا يَهْتَدِي سَبِيلًا إِلَى الْإِيمَانِ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُؤْمِنَ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكْفُرَ» [٣٥٣].

ومراد الإمام عليه السلام في الخطبة هو المعنى الثالث.

وسنقدم شرحاً وافياً في بحث التأمّلات بشأن حقيقة الهجرة.

ثم أشار عليه السلام إلى الأمر الثاني فقال:

«أَنْ أَمَرْنَا صَعْبٌ مُسْتَضْعَبٌ [٣٥٤]، لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢١٢

مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ، وَلَا يَعِي [٣٥٥] حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ، وَأَخْلَامٌ رَزِينَةٌ [٣٥٦].

لقد ورد مثل هذا التعبير في سائر الروايات عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام وربّما يكون إشارة إلى الروايات التوحيدية العميقة المتعلقة بصفات الله الجماليّة والجلاليّة ومقامات النّبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام وأفعالهم في عالم التكوين بإذن الله وشفاعتهم الواسعة لمذنبى الأئمّة وعلمهم بالغيب وحوادث المستقبل بتعليم الله تعالى والتي لا يحتملها كلّ شخص؛ ذلك لأنّ أغلب الجهّال يرون صفات الله على غرار صفات المخلوق ويرون النّبي والإمام المعصوم كسائر الناس العاديين، فمن الطبيعي أن لا يتحمل أمثال هؤلاء الأفراد استيعاب تلك الأحاديث، على غرار ما جاء في بعض خطب نهج البلاغة حيث إنّ أمير المؤمنين عليه السلام حين أشار إلى جانب من الأخبار الغيبية اتّهمه بعض الجهّال الذين ضاق عليهم قبول ذلك الكلام بالكذب والعياذ بالله.

وسنتطرق إلى جانب من هذه المقامات في آخر هذه الخطبة وبالتأكيد سوف لن يتحمّله الجميع.

والعلاقة بين هذا القسم من الخطبة وما ذكره الإمام عليه السلام بشأن الهجرة أنّ من يهاجر لمعرفة إمام زمانه عليه أن يتحلّى بصدر رحب وروح واسعة وفكر رصين ليتسنى له الانتهاال من فيض هذه العيون الربانيّة الجياشة.

ثم قال عليه السلام في الأمر الثالث:

«أَيُّهَا النَّاسُ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَلَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الْأَرْضِ، قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ [٣٥٧] بِرِجْلَيْهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خَطَايَاهَا [٣٥٨].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢١٣

وَتَذْهَبُ بِأَخْلَامِ [٣٥٩] قَوْمِهَا».

هذا الكلام هو الآخر من الأحاديث الصعبة والمستصعبة بشأن مقامات المعصومين التي لا يتحملها الجهّال؛ إلّا أنّ عليّاً عليه السلام قالها كراراً وأجاب كلّ شخص بما سأل.

والجدير بالذكر أنّ هذا الكلام لم يقتصر على مصادر الشيعة بل رواه علماء العامة أيضاً، قال يحيى بن سعيد بن المسيب حسب نقل الاستيعاب:

«ما كَانَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُ سَلُونِي غَيْرَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ» [٣٦٠].

كما روى في ذلك الكتاب عن أبي الطفيل قال: رأيت علياً عليه السلام خطب وقال: «سَلُونِي فَوَاللَّهِ لَا تَسْأَلُونَنِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أُخْبِرْتُكُمْ؛ وَسَلُونِي عَنْ كِتَابِ اللَّهِ فَوَاللَّهِ مَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ أَبْلِيلَ نَزَلَتْ أُمَّ بِنَهَارَ أُمَّ فِي سَهْلٍ أُمَّ فِي جَبَلٍ» [٣٦١].

كما ورد عن عبد الله بن عباس في كتاب الاستيعاب أنه قال:

«وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَى عَلِيٌّ بَنُ أَبِي طَالِبٍ تِسْعَةَ أَعْشَارِ الْعِلْمِ وَأَيْمُ اللَّهِ لَقَدْ شَارَكَكُمْ فِي الْعَشْرِ الْعَاشِرِ» [٣٦٢].

ونختتم هذا الكلام بحديث آخر ذكره محمد بن يوسف البلخي في كتابه، فقد روى:

نفحات الولاية؛ ج ٧؛ ص ٢١٣

علياً عليه السلام خطب الناس فقال:

«سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ...»

سلوني عن طرق السماوات فإني أعرف بها من طرق الأرض، فقام إليه رجل من وسط القوم وقال له:

أين جبرئيل في هذه الساعة. فرمق بطرفه إلى السماء ثم رمق بطرفه إلى المشرق ثم رمق بطرفه إلى المغرب فلم يجد موطناً فالتفت إليه وقال: يا هذا الشيخ أنت جبرئيل. فقال الرجل: يخ بخ لك يا علي بن أبي طالب إن الله يباهي بك ملائكته.

قال ذلك ثم صفق طائراً من بين الناس [٣٦٣].

وضميناً فإن أعلميته عليه السلام بطرق السماء بالنظر لأهميتها بالنسبة للأرض.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢١٤

## تأمل

### الهجرة في الإسلام

نعلم أن التاريخ الإسلامي كتب على أساس الهجرة أي أن المسلمين لم يعتمدوا ميلاد النبي صلى الله عليه وآله كمبدأ للتاريخ ولا بعته، بل جعلوا المبدأ عام الهجرة وهذا يدل على أن أهم فصل في حياة المسلمين كان الهجرة، والواقع أن الهجرة هي التي فتحت صفحة جديدة في تاريخ الإسلام لتكون انطلاقة للحكومة الإسلامية وتقدم المسلمين في جميع المجالات.

فالوسط المكي لم يستطع استيعاب الرسالة بصورة تامة رغم الدعوة النبوية التي استمرت ثلاث عشرة سنة، لأن زعماء قريش الطغاة سعوا للقضاء على كل حركة تهدد كيانهم في مهدها؛ حيث كانوا يرون الوثنية راعية لمصالحهم والتوحيد خطراً عليها؛ إلا أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أعد خلال هذه الفترة طائفة من الفتية المخلصين فأوفدهم إلى المدينة قبل أن يهاجر إليها ثم التحقت بهم صفوة من أهل المدينة فاتفقوا وتعاهدوا حتى قدم رسول الله فاستقبل هنالك وأخذ ينشر الإسلام بكل حرية وتمكن من بناء مسجد.

واستمرت الهجرة كفرضة إلهية؛ أي أن كل فرد كان يعتقد الإسلام وأينما كان في الجزيرة العربية ينبغي عليه الإلتحاق بالمدينة وشد ظهور المسلمين، أما أولئك الذين لم يهاجروا فلم يشملوا بالولاية الإسلامية حسب النص القرآني الصريح «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا» [٣٦٤].

ويبدو أن موضوع الهجرة قد انتهى إبان فتح مكة وبسط نفوذ الإسلام على جميع المنطقة، ولم يُعتبر الأفراد الذين قدموا إلى المدينة من مكة بعد ذلك التاريخ من المهاجرين حيث ورد في الحديث النبوي الشريف:

«لَا هِجْرَةَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ» [٣٦٥].

نقحات الولاية، ج٧، ص: ٢١٥

ثم اتسع مفهوم الهجرة فأصبح المهاجر من يغادر بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، كما يعتبر من زمرة المهاجرين من يهجر منطقة إلى أخرى لدفع شر خصوم الدعوة، لذلك جاء في الحديث النبوي الشريف:

«أَيُّهَا النَّاسُ هَاجِرُوا وَتَمَسَّكُوا بِالإِسْلَامِ فَإِنَّ الْهَاجِرَةَ لَا تَنْقَطِعُ مَا دَامَ الْجِهَادُ» [٣٦٦].

ثم تجاوزت الهجرة هذا المعنى لتشمل الهجرة الباطنية والمعنوية بالإضافة إلى الهجرة المكائبة والخارجية، فقد ورد في الحديث النبوي الشريف:

«وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ» [٣٦٧].

كما ورد عن علي عليه السلام أنه قال:

«يَقُولُ الرَّجُلُ هَاجِرْتُ وَلَمْ يُهَاجِرْ إِنَّمَا الْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ يَهْجُرُونَ السَّيِّئَاتِ وَلَمْ يَأْتُوا بِهَا» [٣٦٨].

وعلى هذا الضوء فمن يهاجر من مكان إلى آخر دون أن تكون له هجرة معنوية وباطنية، أي لا يبتعد عن الذنوب والمعاصي، فهو ليس في زمرة المهاجرين الواقعيين.

ويبدو دليل هذا الاتساع في مفهوم الهجرة واضحاً، لأن روح الهجرة وجوهرها الانتقال من الكفر إلى الإيمان ومن المعصية إلى الطاعة. ومن هنا يدخل في دائرة الهجرة من عرف إمام كل زمانه ثم سارع إلى الإلتحاق به لنيل المعارف الدينة كما ورد في الخطبة.

نقحات الولاية، ج٧، ص: ٢١٧

## الخطبة ١٩٠

### إشارة

يَحْمَدُ اللَّهُ وَيُثْنِي عَلَى نَبِيِّهِ وَيَعْطُ بِالتَّقْوَى [٣٦٩]

### نظرة إلى الخطبة

تعد هذه الخطبة من أبلغ خطب أمير المؤمنين عليه السلام وتتكون من عدة أقسام:

القسم الأول: في حمد الله والثناء عليه والشهادة للنبي صلى الله عليه وآله بالنبوة والرسالة وتطرق فيها لنصره صلى الله عليه وآله على أعدائه بلطف الله.

القسم الثاني: تضمن التأكيد على مسألة التقوى، فقد دعى الجميع إلى الاستعداد لسفر الآخرة والحديث عن نهاية الحياة وخطورة الموت والحوادث التي تعقبه.

القسم الثالث: الحديث عن المصير المشرق للصالحين في الدار الآخرة ونعم الجنة العظيمة والسكينه التامة والثواب الأخرى العظيم الخالد ضمن التأكيد على

نقحات الولاية، ج٧، ص: ٢١٨

تقلب الدنيا وشرح العذاب الأخرى الذي ينتظر المجرمين في الآخرة.

القسم الرابع: عاد الإمام عليه السلام إلى ما بينه في القسم الثاني من الخطبة ليحث الجميع بعبارات جديدة على التأهب للرحيل إلى عالم الآخرة.

القسم الخامس وهو القسم الأخير من الخطبة: خاطب فيه الإمام عليه السلام أصحابه وحذرهم من التسرع والقيام بالنهضات غير المجدية والقرارات الساذجة بغية نيل الشهادة وأمثال ذلك، وصرح بأن الشهادة ستكون من نصيب من سار على الطريق المستقيم وإن مات على فراشه.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢١٩

## القسم الأول

### إشارة

أَحْمَدُهُ شُكْرًا لِإِنْعَامِهِ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ حُقُوقِهِ، عَزِيزَ الْجُنْدِ، عَظِيمَ الْمَجْدِ.  
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ، وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَادًا عَنْ دِينِهِ؛ لِأَيْثِنِيهِ عَنْ ذَلِكَ اجْتِمَاعَ عَلَى تَكْذِيبِهِ، وَالْتِمَاسَ لِإِطْفَاءِ نُورِهِ.

### الشرح والتفسير: نبي الرحمة والجهاد

استهل الإمام عليه السلام هذا الجانب من الخطبة بحمد الله والثناء عليه فقال:  
«أَحْمَدُهُ شُكْرًا لِإِنْعَامِهِ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ حُقُوقِهِ؛ عَزِيزَ الْجُنْدِ، عَظِيمَ الْمَجْدِ [٣٧٠]».

التعبير بـ

«الوظائف والحقوق»

لعله إشارة إلى الواجبات الدينيّة كالصوم والصلاة والخمس والزكاة التي لا تتم بصورة كاملة إلا بتوفيق الله، ويمكن أن تكون إشارة إلى حقوق الله التي تفرزها نعمه كنعمة الأذن والعين والعقل والفتوة والمعافة والتي يتطلب كل واحدة منها شكرًا.

ثم خاض في الشهادة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله بالرسالة وبعض صفاته فقال:

«وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ، وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَادًا عَنْ دِينِهِ؛ لِأَيْثِنِيهِ [٣٧١] عَنْ ذَلِكَ اجْتِمَاعَ عَلَى تَكْذِيبِهِ، وَالْتِمَاسَ لِإِطْفَاءِ نُورِهِ».

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٢٠

فقد أشار الإمام عليه السلام في هذا الجانب من خطبته إلى نقطتين مهمتين في سيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله؛ الأولى أنه منتصر دائماً في قتاله لأعدائه، وهذا دليل واضح على زعامته صلى الله عليه وآله وخططه في مواجهة الأعداء وخصوم الدعوة، إلى جانب الإمداد الغيبي والعناية الإلهية.

والأخرى أن اتحاد الأعداء ووقوفهم بوجهه لم يؤثر على عزمه وإرادته صلى الله عليه وآله ويصرفه عن دعوته، فكان يحث الخطى - بصبرٍ على المصاعب - نحو هدفه حتى بلغه.

ومن الحوادث التاريخية المعروفة عندما جاء رؤوساء قريش إلى أبي طالب وأرادوا أن يكلموا النبي صلى الله عليه وآله وقالوا له: يا محمّد إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وشتمت الآلهة، وسفّهت الأحلام، وفرقت الجماعة .. فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من

أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا التي يأتيتك رثياً تراه قد غلب عليك- وكان يسمون التابع من الجن رثياً- فربما كان ذلك بذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه، فقال لهم:

«ما جئتُ بما جئتُكم به أطلبُ أموالكم ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولا، وأنزل علي كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، مبلغكم رسالات ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم» [٣٧٢].

وكذلك عندما جاء روءساء قريش إلى أبي طالب وقالوا: أنت شيخنا وكبيرنا وقد آتيناك تقضى بيننا وبين ابن أخيك، فإنه سفة أحلامنا، وشم آلهتنا، فدعا أبو طالب

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٢٢١

رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك، فقال: «ماذا يسألونني؟»

، قالوا: دعنا وآلهتنا ندعك وآهلك، فقال:

«أتعطونني كلمة واحدة تملكون بها العرب والعجم؟»

، فقال له أبو جهل: لله أبوك نعطيك ذلك عشر أمثالها، فقال:

«قولوا: لا إله إلا الله»

، فقاموا وقالوا: «أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب» [٣٧٣].

وروى أن النبي صلى الله عليه وآله استعبر ثم قال:

«يا عماء لو وضعت الشمس في يميني والقمر في شمالي ما ترك هذا القول حتى أنفذه أو أقتل دونه»

، فقال له أبو طالب:

امض لأمرك فوالله لا أخذك أبداً [٣٧٤].

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٢٢٣

## القسم الثاني

### إشارة

فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّ لَهَا حَبْلاً وَثِيقاً عَزُوتَهُ، وَمَعْقِلاً مَنِيعاً ذُرْوَتَهُ.

وبادروا الموت وعمراته، وامتهدوا له قبل حلوله، وأعدوا له قبل نزوله فإن الغاية القيامة؛ وكفى بذلك إعظاً لمن عقل، ومعتبراً لمن جهل! وقيل بلوغ الغاية ما تعلمون من ضيق الأزمات، وشدة الألباس، وهول المطع، وروعات الفزع، واختلاف الأضلاع، واشتتكاك الأسماع، وظلمة اللحد، وخيفه الوعد، وعم الصريح، وردم الصفيح.

### الشرح والتفسير: الأهوال القادمة

خاض الإمام عليه السلام بعد حمد الله والثناء عليه والشهادة للنبي صلى الله عليه وآله بالرسالة، في موضوع مهم ومصيري في حياة الإنسان ألا وهو التقوى فقال:



«فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّ لَهَا حَبْلًا وَثِيقًا عَزُوتُهُ، وَمَعْقِلًا [٣٧٥] مَنِيعًا [٣٧٦] ذِرْوَتُهُ [٣٧٧]».

فالواقع أن عالم الدنيا بمنزلة البئر الذى يتعذر الخلاص من مخاطره سوى من خلال التمسك بحبل متين ألا وهو التقوى، ثم شبه التقوى بالحصن الحصين حيث ينجو من تحصن فيه من الأخطار أو كقمة الجبل المنيعه وعلى هذا الأساس فإن التقوى وسيلة للنجاة من حضيض الذلّة إلى ذروة السعادة والعزة كما أنها الدرع الذى يقى الإنسان عواصف الشهوات والهوى والهوس.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٢٤

ثم تعرض الإمام عليه السلام إلى أهم وسائل العبرة والعظة فرسمها بصورة دقيقة ومعبرة فقال:

«وَبَادِرُوا الْمَوْتَ وَعَمَرَاتِهِ، [٣٧٨] وَاْمَهْدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ، وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ:

فَإِنَّ الْعَايَةَ الْقِيَامَةَ؛ وَكَفَى بِذَلِكَ وَأَعْظَا لِمَنْ عَقَلَ، وَمُعْتَبِرًا لِمَنْ جَهَلَ!».

فمن الطبيعى أنه ينبغى للشخص المقبل على سفر مليء بالأخطار والذى لا عودة فيه، من التأهب التام له وتوفير جميع السبل التى تلزم للمسير إليه وهو السفر المعروف بسفر الآخرة الشاق، ومما لا شك فيه أنه ليس هنالك أى خشية أو قلق إن اتجه الإنسان إليه بصحيفة أعمال مليئة بالحسنات وخاليه من السيئات، وهنا خاض الإمام عليه السلام فى ذكر جانب من الحوادث المريرة للموت والقبر فقال:

«وَقَبْلَ بُلُوغِ الْعَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضِيقِ الْأَرْمَاسِ [٣٧٩]، وَشِدَّةِ الْإِبْتِلَاسِ [٣٨٠]، وَهَوْلِ الْمُطَّلَعِ [٣٨١]،

وَرَوْعَاتِ [٣٨٢] الْفَرْعِ، وَاخْتِلَافِ الْأَضْلَاعِ [٣٨٣]، وَاسْتِكََاكِ [٣٨٤] الْأَسْمَاعِ، وَظُلْمَةِ اللَّحْدِ، وَخِيفَةِ

الْوَعْدِ، وَغَمِّ الضَّرِيحِ [٣٨٥]، وَرَدَمِ [٣٨٦] الصَّفِيحِ [٣٨٧]».

بالإلتفات إلى أن الموت لا يعنى لنا انتهاء كل شىء حيث تبقى الروح بعد الموت تعيش الحياة الأخرى الخالدة، فإن القبور الضيقة والمظلمة مقارنة بالبيوت الواسعة والجميلة تبدو غاية فى الوحشة إلى جانب القلق المتعلق بضغطة القبر والخوف من

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٢٥

المستقبل وفقد الأعرّة والأحبيّة والشعور بالوحدة المطلقة وتآكل أعضاء الجسم تحت التراب وبالتالي الانتقال من الوسط الهادىء والمرفه إلى الوسط المرعب، كل ذلك من الأمور التى يهتز لها الإنسان لمجرد التفكير بها فيحذر الإمام عليه السلام من ضرورة التأهب لمثل هذا السفر الشاق والمليء بالأخطار.

جدير ذكره أن الإمام عليه السلام جسّد لمخاطبيه بهذه العبارات العشر الفصيحة والبلغه كل الأمور ذات الصلة بالموت والقبر وكأنهم يرونها عياناً؛ وهى الأمور التى ينتظرها الجميع دون استثناء والتفكير فيها يتنشل الإنسان من نوم الغفلة مهما كانت عميقة فيوقظه ويجبره على إصلاح أعماله وأقواله.

ولعل هذا هو السبب فى ما ورد من الوصايا الإسلاميه التى توصى بوضع الميت على الأرض قبل وضعه فى قبره حين يحمل إليه والترىث مدّة ثم التقدم ووضع ثانيه على الأرض والصبر مدّة أخرى وهكذا حتى يرد ذاك الموضع الموحش [٣٨٨].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٢٧

## القسم الثالث

### إشارة

فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ! فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَيْنٍ، وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرْنٍ. وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا، وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا، وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى صَرَاطِهَا. وَكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِرِزَالِهَا، وَأَنَاخَتْ بِكَلَالِهَا، وَأَنْصَرَمَتِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا، وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حَضْنِهَا، فَكَأَنَّتْ كَيَوْمِ مَضَى، أَوْ شَهْرِ أَنْقَضَى، وَصَارَ جَدِيدُهَا رَتْئًا، وَسَجِينُهَا عَنًّا. فِي مَوْقِفِ ضَنْكِ الْمَقَامِ، وَأُمُورِ مُشْتَبِهَةِ عِظَامِ، وَنَارِ شَدِيدِ كَلْبِهَا، عَالٍ لَجْبِهَا، سَاطِعِ

لَهَا، مُتَعَبِّطٌ زَفِيرُهَا، مُتَأَجِّجٌ سَبِيْرُهَا، بَعِيدٌ خُمُودُهَا، ذَاكٌ وَفُودُهَا، مَخُوفٌ وَعَيْدُهَا، عَمَّ قَرَارُهَا، مُظْلِمَةٌ أَقْطَارُهَا، حَامِيَةٌ قُدُورُهَا، فَطِيْعَةٌ أُمُورُهَا. (وَسَيِّقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا) قَدْ أَمِنَ الْعِيْدَابُ، وَانْقَطَعَ الْعَيْتَابُ؛ وَزَحْزَحُوا عَنِ النَّارِ، وَأَطْمَأْنَنَتْ بِهِمُ الدَّارُ، وَرَضُوا الْمَثْوَى وَالْقَرَارَ. الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً، وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِئَةً، وَكَانَ لِيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَارًا، تَخَشُّعًا وَسِيْتِغْفَارًا؛ وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلًا، تَوْحُّشًا وَانْقِطَاعًا. فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَأْبَأً، وَالْجَزَاءَ ثَوَابًا، (وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا) فِي مُلْكِكَ دَائِمًا، وَنَعِيمٍ قَائِمًا.

### الشرح والتفسير: أهوال المحشر!

ما أن فرغ الإمام عليه السلام من التذكير بالموت وشدائده حتى حث الجميع على الاستعداد والتأهب لهذا السفر الخطير والمرعب فتحدث بعبارات رائعة عن بداية القيامة واختتام الدنيا فقال:

«فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ! فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَيَّ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٢٨

سَنَنْ [٣٨٩]، وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرْنٍ [٣٩٠]. وَكَانَتْهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا [٣٩١]، وَأَزِفَتْ [٣٩٢] بِأَفْرَاطِهَا [٣٩٣]، وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَيَّ صِرَاطِهَا. وَكَانَتْهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلَازِلِهَا، وَأَنَاخَتْ [٣٩٤] بِكَلَاكِلِهَا [٣٩٥].»

العبارة:

«وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرْنٍ»

وبالالتفات إلى أن القرن هو الحبل الذي يربط به البعيران، إشارة إلى أن المسافة بينكم وبين القيامة ليست بعيدة، كما يمكن أن تكون العبارة إشارة إلى القيامة الصغرى أي الموت أو القيامة الكبرى بمعنى يوم القيامة، ذلك لأنَّ عمر الدنيا مهما كان فهو قليل ولا بد أن تحل القيامة، والفارق بين العبارة

«وَكَانَتْهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا»

والعبارة

«وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا»

هو أنه قال في العبارة الأولى قد جاءت علامات الآخرة بينما تطرق في العبارة الأخرى إلى توفر مقدماتها.

وذهب البعض إلى أن العبارة

«وَأَنَاخَتْ بِكَلَاكِلِهَا»

إشارة إلى مصاعب القيامة، فالبعير حين ينام ويلصق صدره بالأرض يقذف بثقله على الأرض، لكن لا يبعد أن تكون إشارة قضية الموت والقيامة كالناقة التي تنام على عتبة أبواب الجميع. كناية عن أن أحداً لا ينجو منه.

ثم قال بشأن أوضاع الدنيا:

«وَأَنْصَرَمَتِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا، وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِصْنِهَا [٣٩٦]،

فَكَانَتْ كَيَوْمِ مَضَى أَوْ شَهْرِ انْقِضَى، وَصَارَ جَدِيدُهَا رَتًّا [٣٩٧]، وَسَمِيْنُهَا غَتًّا [٣٩٨].»

نعم، فأولئك الذين كانت أعمارهم قصيرة كأنها بمثابة يوم ومن عمّر طويلاً

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٢٩

فكانه عاش شهراً.

العبارة:

«أَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِصْنِهَا»

إشارة إلى أن الدنيا أخذتهم مدّة بأحضانها ثم رمتهم إلى الموت وتشير العبارات  
«صَارَ جَدِيدُهَا رَتْئًا، وَسَمِيئُهَا غَثًّا»

إشارة إلى تقلب جميع نعم الدنيا فالجديد يصبح قديماً ويزول والسمان يضعفون ويودعون هذا العالم.

ثم واصل عليه السلام كلامه عن وضع الإنسان في نهاية الدنيا ليخوض في مواقف القيامة وكان هنا كلام مقدر وربّما لم يورد السيد الرضى بعض العبارات على طريقته في الاقتطاف ليصف العصاة الظلمة حين يردون المحشر ويرون ذلك المشهد المرعب فقال:

«فِي مَوْقِفِ صَنْكِكَ [٣٩٩] الْمَقَامِ، وَأُمُورٌ مُشْتَبِهَةٌ عِظَامٍ، وَنَارٌ شَدِيدٌ كَلْبُهَا [٤٠٠]، عَالَ لَجْبُهَا [٤٠١]، سَاطِعٌ لَهْبُهَا، مُتَعَيِّظٌ زَفِيرُهَا، مُتَأَجِّجٌ [٤٠٢] سَعِيرُهَا، بَعِيدٌ حُمُودُهَا، ذَاكٌ [٤٠٣] وَقُودُهَا، مَخُوفٌ وَعِيدُهَا، عَمٌ [٤٠٤] قَرَارُهَا، مُظْلِمَةٌ أَقْطَارُهَا، حَامِيَةٌ قُدُورُهَا، فَطِيعَةٌ أُمُورُهَا».

يشير التعبير بالموقف إلى مشهد القيامة أو مشهد جهنم، بقرينة الصفة التي جاءت بعد ذلك وجدير ذكره أن الإمام عليه السلام بين بهذه العبارات والصفات الاثنتي عشرة التي وصف بها نار جهنم جميع هذه الاعجازات الإلهية بدقّة متناهية وفصاحة تامّة بحيث يقضّ مضاجع الآثمين.

النار المحرقة والخطيرة، النار الشديدة اللهب والتي تتداعى منها تلك الأصوات الرهيبة بفعل ما يحدث فيها من انفجارات، فهي لا تخدم أبداً ودخانها كثيف وقاتل تلتهم كل ما حولها بحيث تحيل النهار الواضح إلى ظلمة مطلقة.

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٢٣٠

فالإمام عليه السلام يشير إلى هذه الصفات وكأنه يراها بأب عينيه خلف حجب الغيب.

ثم خاض عليه السلام في أوضاع أهل الجنّة فرسم لها صورة دقيقة بما يؤجج نيراناً من الشوق في قلوب المؤمنين فقال مستشهداً بالآية الكريمة: «وَسَيَقُ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا [٤٠٥]»  
: قَدْ أُمِنَ الْعَذَابُ، وَانْقَطَعَ الْعِتَابُ؛ وَزُخْرُحُوا [٤٠٦] عَنِ النَّارِ، وَأَطْمَأْنَنَتْ بِهِمُ الدَّارُ، وَرَضُوا الْمَثْوَى وَالْقَرَارَ».

حيث أشار الإمام عليه السلام بهذه العبارة القصيرة إلى خمسة امتيازات عظيمة لهذه الطائفة الورعة من أصحاب الجنّة والتي يمكن خلاصتها في السكينة والطمأنينة المطلقة حيث الأمان من العذاب وغياب العتاب وابتعاد عن النار والاستقرار التام في الجنّة والرضا بهذه العاقبة.

آنذاك خاض الإمام عليه السلام في شرح جانب من أعمال هذه الفئة فقال:

«الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً، وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةً، وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَارًا، تَخَشَعًا وَاسْتِغْفَارًا؛ وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلًا، تَوَحُّشًا وَانْقِطَاعًا».

حيث رسم الإمام عليه السلام بهذه الصفات الأربع مقامهم الرفيع بأجمل الصور ليعتبره العنصر الذي جعلهم من أصحاب الجنّة. فمن جانب كانت أعمالهم في الدنيا طاهرة ونقية عن الرياء والعجب والفخر، وكانت أعينهم باكية من خشية الله وعلى مصاب المظلومين من عباد الله، ومن جانب آخر كانوا ينقطعون في الليل للتهجد والعبادة والخشوع والخضوع والاستغفار كما كان نهارهم ليلاً بسبب ابتعادهم عن أهل الدنيا والتنازع على المتع المادية فلا يعيشون سوى الانقطاع إلى الله، نعم هذه هي صفات أصحاب الجنّة من ذوى المقامات الرفيعة والسعداء من أصحاب النجاة فاستحقوا بذلك تلك الدرجات، ومن هنا اختتم الإمام عليه السلام كلامه بالقول:

«فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَأْبًا، وَالْجَزَاءَ ثَوَابًا،

«وَكَانُوا

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٢٣١

أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا» [٤٠٧]

فِي مُلْكٍ دَائِمٍ، وَنَعِيمٍ قَائِمٍ».

وعلى هذا الضوء فقد أشار الإمام عليه السلام إلى أهليتهم واستعدادهم بالإضافة إلى أجرهم وثوابهم العظيم، فقد حاربوا هوى أنفسهم مدة قليلة وأثبتوا أهليتهم ورفعوا مقامهم من خلال عبادتهم لربهم وخشيتهم منه وسهرهم الليالي بالعبادة وإخلاصهم لله تعالى فأفاض الله الجواد الكريم عليهم عظيم أجره وثوابه الذي يفوق تلك الأعمال والذي لا يعرف من معنى للزوال والفناء.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٣٣

## القسم الرابع

### إشارة

فَارْعَوْا عِبَادَ اللَّهِ مَا بَرِعَائِيهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ، وَبِإِضَاعَتِهِ يَخْسِرُ مُبْطِلُكُمْ.

وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ مُرْتَهِنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ، وَمَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ. وَكَأَنَّ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ الْمُخُوفُ، فَلَا رَجْعَةَ تَنَالُونَ، وَلَا عَثْرَةَ تُقَالُونَ.

اسْتَعْمَلْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ.

### الشرح والتفسير: الاستعداد للرحيل

تابع الإمام عليه السلام في هذا الجانب من الخطبة في بيانه لمصير الطالحين والصالحين حين الموت وفي القيامة، مطلباً يؤدي إلى النجاة والتوفيق حين الموت والعرض على الله فقال:

«فَارْعَوْا عِبَادَ اللَّهِ مَا بَرِعَائِيهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ، وَبِإِضَاعَتِهِ يَخْسِرُ مُبْطِلُكُمْ» [٤٠٨].

من الواضح أن عبارة الإمام عليه السلام البليغة هذه إشارة إلى التقوى والعمل الصالح الذي يدعو إلى الفلاح بينما يدعو التولى عنه إلى الفشل والخسران كما صرح القرآن الكريم بهذا الشأن قائلاً: «وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ» [٤٠٩].

ثم واصل كلامه في الحديث عن قصر عمر الإنسان وذم التعويل على ما بقى منه

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٣٤

والإبهام الذي يحيط بلحظة الموت فدعى الجميع لادخار العمل الصالح والمسارة للخيرات فقال:

«وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ مُرْتَهِنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ، وَمَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ».

يا له من تعبير رائع (التعبير بالرهن والدين) بالنسبة للذنوب السالفة وكأن الذنوب تطوق عنق الإنسان كدين ليكون بمنزلة المرهون بكل كيانه إزاء هذا الدين فلا ينفك عنه ما لم يتب ويبادر إلى تلافى ما فرط منه بالعمل الصالح، الأمر الذي أكدته القرآن الكريم: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» [٤١١].

ورد في الحديث النبوي الشريف (الخطبة الشعبانية في أهمية شهر رمضان):

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَنْفُسَكُمْ مَرْهُونَةٌ بِأَعْمَالِكُمْ فَكُوهَا بِاسْتِعْفَارِكُمْ» [٤١٢].

ثم حذر الجميع فقال:

«وَكَأَنَّ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ الْمُخُوفُ، فَلَا رَجْعَةَ تَنَالُونَ، وَلَا عَثْرَةَ تُقَالُونَ» [٤١٣].

فالحقيقة هي أن الإمام عليه السلام يشير إلى هذه النقطة وهي أن الموت يمكن أن يأتي الإنسان في كل حادثه لا سيما أننا نرى موت الفجأة أثر السكتة القلبية أو سائر حوادث الموت الذي لا عودة فيه والتي تعجز أمامه جميع الأسباب الظاهرية، ثم اختتم الإمام عليه السلام هذا الجانب من الخطبة بدعاء قصير وجامع فقال:

«اسْتَعْمَلْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ».

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٣٥

## القسم الخامس

### إشارة

إِزْمُوا الْأَرْضَ، وَاصْبِرُوا عَلَى الْبَلَاءِ. وَلَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَسُيُوفِكُمْ فِي هَوَى أَلْسِنَتِكُمْ، وَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يَعْجَلْهُ اللَّهُ لَكُمْ. فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيدًا، وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَاسْتَوْجِبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ، وَقَامَتِ النَّيَّةُ مَقَامَ إِضْلَاتِهِ لِسَيْفِهِ؛ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَأَجَلًا.

### الشرح والتفسير: لكل شيء أجل ومدّة

خاطب الإمام عليه السلام في القسم الأخير من هذه الخطبة أولئك الذين يتطلعون إلى الشهادة بفاغ الصبر ودون تروٍ ويتعجلون في مواجهة العدو بعيداً عن تخطيط الإمام عليه السلام فقال:

«إِزْمُوا [٤١٤] الْأَرْضَ، وَاصْبِرُوا عَلَى الْبَلَاءِ. وَلَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَسُيُوفِكُمْ فِي هَوَى أَلْسِنَتِكُمْ، وَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يَعْجَلْهُ اللَّهُ لَكُمْ».

فكما أن هنالك من يتهرب من الجهاد في سبيل الله، هنالك من يتعجل ويبغى الشهادة قبيل أوانها، ورغم أن نيات هؤلاء الأفراد مقدسة لكن الأعمال التي لا تخضع للتخطيط وتسبق أوانها تنطوي على العديد من الأخطاء والانعكاسات السلبية.

ومن هنا نهى الإمام عليه السلام عن مثل هذه الأفعال ثم قال بصيغته دليل لما ذكر:

«فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٣٦

شَهِيدًا، وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَاسْتَوْجِبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ، وَقَامَتِ النَّيَّةُ مَقَامَ إِضْلَاتِهِ [٤١٥] لِسَيْفِهِ».

واختتمها بالعبارة:

«فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَأَجَلًا».

وتبدو هذه العبارة مجدية في كل عصر وزمان وتشكل رداً حاسماً على المتسرعين من الأفراد من ذوى النيات الطاهرة الذين ربّما يعيشون الجهاد والشهادة لكنهم لا يميزون الوقت المناسب من غير المناسب فهم يتحرقون على الدوام ويمارسون بعض الضغوط على زعامتهم إلا أن الزعيم الحكيم من لا يستجيب للضغوط ولا يتعجل النتائج، لكنه يبشرهم بأن الله سيثيبهم على تلك النيات إن كانوا صادقين في دعواهم وإيمانهم بالمبدأ والمعاد والتبى صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام فسيحصلون لا شك على ثواب المجاهدين في سبيل الله والشهداء ولا- يصدق هذا الكلام على الجهاد والشهادة فحسب بل يشمل جميع أفعال الخير التي ينبغى ممارستها في وقتها المناسب، وقد وردت مثل هذه العبارة في الخطبة الخامسة من نهج البلاغة بتعبير آخر إذ قال:

«وَمُجْتَبَى الثَّمَرَةِ لِعَيْرٍ وَقَتِ ائِنَاعِهَا كَالزَّرَاعِ بَعِيرٍ أَرْضِهِ».

ويصدق هذا الكلام على عصرنا وزماننا إذ إنَّ هنالك طائفة تسعى لمواجهة المنافقين في الداخل والأعداء في الخارج دون التطلع إلى الفرصة المناسبة والتخطيط الدقيق، أو تعيش حالة من الانتظار الممل لظهور الإمام المهدي عليه السلام والقتال بين يديه والذي يقال لجميع هؤلاء إنَّ الله سيعطيكم أجر المجاهدين والشهداء إن صدقتم في إيمانكم وأخلصتم في نياتكم.

## تأمل

### الثورات المتعجلة

قد يضيق البعض ذرعاً في المجتمعات التي تعيش حالة من المعاناة بفعل العدو

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٢٣٧

الداخلي أو الخارجي فيعمد إلى القيام بالثورة في غير وقتها، الأمر الذي لا يؤدي إلى فشل تلك الثورة فحسب بل يوقظ العدو ويسلب زمام المبادرة في المستقبل، وهذه إحدى المعضلات التي تواجه القيادات الحكيمه.

وقد حفل تاريخ التشيع بالعديد من هذه الثورات المتعجلة عقب واقعه كربلاء والتي جوبهت بالنهي من جانب الأئمة عليهم السلام، مع ذلك فقد التحق بها بعض من اشياعهم المخلصين.

والقضية المهمه هي أن الثورة ضد العدو بغية القضاء عليه تتطلب العديد من الشروط التي يسعى القائد الحكيم لتوفرها جميعاً لتفضي الثورة إلى نتائجها المتوخاه منها.

فالقائد عادة يرى ما لا يراه الفرد العادي ويتمتع بسعه افق تجعله يرى ويفكر في ما خلف هذا الواقع، والذي تفيده هذه الخطبه أن أمير المؤمنين عليه السلام ورغم كونه أعظم بطل ومجاهد في الإسلام قد عانى من مثل هؤلاء الأفراد إلى جانب أولئك المتقاعسين عن الجهاد.

فقد عانى في الواقع من افراط وتفريط هاتين الطائفتين.

فبعض الأفراد لا يكاد يسمع الآيات والروايات الواردة في مقام الشهداء وثواب الشهادة ودعوة الناس لهذا المضمار حتى يعيشوا حالة عجيبة من عشق الشهادة، إلما أن الإمام عليه السلام يريهم أفضل سبيل والذي تلخص في نصحهم عدم الاستعجال واليقين بأن الله سيعطيهم أعظم الأجر والثواب إن صدقوا في إيمانهم وأخلصوا في نياتهم.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٢٣٩

### الخطبة ١٩١

#### إشارة

يَحْمَدُ اللَّهَ وَيُثْنِي عَلَى نَبِيِّهِ وَيُوصِي بِالزُّهْدِ وَالتَّقْوَى [٤١٦]

### نظرة إلى الخطبة

تتألف هذه الخطبة في الواقع من ثلاثة أقسام:

القسم الأول: في حمد الله والثناء عليه المقرون بذكر النعم وجانب من صفات الجلال والجمال، ثم الشهادة للنبي صلى الله عليه وآله بالرسالة وتوضيح الظروف التي بعث فيها النبي وهداية الأمة.

القسم الثاني: الحديث عن التقوى وبركاتها والوصية بالتمسك بهذه العروة الإلهية في جميع شؤون الحياة.

القسم الثالث: تحذير أصحاب الدنيا من الغرور بها والكشف عن الدنيا وعيوبها ليعتبر بذلك الآخرون.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٤١

## القسم الأول

### إشارة

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي فِي الْخَلْقِ حَمْدُهُ، وَالْغَالِبِ جُنْدُهُ، وَالْمُتَعَالِي حَيْدُهُ أَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمِهِ التُّوَامِ، وَاللَّائِيهِ الْعِظَامِ. الَّذِي عَظَّمَ حِلْمَهُ فَعَفَا، وَعَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى، وَعَلِمَ مَا يَمْضِي وَمَا مَضَى، مُبْتَدِعِ الْخَلَائِقِ بِعِلْمِهِ، وَمُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ، بَلَّا أَقْتِدَاءَ وَلَا تَعْلِيمَ، وَلَا اخْتِدَاءَ لِمِثَالِ صَانِعِ حَكِيمٍ، وَلَا إِصَابَةَ خَطَأً، وَلَا حَضْرَةَ مَلَأَ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ابْتَعَثَهُ وَالنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ، وَيَمْوُجُونَ فِي حَيْرَةٍ. قَدْ قَادَتْهُمْ أَرْمَةُ الْحَيْنِ، وَاسْتَعْلَقَتْ عَلَى أَفْتِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ.

### الشرح والتفسير: بديع خلق الله

استهل الإمام عليه السلام هذه الخطبة التي تعدّ من أفصح خطبه عليه السلام بحمد الله والثناء عليه ووصفه بثلاث صفات فقال: «أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي [٤١٧] فِي الْخَلْقِ حَمْدُهُ، وَالْغَالِبِ جُنْدُهُ، وَالْمُتَعَالِي جَدُّهُ».

التعبير

«الْفَاشِي فِي الْخَلْقِ حَمْدُهُ»

التي تفيد سعة حمد الله في جميع مخلوقاته يمكن أن تشير إلى حمده من قبل الأقوام المؤمنة والثناء عليه، أو إشارة إلى الحمد والثناء التي تعيشه موجودات العالم كافة ولا سيما إزاء نعم الله بلسان الحال والقال فتسبح الله وتقدهس وتحمده، وغلبة جند الله تستند إلى أن جند الله تعالى لا

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٤٢

يقتصرون على ملائكته سبحانه بل كل ما في العالم، وليس لأحد مقاومته والوقوف بوجهه: «وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» [٤١٨].

والعبارة:

«وَالْمُتَعَالِي جَدُّهُ»

اقتباس من الآية الشريفة: «وَأَنَّهُ تَعَالَى حَيْدُ رَبَّنَا» [٤١٩] وبالإلتفات إلى أن الحيد هنا تعني العظمة فإنها إشارة لعظمة الذات الإلهية المقدسة [٤٢٠].

ثم ركز الإمام عليه السلام على النعم الماديّة والمعنويّة ليحمد الله ويشنّى عليه إزاء تلك النعم فقال:

«أَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمِهِ التُّوَامِ [٤٢١]، وَاللَّائِيهِ الْعِظَامِ».

بالنظر إلى أن (توأم) على وزن (غلام) جمع (توأم) على وزن (جوهر) بمعنى الأشياء المقترنة مع بعضها فإنها تشير إلى النعم الإلهية التي تكون عادة متصلة ومتتالية، فمثلاً نعمه اللسان هي وسيلة للتكلم وكذلك عنصر لدفع الطعام تحت الأسنان بغية مضغه من جانب كونه وسيلة مهمة لابتلاع الطعام وتذوق الأطعمة وللإطلاع على سلامة الطعام من فسادته وهكذا سائر النعم التي لا تعد ولا تحصى، وهل يطبق الإنسان احصاء نعم الله وأفضاله؟

ويمكن أن تكون «آلاء» مقابل «نعم» إشارة إلى النعم المعنوية في مقابل النعم المادية، ثم خاض في معرفة الله فحمده واثني عليه وذكره بخمس صفات من شأن كل واحدة منها أن تكون دافعاً لحمد الله والثناء عليه فقال عليه السلام:

«الَّذِي عَظَّمَ حِلْمُهُ فَعَفَا، وَعَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى، وَعَلِمَ مَا يَمُضِي وَمَا مَضَى، مُبْتَدِعَ الْخَلَائِقِ بِعِلْمِهِ، وَمُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ».

فهذه الصفات الخمس التي تنطلق من سعة حلم الله تعالى وتنتهي بخلق الخلائق

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٤٣

وابداع الكائنات تعد أهم صفات الله التي تشمل العلم والقدرة والعدالة واللطف والرحمة.

ثم أشار إلى هذه الحقيقة أن خلق الله تعالى دون أدنى سابقه تعلم وتجربة ومشورة فقال عليه السلام:

«بَلَا أِقْتِدَاءَ وَلَا تَعْلِيمَ، وَلَا اخْتِدَاءَ [٤٢٢] لِمِثَالِ صَانِعِ حَكِيمٍ، وَلَا إِصَابَةَ

خَطَأٍ، وَلَا خَضْرَةَ مَلَأَ».

فالواقع إن الشخص الذي يستلهم من الآخرين في صناعته إنما يستند إلى ذلك في واحدة من طرق خمسة:

الأول: أن يقلد غيره، والثاني: أن يتعلم، والثالث: أن يرى صناعه عالم غيره فيستفيد منها في تحقيق غرضه، والرابع: الاستفادة من أخطائه السابقة والخروج بتجربة، والخامس: أن يستشير جماعة معينه ويتعاون معها، أما الله الصانع الحكيم فخلقه لا يستند إلى سابقة وغنى عن كل ما قيل سابقاً ومن هنا يطلق على خلقه الابداع (الخلق دون سابقة).

وتبدو هذه المسألة في غاية الأهمية إذ إن الإنسان مهما صنع ومهما ابدع وابتكر إنما شاهد نماذج ذلك في عالم الخلق؛ فمثلاً الذين اخترعوا الطائرة فمما لا شك فيه أنهم استفادوا واستلهموا تصميمها من الطيور، ومن هنا كان هنالك شبه كبير بين أنواع الطائرات وأنواع الطيور، وفي نفس الوقت وبغية تحقيق أهدافهم عليهم أن يستفيدوا من علوم السابقين وتجاربهم ويقوموا باختباراتهم الواسعة والمتكررة ليتمكنوا من تلافي أخطائهم عن طريق الاختبار والتجربة، وعادة ما يعمدون إلى تشكيل بعض المجالس وعقد المؤتمرات والندوات لهذا الغرض والحال فإن الصانع الحكيم ليس بحاجة إلى أي من هذه الأمور في خلقه الواسع والأنواع الخارجة عن الحدود من مخلوقاته.

ولما فرغ الإمام عليه السلام من حمد الله والثناء عليه خاض في الشهادة للنبي صلى الله عليه وآله

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٤٤

بالرسالة والأوضاع على عهد بعثته ليشرحها بعبارات قصيرة وعظيمة المعنى وليكشف النقاب عن مضمون تلك الدعوة فتبدو واضحة وجليه وملموسة، فقال:

«وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ ابْتَعْتَهُ وَالنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي عَمْرَةٍ [٤٢٣]، وَيَمُوجُونَ

فِي حَيْرَةٍ. قَدْ قَادَتْهُمْ أَرْزَمَةُ الْحَيْنِ [٤٢٤]، وَاسْتَعْلَقَتْ عَلَيَّ أَفْتَدِيَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ [٤٢٥]».

فقد استعار الإمام عليه السلام عدة تشبيهات لرسم صورة واضحة لما كانت عليه الناس في العصر الجاهلي؛ فقد شبههم أحياناً بالشخص الذي وقع في ورطة مرعبة فهو لا ينفك عن الصراخ وطلب النجدة، وأحياناً أخرى شبههم بأن أزمهم انيطت بأيدي أفراد فاسدين مفسدين لا يقودونهم سوى إلى الهاوية، وأخيراً شبه قلوبهم بالمخازن المقفلة بحيث لم يلجها أي علم ومعرفة وفضيلة.

حقاً، إن الإنسان ما لم يقف على وضع الناس في العصر الجاهلي من الناحية الفكرية والعقائدية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية لا



يسعه إدراك عظمة النبي صلى الله عليه وآله وعظمة الدعوة الإسلامية، ومن هنا يذكر الإمام عليه السلام في العديد من خطب نهج البلاغة وبعبارات غاية في الروعة والجمال الوضع آنذاك للأجيال الذين لم يدركوا ذلك العصر أو أنهم أدركوا واقعه ولكنهم نسوه ومن ذلك ما قاله في الخطبة الثانية من النهج:

«أُرْسِلَهُ بِالَّذِينَ الْمَشْهُورِ ... وَالنَّاسُ فِي فِتْنٍ أَنْجَزَمَ فِيهَا جَعَلَ الدِّينَ ...».

ووقال عليه السلام في الخطبة ٢٦:

«إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ... وَأَنْتُمْ مَعْشَرُ الْعَرَبِ فِي شَرِّ دِينٍ وَفِي شَرِّ دَارٍ ...».

والخطبة ٥٩:

«بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضَلَالًا فِي حَيْرَةٍ وَحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ ...».

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٤٥

والخطبة ١٩٥:

«أُرْسِلَهُ وَأَعْلَامُ الْهُدَى دَارِسَهُ وَمَنَاهَجُ الدِّينِ طَامِسَهُ ...».

حقًا لونظرنا إلى عبارات الإمام عليه السلام في هذه الخطب مع بعضها البعض الآخر لتجسدت أمامنا صورة غاية في الروعة عن الأوضاع في العصر الجاهلي والمشاكل التي كان يعاني الناس منها آنذاك على الصعيد العقائدي والاجتماعي والأخلاقي وبالتالي سنقف على مدى أهمية الإسلام والجهود التي بذلها رسول الله صلى الله عليه وآله في الإرتقاء بذلك المجتمع وتحويله من مجتمع جاهلي ذي تقاليد متوحشة إلى مجتمع إسلامي ذي مبادئ إنسانية عالية.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٤٧

## القسم الثاني

### إشارة

عِبَادَ اللَّهِ! أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا حَقُّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، وَالْمَوْجِبَةُ عَلَى اللَّهِ حَقَّكُمْ، وَأَنْ تَشْرَعَ تَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللَّهِ، وَتَشْرَعَ تَعِينُوا بِهَا عَلَى اللَّهِ: فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحِزْبُ وَالْجَنَّةُ، وَفِي غَدِّ الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنَّةِ. مَسَلِكُهَا وَاضِحٌ، وَسَالِكُهَا رَابِعٌ، وَمُسَدِّ تَوَدُّعُهَا حَافِظٌ. لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسِهَا عَلَى الْأَمَمِ الْمَاضِيَيْنِ مِنْكُمْ وَالْغَابِرِينَ، لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَدًا، إِذَا أَعَادَ اللَّهُ مَا أَيْدِي، وَأَخَذَ مَا أَعْطَى، وَسَأَلَ عَمَّا أَسَدَى. فَمَا أَقَلُّ مَنْ قَبْلَهَا، وَحَمَلَهَا حَقًّا حَمَلَهَا! أَوْلَيْكَ الْأَقْلُونَ عَدَدًا، وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ: (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ).

### الشرح والتفسير: التقوى كنه في الدنيا ونور في الآخرة

يشكل هذا الجانب من خطبة الإمام عليه السلام هدفها الأصلي وما مضى في القسم الأول يمثل في الواقع مقدمة وتمهيداً لهذا القسم، ذلك لأنه لا موضوعية للحديث عن الورع والتقوى ما لم يكن هناك إيمان بالله وإيمان بنبوته النبي الأكرم صلى الله عليه وآله فقال عليه السلام:

«عِبَادَ اللَّهِ! أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا حَقُّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، وَالْمَوْجِبَةُ عَلَى اللَّهِ حَقَّكُمْ».

وهذا التعبير بشأن التقوى بديع، فهو يمثل حق الله من جانب على عباده ومن جانب آخر يجعل للعباد حقاً على الله تعالى، أما حق الله

فدليل ذلك أن نتيجة الورع والتقوى هو طاعة جميع أوامر الله ونواهيه وطاعة حق الله لدى عباده، وأما حق العباد على الله فكونهم يستحقون على أثرها الأجر والثواب.

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٤٨

وقد ذهب العديد من شراح نهج البلاغة إلى أن التقوى هنا تعنى الطاعة التامة لأوامر الله تعالى، والحال أن التقوى هي خشية الله الباطنية والالتزام بالمبادئ التي يكون أثرها طاعة أوامر الله.

فالتقوى تظهر في مراحلها الابتدائية بصورة العدالة وفي مراحل أروع بصورة العصمة وكل ذلك من الصفات الباطنية.

والشخص الذي يستخف بالطاعة ولا يكثر للذنب هو شخص عديم التقوى وذلك الشخص الملتزم بتعاليم الدين والعامل بها هو المتقى وتظهر آثار كل من الحالتين على الأعمال.

ثم قال عليه السلام في تحصيل هذه الجوهرة الثمينة:

«وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيَّهَا بِاللَّهِ، وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللَّهِ».

نعم، فسلك سبيل التقوى، التقوى التي تحيط بحياة الإنسان، ليست ميسرة إلا بتوفيق الله، حتى أنبياء الله وأوليائه يفوضون أمورهم إلى الله ويسألونه الأخذ بأيديهم ويقولون: «وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ» [٤٢٦].

وورد في الدعاء الذي ورد الحث عليه عقب زيارة الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام:

«كُلَّمَا وَقَفْتَنِي بِخَيْرٍ فَأَنْتَ دَلِيلِي عَلَيْهِ وَطَرِيقِي إِلَيْهِ» [٤٢٧].

ثم أشار عليه السلام إلى معنيين مهمين من معطيات التقوى كدليل عليها فقال:

«فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحِزْبُ وَالْجَنَّةُ».

نعم! فمعظم الحوادث المريرة الفردية والاجتماعية التي تعكر صفو حياة الإنسان في هذا العالم معلولة للمعصية والخروج عن جادة العدل والانصاف؛ فالتقوى تنقذ الإنسان في هذا العالم من السقوط في مستنقع الذنب وعواقبه الخطيرة وتجعله يعيش حياة هانئة مقرونة بالسكينة والسعادة وفخير زاد يتزود به الإنسان

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٤٩

هي التقوى كما تقول الآية الشريفة: «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى» [٤٢٨].

التي تعنى دخول الجنة والتلذذ بنعمها الخالدة، فهل هناك من جوهره ثمينة أئمن من التقوى بحيث تحفظ الإنسان في الدنيا وتنجيه في الآخرة.

ثم أشار في مواصلته لحديثه إلى ثلاثة أمور مهمة بشأن التقوى فقال عليه السلام في الأمر الأول:

«وَفِي عَدِّ الطَّرِيقِ إِلَى الْجَنَّةِ. مَسْلُكُهَا وَاضِحٌ، وَسَالِكُهَا رَاجِحٌ، وَمُسْتَوْدَعُهَا حَافِظٌ».

إلا أن وضوح جادة التقوى ومسلكها كونها من جانب منسجمة بصورة تامة مع فطرة الإنسان، ومن جانب آخر قد بين مسار هذه الجادة في عالم التشريع في الكتاب والسنة النبوية المطهرة.

وأما ربح السالك لهذا الطريق كونها تسوق المتقين إلى الجنة وفق الآية القرآنية:

«تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا» [٤٢٩] هذا من جانب، ومن جانب آخر تنقذ صاحبها في الدنيا من الدنس والدناءة

والحياة المظلمة وتجعله سعيداً ذا عزة لدى الجميع، أما حفظها لمستودعها (إذا اعتبرنا مستودع بمعنى اسم المفعول) فسبب ذلك أن

الله تعالى تعهد بمثوبة المتقين والورعين، وعليه فأمانة هؤلاء محفوظة لدى الله وملائكة الله حفظت أعمال المتقين، وإن اعتبرنا

مستودع بمعنى اسم المكان فإن موضع التقوى هو القلب الذي يحفظها بعناء ويصونها من كل شىء، واعتبر البعض (حافظ) بمعنى

المحفوظ وعليه يصبح معنى الجملة، المتقون محفوظون في ظل التقوى.

الأمر الثاني الذي أشار إليه الإمام عليه السلام هي أن التقوى حقيقة خالدة لا تتأثر بالزمان والمكان فقال:

«لَمْ تَبْرَحْ [٤٣٠] عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى الْأَمَمِ الْمَاضِينَ مِنْكُمْ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٥٠

وَالْعَابِرِينَ [٤٣١]، لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا عَدَاً، إِذَا أَعَادَ اللَّهُ مَا أَبَدَى وَأَخَذَ مَا أَعْطَوْا سَأَلَ عَمَّا  
أَسَدَى [٤٣٢].»

نعم فالتقوى كالقصر الجميل الفخم والهادئ الذي يدعو إليه الجميع والذي كان وما زال ماثلاً أمام أعين جميع الناس وقد دعى إليه الجميع من جانب الكتب السماوية وأنبياء الله وأوليائه، فقد صرح القرآن الكريم قائلاً: «وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ» [٤٣٣].

وقال الإمام عليه السلام في الأمر الثالث:

«فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبْلَهَا، وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا! أُولَئِكَ الْأَقْلُونَ عَدَدًا، وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ:  
«وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ» [٤٣٤].»

والسؤال الذي يرد: لم كان طلاب التقوى قلائل مع ما لها من الأهمية؟ ولا يبدو الجواب على هذا السؤال صعباً، ذلك لأن التقوى تعنى مخالفة هوى النفس ومخالفة هوى النفس ليس بالأمر الهين، فسييل التقوى ينطوى على الكثير من المطبات والصعوبات وإن كانت عاقبته حلوة هنيئة، ذلك لأن جادة هوى النفس معبدة وللسائرين ولكن عاقبتها في غاية الخطورة.

إن الله تعالى لما خلق الجنة قال لجبرئيل: انظر إليها. فلما نظر إليها قال:

«يَا رَبِّ لَا يَتْرُكُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا»

فلما حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ قَالَ: انظر إليها. فلما نظر إليها قال:

«يَا رَبِّ أَخْشَى أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ»

ولما خلق النار قال: انظر إليها. فلما نظر إليها قال:

«يَا رَبِّ لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ»

فلما حَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ قَالَ: انظر إليها، فلما نظر إليها قال:

«يَا رَبِّ أَخْشَى أَنْ يَدْخُلَهَا كُلُّ أَحَدٍ» [٤٣٥]

. فهذا الحديث في الواقع شرح لما ورد عن النبي

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٥١

الأكرم صلى الله عليه وآله وعن وعلى عليه السلام:

«حَفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحَفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ» [٤٣٦].

## القسم الثالث

### إشارة

فَأَهْطِعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا، وَأَلْطُوا بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا، وَاعْتَاضُوهَا مِنْ كُلِّ سَيْلَفٍ خَلْفًا، وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقًا. أَيْقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ، وَاقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ، وَأَشْعِرُوا قُلُوبَكُمْ، وَارْحُضُوا بِهَا ذُنُوبَكُمْ، وَدَاوُوا بِهَا الْأَسْقَامَ، وَبَادِرُوا بِهَا الْحِمَامَ، وَاعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا، وَلَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا. أَلَا فَصُونُوهَا وَتَصُونُوا بِهَا، وَكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نَزَاهًا، وَإِلَى الْآخِرَةِ وُلَاهًا. وَلَا تَضَعُوا مَنْ رَفَعْتَهُ التَّقْوَى، وَلَا تَرَفَعُوا مَنْ رَفَعْتَهُ

الدُّنْيَا. وَلَمَّا تَشِيْمُوا بَارِقَهَا، وَلَمَّا تَشِيْمَعُوا نَاطِقَهَا، وَلَا تُجِيْبُوا نَاعِقَهَا وَلَا تَسْتَضِيْئُوا بِإِسْرَاقِهَا، وَلَا تُفْتَنُوا بِأَعْلَاقِهَا، فَإِنَّ بَرَقَهَا خَالِبٌ، وَنُطْقَهَا كَاذِبٌ، وَأَمْوَالُهَا مَحْرُوبَةٌ، وَأَعْلَاقُهَا مَسْلُوبَةٌ. أَلَا وَهِيَ الْمَتَصَدِّيقَةُ الْعُنُونُ، وَالْجَامِحَةُ الْحُرُونُ، وَالْمَائِنَةُ الْخُورُونُ، وَالْجَحُودُ الْكَنُودُ، وَالْعَنُودُ الصَّدُودُ، وَالْحَيُودُ الْمَيُودُ.

### الشرح والتفسير: سماع نداء التقوى

خاض الإمام على عليه السلام في هذا الجانب من الخطبة في بحث واسع وعميق عن آثار التقوى على الإنسان صاحب البصيرة وتطرق إلى أبعادها المختلفة باثنتي عشرة عبارة قصيرة وعميقة المعنى فقال عليه السلام:

«فَأَهْطِعُوا [٤٣٧] إِلَيْهَا، وَالْطُّوَا [٤٣٨] بِجِدِّكُمْ

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٥٢

عَلَيْهَا، وَاعْتَاضُوهَا مِنْ كُلِّ سَلْفٍ خَلْفًا، وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقًا.

وكانت التقوى قد دعت إلى نفسها جميع الناس وقد بينت للجميع آثارها الطيبة والمحمودة ولذلك قال الإمام عليه السلام سارعوا إليها بأذانكم لسماعها ثم انهضوا وجدوا واجتهدوا في تحصيل مقدماتها فإن كانت لكم تقوى فسوف لن تحزنوا على ما يفوتكم من حطام الدنيا واعلموا أن التقوى حافظتكم من مخالفكم.

ويمكن أن تكون

«مُخَالِفٌ»

في العبارة إشارة إلى الذنوب السالفة التي تزول آثارها بالتقوى، أو المراد اعداء الإنسان ومخالفوه، لأن الله وعد المتقين بالنصر والغلبة إذ قال تعالى في كتابه العزيز: «أَنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ» [٤٣٩]، وقال: «وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَمَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا» [٤٤٠].

ثم نصحننا بست عبارات أخرى فقال:

«إِيقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ واقطعوا بها نومكم، وأشعروها قلوبكم، وارضضوا [٤٤١] بها ذنوبكم، وداؤوا بها الأسقام».

وعبارة

«أَيَقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ»

يمكن أن تكون إشارة إلى النوم العادي، أي ينبغي في ظل التقوى قضاء جانب من الليل في العبادة والتفرغ لمناجاة الله تعالى:

«في مقابل واقطعوا بها نومكم

« كما يُحتمل أن يكون المراد، اليقظة من نوم الغفلة بالتقوى، والعبارة

«أشعروها قلوبكم»

بالنظر إلى أن (شعار هي الشياب الملاصقة للبدن) فيمكن أن تكون إشارة إلى تنوير القلب بالتقوى أو اجعلوا التقوى شعاركم وعلامتكم أو ايقظوا قلوبكم بالتقوى (حيث إن أشعروا من مادة شعور).

والعبارة:

«داؤوا بها الأسقام»

إشارة إلى الأسقام الباطنية التي تعالج بواسطة التقوى.

وقال في العبارة التاسعة حتى الثانية عشرة:

«وَبَادِرُوا بِهَا الْحِمَامَ [٤٤٢]، وَاعْتَبِرُوا

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٥٣

بِمَنْ أَضَاعَهَا، وَلَا يَغْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا. أَلَا فَصُونُوهَا وَتَصَوَّنُوا [٤٤٣] بِهَا».

وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: «سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» [٤٤٤] وقال تعالى في موضع آخر: «وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ» [٤٤٥].

والعبارة

«واعتبروا ...»

إشارة إلى أن عاقبة عدم التقوى واضحة لكم في هذه الحياة الدنيا وترونها بأمر أعينكم كما تقرأونها في التاريخ بشأن الأفراد والمجتمعات التي سارت إلى ذلك المصير المشؤوم والأسود فما عليكم إلا الاعتبار بهم ولا تكونوا ممن يعتبر بهم الآخرون، وقد أشار القرآن في قصة يوسف وإخوته وامرأة عزيز مصر إلى النتائج السلبيّة التي عمت البعض بسبب انعدام التقوى والبركات التي ساقتها التقوى ليوسف فقال تعالى «لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ» [٤٤٦].

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى عواقب الانغماس في الدنيا التي يفرزها انعدام التقوى فحذر من هذه الدنيا الغرور بتسع عبارات قال فيها:

«وَكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزَاهًا [٤٤٧]، وَإِلَى

الْآخِرَةِ وُلَاهًا [٤٤٨]. وَلَا تَضَعُوا مَن رَفَعْتَهُ التَّقْوَىٰ، وَلَا تَرْفَعُوا مَن رَفَعْتَهُ الدُّنْيَا. وَلَا

تَشِيمُوا [٤٤٩] بَارِقَهَا [٤٥٠] وَلَا تَسْمَعُوا نَاطِقَهَا، وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا [٤٥١]. وَلَا تَشْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا،

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٥٤

وَلَا تُفْتَنُوا بِأَعْلَاقِهَا [٤٥٢].».

ففي الواقع إن الإمام عليه السلام لفت الانتباه في هذه العبارات العميقة المعنى إلى طرق نفوذ الدنيا إلى فكر الإنسان وروحه ليحذر منها جميعاً وضرورة الابتعاد عن زخارف الدنيا وزبرجها والتوجه إلى الآخرة واسناد المتقين وعدم الإكتراث لمقامات أصحاب الدنيا وغض الطرف عن الأموال والثروات والقصور والزينة الظاهريّة وصم الاسماع عن وساوس المتهافتين على الدنيا وتنحيتهم جانباً وعدم الانخداع بمظاهر الدنيا البراقة والانقطاع عن جميع الأمور التي تدل صاحبها.

والحق أن كلّ من امثل هذه التحذيرات وسار على الدرب سوف لن يقع في شباك الشيطان وفخ طلاب الدنيا.

ثم تطرق عليه السلام إلى أدلة تحذيراته السابقة فقال:

«فَإِنَّ بَرَقَهَا خَالِبٌ [٤٥٣]، وَنُطِقَهَا كَاذِبٌ،

وَأَمْوَالُهَا مَحْرُوبَةٌ [٤٥٤]، وَأَعْلَاقُهَا مَسْلُوبَةٌ.».

فالواقع إن كلّ دليل من هذه الأدلة الأربعة إشارة إلى جانب من التعبيرات السابقة:

فبرق الدنيا خادع لا حقيقته له وليس وراءه مظر وكلامها كاذب بدليل أنها لم تف لأحد من الناس في أي وقت من الأوقات، وأموالها منهوبة من قبل أصحاب الدنيا ينهبونها من غيرهم، وكونها مسروقة من غيرهم في أنّ كلّ شخص يمتلك مالاً نفيساً على الظاهر يجعل صاحب الدنيا يتطلع إليه فيسلبه إياه في الوقت المناسب.

ثم عاد الإمام عليه السلام ثانية ليحذر مخاطبيه من الوقوع في ورطه الدنيا من خلال ذكره لست رذائل من رذائلها فقال عليه السلام:

«أَلَا وَهِيَ الْمَتَّصِدِيَّةُ [٤٥٥] الْعُنُونُ [٤٥٦]، وَالْجَامِحَةُ [٤٥٧]

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٥٥

الْحُرُونُ [٤٥٨]، وَالْمَائِنَةُ [٤٥٩] الْحُرُونُ [٤٦٠]، وَالْجَحُودُ الْكُنُودُ [٤٦١]، وَالْعُنُودُ الصَّدُودُ [٤٦٢]، وَالْحَيُودُ [٤٦٣]

المؤد [٤٦٤].

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٥٧

## القسم الرابع

## إشارة

حَالَهَا انْتِقَالَ، وَوَطَأَتْهَا زَلْزَالَ، وَعَزُّهَا ذُلٌّ، وَجِدُّهَا هَزْلٌ، وَعُلُوُّهَا سُفْلٌ. دَارُ حَرْبٍ وَسَلْبٌ، وَنَهْبٌ وَعَطَبٌ. أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ وَسِيَّاقٍ، وَلِحَاقٍ وَفِرَاقٍ. قَدْ تَحَيَّرَتْ مِذَاهِبُهَا، وَأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا، وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا؛ فَاسْتَلَمَتْهُمْ الْمَعَارِضُ، وَلَفَظَتْهُمْ الْمَنَازِلُ، وَأَعْيَتْهُمْ الْمَحَاوِلُ: فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ، وَلَحْمٍ مَعْجُورٍ، وَشَلْمٍ مَذْبُوحٍ، وَدَمٍ مَسْفُوحٍ، وَعَاضٌ عَلَى يَدَيْهِ، وَصَافِقٌ بِكَفَيْهِ، وَمُزْتَفِقٌ بِخَدَيْهِ، وَزَارٌ عَلَى رَأْيِهِ، وَزَاجِعٌ عَنِ عَزْمِهِ؛ وَقَدْ أَدْبَرَتِ الْحَيْلُ، وَأَقْبَلَتِ الْغَيْلُ، (وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ، وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ، وَمَضَّتِ الدُّنْيَا لِحَالٍ بِأَلْهَا، (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ).

## الشرح والتفسير: عاقبة أصحاب الدنيا

بالنظر إلى أن حب الدنيا والتعلق الشديد بالأمور المادية هو أساس أنواع الذنوب والمعاصي والجنائيات، وبالنظر إلى أن عصر الإمام عليه السلام شهد بسبب الفتوحات الإسلامية سعة الثروات التي عمّت البلاد الإسلامية وانغمس بعض الناس في حالة من الدعة والرفاهية وبطر النعمة، فقد نهى الإمام عليه السلام في خطبته الناس عن التكالب على الدنيا والانغماس في لذاتها فكشف بعبارات قلما يرى نظيرها آثار السوء للتعلق بهذه الدنيا، ولذلك أكد الإمام عليه السلام في هذا الجانب من الخطبة بخمس عبارات قصيرة على تفاهة النعم المادية فقال:

«حَالَهَا انْتِقَالَ، وَوَطَأَتْهَا زَلْزَالَ، وَعَزُّهَا ذُلٌّ،

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٥٨

وَجِدُّهَا هَزْلٌ، وَعُلُوُّهَا سُفْلٌ [٤٦٥].»

أما تغير حال الدنيا فليس بخافٍ على أحد؛ فما أكثر أولئك الذين تربعوا على عرش السلطة ليلاً ويفكرون في الاستيلاء على البلدان، فلم يطلع عليهم الفجر حتى زالت عروشهم وفارقوا الحياة فيبين لحظةً وأخرى تهاوى عروش الأقوياء وبحل محلهم الضعفاء فيصبح أعزة الأمس أدله اليوم.

وأما زلزله وطأتها وخطواتها فذلك لأن مقر الإنسان في هذا العالم متزلزل على الدوام، فعلى أى شىء إستند من قبيل المال والثروة والفتوة والصحة والسلامة فهي متقلبة وليست ثابتة، وأما أن عزتها عين ذلتها، فقد فسّر ذلك بعض الشراح أن العزة المادية واللامشروعة سبب الذلة في الآخرة، وقال البعض الآخر إنه سبب الإبتعاد عن الله في هذه الدنيا؛ إلّا أنّ التفسير الأنسب هو أن العزة المادية تؤدى إلى التعلق الشديد وهو التعلق الذى يسوقه إلى الذلة ويجعله يعيش الخنوع مقابل كائن من كان بغية حفظها، وأما أن جدها هزل فسبب ذلك التقلب وسرعة الزوال وعدم الاستقرار، وأما علوها تسافل فلأن الأفراد من ذوى المقامات الرفيعة يخضعون للعديد من المطبات بغية حفظ مناصبهم ومواقعهم ويستعينون من أجل حفظ تلك القدرة بالأفراد الفاسدين والطلحين.

ثم أكمل هذا الموضوع بذكره لصفيتين أخريين فى وصف الدنيا فقال:

«دَارُ حَرْبٍ وَسَلْبٌ، وَنَهْبٌ وَعَطَبٌ. أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ وَسِيَّاقٍ [٤٦٦]، وَلِحَاقٍ وَفِرَاقٍ [٤٦٧].»

المفردات

«حَرْبٍ وَسَلْبٍ، وَنَهْبٍ»

وإن كانت جميعها تشير إلى معنى أخذ أموال الآخرين؛ لكن يبدو هنالك اختلاف دقيق بينها،

«حَرْبٍ»

أخذ جميع أمواله لأنها

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٥٩

فَسَّرَتْ لِعُيُوبٍ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ

«أَخَذَ جَمِيعَ مَالِهِ».

لكن

«سلبٍ»

غالباً فَسَّرَتْ بِمَعْنَى أَخْذِ ثِيَابِ الْأَفْرَادِ وَمَا فِي أَيْدِيهِمْ وَلِذَلِكَ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ:

«مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ» [٤٦٨].

وَأَمَّا

«نَهْبٍ»

التي وردت لغويًا بمعنى الغنيمه فربما تكون إشارة إلى الاغتنام الجماعي، وعليه يصبح معنى كلام الإمام عليه السلام أن الدنيا تسلب الإنسان جميع وجوده أو جانباً منه أو قد تأتي جماعة من السلايين ليتحكموا بالأموال فيسلبوا الناس أموالهم.

نعم، فالدنيا لو نظرنا إليها بامعان لوجدناها ميداناً لصراع السلايين والناهيين الذين يمارسون فيها السلب والنهب بصور مختلفة وهذا العمل لا ينتهي سوى إلى الهلكة والزوال، والحال يستعد جميع الناس إلى السفر نحو العالم الآخر وليس هنالك من يعلم بما يصيبه غداً، ثم أشار الإمام عليه السلام بثلاث عبارات أخرى إلى جانب آخر من مصائب الدنيا وعبوبها فقال:

«قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا، وَأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا» [٤٦٩]،

وَحَابَتْ مَطَائِبُهَا».

إشارة إلى أن الإنسان اليقظ كلما حاول النجاة من مصائبها لم يكن الأمر عليه سهلاً فتشخيص سبيل الفرار منها يبدو متعزراً والأعقد منه الظفر بموضع الهروب.

وقد جربنا هذه المسألة عند الأفراد الذين يتعلقون بالدنيا ثم يصحون من غفلتهم وينوون الهروب فإن العديد من المشاكل تعرقل حركتهم وعليهم بذل قصارى جهدهم بغية الوصول إلى سبيل الخلاص، ثم أشار عليه السلام إلى مصير أصحاب الدنيا حين يقفون على أعتاب الموت فقال:

«فَأَسْلَمَتْهُمْ الْمَعَاوِلُ» [٤٧٠]، وَلَفَظَتْهُمْ [٤٧١] الْمَنَازِلُ،

وَأَعْيَتْهُمْ الْمَحَاوِلُ» [٤٧٢].

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٦٠

نعم! حين يطفح بهم الكيل ويتخلى عنهم كل شيء ويجعلهم وحيدين أمام الحوادث فلا يسع أقوى الأقوياء الدفاع عنهم حيث النتائج العكسية التي تنتهي بهم إلى الموت وحالهم كما يضرب به المثل: «إذا حل الموت أعى الطيب».

وبالتالي سوف لن يكون مصير من اغتروا بالدنيا إلا كما قال الإمام عليه السلام::

«فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ [٤٧٣]، وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ [٤٧٤]، وَشِلْوٍ [٤٧٥] مَذْبُوحٍ، وَدَمٍ مَسْفُوحٍ [٤٧٦]، وَغَاضٍ [٤٧٧] عَلَى يَدَيْهِ،

وَصَافِقٍ [٤٧٨] بِكَفَيْهِ، وَمُرْتَفِقٍ [٤٧٩] بِخَدَيْهِ [٤٨٠]، وَزَارٍ [٤٨١] عَلَى رَأْيِهِ، وَرَاجِعٍ عَنِ عَزْمِهِ».

فقد بين الإمام عليه السلام عاقبة ومصير المغرورين بالدنيا فالصور التسع الواردة في الفقرة المذكورة لا تبقى مجالاً لما هو أفصح وأبلغ وأدق منها فهذه الأصناف التسعة يُشعر كلُّ منها بنوع من ضربات الدنيا التي تهز كيان المغرورين بها والقدر الجامع بينهم جميعاً مصيرهم البؤس والشقاء والحسرة والندم؛ سواء أولئك الذي تلقوا ضربات ثقيلة وسيقوا نحو الموت أو أولئك الذين بقوا ولم تعدّ أمامهم سوى الحسرة.

وقد عكس التاريخ نماذج كثيرة لكلّ من هذه الأصناف التسعة ولعل الكثير ممّا

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٤١

قد رآها خلال مدّة عمره القصيرة.

ثم اختتم الخطبة بالإشارة إلى هذه الحقيقة أنّه حين حلول الحوادث الشاقّة والموت الحتمي تغلق جميع السبل فقال:

«وَقَدْ أَذْبَرَتِ الْحَيَلُ، وَأَقْبَلَتِ الْغِيْلَةُ» [٤٨٢]،

«وَلَا تَ [٤٨٣] حِينَ مَنَاصٍ [٤٨٤]».

وأضاف عليه السلام:

«هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ، وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ، وَمَضَتْ الدُّنْيَا لِحَالِ بِأَلْبَاهَا» [٤٨٥]،

«فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ».

نعم! فأولئك الذي ركبوا يوماً موجة الغرور وعاشوا في تلك القصور الفارهة وضمنوا أنفسهم من امراء الأرض والسماء لم يجدوا بدأ حين أتاهم القضاء ونزل بهم المقدر سوى الاستسلام بكلّ ذلّة ومغادرة الدنيا وكأنّهم لم يكونوا فيها، فلم تبكهم عينٌ ولم يصدع عليهم خاطر، ثم واصلت الدنيا من بعدهم مسيرتها وأعقبهم مجيئ الأقسام والأمم المقتدره والقوية الذين حلوا وفنوا فطواهم غبار النسيان ومحووا من صفحہ التاريخ.

والعبارة: «وَلَا تَ حِينَ مَنَاصٍ» المقتبسة من القرآن المجيد [٤٨٦] أوردها الإمام عليه السلام بشأن طائفة من الأقسام السابقة التي عاشت غرور الاختلاف وظنت الخلود في الحياة الدنيا وحين حلّ بها عذاب الله تعالت أصواتها طالبة النجدة إلّا أنّ وقت النجاة قد ولّى ومضى.

والعبارة: «فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ» آية قرآنية أخرى [٤٨٧] أشارت إلى حال الفراعنة حين غرقوا جميعاً في البحر وخلفوا تلك القصور والعيون والنعم للآخرين وغادروها دون أن يبكيهم أحد.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٤٢

ولعلّ التعبير بعدم بكاء السماء عليهم والأرض كناية عن حقارة ودناءة قرنائهم وأصحابهم في الحياة الدنيا، ذلك لأنّ المعروف عند العرب أنّهم حين يريدون الإشارة إلى علو منزلة شخص بعد أن فقدوه يقولون: لقد بكته السماوات والأرض وأظلم لفقده الشمس والقمر.

كما قيل إنّ قد يكون المراد من بكاء أهل السماء والأرض ذلك لأنّ الملائكة أحياناً تبكي على المؤمنين والمقربين من الله تعالى، بينما لا تبكي على الظلمة والجبارين.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٤٣



## إشارة

تُسَمَّى الْقَاصِعَةُ

وَهِيَ تَنْصَحُ مَنْ ذَمَّ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ، عَلَى اسْتِكْبَارِهِ وَتَوَكُّرِهِ الشُّجُودَ لِإِدَامَ عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ الْعَصِيَّةَ وَتَبَعَ الْحَمِيَّةَ، وَتَحْذِيرِ النَّاسِ مِنْ سُلُوكِ طَرِيقَتِهِ [٢٤٨]

## نظرة إلى الخطبة

قيل في شأن هذه الخطبة أن أهل الكوفة عاشوا حالة كبيرة من الفساد وآخر خلافة الإمام عليه السلام إثر ازدياد الثروات وانتقال الثقافة الفاسدة من بعض البلدان المجاورة للبلاد الإسلامية والمشاكل التي خلفتها فترة الخلافة في المجتمع نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٦٤

الإسلامي، وفي مقدمتها التفاخر والتعصب القبلي والنعرات الجاهلية حتى بلغ الأمر ببعض الفتيه الطائشين إلى التنازع فيما بينهم فإذا جرح أحدهم أو ضرب استعان بقبيلته فتهب دون أدنى تريث وتمحيص لنجدته ويراق المزيد من الدماء، فانبرى الإمام عليه السلام بهذه الخطبة بغية إطفاء الفتنة فعرض بالذم للكبر والعصية القبليّة الجاهليّة، فأدى حقّ الكلام وبالغ في النصح والوعظ، فهي خطبة غاية في الفصاحة والبلاغة والإثارة ومن هنا سُميت بالقاصعة وإن لم ترد مفردة (القاصعة) في هذه الخطبة.

وذكر بعض شراح نهج البلاغة وجوهاً أخرى لسبب التسمية على ضوء تعدد معاني مفردة القاصعة؛ فقد ذكر المرحوم الشارح الخوئي سبعة وجوه في تسمية هذه الخطبة بالقاصعة إستند كل واحد منها إلى أحد معاني (القصع) لغوياً ويبدو ما ذكرناه هو أنسب الجميع. على كل حال تتألف هذه الخطبة من عدة أقسام صنفها كل من شراح نهج البلاغة حسب ذوقه وطريقته فقسمها البعض إلى خمسة أقسام وآخر إلى أحد عشر قسماً وثالث إلى تسعة عشر قسماً.

ومن الواضح أن جميع أقسام هذه الخطبة تدور حول محور واحد هو ذمّ التعصب الجاهلي والتكبر والفخر، ولا سيما التعصبات القبليّة والعرقية التي تعدّ مصدراً للعديد من الاختلافات والإرباكات والمفاسد الاجتماعيّة وتتضح هذه الحقيقة من خلال التمعن في عموم الخطبة إلى جانب سبب إيرادها من قبل الإمام عليه السلام ونحن بدورنا نقسمها إلى عشرين قسماً:

القسم الأول: بعد حمد الله والثناء عليه أشار إلى طرد الشيطان لتعصبه وتكبره على آدم عليه السلام.

القسم الثاني: إشارة لخلق الإنسان من الطين والذي يبعث فيه روح التواضع، والتذكير ثانية بسوء عاقبة الشيطان بسبب كبره وتعصبه.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٦٥

القسم الثالث: تحذير الجميع من الوقوع في فخ الشيطان والسير في طريقه.

القسم الرابع: ذم الأفراد الذين سقطوا في شباك التكبر والفخر الجاهلي الموهوم.

القسم الخامس: تحذير الجميع من اجتناب طاعة وإتباع الحكام المتكبرين والمتعصبين.

نفحات الولاية؛ ج ٧؛ ص ٢٦٥

قسم السادس: الوصية بالاعتبار بالأقوام السابقة والعاقبة السيئة التي كانت بانتظار المتكبرين منهم والسعادة التي نالها المتواضعون وفي مقدمتهم أنبياءهم عليهم السلام.

القسم السابع: الحديث عن الحياة المتواضعة لموسى بن عمران وأخيه هارون عليهما السلام وما كانا يرتديان من ثياب بسيطة حين

دخولهما على فرعون المتكبر المغرور وبالتالي تواضع أولياء الله في جميع شؤون حياتهم.

القسم الثامن: الإشارة إلى اختيار الأرض الجافة والمحرقه لبناء الكعبة بمواد البناء البسيطة ليترد عنهم الكبر والغرور وتصوير الشعائر التي ترمز إلى البساطة والتواضع التام.

القسم التاسع: أشار فيه الإمام عليه السلام إلى مختلف شباك الشيطان ولا سيما الظلم والجور واعتبر إمتثال الفرائض الديتية كالصوم والصلاة والزكاة وسيلة لمقاومة الشيطان.

القسم العاشر: يشير إلى مصادر التعصب والغرور.

القسم الحادي عشر: إشارة إلى التعصب الإيجابي وعلاماته وآثاره.

القسم الثاني عشر: اعتبر مصير الأمم السابقة درساً وعبرة ودعى الجميع للنظر في سيرة تلك الأرقام.

القسم الثالث عشر: الحديث عن الآثار المباركة للوحدة والألفة وعواقب السوء للفرقة والتشتت والاختلاف.

القسم الرابع عشر: أعاد مخاطبه ثانية إلى التاريخ الماضي والتذكير بالآثار السلبية لاختلاف أبناء اسماعيل واسحاق وبنى اسرائيل.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٦٦

القسم الخامس عشر: أشار عليه السلام إلى النعمة العظيمة في وجود النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وآثارها على المجتمع الإسلامي.

القسم السادس عشر: عرض فيه بالذم لتلك الطائفة من الناس التي عادت القهقري بعد الدعوة إلى عادات الجاهلية.

القسم السابع عشر: ركز فيه على الأفعال المشينة للناكثين والقاسطين.

القسم الثامن عشر: أشار فيه الإمام عليه السلام إلى منزلته من النبي بصفته أول من آمن به من الرجال ولازمه تلك المدة.

القسم التاسع عشر: تحدّث فيه الإمام عليه السلام عن معجزة الشجرة التي تحركت من مكانها نحو النبي بأمره صلى الله عليه وآله.

القسم العشرون: تحدّث فيه عن مناقب أهل البيت عليهم السلام واختتم به الخطبة بعنوانه «مسك الختام».

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٦٧

## القسم الأول

### إشارة

أَلْحَمِدُ لِلَّهِ الَّذِي لَبَسَ الْعِزَّ وَالْكَبْرِيَاءَ؛ وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُمَا حِمَى وَحَرَمًا عَلَى غَيْرِهِ، وَاصْبَغَ طِفَاهُمَا لِجَلَالِهِ. وَجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ. ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ، لِيُمَيِّزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمُ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ، فَقَالَ سُبْحَانَكَ وَهُوَ الْعَالَمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ، وَمَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ: (إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ \* فَمَاذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ \* فَسَاجِدُوا لِلْمَلَائِكَةِ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ \* إِلَّا إِبْلِيسَ) اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَافْتَحَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِاصْبِغِهِ. فَعَدُوا لِلَّهِ إِمَامًا الْمُتَعَصِّبِينَ، وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصْبِيَّةِ، وَنَازَعَ اللَّهَ رِذَاءَ الْجَبْرِيَّةِ، وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّدَلُّلِ. أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَعَّرَهُ اللَّهُ بِتَكْبِيرِهِ، وَوَضَعَهُ بِتَرْفُعِهِ، فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَدْحُورًا، وَأَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيرًا؟!

## الشرح والتفسير: الشيطان رأس العصبيّة

كما أشير في سبب الخطبة أن الهدف الأصلي من هذه الخطبة الطويلة والمفعمة بالمواعظ والإرشادات السامية التي تهذب الإنسان،

مواجهة الكبر والغرور والعصبيّة الجاهليّة والطائفيّة التي كانت مصدر النزاعات القبليّة الدمويّة على عهد الإمام عليه السلام، وعلى هذا الضوء استهل الإمام عليه السلام خطبته بحمد الله والثناء عليه، الله المتجلبب

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٦٨

بالعظمة والكبرياء التي لا تليق إلا بالذاته القدسيّة فقال:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَبَسَ الْعِزَّ وَالْكَبْرِيَاءَ، وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُمَا حِمِيًّا [٤٨٩] وَحَرَمًا عَلَى غَيْرِهِ، وَاضْطَفَاهُمَا لِحِجَابِهِ. وَجَعَلَ اللَّغْنَةَ عَلَى مَنْ نَارَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ».

لا شك في أنّ العزّة والعظمة مختصة بالذات الإلهيّة المقدّسة، ذلك لأنّ كلّ ما سواه كائنات ضعيفة وعاجزة أمامه، إضافة إلى أنّ كلّ ما لديها منه، متى ما شاء أفاضه عليها ومتى شاء سلبه منها.

والعبارات الخمس الواردة في هذه الخطبة من قبيل قوله عليه السلام: لبس العز والكبرياء والتي لا تليق بغيره وأنهما صفتان مختصتان بالله تعالى ويعبر عنهما أحياناً بالحمى والحرم (المنطقة المحظورة التي لا يحق للغير الدخول فيها) كما يعبر عنها بأنّ الله تعالى اختارهما لنفسه وخص باللّعن من سلك سبيل التكبر والفخر، كلّ هذه العبارات المختلفة تهدف إلى إيضاح حقيقة واحدة حيث تشير جميعها إلى أنّ لا سبيل لعباد الله أمام الذات الإلهيّة القدسيّة سوى التواضع تجاهها وتجاه بعضهم البعض الآخر.

والواقع هو إنّ الله سبحانه وتعالى ليس بحاجة إلى الكبر ولا بحاجة إلى أن يمدحه الآخرون به، فذاته القدسيّة عظيمة من جميع الجهات، ولكن لما كان الكبر والفخر لدى العباد مصدراً للبؤس والشقاء وظلم الناس لبعضهم البعض الآخر، فقد ورد هذا التحذير في العبارات السابقة من هذا الأمر ودعى الجميع للبساطة والتواضع.

وعلى هذا الأساس أشار الإمام عليه السلام في مواصلته لكلامه إلى أول امتحان للتواضع حين خلق الله آدم عليه السلام فقال:

«ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ، لِيُمَيِّزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ، وَمَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ:

«إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ \* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٦٩

سَاجِدِينَ \* فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ \* إِلَّا إِبْلِيسَ».

وبالطبع فإنّ اختبار الله يختلف عن اختبار العباد؛ فإننا حين نختبر أحداً نريد أن نبدل جهلنا به إلى علم ولذلك يعبر عن هذا الامتحان بالاختبار؛ أمّا الله تعالى طبق ما ورد سالفاً، العالم بمكونات القلوب ومحجوبات الغيوب لا يريد قط بهذه الاختبارات إضافة شيء لعلمه، بل اختباره لتظهر النيات الباطنيّة والخلقيّة والأسرار الخفيّة لعباده بلباس الأفعال فيستحقوا الثواب والعقاب، ذلك لأنّ النية لوحدنا ليست كافية في هذا الأمر، والثواب والعقاب إنّما يترتب على الأعمال.

وهذا ما ذكره الإمام عليه السلام في موضع آخر من نهج البلاغة إذ قال:

«إِنَّهُ يَخْتَبِرُهُمْ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ لِتَبَيِّنِ السَّخَطِ لِرِزْقِهِ وَالرَّاضِي بِقِسْمِهِ وَإِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ لَكِنْ لِيُظْهِرَ الْأَفْعَالَ الَّتِي بِهَا يَسْتَحِقُّ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ» [٤٩٠].

ثم خاض عليه السلام في شرح قضية إبليس وسبب تمرده على أمر الله تعالى فقال:

«اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَافْتَحَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ. فَعَادُوا لِلَّهِ إِمَامًا مُتَعَصِّبِينَ، وَسَيَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصِيَّةِ، وَنَارَعَ اللَّهَ رِدَاءَ الْجَبْرِيَّةِ، وَادَّرَعَ [٤٩١] لِيَأْسَ التَّعَزُّزِ [٤٩٢]، وَخَلَعَ فِنَاعَ التَّدَلُّلِ».

فالواقع أنّ السبب الرئيسي لتمرد إبليس عملياً على أمر الله تعالى هو تعصبه وغروره الذي أفرزه حسابه الخاطي والذي يستند إلى الفخر والأنانيّة حيث لم ير في خلق آدم سوى حيثية التراب ولذلك عد نفسه أفضل منه فقال: «خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» [٤٩٣] بينما

أغفل تماماً الجانب المهم في وجود آدم إلهو هو الروح الإلهية: «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ» [٤٩٤].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٧٠

نعم! فالعجب والأناثية أسوأ حجاب يصد الإنسان عن إدراك أوضاع الحقائق.

وقد التبس الأمر على إبليس حتى في تقسيمه لأفضليته النار على التراب، لأنّ التراب هو المصدر الأساس للحياة ونمو النباتات وتفتح الأزهار والثمار وأنواع البركات، وبينما تقتصر فاعليتها على بعض جانب من حياة الإنسان.

على كل حال فإنّ تعبير الإمام عليه السلام إبليس بأنه عدو الله إشارة إلى أنه لم يكن عدواً لآدم فحسب، بل كان عدواً لخالق آدم ومتمرداً على أوامره فقد أرسى أولى لبنات العصبية ومنهج التكبر والاستكبار، العمل الذي يعتبر في الواقع محاربة لله تبارك وتعالى؛ ذلك لأنّ العزة والعظمة لا تليق إلاّ بآبائنا المقدّسة وجمال عباد الله في تواضعهم فالتكبر والغرور حسب ما ذكر علماء الأخلاق من أمّهات الرذائل.

روى أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام أنه سأله عن أدنى مراحل الكفر والإلحاد؟ فقال عليه السلام:

«إِنَّ الْكِبْرَ أَذْنَاهُ» [٤٩٥]

. كما ورد في الخبر عن الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام أنّهما قالوا:

«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» [٤٩٦].

ثم اتجه الإمام عليه السلام إلى مخاطبته ليحدّثهم من عاقبة الشيطان السيئة فقال:

«أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللَّهُ بِتَكْبَرِهِ، وَوَضَعَهُ بِتَرْفُوعِهِ، فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَذْهُوراً» [٤٩٧]، وَأَعَدَّ لَهُ

فِي الْآخِرَةِ سَعيراً؟».

فالعبرة إشارة لآيات القرآن الكريم حيث قال تعالى: «فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ \* وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ» [٤٩٨].

وقال تعالى في موضع آخر: «قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٧١

تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ» [٤٩٩].

## القسم الثاني

### إشارة

وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ضِعْياً، وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ رُؤُوءاً، وَطِيبَ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَزْفَةً، لَفَعِلَ. وَلَوْ فَعِلَ لَظَلَّتْ لَهُ الْأَعْتَاقُ خَاضِعَةً، وَلَخَفَّتِ الْبُلُؤَى فِيهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ. وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَضْيَلَهُ، تَمَيِّزاً بِالِاخْتِبَارِ لَهُمْ، وَنَفِيّاً لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ، وَإِبْعَاداً لِلْخِيَلَاءِ مِنْهُمْ.

فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ، وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللَّهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ، لَا يُدْرَى أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي الْآخِرَةِ، عَنْ كِبَرِ سَاعَةِ وَاحِدَةٍ. فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْأَلُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ؟ كَلَّا، مَا كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيَدْخَلَ الْجَنَّةَ بَشَرًا بِأَمْرٍ أُخْرِجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكًا. إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ. وَمَا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إِبَاحِهِ حِمَى حَرَمَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ.

## الشرح والتفسير: الاعتبار بعاقبة إبليس

قال الإمام عليه السلام في هذا القسم من الخطبة في مواصلته لاختبار إبليس الذي ذكر سابقاً بعد أن أشار إلى قضية مهمّة وهي أن الله تبارك وتعالى يختبر عباده بأمر تخفى فلسفتها عليهم وربما يشق عليهم تحملها:

«وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ [٥٠٠]

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٧٢

الْأَبْصَارَ ضِيَاءُوهُ، وَيَبْهَرُ [٥٠١] الْعُقُولَ رُؤَاوهُ [٥٠٢] وَطِيبٌ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفهُ [٥٠٣] لَفَعَلَ وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الْأَعْنَاقُ خَاضِعَةً، وَلَخَفَّتِ الْبُلُوى فِيهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ».

إشارة إلى أن الامتحان الإلهي إنما يفقد أثره إذا كان منسجماً مع رغبات العباد وميولهم؛ ذلك لأن الجميع سوف يعملون على أساسه؛ سواءً كانوا من عباد الله أو من عبدة الأهواء ولا ينطوى مثل هذا الامتحان على أية نتيجة، أما إن كان على خلاف رغباتهم فآنذاك تمتاز صفوف المؤمنين المخلصين من العاصين المتكبرين.

فامتحان أصحاب الغرور والتكبر ينبغي أن يكون في الأمور التي تستهدف غرورهم وتكبرهم على غرار الامتحان الذي حصل للملائكة وإبليس.

ومن هنا قال الإمام عليه السلام في مواصلته لكلامه:

«وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَتَّبِلِي خَلْقَهُ بِيَعُضٍ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ، تَمَيِّزاً بِالِاخْتِبَارِ لَهُمْ، وَنَفِيّاً لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ، وَإِبْعَاداً لِلْخُلِيَاءِ [٥٠٤] مِنْهُمْ».

وعلى هذا الضوء تتضح عليه خفاء فلسفة الأحكام الشرعية، طبعاً تبدو واضحة لدينا فلسفة العديد من هذه الأحكام بحكم العقل والآيات والروايات الواردة بهذا الشأن، إلّا أن جانباً مهماً من هذه الأحكام ما زال مبهماً، وذلك لمعرفة المطيع المخلص من المتمرد العاصي. جدير ذكره إن هنالك أدلة أخرى غير ما ذكر في خفاء أسرار هذه الأحكام.

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى عاقبة فعل إبليس المتكبر والمتعصب ليعتبر بها الجميع فحذرهم من مغبة اتباع خطواته حتى لا يبتلوا بما ابتلى به من عاقبة سيئه فقال:

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٧٣

«فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ، وَجَهْدَهُ [٥٠٥] الْجَهِيدَ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللَّهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ، لَأَيْدُرَى أَمِنْ سِنِي [٥٠٦] الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي الْآخِرَةِ، عَنْ كِبَرِ سَاعَةِ وَاحِدَةٍ».

والعبارة

«لَأَيْدُرَى أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي الْآخِرَةِ»

لا تعنى عدم علم الإمام بهذا الأمر، بل إشارة إلى أن الناس لا يعلمون بذلك، والمراد من سنوات الدنيا هذه السنوات التي نعيشها والمعلومة المقدر، كما أن سنوات الآخرة ما أشير إليه كراراً في القرآن الكريم ومن ذلك: «وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سِنِينَ مِمَّا تَعُدُّونَ» [٥٠٧].

وهنا يرد هذا السؤال: كيف يمكن زوال ستة آلاف سنة من العبادة بساعة من التكبر؟ والجواب واضح؛ فالبناء عمل شاق وطويل، أما الهدم فعمل بسيط وسريع، فقد يستغرق بناء بيت عدّة سنوات إلّا أن حريقاً يحيله خراباً خلال لحظات، كما يبنى السد العظيم في عدّة سنوات بينما ينهار بترفة عين بفعل الزلزال أو تفجيره بالديناميت والمواد المفجرة، ومسألة إحباط الأعمال بفعل بعض الذنوب لمن المطالب المهمة التي ستعرض إليها في مبحث التأملات.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه فأشار إلى أن مصير المتكبرين من البشر هو ذات مصير إبليس فقال:

«فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلُمُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ؟ كَلَّا، مَا كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَرًا بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكًا».

ثم قال عليه السلام فى التأكيد على هذا المعنى:

«أَنَّ حُكْمَهُ فِى أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ. وَمَا بَيَّنَّ اللَّهُ وَبَيَّنَّ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَّةً [٥٠٨] فِى إِبَاحَةِ حِمَى [٥٠٩] حَرَمَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ».

إشارة إلى أن جميع المكلفين سواسية أمام الله تعالى وليس لأى أحد أى امتياز على آخر، فليس لله مع أحد من قرابه، والمعصية من أى عبد صدرت هى معصية،

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٧٤

والطاعة هى الطاعة فلا ينبغى أن يتصور البعض أن العقاب الأليم الذى شمل إبليس على تكبره يختص به والآخرين بمعزل عن ذلك إن ارتكبوا نفس الفعل.

## تأملات

### ١. حبط الأعمال

جاء فى هذا الجانب من الخطبة أن عبادة ستة آلاف سنة قد ذهبت هدرًا بفعل ساعه من الكبر ومسألة الاحباط والتكفير، وبعبارة أخرى زوال الأعمال الحسنه أو تدارك الأعمال السيئه بالتوبه والطاعة، لمن المسائل المهمه التى حظيت باهتمام المتكلمين والمفسرين وأرباب الحديث.

فالذى يستفاد من بعض الآيات القرآنيه أن هناك سلسله من الأعمال السيئه التى من شأنها القضاء على الأعمال الصالحه ومنها الكفر بالله ورسوله واليوم الآخر الذى ورد فى الآية ٨٨ من سورة الأنعام: «وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» والآيه ١٤٧ من سورة الأعراف: «وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ» وصرحت الآية ٧ من سورة العنكبوت بشأن التكفير قائلة: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ».

طبعاً هذا لا يعنى جعل السيئات والحسنات أمام بعضهما البعض الآخر يوم القيامة بحيث لو كانت الحسنات أكثر لما اكترت للسيئات أو لو كانت السيئات أكثر أهملت الحسنات بصورة كليته، فليس هنالك هذا النوع من الاحباط والتكفير وهولا ينسجم مع الآيات القرآنيه أيضاً فقد جاء فى الآيتين ٧ و ٨ من سورة الزلزال: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ».

وزبدت الكلام إن لكل عمل صالح وطالح آثاره الخاصيه عند الله يوم القيامة، ولكن لهذا المطلب استثناءات فهنالك بعض الأعمال الصالحه التى تغطى الأخطاء، وبعض الأعمال القبيحه التى تزيل الحسنات [٥١٠].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٧٥

### ٢. هل إبليس من الملائكة؟

جاء فى هذا القسم من الخطبة أن إبليس كان من الملائكة وقد طرده الله من الجنه ومن حضيره الحق لتلك المعصيه الكبيره. ولعل هذه العبارة توحى بأن إبليس كان حقاً من الملائكة بينما يصرح القرآن علانيه: «كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ» [٥١١].

كما جاء فى القرآن من جانب آخر أن الملائكة معصومون ولا يقارفون المعصيه قط: «بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ \* لَا يُشْبِهُنَّ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» [٥١٢]. فكيف لملك معصوم أن يتمرد على أوامر الله ويسلك طريق الكفر ومخالفة الله تعالى؟!

ومن هنا يتضح أن إبليس كان فى مصاف الملائكة بفعل عبادته الكثيره ولم يكن حقاً من الملائكة فهذه العبارة وإن كانت مجازيه إلّا أن القرائن الكثيره والواضحه تزيل أى إبهام.

### ٣. كبر إبليس أساس كفره

يستفاد من الآيات القرآنية والروايات الإسلامية وهذه الخطبة أن كبر إبليس أدى بالتالي إلى كفره، أقصى درجات الكفر، ذلك لأنه اعترض على حكمه الله وعد أمره بالسجود لآدم منافياً للحكمة ولذلك عوقب بأشد العذاب وهو الطرد من حضيرة القدس وحطت أعماله وعبادته التي استغرقت ستة آلاف سنة.

فالكلام يحمل رسالته واضحة للجميع هي عدم الاستخفاف بالكبر والعصبيّة، التي قد تقود أحياناً إلى الكفر واحباط الأعمال والطرده من القرب الإلهي، طبعاً كان بإمكان إبليس أن يرجع ويتوب، ولكن كان أول شرط في توبته طاعة أمر الله في

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٢٧٤

السجود لآدم عليه السلام، فقد جاء في الحديث المروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ إبْلِسَ سَجَدَ لِلَّهِ بَعْدَ الْمَعْصِيَةِ وَالتَّكْبِيرِ عُمَرَ الدُّنْيَا، مَا نَفَعَهُ ذَلِكَ وَلَا قَبْلَهُ اللَّهُ مِنْهُ مَا لَمْ يَسْجُدْ لِأَدَمَ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يَسْجُدَ لَهُ» [٥١٣].

### ٤. وحدة حكم الله في الجميع

إن أحد الدروس المهمّة في هذا الجانب من الخطبة هي أن علاقة الخلق بالخالق علاقة الطاعة والعبودية وأن جميع مخلوقات الله سواسية في الأحكام في الشرائط المتساوية أو المتشابهة وما يعتقده طائفة من اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وخواصه وسوف لن ينالهم سوى جانب من العقاب على أعمالهم: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ» [٥١٤] إنما هي عقيدة خاطئة وفكرة باطلة.

وعليه فإن كل كبر وعصبيّة وعصيان سيؤدي إلى الطرد من رحمة الله وسوف لن يكون مصير كل من ارتكب هذه المعصية سوى مصير إبليس، وهذه القاعدة سارية على جميع العباد على اختلاف مراتبهم.

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٢٧٧

## القسم الثالث

### إشارة

فَاخِذُوا عِبَادَ اللَّهِ عِدْوَاللَّهِ أَنْ يُعِيدَكُمْ بِدَائِهِ، وَأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ بِدَائِهِ، وَأَنْ يُجَلِّبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجَلِهِ. فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوْقَ لَكُمْ سَيِّئِهِمُ الْوَعِيدِ، وَأَغْرَقَ إِلَيْكُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ، وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ، فَقَالَ: (رَبِّ بِمَا أَعْوَيْتَنِي لِأَزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)، فَذَفَا بَغَيْبٍ بَعِيدٍ، وَرَجَمًا بَطْنٌ غَيْرُ مُصْتَبٍ، صَدَقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ، وَإِخْوَانُ الْعَصِيَّةِ، وَفُرْسَانُ الْكِبَرِ وَالْحِيَاهِلِيَّةِ. حَتَّى إِذَا انْتَصَدَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ، وَاسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَّةُ مِنْهُ فِيكُمْ، فَجَمَتِ الْحَيَالُ مِنَ السَّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الْأَمْرِ الْجَلِيِّ، اسْتَفْحَلَ سَيْلَطَانُهُ عَلَيْكُمْ، وَدَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ، فَأَفْحَمُوكُمْ وَلَجَاتِ الدُّلِّ، وَأَحْلُوكُمْ وَرَطَاتِ الْقَتْلِ، وَأَوْطُوكُمْ إِتْحَانَ الْجَرَاحِيَّةِ، طَعْنَا فِي عُيُونِكُمْ، وَحَزَا فِي حُلُوقِكُمْ، وَدَقَّا لِمَنَاخِرِكُمْ، وَقَصَدًا لِمَقَاتِلِكُمْ، وَسَوْفًا بِخَزَائِمِ الْقَهْرِ إِلَى النَّارِ الْمُعَدَّةِ لَكُمْ. فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ حَرْجًا، وَأَوْزَى فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحًا مِنَ الدِّينِ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ، وَعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ. فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ، وَلَهُ جَدَّكُمْ.

## الشرح والتفسير: أعدى أعداء الإنسان

خاض الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الخطبة في الاستنتاج من قصة ضلال الشيطان وطرده من الرحمة إثر كبره وعصبيته ليحذر الجميع من سوء العاقبة والمصير فقال:

«فَاخْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ يُعْدِيَكُمْ [٥١٥] بِدَائِهِ، وَأَنْ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٧٨

يَسْتَفِزُّكُمْ [٥١٦] بِدَائِهِ، وَأَنْ يُجْلِبَ [٥١٧] عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجَلِهِ [٥١٨]»

. وعبارة الإمام عليه السلام هذه اقتباس من القرآن الكريم حيث قال تعالى «وَاسْتَفْزِزْ مِنَ الشَّيْطَانِ مَنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ» [٥١٩].

وخيل تعنى الفرس وكذلك الفرسان وأريد بها هنا المعنى الثانى ورجل تعنى المشاة وهى إشارة إلى كثرة الأعوان الذين يقفون إلى جانب الشيطان سواء من نوعه أو من البشر والذين يعينونه على إضلال الآخرين؛ فبعضهم سريع كالفرسان والآخر بطيئ كالمشاة. وبالطبع فإن الصفات الرذيلة وعوامل المعصية ومراكز الفحشاء والدعايات السامة والمضلة ووسائل الذنوب تعد من أعوان الشيطان وجنوده حيث حذر الإمام عليه السلام الناس من كل هذه الأمور.

ثم أقسم الإمام عليه السلام بعمره لتأكيد هذا الكلام فقال عليه السلام:

«فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ [٥٢٠] لَكُمْ

سَهْمَ الْوَعِيدِ، وَأَغْرَقَ [٥٢١] إِلَيْكُمْ بِالنَّزْعِ [٥٢٢] الشَّدِيدِ، وَمَا كُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ».

ثم استشهد الإمام عليه السلام بقوله تعالى عن إبليس:

«فَقَالَ:

«رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَزِيَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ».

أما قسم الإمام عليه السلام بعمره فيشير إلى أن القضية غاية في الجدية؛ وليت شعري أى

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٧٩

شئ أشرف من عمر الإمام وقوله عليه السلام إن الشيطان فوّق لكم سهم الوعيد واغرق إليكم بالنزع الشديد إشارة إلى أن خطر الشيطان قد أحاط بكم بأخدع صورته التي قلما تخطئ وقد دلکم على سبله وذلك من خلال المظاهر المادية للدنيا وتزيين نعمها المادية والغرق في مستنقع الشهوات واللذات.

وتعبير الإمام عليه السلام بأن الشيطان جند طاقاته وقواه كافة واستعد للهجوم عليكم وقد استهدفكم من مكان قريب فكنتم في مرماه من كل جانب، إشارة إلى كثرة عناصر الوسواس الشيطانية في باطن الإنسان وخارجة، فهوى النفس من جهة والعوامل الخارجية للمعصية من جهة أخرى

والعبارة «لَمَا غَوَيْتَهُمْ أَجْمَعِينَ» التي تبدأ بلام القسم ونون التوكيد الثقيلة وتنتهى بالمفردة أجمعين، شاهد على أنه بمنتهى الجد في تحقيق اهدافه المشؤومة، ومن هنا لابد أن يعيش الناس اليقظة والحذر حتى لا يقعوا في شباك فخه ومصائده.

جدير ذكره أن العبارة:

«رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ...»

من أكاذيب الشيطان وافترائاته على الله تعالى والتي تشير إلى مدى تمرده ووقاحته بحيث يفترى على الله مثل هذا الكذب، الله الذى يهدى الجميع ويزودهم بعناصر الهدى، ولما كان كلام الشيطان واضح البطلان فالقرآن لا يرد عليه، فكيف يضلّه الله سبحانه وتعالى وهو الذى أمره والملائكة بقوله: «فَإِذَا نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ» فالشرف الذى حظى به آدم عليه السلام على أساس روح الله التى نفخت فيه، إلما أن الشيطان الحسود والأنانى تجاهل ذلك واكتفى بالنظر إلى خلقه من الطين! فهل الضلال كان من



جانب الله أم من نفس الشيطان!؟

ثم قال عليه السلام في مواصلته لكلامه:

«قَدْ فَا بَعِبَ بَعِيدًا، وَرَجَمًا بَطْنًا غَيْرَ مُصِيبٍ».

فقد وردت العبارة

«رَجَمًا بَطْنًا غَيْرَ مُصِيبٍ»

بهذه الصيغة في أغلب نسخ نهج البلاغة والتي يظن أحياناً أنها لا تنسجم مع الآية الشريفة: «وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٨٠

إِنِّي لَسْتُ ظَنَّهُ فَاتَّبِعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ» [٥٢٣] والحال إن الآية الشريفة نازلة بشأن قوم سبأ لا بشأن جميع الناس وإلا فالمؤمنون ليسوا بقله في أمم الأنبياء.

ورجحت طائفة من شراح نهج البلاغة النسخة الأخرى التي لا تتضمن كلمة «غير» وبصيغته:

«رَجَمًا بَطْنًا مُصِيبٍ»

لأنهم قالوا إن ظن الشيطان بشأن الناس مطابق للواقع حيث لم ينبج من وساوسه سوى قلته قليلة من الناس وهذا ما صرح به القرآن الكريم إذ قال: «وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ» [٥٢٤] وقال في موضع آخر: «أَلَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ» [٥٢٥].

أضف إلى ذلك بأنها أكثر انسجاماً مع العبارة التالية في هذه الخطبة التي قال فيها:

«صَدَقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ، وَإِخْوَانُ الْعَصِيَّةِ، وَفُرْسَانُ الْكِبْرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ».

فالعبارة:

«أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ»

كناية عن أنهم عجنوا بالكبر على درجة وكانهم أصبحوا أبناءه كما أن التعبير إخوان العصية كناية عن علاقتهم الوثيقة بالعصيات القبلية والقومية وما شابه ذلك.

والعبارة

«وَفُرْسَانُ الْكِبْرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ»

كناية عن أنهم بلغوا درجة من الكبر والجهل والغرور وكانهم اعتلوا مركباً من الجهل والكبر اندفعوا به إلى الأمام.

ثم قال الإمام عليه السلام:

«حَتَّى إِذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ [٥٢٦] مِنْكُمْ، وَاسْتَحَكَمَتِ الطَّمَاعِيَّةُ [٥٢٧]

مِنْهُ فِيكُمْ، فَانْجَمَتِ [٥٢٨] الْحَالُ مِنَ السَّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الْأَمْرِ الْجَلِيِّ. اسْتَفْحَلَ [٥٢٩] سُلْطَانُهُ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٨١

عَلَيْكُمْ، وَدَلَفَ [٥٣٠] بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ».

إشارة إلى أن إبليس يسعى بادئ الأمر إلى الهيمنة على الأفراد الذين يتمردون عليه ثم يرسخ قاعدته لديهم ثم يبسط نفوذه عليهم فيهجم عليهم بجنوده والحال فهم فقدوا قدرتهم الدفاعية وعانوا من أنواع المصائب المادية والمعنوية، كما أشار الإمام عليه السلام

بشمان عبارات قصيرة عميقة المعنى إلى آثار ذلك الهجوم الشيطاني الواسع فقال:

«فَأَقْحَمُواكُمْ [٥٣١] وَلَجَاتِ [٥٣٢] الدُّلِّ، وَأَحْلَوْكُمْ وَرَطَاتِ [٥٣٣] الْقَتْلِ، وَأَوَطَّوْكُمْ [٥٣٤] إِثْخَانَ [٥٣٥]

الْجِرَاحِ، طَعَنَّا فِي عُيُونِكُمْ، وَحَزَّ [٥٣٦] فِي حُلُوقِكُمْ، وَدَقَّا لِمَنَاخِرِكُمْ [٥٣٧]، وَقَصَدَّا

لِمَقَاتِلِكُمْ، وَسَوَّقَّا بِحَزَائِمِ [٥٣٨] الْقَهْرِ إِلَى النَّارِ الْمُعَدَّةِ لَكُمْ».

فهذه العبارات الغاية في الدقة والبيان والمقرونة بمنتهى البلاغة والفصاحة تجسد عظم بؤس المهزومين أمام الشيطان، الذين إن هربوا من جنده وأعوانه ولجأوا إلى كهف فسوف لن يكون سوى كهف الذل والهوان وإن قاموا فليس لهم من مصير سوى الموت والفناء كما أن موتهم سوف لن يكون هيناً بل ممزوج بالضرب والجرح وغرز السهام في العيون وقطع الحناجر وتحطيم الأنوف وبالتالي سوف يجرون إلى نار الغضب الإلهية.

ثم خالص عليه السلام إلى استنتاج قاطع فقال:

«فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ حَوْجاً» [٥٣٩]،

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٨٢

وأورى [٥٤٠] في دُنْيَاكُمْ قَدْحاً [٥٤١] مِنَ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ [٥٤٢]، وَعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ [٥٤٣].

فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ [٥٤٤]، وَلَهُ جِدَّكُمْ [٥٤٥].

إشارة إلى أن إبليس أعدى أعدائكم في الدين والدنيا وخطره أعظم من خطر كلِّ عدو فلا بد من تجنيد طاقاتكم لمواجهة.

وقد عبّر الإمام عليه السلام عن الفساد بالخرج يعنى الصعوبة والمشقة (ووردت في بعض النسخ جرح والتي تبدو انسب للعبارة) وعن وساوس الشيطان المضلة بالقدح (ما يشعل به النار)، لأنَّ قداحه صغيرة يمكن لها أن تحرق بيتاً أو حياً، ووساوس الشيطان قد تقود أحياناً إلى تصدع مجتمعات وإنهارها، ولا سيما العصبيات العمياء والكبر والغرور كما ذكر في الخطبة حيث تأجيج نيران القبليَّة التي تدعو إلى مزيد من سفك الدماء واغراق الأرض بها من الأفراد الأبرياء.

والتعبير بالجد بفتح الجيم بمعنى القطع تشير إلى قطع العلاقة مع إبليس وعدم طاعة أو امره (وقد ورد الجد في بعض النسخ بكسر الجيم والذي يعنى السعى والمثابرة والذي يبدو أنسب للعبارات السالفة) فالبعض يبذل قصارى جهده وسعيه في مجاهدته لإبليس وجنده.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٨٣

## القسم الرابع

### إشارة

فَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَىٰ أَصْدِلِكُمْ، وَوَقَعَ فِي حَسَبِكُمْ، وَدَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ، وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ، وَقَصَدَ بِرِجْلِهِ سَبِيلَكُمْ، يَفْتَنُصُونَكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ. لَأَتَمْتِنَعُونَ بِحِيلَةٍ، وَلَا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ، فِي حَوْمِهِ ذُلٌّ، وَحَلْفِهِ ضَيْقٌ، وَعَرْضُهُ مَوْتٌ، وَجَوْلُهُ بَلَاءٌ. فَأَطْفِئُوا مِا كَمَنَّ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصْبِيَّةِ وَاحْتِقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّهَا تَلْحِكُ الْحَمِيَّةَ تُكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ، وَنَزَعَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ. وَاعْتَمِدُوا وَضَعَ التَّدَلُّلِ عَلَىٰ رُؤُوسِكُمْ، وَإِلْقَاءِ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، وَخَلَعَ التَّكْبَرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ، وَاتَّخَذُوا التَّوَاضِعَ مَسْلِحَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ؛ فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُوداً وَأَعْوَاناً، وَرَجِلاً وَفُؤَسَاناً، وَلَا تُكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَىٰ ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضَّلَ جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِ سِوَىٰ مَا أَلْحَقَتِ الْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ، وَقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ، وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبْرِ الَّذِي أَعْقَبَهُ اللَّهُ بِهِ النَّدَامَةَ، وَالزَّمَهُ آثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

## الشرح والتفسير: التحذير من التشبه بالشيطان أو قاييل

عباً الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الخطبة الجميع للوقوف بوجه الشيطان ووساوسه وأشار إلى سوابقه السيئة وعداوته بعبارات تفيض فصاحة وبلاغة فقال:

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٨٤

«فَلَعَمْرُ اللَّهِ [٥٤٦] لَقَدْ فَخَرْنَا عَلَىٰ أَصْلَابِكُمْ، وَوَقَعَ فِي حَسْبِكُمْ [٥٤٧]، وَدَفَعْنَا فِي نَسَبِكُمْ، وَأَجْلَبْنَا بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ وَقَصَدَ بِرَجْلِهِ سَبِيلَكُمْ».

وهذه العبارات العميقة المعنى هي اقتباس من الآيات القرآنية الشريفة؛ فالآية ٣٣ من سورة الحجر تشير إلى أن الشيطان حقر آدم بهذه الصيغة قائلاً: «لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صِلْصَالٍ مِنْ حَمِيمٍ مُسْتَوْنٍ» فغروره وحسده وتكبره جعله يتناسى العبارة: «نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي» من كلام الله والتي تعد من أعظم مفاخر آدم عليه السلام، كما قال تعالى عن إبليس في الآية ١٢ من سورة الأعراف: «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» والحال لو تخلى عن كبره وغروره لأيقن أن التراب هو مصدر أنواع البركات وأساس حياة الموجودات وهو أفضل من النار، وصرحت الآية ٦٤ من سورة الإسراء أن الله تعالى قال له: «وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ» كما قال تعالى عن الشيطان في الآية ١٦ من سورة الأعراف: «لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ».

وهنا تكمن خطورة هذا العدو الذي ينبغي الحذر منه فهو لا يقر بشخصية آدم الرفيعة ولا يسلم بنسبه وقد جند طاقاته كافة من أجل اغوائه واضلاله.

ثم قال عليه السلام في مواصلته لكلامه:

«يَقْتَضُونَكُمْ [٥٤٨] بِكُلِّ مَكَانٍ، وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ

بَنَانٍ [٥٤٩]. لَأَتَمَتِّنُونَّ بِحِيلَةٍ، وَلَا تَدْفَعُونَ بَعْرِيْمَةً. فِي حَوْمَةٍ [٥٥٠] ذُلًّا، وَحَلَقَةٍ ضَيْقًا، وَعَرْصَةٍ مَوْتًا، وَجَوْلَةٍ بَلَاءًا».

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٨٥

والعبارة:

«وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ»

تشبه ما ورد في القرآن الكريم بشأن هجوم الملائكة على الكفار يوم بدر: «وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ» [٥٥١]. فإن قطع كل بنان إن كان بشأن الأيدي يؤدي بالإنسان إلى العجز عن الإتيان بأغلب الأعمال، ذلك لأن لكل عمل وسيلة ووسائل الأعمال عادة الأصابع والأيدي، وإن كان المراد بنان الأرجل فذلك يؤدي إلى اختلال توازن الإنسان حين المشي والعبارة الواردة في الخطبة إشارة إلى أن الشياطين يهجمون عليكم ويعيقونكم عن العمل بحيث يسلبونكم زمام التفكير والقدرة على اتخاذ القرار.

ثم ركز الإمام عليه السلام على لب الموضوع فاستعار تشبيهات غاية في الجمال وبمتهى الفصاحة والبلاغة ليحذر الجميع من الآثار السيئة للعصبيَّة العمياء والكبر الأجوف فقال عليه السلام:

«فَأَطْفُوا مَا كَمَنَّ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ وَاحْتِقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّهَا تَلْمِكُ الْحَمِيَّةِ تُكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ [٥٥٢]، وَنَزَغَاتِهِ [٥٥٣]

وَنَفَثَاتِهِ [٥٥٤]».

فقد شبه الإمام عليه السلام بهذه العبارات العصبيات الطائشة والأحقاد الجاهلية بالنار الكامنة في أعماق القلوب التي تقتدح فجأة وتلتهم جميع كيان الإنسان فتسرى إلى الخارج لنعم وتحرق أمم بأسرها، ويعد الإمام عليه السلام هذه الصفة الرذيلة من وساوس الشيطان والتي تنتقل من الخارج إلى بواطن المسلمين أي هي قريبه من المسلم الحق.

ثم واصل عليه السلام كلامه قائلاً:

«وَاعْتَمِدُوا وَضَعَ التَّدَلُّلِ عَلَىٰ رُؤُوسِكُمْ، وَإِلْقَاءِ التَّعَزُّزِ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٨٦

تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، وَخَلَعَ التَّكْبَرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ؛ وَاتَّخِذُوا التَّوَاضِعَ مَسْلَحَةً [٥٥٥] بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ

عَدُوَّكُمْ إِيْلَيْسَ وَجُنُودِهِ».

فقد شبه الإمام عليه السلام في هذه العبارات التواضع بالتاج والتعزز بما يلقي تحت الأقدام مما لا قيمة له وشبه التكبر بالغل الذي يوضع على العنق والبساطة بالملسحة أو بالموضع الذي يحفظ الإنسان من مكائد العدو وكلّ منها يحمل رسالة واضحة للناس ولا سيما الأفراد المؤمنين منهم.

ثم بين الإمام عليه السلام دليلاً واضحاً لهذه الوصايا فقال:

«فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُودًا وَأَعْوَانًا، وَرَجُلًا وَفُرْسَانًا».

طبعاً ليس جميع هؤلاء من الجن بل بعضهم من الناس الشياطين من الضالّين والمضللّين أعوان الشيطان وأنصاره وقد قال القرآن الكريم: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ» [٥٥٦].

وهنا تطرق الإمام عليه السلام بعبارة قصيرة وعميقة المعنى إلى قصّة قابيل الشخص الثاني بعد الشيطان الذي إعتراه الكبر والعصبيّة فارتكب جناية عظيمة وغاص في وحل الندم والشقاء فقال عليه السلام:

«وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضَّلَ جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِ سِوَى مَا أَلْحَقَتِ الْعَظْمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ».

العبارة

«ابن أمّه»

بدلاً من أخ إشارة إلى البعد العاطفي للموضوع، أي أنّ التكبر فعل فعله رغم تلك العلاقة العاطفية بينهما فدفعه لقتل أخيه ولعلنا نلمس شبيه هذا المعنى في قصّة موسى وهارون حين نقم على عبادة بنى إسرائيل للعجل وقد أخذ برأس أخيه هارون فناداه على سبيل آثارة عواطفه: «يَبْتَئِمُّمُ لَأَتَأْخُذَ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي» [٥٥٧].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٨٧

والعبارة:

«سوى ما ألحقت»

من قبيل ما يصطلح عليه بالاستثناء المنقطع وقد وردت هنا لشدة الدم كأن نقول: «ليس لفلان من فضل سوى الكذب والخيانة».

والعبارة:

«عداوة الحسد»

إشارة إلى أنّ الحسد يؤدّي بالإنسان إلى العداوة والخصومة؛ العدا الذي من شأنه أن يكون مدعاة لقتل الأخ لأخيه.

ثم خاض الإمام عليه السلام في توضيح هذا الأمر فقال:

«وَقَمَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ، وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبْرِ الَّذِي أَعْقَبَهُ اللَّهُ بِهِ النَّدَامَةَ، وَأَلْزَمَهُ آثَامَ [٥٥٨] الْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

ويستفاد من هذه العبارات أنّ الانحرافات إنّما تنطلق بادئ الأمر من باطن الإنسان ثم يعمقها الشيطان لتطال آثارها المشؤومة الإنسان وعليه فكلّ ما هنالك يعزى إلى باطن الإنسان الملوث وهذا رد حاسم على أولئك الذين يقولون لماذا يفعل الشيطان كل هذا ولماذا يبتلىنا الله تعالى بكلّ تلك المصائب.

وقد نقل ابن أبي الحديد عند هذه العبارة حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله رواه المؤرخ المعروف الطبري أنّه قال:

«مَا مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا وَذَلِكَ بِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ».

وأضاف ابن أبي الحديد: إنّ كلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الخطبة يؤيد ذلك [٥٥٩].

وقد وردت عدّة أبحاث مطولة في الروايات الإسلامية بشأن إقامة السنّة الحسنّة والسنّة السيئة وآثارهما ستتطرق إلى ذلك إن شاء الله

فى محله والذى يمكن قوله على نحو الخلاصة: إن كل من سن فعل خير وحث الناس على القيام به فهو شريك لهم فى الأجر والثواب ومن سن سنة سيئة فهو شريك لهم فى الذنب والمعصية بسبب انتهاكه للحرمات وتشجيعه الناس من ضعاف الإيمان على المعصية.

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٢٨٩

## القسم الخامس

### إشارة

أَلَمْا وَقَدْ أَمَعْتُمْ فِى الْبَغْيِ، وَأَفْسَدْتُمْ فِى الْأَرْضِ مَصَارِحَهُ لِّلَّهِ بِالْمَنَاصِبِ، وَمَبَارَزَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ بِالْمَحَارِبِ. فَاللَّهُ اللَّهُ فِى كِبْرِ الْحَمِيَّةِ وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ! فَإِنَّهُ مَلَأَ قُحُ الشَّنَانِ، وَمَنَافِخُ الشَّيْطَانِ، الَّتِى خَدَعَ بِهَا الْأَمَمَ الْمَاضِيَةَ، وَالْقُرُونَ الْخَالِيَةَ. حَتَّى أَعْتَقُوا فِى حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ، وَمَهَاوِي ضَلَالَتِهِ، ذُلًّا عَن سِيَاقِهِ، سُلْسًا فِى قِيَادِهِ. أَمْرًا تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فِيهِ، وَتَتَابَعَتِ الْقُرُونَ عَلَيْهِ، وَكَبْرًا تَضَايَقَتِ الصُّدُورُ بِهِ. أَلَا فَالْحِذْرُ الْحِذْرُ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكِبْرَائِكُمْ! الَّذِينَ تَكْبَرُوا عَن حَسَبِهِمْ، وَتَرَفُّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ، وَأَلْفُوا الْهَجِيَّةَ عَلَى رَبِّهِمْ، وَجَاحَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا صَيَّغَ بِهِمْ، مُكَابِرَةً لِقَضَائِهِ، وَمُعَالَبَةً لِأَلَايِهِ. فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أُسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ، وَسُيُوفُ اعْتِرَازِ الْجَاهِلِيَّةِ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَكُونُوا لِعِمِّهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَادًا، وَلَا لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَادًا. وَلَا تُطِيعُوا الْأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَيْفِهِمْ كَدْرَهُمْ، وَخَلَطْتُمْ بِصَحْتِكُمْ مَرَضَهُمْ، وَأَدْخَلْتُمْ فِى حَقِّكُمْ يَبَاطِلَهُمْ، وَهُمْ أُسَاسُ الْفُسُوقِ، وَأَخْلَاسُ الْعُقُوقِ. اتَّخَذْتُمْ إِيْلَيْسَ مَطَايَا ضَلَالٍ. وَجُنْدًا بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ، وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، اسْتِرَاقًا لِعُقُولِكُمْ وَدُخُولًا فِى عُيُونِكُمْ، وَنَفْثًا فِى أَسْمَاعِكُمْ. فَجَعَلَكُمْ مَرَمَى نَيْلِهِ، وَمَوْطِئَ قَدَمِهِ، وَمَأْخَذَ يَدِهِ.

## الشرح والتفسير: اجتناب تبعية المتكبرين

لما فرغ الإمام عليه السلام من تلك المقدمات فى المقاطع السابقة بشأن مخاطر الكبر

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٢٩٠

والغرور والعصبيَّة حذر مخاطبيه مباشرة من سوء عاقبة السير على هذا المسار الشيطاني وألقى باللائمة على أولئك الذين يثيرون الخلافات والنزاعات ويؤججون نيران الصراعات تحت ذرائع واهية تستند إلى العصبيَّة القبليَّة والتفاخر الذى تقوم به جماعة على أخرى فقال عليه السلام:

«أَلَمْا وَقَدْ أَمَعْتُمْ فِى الْبَغْيِ، وَأَفْسَدْتُمْ فِى الْأَرْضِ

مَصَارِحَهُ لِّلَّهِ بِالْمَنَاصِبِ» [٥٦٢]، وَمَبَارَزَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ بِالْمَحَارِبِ».

ذهب بعض شراح نهج البلاغة إلى أن المخاطب بهذه العبارات هم جند الشام واتباع معاوية ولعلمهم إستندوا فى ذلك إلى خطاب الإمام عليه السلام اللاذع والشديد الذى لم يكن مناسباً لما عليه أهل الكوفة والعراق، فى حين يفهم من سبب هذه الخطبة وسائر الخطب أن مخاطبى الإمام عليه السلام هم طغاة الكوفة والعراق الذين كانوا يثيرون الصراعات بين القبائل وأدوا إلى المزيد من الفساد وإراقة الدماء انطلاقاً من التعصبات الجاهليَّة والقبليَّة؛ الأمر الذى يعتبر عداءً صريحاً لله من جانب وحرماً شعواء على المؤمنين من جانب آخر.

ثم اشتد كلام الإمام عليه السلام فخاطبهم قائلاً:

«اللَّهُ فِى كِبْرِ الْحَمِيَّةِ وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ! فَإِنَّهُ مَلَأَ قُحُ الشَّنَانِ، وَمَنَافِخُ الشَّيْطَانِ».

وبالنظر إلى أن

«ملاقح»

جمع

«ملقح»

على وزن مجرم، فإنَّ مفهوم العبارة أنَّ الكبر والتعصب سبب ايجاد البغض والعداوة وكذلك

«منافخ»

جمع

«منفخ»

على وزن «مصرف» وسيلة ينفخ بواسطتها ومفهومها أنَّ الشيطان يوسوس في القلوب عن هذا الطريق ويسوقهم إلى الفساد.

ثم أشار عليه السلام إلى آثار ومخاطر هذه الوسوس والنفخات الشيطانية فقال:

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٩١

«الَّتِي خَدَعَ بِهَا الْأَمَمَ الْمَاضِيَةَ، وَالْقُرُونَ الْخَالِيَةَ. حَتَّى أَعْنَقُوا [٥٦٣] فِي حَنَادِسِ [٥٦٤]

جَهَالَتِهِ، وَمَهَاوِي [٥٦٥] ضَلَالَتِهِ، ذُلًّا [٥٦٦] عَنِ سِيَاقِهِ، سُلْسًا [٥٦٧] فِي قِيَادِهِ».

ثم أضاف عليه السلام قائلاً:

«أَمْرًا تَشَابَهَتْ الْقُلُوبُ فِيهِ، وَتَتَابَعَتِ الْقُرُونُ عَلَيْهِ، وَكَبِيرًا تَصَابَقَتِ الصُّدُورُ بِهِ».

في إشارة إلى أنَّ مسألة الكبر والغرور وآثارها ومخاطرها الجمَّة أمر متجذر في جميع الأمم والشعوب والذي كان مصدر الحروب

الدموية والنزاعات الواسعة ومختلف أنواع الجرائم والجنايات والحقايات.

فالتكبر والتعصب صفتان سودتا وجه التاريخ البشري واللتان تعتبران من أهم شباك الشيطان في العصور الماضية والحاضرة والقادمة.

نقل أحد شراح نهج البلاغة (المرحوم محمد جواد مغنیه) في شرحه أنَّ الفيلسوف الانجليزي المعروف (راسل) قال: إنَّ كلَّ إنسان

يحب أن يكون إلهاً والغريب قلَّ من يعتقد أنَّ هذا الأمر محال، ثم يضيف هذا الشارح العالم أنَّ هذا الكلام صحيح إلَّا أنَّ أولئك

الذي يتمنون أن يكونوا آلهة ولا يبلغون ذلك يعمدون لاشباع رغباتهم الباطنية إلى التكبر والفخر بالعظام البالية لآبائهم أو ما هم عليه

من مقام أو ذكر أسمائهم في الصحف.

ثم ركز الإمام عليه السلام على الموضوع الأصلي للقضية والذي يكمن في الطاعة العمياء لزعماء القبائل والمفسدين والمتكبرين

الأنانيين الذين يدعون الناس إلى أهوائهم وملذاتهم ويثيرون الفتن والمفاسد فقال عليه السلام:

«أَلَا فَالْحَدَرَ الْحَدَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٩٢

وَكَبِيرَاتِكُمْ! الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسْبِهِمْ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ، وَالْقَوَا الْهَجِينَةَ [٥٦٨] عَلَى

رَبِّهِمْ، وَجَاحَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا صَنَعَ بِهِمْ، مُكَابِرَةً لِفَضَائِهِ، وَمُعَالَبَةً لِآلَائِهِ [٥٦٩].»

فهذا الكلام في الواقع اقتباس من الآية القرآنية الشريفة التي يظهر فيها الناس ندمهم يوم القيامة على طاعتهم لكبرائهم وزعمائهم

فيقولون: «رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا\* رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُومُ لَعْنًا كَبِيرًا» [٥٧٠].

وإننا كلِّمًا تأملنا تاريخ البشرية الماضي نرى أنَّ أحد العناصر الرئيسيَّة في الحروب والصراعات وإراقة الدماء كان يكمن في التكبر

والعصبية القبلية والقومية والتي ما زالت قائمة لحد الآن، وهي أحد العوامل المهمَّة في نشوب الحرب العالمية الأولى والثانية التي

حطمت دولاً من العالم وأودت بحياة الملايين من الناس، والحال لو أمعن الإنسان النظر لأدرك أنَّ أصله من التراب وأصله الآخر نطفة

لا قيمة لها ونهايته جنة متعفنة، فقد نهى الإسلام عن الافتخار بالآباء والمناصب والتمسك ببعض الألقاب التي تفرز الغرور والغفلة، فقد

جاء في الحديث النبوي الشريف:

«حُبُّ الرَّجُلِ دِينُهُ، وَمُرُوتُهُ، خُلُقُهُ، وَأَضْلُهُ عَقْلُهُ» [٥٧١].

فقد قاله النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حين حاول البعض الاستخفاف بسلمان الفارسي حين سأله عن نسبه، فرد عليهم بأن نسبه عتقه من العبودية بواسطة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

والعبارة:

«الْقُوا الْهَجِينَةَ عَلَى رَبِّهِمْ»

إشارة إلى أن هؤلاء رأوا أن نسبهم هو الأفضل ونسب الآخرين أدنى ثم نسبوا دناءة نسب الآخرين إلى الله تعالى، واعتقدوا أن الله تعالى خلق خلقاً فاضلاً وكانوا هم من ذلك الخلق، وخلق تعالى خلقاً أدنى هم الآخرون كما نسبوا لأنفسهم ما نالوا من النعم الإلهية على أنها تستند

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٩٣

إلى كفاتهم وجدارتهم وتنكروا لنعم الله وآلائه وألطفه.

ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى ذكر السبب الذي يقف وراء ضرورة عدم تبعية مثل هؤلاء الأفراد فقال:

«فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصِيَّةِ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ، وَسُيُوفُ اغْتِرَاءِ [٥٧٢] الْجَاهِلِيَّةِ».

فقد شبه الإمام عليه السلام العصية والفتنة بالبيت، وأعمدته دعاء الفساد، وأركانها المتكبرون الأثنيون، وقد نهى الجميع عن السكن في هذا البيت، كما شبه عليه السلام الشعارات السائدة في زمان الجاهلية لإثارة القبائل وتأليبها على بعضها البعض الآخر، بالسيوف الحادة، ثم شبه زعماء الفساد بهذه السيوف.

فقد كان السائد في العصر الجاهلي أن أية قبيلة من القبائل إذا ما تعرضت لتهديد من الطرف الآخر عمد زعمائها بدلاً من اعتماد الفكر والمنطق في إصلاح الأمور وإرساء الصلح والسلام إلى تأليب الآخرين على اطلاق شعارات الحرب مستغلين جميع الوسائل من أجل إثارة عواطف الأفراد الجهال بغية تأجيج نار الحرب، سيما أن كل قبيلة كانت تنادي الأخرى بأسماء آبائها وأجدادها السابقين فزعماء القبائل في الواقع هنا بمنزلة السيوف.

ويشير التاريخ إلى أن الزعماء المتهافتين على المناصب والمقامات في العصور السابقة كانوا يعبثون الجماهير بمختلف الشعارات ويزجون بالجهال في أتون الحرب بغية الحفاظ على مصالحهم ومقاماتهم ولعلنا نلمس اليوم ما عليه وسائل الإعلام العالمية التي تعتمد شتى الأساليب وبصورة واسعة بغية الحفاظ على الحكومات الاستكبارية ومصالح كبار رؤساء الأموال، وكما قال القرآن الكريم: «إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً» [٥٧٣]، وهذه هي الفئة التي وقفت على الدوام بوجه الأنبياء الذين بعثوا لتنوير عقول الناس وهدايتهم إلى

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٩٤

الصراف المستقيم وبسط القسط والعدالة الاجتماعية، فهبت لمعاداتهم ومواجهتهم:

«وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ» [٥٧٤].

ثم أضاف عليه السلام:

«فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَكُونُوا لِنِعْمِهِ عَلَيْكُمْ أُضْدَادًا، وَلَا لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَادًا».

في الواقع إن هؤلاء الذين يكفرون بنعم الله ويسلكون سبيل الكبر والغرور بدلاً من توظيف هذه النعم في خدمة الخلق إنما يهبون لمناجزة نعمهم ويحسدون أنفسهم في ما أفاض الله عليهم ذلك لأن فعل هؤلاء بالنتيجة يتفق مع ما عليه الحساد والأعداء، فكلاهما ينشد سلب النعمة والفضل الإلهي من الآخرين.

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى نقطة أخرى فقال:

«وَلَا تُطِيعُوا الْأُدْعِيَاءَ» [٥٧٥].

ذهب بعض الشراح إلى أن المراد بالأدعياء ذلك المعنى الأصلي (الأفراد الذين لا حسب لهم ولا نسب، أبناء الحرام) بينما فسرها البعض الآخر بأن المراد بها المنافقين، ذلك لأن النفاق إنما هو نتيجة دناءة النسب وحسنة الجوهر، وأخيراً هناك من فسرها بالوضيعين. جدير ذكره أن التكبر الذي يعدّ الموضوع الأصلي لهذه الخطبة إنما يستند إلى عقدة الحقارة، وهذا ما صرحت به الرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال:

«مَا مِنْ رَجُلٍ تَكَبَّرَ أَوْ تَجَبَّرَ إِلَّا لِدَلَّةٍ وَجَدَهَا فِي نَفْسِهِ» [٥٧٦].

ثم خاض عليه السلام في شرح أوصاف طائفة الأدعياء فقال:

«الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ، وَخَلَطْتُمْ بِصِخْتِكُمْ مَرَضَهُمْ، وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ».

إشارة إلى أن هؤلاء المنافقين المستكبرين إنما استغلوا حسن نياتكم وأنفدوا

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٩٥

إليكم نياتهم السيئة وأمراضهم النفسية وأعمالهم المريضة والمطالب الباطلة ورسوخها في أوساطكم؛ وعليه فما عليكم إلا التعرف عليهم والانسحاب من تبعيتهم وطرح أفكارهم الفاسدة وخططهم الشيطانية من أوساطكم.

ثم أفصح الإمام عليه السلام عن التعريف بهم فقال:

«وَهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ، وَأَخْلَاسُ» [٥٧٧]

الْعُقُوقِ» [٥٧٨].

بالنظر إلى معنى الفسوق وهو الخروج عن الطاعة والعقوق الذي يطلق على مطلق العصيان، فإن المراد بالعبارة السابقة أن جميع المعاصي والمفاسد الاجتماعية إنما تنبع من المفسدين والمستكبرين حيث يقوم هؤلاء الأفراد باستقطاب الناس وشدهم إليهم كونهم مصداق للعبارة:

«النَّاسُ عَلَى دِينِ مُلُوكِهِمْ».

ثم تحدّث الإمام عليه السلام عن العلاقة القائمة بين هذه الفئة وإبليس ومدى ارتباط أفكارهم وخططهم بوساوسه فقال:

«اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ. وَجُنُوداً بِهِمْ يَصُولُ» [٥٧٩] عَلَى النَّاسِ، وَتَرَاجِمَهُ يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، اسْتِرَاقاً لِعُقُولِكُمْ وَدُحُولاً [٥٨٠] فِي عُيُونِكُمْ، وَنَفَثاً [٥٨١] فِي أَسْمَاعِكُمْ».

فالواقع، إنما يمتطي إبليس هذه الفئة بالدرجة الأولى لإضلال الناس وإغوائهم، ثم يستعين بها في هجومه عليهم فإن استسلموا لقتلهم مطالبه بلسان زعماء هذه الفئة الضالة فيعطل لديهم جميع مصادر الفهم والإدراك بما فيها العقل والعين والاذن؛ فيسلبهم عقلهم بأمانيه البعيدة وأهوائه ورغباته ويزين لهم الدنيا، فيصادر بصيرتهم ويقرأ في آذانهم كلمات الخداع ويوسوس إليهم فلا تكون عاقبتهم إلا تلك التي

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٢٩٦

أشار الإمام عليه السلام إليها في خطبته وعلى هذا الأساس فقد جعلكم أهدافاً لسهامه ووطأكم بقدمه واستحوذ عليكم:

«فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى نَبْلِهِ» [٥٨٢]، وَمَوَاطِئَ قَدَمِهِ، وَمَأْخَذَ

يَدِهِ».

فمن الطبيعي أن يتيه الإنسان تحت أرجل الشيطان ويكون بدنه عرضة لسهامه ويحكم عليه قبضته إذا ما فقد عقله وبصيرته وإدراكه. وقد ذهب أغلب شراح نهج البلاغة إلى أن العبارة «وَمَا خَذَ» إشارة إلى الأسر في مخالب الشيطان، وعليه يكون مفهوم العبارات الثلاث



أن الشيطان يقضى عليكم أو يذلكم أو يأسركم، إلّا أن التفسير الذى أوردناه يبدو أنسب مع العبارات السابقة. والواقع أن هذه الكلمات العميقة للإمام عليه السلام بشأن نفوذ الشيطان فى الإنسان اقتباس من القرآن الكريم إذ قال تعالى: «وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ» [٥٨٣]. وقال تعالى فى الآية ١١٢ من سورة الأنعام: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا» وقد مر شبيه ما ورد فى هذه العبارة فى الخطبة السابعة حين قال: «اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مَلَكَاً وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكاً... فَظَنَرُ بِأَعْيُنِهِمْ، وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، فَكَبَّ بِهِمُ الزَّلَّلَ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطْلَ».

## تأمل

### التكبر والعصبية

«التكبر»

يعنى الشعور بالأفضلية من الآخرين، و

«التعصب»

يعنى التعلق غير المنطقى بشخص والتفانى فى الدفاع عنه بصورة عمياء، أو الغلو فى الحب للقبيلة

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٢٩٧

وتمجيدها بحق وبغير حق، وتعصب من مادة عصب على وزن غضب بمعنى الأوعية الخاصية التى تربط عضلات الإنسان بدماعه وتشكل سلسلة الأعصاب.

ثم اطلقت على الفئة والجماعة المنسجمة فكراً والمتعاضدة فيما بينها، ويطلق على هذه الجماعة

«عصبية»

على وزن

«سفرة»

وتطلق مفردة

«تعصب»

عادة على التبعية الهمجية المطلقة التى يفرزها عادة الجهل وضيق التفكير والكبر؛ لأن الشخص الذى يريد أن يلصق بنفسه قيمة معينة يسعى لإكبار من يتعلق به أو يتعلق بهم، فيتجاهل نقط ضعفهم ويبالغ فى تضخيم نقاط قوتهم إن وجدت فيهم.

وهذه الرذيلة الأخلاقية الجاهلية إذا انطلقت من التعصب العرقى والقبلى فإنها تؤدى إلى اندلاع النزاعات والحروب والعنف والصراعات الدموية التى حدثت فى التاريخ القديم والتاريخ المعاصر.

ولعل أحداً لم يأمن مخاطر الكبر والعصبية منذ التاريخ الجاهلى حتى تاريخنا الراهن. فقد نشب فى العصر الجاهلى قتالان عنيفان بين القبائل العربية باسم الفجار المعروفة فى التاريخ. حيث حدثت فجار الأولى حين كان لفرد من قبيلة بنى كنانة دين بدمه رجل من قبيلة هوازن الذى ما كان يستطيع تسديد دينه؛ فشاهد الرجل الهوازنى قرداً فى سوق عكاظ (السوق الذى كان يعقد كل سنة قرب الطائف) وقال:

هل من رجل يبيعنى هذا القرد مقابل دينى من فلان الكنانى ومراده من هذا الكلام تحقير الرجل الكنانى الذى عجز عن تسديد دينه، وهنا قام رجل من كنانة فقتل القرد، فصرخ الهوازنى بوجه الرجل واستنجد الكنانى بقبيلته فاقتلت القبيلتان قتالاً شديداً.

وفجار الثانية التي حدثت بعد وفاة عبد المطلب، وسببها أن فتى من قبيلة بنى غفار جلس فى زاوية من سوق عكاظ ومد رجليه وكان يقول: أنا أفضل العرب ومن لم يقبل ذلك فليقطع رجليّ، فانبرى له فتى جاهل من قبيلة بنى قيس وسل سيفه وضربه على رجليه، فاقتلت قبيلتيهما قتالاً شديداً حتى تصالحا بعد مدّة من

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٢٩٨

العداوة والخصومة [٥٨٤]، وما شهده القرن العشرين متمثلاً فى الحرب العالمية الثانية وكان سببها كما نعلم العصبية الألمانية النازية والتي خلفت عشرات الملايين من القتلى وعشرات الملايين من الجرحى والعديد من المفقودين وذلك الخراب العظيم الذى حلّ بأوروبا وسائر دول العالم، وحتى اليوم فإنّ العوامل الرئيسيّة التى تقف وراء اعتداءات المستكبرين والجنّة الاسرائيليين لا تستند إلى شىء سوى إلى الكبر والتعصب.

وبالنظر لما ذكرناه سابقاً نقف على عمق كلام الإمام عليه السلام فى إظهاره لكلّ هذا القلق من النتائج الوخيمة للكبر والعصبية، وفى ذلك ورد عن النّبى صلى الله عليه وآله:

«مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ عَصَبِيَّةٍ، بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ أَغْرَابِ الْجَاهِلِيَّةِ» [٥٨٥].

كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«مَنْ تَعَصَّبَ أَوْ تَعَصَّبَ لَهُ فَقَدْ خَلَعَ رَبِّيَ الْإِيمَانَ» [٥٨٦].

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٢٩٩

## القسم السادس

### إشارة

فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأَمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَصَوْلَاتِهِ، وَوَقَائِعِهِ وَمَثَلَاتِهِ، وَأَتَعُظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ، وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ، وَاسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ، كَمَا تَسْتَعِيدُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ.

فَلَوْ رَخَّصَ اللَّهُ فِي الْكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ؛ وَلَكِنَّهُ سَبَّحَانَهُ كَرَّةً إِلَيْهِمُ التَّكَايُرَ، وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضِعَ، فَالَّذِي قُومُوا بِالْمَارِضِ خُدُودِهِمْ، وَعَفَّرُوا فِي التُّرَابِ وَجُوهَهُمْ. وَحَفَّضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَكَانُوا قَوْمًا مُسْتَضْعَفِينَ. قَدِ اخْتَبَرَهُمُ اللَّهُ بِالْمَحْمَصَةِ، وَابْتَلَاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ، وَامْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ، وَمَخَضَّهُمْ بِالْمَكَارِهِ. فَلَا تَعْتَبِرُوا الرِّضَى وَالسُّخْطَ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ جَهْلًا بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ، وَالْإِخْتِبَارِ فِي مَوْضِعِ الْعَنَى وَالْإِقْتِدَارِ، فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

(أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنِينَ \* نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ). فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ.

## الشرح والتفسير: آفة التكبر

لما فرغ الإمام عليه السلام من تحذيراته فى المقطع السابق من هذه الخطبة من تبيعة المستكبرين والعصاة المتعصين، أخذ فى هذا الجانب من الخطبة بيد مخاطبيه ليغوص بهم فى أعماق التاريخ ويوقفهم على مصير الأمم المستكبرة وأئمة الكبر

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٣٠٠

والغرور فى التاريخ القديم فقال:

«فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأَمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَصَوْلَاتِهِ، [٥٨٧] وَوَقَائِعِهِ وَمَثَلَاتِهِ [٥٨٨].»

فقد عرض لنا القرآن الكريم كيف كانت عاقبة الطغاة سيئة ومصيرهم أسود كفرعون وجنوده حيث هلكوا غرقاً في أمواج البحر وكانت أجسامهم طعمه لحيتان البحار، وطغاة مع أقوامهم هلكوا تحت الزلازل الشديدة ومنهم من أمطروا بالحجارة أو خسف بهم الأرض ومنهم من قلب الله بهم مدنهم فجعل عاليها سافلها كقوم لوط، وطائفة أخذهم بالطوفان والعواصف التي جعلتهم كأعجاز النخل الخاوية كقوم عاد، بينما أخذ البعض الآخر بالصاعقة ليحيلهم أجساداً خاوية بطرفة عين كما قال تعالى في محكم كتابه العزيز: «فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسِفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» [٥٨٩].

ثم قال عليه السلام:

«وَاتَّعَظُوا بِمَثَاوِي [٥٩٠] خُدُودِهِمْ، وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ، [٥٩١] وَاسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ لَوَاقِحِ [٥٩٢] الْكِبْرِ، كَمَا تَسْتَعِيدُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ».

يبدو أن الوصايا الثلاث التي ذكرها الإمام عليه السلام:

«اعتبروا» و «اتَّعَظُوا» و «اسْتَعِيدُوا»

إشارة إلى المراحل الثلاث التي تنتظر الإنسان اليقظ في مسيرته نحو الحق حين تأمله لسيرة الماضين: وأهمها مصير الأمم السابقة بما كانت تمتلكه من نعم وما كانت عليه من عزة وقدرة ثم الت إلى الزوال أثر الكبر والغرور، لكي يتعلم الدروس والعبر من تاريخ حياتهم ومماتهم فيستعيد بالله في خاتمة المطاف حتى لا

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٠١

يُصاب بالكبر والغرور.

وتشير العبارة

«كَمَا تَسْتَعِيدُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ»

إلى آثار الكبر المشؤومة والتي تعد من الحوادث المريرة التي لا تقل عن الزلازل والعواصف والحوادث الطبيعية المفجعة الأخرى

ثم طرق هذا المعلم الرباني العظيم سبيلاً آخر بغية خلق النفرة في قلوبهم إزاء الكبر والغرور فقال عليه السلام:

«فَلَوْرَخَّصَ اللَّهُ فِي الْكِبْرِ لِأَخِي مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِحَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ؛ وَلِكِنَّهُ سَيَبْحَانُهُ كَرَّةً إِلَيْهِمُ التَّكَابُرُ، وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُّعُ، فَأَلْصَقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ، وَعَفَّرُوا [٥٩٣] فِي التُّرَابِ وَجُوهَهُمْ. وَخَفَّضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَكَانُوا قَوْمًا مُسْتَضْعَفِينَ».

لعل بعض المتكبرين يعتقدون أن التكبر يكشف عن الشخصية وأنها بالتالي نعمة من نعم الله تعالى، فالإمام عليه السلام يشير إلى أن هذا العمل لو كان نعمة وكرامة لأنعم به تعالى على أنبيائه وأوليائه قبل كل شخص آخر؛ بينما نرى القضية معكوسة تماماً حيث كره تعالى إليهم الكبر والغرور، والتواضع بمثابة تاج وضع على رؤوسهم، وعلى هذا الأساس عاشوا الخضوع لله تعالى فكانوا يعرفون وجوههم بالتراب، كما عاشوا البساطة والتواضع للمؤمنين.

والعبارة:

«وَخَفَّضُوا أَجْنِحَتَهُمْ»

كناية لطيفة عن التواضع، لأن الطيور حين تريد أن تنحو على فراخها تضمها تحت أجنحتها بعد أن تفتحها لها.

والعبارة:

«وَكَانُوا قَوْمًا مُسْتَضْعَفِينَ»

لا- تفيد هنا معنى الضعف والعجز، بل تعني أنهم كانوا لا- يتكبرون على أبناء مجتمعهم فهم عباد بسطاء وأنهم يشاطرون الآخرين

حياتهم.

ثم هم الإمام عليه السلام برفع الخطأ واللبس الذي شاب بعض المستكبرين الذين اعتقدوا بأن المال والأولاد علامات على القرب من الله تعالى، فخاض في بعض

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٠٢

التفاصيل من سيره وحياءه خاصة أولياء الله وأنبيائه وما تعرضوا له من امتحانات واختبارات بعبارات فصيحاً وبلغه ليركز على أربعة أنواع من الاختبارات فقال:

«قَدْ اخْتَبَرَهُمُ اللَّهُ بِالْمَخْمَصَةِ [٥٩٤]، وَابْتَلَاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ [٥٩٥]، وَامْتَحَنَهُمُ بِالْمَخَاوِفِ، وَمَخَّضَهُمُ [٥٩٦] بِالْمَكَارِهِ».

فطرق الله تعالى الامتحانية لا تحصي، فأحياناً بالنعمة وكذلك بالنقمة، وتارة بالمرض والسقم وأخرى بالصحة والعافية وثالثة بالعزة وأخرى بسلبها؛ لكن يمكن تقسيم هذه الاختبارات إلى أقسام متعددة؛ الضيق في المعيشة والجوع والعطش، الحوادث الشاقة والأليمة من قبيل المصائب التي تحملها المسلمون الأوائل في شعب أبي طالب حتى مختلف الغزوات وحالة اللاأمن التي كان يفرضها عليهم خصوم الدعوة، إلى جانب الأمراض والمعاناة التي سادت حياة جميع أنبياء الله، إنما تعدد دليلاً على هذه الامتحانات ومن ذلك حياة موسى بن عمران عليه السلام منذ ولادته حتى لجوئه إلى بيت النبي شعيب عليه السلام، وحين انبرى لدعوة الفراعنة وما أعقبها من حوادث أليمة والمصائب التي عاشها في بني اسرائيل، وكذلك مختلف المراحل التي شهدتها نبي الله إبراهيم عليه السلام في حياته من بابل حتى أرض مصر ثم مكة ولا سيما سيره النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله والغنية عن التوضيح، كلها شواهد حية على هذا الأمر.

ثم خاض عليه السلام في دفع خطأ مهم بعد ذكره لهذه المقدمة والذي أصيب به العديد من الناس في الماضي والحاضر والذي يتمثل في ظنهم بأن كثرة الأموال والأولاد دليل على التوفيق والسعادة والقرب من الله تبارك وتعالى فقال عليه السلام:

«فَلَا تَغْتَبِرُوا

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٠٣

الرُّضَى وَالسُّخْطَ بِأَمْوَالٍ وَالْوَلَدَ جَهْلًا بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ، وَالْاِخْتِبَارِ فِي مَوْضِعِ الْغِنَى وَالْاِقْتِدَارِ».

ثم استدل عليه السلام بآية قرآنية أشارت صراحة إلى هذا الأمر فقال:

«فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

«أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ \* نَسَارِعَ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ [٥٩٧]».

ثم خلاص من الآية الشريفة إلى هذه النتيجة فقال:

«فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ».

فالعبرة

«فِي أَنْفُسِهِمْ»

بشأن المستكبرين إشارة إلى أنهم ليسوا على شيء من الفضيلة، بل هم عباد ضعاف وعاجزون يرون أنفسهم كباراً. والعبرة

«فِي أَعْيُنِهِمْ»

(استناداً لعودة الضمير للمستكبرين) تشير إلى أن عباد الله ليسوا ضعافاً وعاجزين قط، بل المستكبرون يظنونهم مستضعفين بفعل زهدهم وورعهم وتقواهم وطاعتهم لأوامر الله، ومن هنا يتضح اختلاف مفردة المستضعف هنا مع ما وردت في العبارة السابقة حيث قال عليه السلام الأنبياء مستضعفون إشارة إلى تواضعهم ووزهدهم وبساطة حياتهم، وقوله أولياء الله المستضعفين في عين المستكبرين

إشارة إلى الضعف والعجز والذلة التي يظنونها.

## تأمل

### تصحيح خطأ

أشارت العديد من الآيات القرآنية إلى هذا الموضوع حيث إنه كان في الأقوام السابقة بعض الأفراد الذين يعتقدون بأن كثرة الاموال والأولاد دليل على القرب من الله تعالى، وقد دفع بهم هذا التصور الخاطيء لأن يعتقدوا لأنفسهم ببعض المقامات المعنوية بموازاة تلك الإمكانيات المادية الضخمة ليوردوا هذا الأمر بصيغته مغالطة

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٠٤

فيزعموا أن هذه نعم الله فمن شمله الله بهذه النعم فقد أحبه، ومن أحبه الله كان مقرباً منه، وعلى هذا الأساس كانوا ينظرون باستخفاف إلى المؤمنين على المستوى المادى والمعنوى.

وقد غفلوا عن أن إفاضة الإمكانيات المادية إنما يستند إلى عدة عوامل، فقد تكون نعمة من نعم الله، كما قد تكون للامتحان والاختبار أو الاستدراج للعذاب، أى أن الله سبحانه وتعالى إنما يتابع نعمه على بعض الأفراد الذين لا يمكن إصلاحهم فيسلبها تعالى منهم بغته ليكون ذلك أشد وقعاً على قلوبهم وأكثر إيلاماً. والقضية أشبه بالضبط بذلك المعتدى الذى يتسلق شجرة مثمرة ثم يأخذ بالتسلق شيئاً فشيئاً حتى يسقط فجأة فتتحطم جميع عظامه.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٠٥

### القسم السابع

#### إشارة

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَىٰ بَنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونَ (عليهما السلام) عَلَىٰ فِرْعَوْنَ، وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ، وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ، فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ، وَدَوَامَ عِزِّهِ؛ فَقَالَ:

«أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ، وَبَقَاءَ الْمُلْكِ؛ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ، فَهَلَّا أَلْفَىٰ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةً مِنْ ذَهَبٍ؟»  
إِعْظَامًا لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ، وَاحْتِقَارًا لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ! وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذَّهَبَانِ، وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ، وَمَعَارِسَ الْجَنَانِ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرْضِ بَيْنَ لَفْعَلٍ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ، وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ، وَلَمَّا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أَجُورَ الْمُتَبَلِّغِينَ، وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، وَلَا لَزِمَتْ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيهَا. وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أَوْلَىٰ قُوَّةً فِي عَزَائِهِمْ، وَضَعْفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَةِ تَمَلُّ الْقُلُوبِ وَالْعَيْوُونَ غِنَىٰ، وَخِصَاصَةَ تَمَلُّ الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ أَدَىٰ.

### الشرح والتفسير: درس وعبرة في قصة موسى عليه السلام

تابع الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الخطبة من خلال طريق آخر ينطوى على الدروس والعبر ذم الكبر والغرور والعصبيه التي تشكل المحور الأصلي لهذه الخطبة، فأشار إلى قصة موسى بن عمران عليه السلام حين دخل مع أخيه هارون على

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٠٦

فرعون وكانا يرتديان تلك الثياب البسيطة فتعرضا إثر ذلك لاستخفاف فرعون المتكبر فقال عليه السلام:

«وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَىٰ بَنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَلَىٰ فِرْعَوْنَ، وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ [٥٩٨] الصُّوفِ، وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ، [٥٩٩] فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَشْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ، وَدَوَّامَ عِزِّهِ».

فقد دخل موسى وهارون عليهما السلام بذلك اللباس البسيط وعصا الرعى على فرعون ليحطما كبريائه وطغيانه ويبيئا له ولحاشيته أن العزة ليست في الأموال والكنوز وكثرة الخدم ليعلنا نهاية ذلك النوع من العيش وانطلاقه العهد الجديد في الحكومة الإلهية بواسطة المستضعفين.

ثم واصل عليه السلام حديثه فتطرق إلى ردود الفعل التي ابداهها فرعون إزاء دعوة موسى وهارون فقال عليه السلام:

«فَقَالَ: «أَلَا تَعْجَبُونَ مِنِّ هَذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَّامَ الْعِزِّ، وَبَقَاءَ الْمُلْكِ؛ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنِّ خَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ، فَهَلَّا أَلْقَىٰ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ [٦٠٠] مِنْ ذَهَبٍ؟»  
إِعْظَامًا لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ، وَاحْتِقَارًا لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ!».

نعم! فالنظام المادى للجهاز الفرعونى يدور حول هذا المحور فى أن من كانت إمكاناته فى الذهب والجواهر أكثر كانت شخصيته أسمى، وثياب الصوف البسيطة إنما هى لباس الشخصيات الوضيعة فى المجتمع؛ أى لم يكن هنالك أى دور للقيم الإنسانيّة فى بيان شخصيّة الإنسان فى ظلّ ذلك النظام، والقيم الاعتبارية والخيالية هى التى تحدد معيار الشخصية. وقد تعرض الإمام عليه السلام لشرح هذه الحقيقة بعبارات غاية فى الروعة والبيان والى لم تكن لها آنذاك قيمة واقعية بينما كان يحسبها كذلك فرعون وحاشيته فقال:

«وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذُّهَبَانِ [٦٠١]، وَمَعَادِنَ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٠٧

الْعِيقَانِ [٦٠٢]، وَمَعَارِسَ [٦٠٣] الْجِنَانِ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرْضِينَ لَفَعَلْ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ، وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ، وَلَمَّا وَجِبَ لِلْقَائِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلِينَ، وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، وَلَا لَزِمَتْ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيهَا».

إشارة إلى أن الحكيم تبارك وتعالى يستطيع أن يمد أنبياءه بجميع أسباب القوة ويزينهم بمختلف صنوف الذهب والمجوهرات والثروات ويغدق عليهم القصور ووسائل الراحة، بل يجعل أنبياءه أغنى الملوك والسلطين- لأنه خالق السماوات والأرض ومالك كل شىء- لكنه حكيم فإن فعل ذلك سيزول الهدف الأصلي لبعث الأنبياء والدعوة إلى الله تعالى، بل ستكون النتيجة معكوسة وتتحول القيم والمثل إلى ما يضادها ويفسد الإيمان وتسوء الأخلاق والتربية.

ولذلك خاض الإمام عليه السلام فى تفاصيل ست مفاصد فى بيان الآثار السيئة لمثل هذا الأمر وهى:

١. انعدام معطيات الامتحان الإلهى للعباد فى ظلّ هذه الظروف، ذلك لأن الأفراد غير المؤمنين وبسبب ما عليه الأنبياء من إمكانات وزينه سيندفعون إليهم دون الاقتناع بمنهجهم ودعوتهم.

٢. زوال ثواب المحسنين، ذلك لأن إيمانهم لا يكون خالصاً فى ظلّ تلك الشرائط.

٣. لا يعدّ الوعد الإلهى وأخبار الوحي بشأن الحلال والحرام دافعاً لطاعة الناس، بل الدوافع الماديّة هى التى تحركهم، كما أن سيرتهم سوف لن تعدّ أسوة ونموذجاً للعباد.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٠٨

٤. سوف لن يحصل المؤمنون بالأنبياء على الأجر الجزيل الذى يناله المجاهدون فى سبيل الله.

٥. لا يستحق المؤمنون المخلصون ثواب المحسنين ذلك لأنهم لم يتحملوا عناءً.

٦. بعض الصفات المقدسة والأسماء من قبيل المؤمن والصالح والمجاهد والمخلص سوف تفقد مصاديقها الواقعية كما ستفقد بعض الصفات التي تنسب إلى الأنبياء من قبيل الزهد والورع والتقوى وعدم التعلق بالدنيا مفهومها ومعناها.

ثم قال الإمام عليه السلام في توضيحه لهذا المعنى:

«ولَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أَوْلَى قُوَّةً فِي عَزَائِمِهِمْ، وَضَعَفَهُ فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَتِهِ تَمَلُّمَا الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنَى، وَخَصَاصَةً [٦٠٤] تَمَلُّمَا الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ أَدَى».

فالواقع إنهم كانوا رجالاً أشداء باستطاعتهم اقتناء الذهب والمجوهرات ووسائل الزينة، إلا أنهم جعلوا كل أسباب الترف ومباهج الدنيا التي تعد مصدرًا للكبر والغرور والفخر والعجب والأنانية وراء ظهورهم، وجعلوا الهدف الرسالي أمام عيونهم.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٠٩

## القسم الثامن

### إشارة

وَلَوْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَاتُرَامَ، وَعِزَّةٍ لَاتُضَامَ، وَمُلْكٍ تُمِيدُ نَحْوَهُ أَعْنَاقَ الرَّجَالِ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عَقْدُ الرَّحَالِ، لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْإِعْتِبَارِ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الْإِسْتِكْبَارِ، وَلَامَنُوا عَنْ رَهْبَةِ قَاهِرَةٍ لَهُمْ، أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ، فَكَانَتِ النَّيِّاتُ مُشْتَرَكَةً، وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً. وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْإِتْبَاعَ لِرُسُلِهِ، وَالتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ، وَالْخُشُوعُ لَوَجْهِهِ، وَالِاسْتِثْنَاءُ لِأَمْرِهِ، وَالِاسْتِشْلَامُ لِطَاعَتِهِ، أُمُورًا لَهُ خَاصَّةٌ لَاتَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ. وَكَلَّمَا كَانَتِ الْبُلُوى وَالِاخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ الْمَثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ.

## الشرح والتفسير: زهد الأنبياء

أشار الإمام عليه السلام في القسم السابق من الخطبة بوضوح إلى الحياة المتواضعة للأنبياء ومنهم موسى بن عمران عليه السلام، ثم واصل كلامه في هذا الجانب من الخطبة لبيان الآثار المعنوية والتربوية للبساطة والتواضع فقال:

«وَلَوْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَاتُرَامَ [٦٠٥]، وَعِزَّةٍ لَاتُضَامَ [٦٠٦]، وَمُلْكٍ تُمِيدُ نَحْوَهُ أَعْنَاقَ الرَّجَالِ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عَقْدُ [٦٠٧] الرَّحَالِ [٦٠٨]، لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْإِعْتِبَارِ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الْإِسْتِكْبَارِ،

نفحات الولاية؛ ج ٧؛ ص ٣٠٩

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣١٠

وَلَامَنُوا عَنْ رَهْبَةِ قَاهِرَةٍ لَهُمْ، أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ، فَكَانَتِ النَّيِّاتُ مُشْتَرَكَةً، وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً».

نعم، فالمحور الأصلي الذي حظى باهتمام الأنبياء هو الإخلاص وطهارة النية، والحق أن الأنبياء عليهم السلام لو كانوا ذوي قوة قاهرة وملكو كنوز الأرض وعاشوا حياتهم في القصور مترفين كالسلطين لما اعتبر بهم الناس، وإذا آمن بهم البعض فإيمًا عن خوف من

سلطانهم، وإما عن طمع في ملكهم، حيث

«النَّاسُ عِبِيدُ الدُّنْيَا».

ثم قال عليه السلام مؤكداً هذا الكلام:

«ولَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْإِتْبَاعَ لِرُسُلِهِ، وَالتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ، وَالْخُشُوعُ لَوَجْهِهِ، وَالِاسْتِثْنَاءُ [٦٠٩] لِأَمْرِهِ، وَالِاسْتِشْلَامُ لِطَاعَتِهِ،

أَمْوَرًا لَهُ خَاصَّةٌ لَاتَشْوِبُهَا [٦١٠] مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ».

فقد أشار الإمام عليه السلام فى الواقع إلى خمسة أشياء ينبغى أن تتم جميعها على أساس الإخلاص فى التية وهى: ١. قبول دعوة الأنبياء، ٢. التصديق بالكتب السماوية، ٣. الخشوع العملى للذات الإلهية القدسية، ٤. التسليم القلبي لأوامر الله، ٥. التسليم العملى وإمثال الأوامر، وعلى هذا الأساس ينبغى أن ينطلق الإيمان والعمل والأخلاق من قاعده الإخلاص؛ فقد قال تعالى فى القرآن الكريم: «أَلَا اللَّهُ الدِّينُ الْخَالِصُ» [٦١١] وقال تعالى فى موضع آخر: «وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» [٦١٢].

ثم أشار عليه السلام فى مواصلته لكلامه إلى هذه النتيجة فقال:

«وَكُلَّمَا كَانَتْ الْبُلُوَى وَالْاِخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتْ الْمَثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ».

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣١١

إشارة إلى أن بساطة حياة الأنبياء وانصرافهم عن زخارف الدنيا وزبرجها جعل المؤمنين إزاء امتحان أشد صعوبة، وبالطبع كل ما كان الامتحان أشق وأصعب كان الأجر والثواب أعظم وأبلغ وهذا فى الواقع درس عظيم فى الإخلاص لجميع الأفراد الذين يسعون إلى السير على خط الأنبياء حيث ينبغى أن يسيروا على نفس النهج ليستطيعوا إعداد الأتباع المخلصين.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣١٣

## القسم التاسع

### إشارة

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ، سُبْحَانَهُ، اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ؛ بِأَحْجَارٍ لَاتَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ.

فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ «الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَامًا». ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعِرِ بَقَاعِ الْأَرْضِ حَجْرًا، وَأَقَلَّ نَتَائِقِ الدُّنْيَا مَدْرًا، وَأَضْيَقِ بَطُونِ الْأُودِيَةِ قُطْرًا. بَيْنَ جِبَالٍ حَشِيَّتُهُ، وَرِمَالِ دَمِثُهُ، وَعُيُونٍ وَشَلْمَةٍ، وَقُرَى مُنْقَطِعَةٍ؛ لَأَيِّزُ كُوبِهَا حُفٌّ، وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظَلْفٌ. ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَلَدَهُ أَنْ يَتَنَوَّأَ أَعْطَاهُمْ نَحْوَهُ، فَصَارَ مَنَابِيَهُ لِمُنْتَجِعِ أَشْفَارِهِمْ، وَعَايَهُ لِمَلْقَى رِحَالِهِمْ. تَهْوَى إِلَيْهِ تِمَارُ الْأَفْتَمَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارِ سِحْقِيَّةٍ وَمَهَاوِي فِجَاجِ عَمِيْقَةٍ، وَجَزَائِرِ بَحَارِ مُنْقَطِعِيَّةٍ، حَتَّى يَهْزُؤُوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلًّا يَهْلُلُونَ لِلَّهِ حَوْلَهُ، وَيَزْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْنًا غُبْرًا لَهُ. قَدْ تَبَيَّنُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَشَوْهُوا بِأَعْضَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ، ابْتِلَاءً عَظِيمًا، وَامْتِحَانًا شَدِيدًا، وَاخْتِبَارًا مُبِينًا، وَتَمَحِيصًا بَلِيغًا، جَعَلَهُ اللَّهُ سَبِيًّا لِرَحْمَتِهِ، وَوَصَلَّهُ إِلَى جَنَّتِهِ.

## الشرح والتفسير: الدروس والعبر فى بيت الله

سلك الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة سبيلًا آخر لمتابعة الغاية الأصلية التى تتمثل فى القضاء على التكبر والدعوة للبساطة والتواضع ليشرحه بعبارات غاية فى الروعة والجمال والبلاغة بحيث عجز البلغاء والفصحاء أن يأتوا بمثله فقال:

«أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ، سُبْحَانَهُ، اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣١٤

هَذَا الْعَالَمِ؛ بِأَحْجَارٍ لَاتَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ. فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ



«الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَامًا».

فالذي يستفاد من هذه العبارة أن الكعبة التي هي أقدم معبد في العالم قد بنيت لأول مرة في زمن آدم عليه السلام (ثم جدد بناؤها على عهد إبراهيم الخليل عليه السلام) كما يفهم أن بساطتها ومواد بنائها البدائية تهدف إلى عدم لفت انتباه الآخرين إلى جانبها وبعدها المادى، بل الاستغراق فى أبعادها المعنوية حيث بين عليه السلام: أن الكعبة تحظى بمركزية يتوجه إليها الجميع ليأتوا كل سنة لأداء شعائر الحج ومناسكه بما يؤدى إلى تنامى شوكة المسلمين وقوتهم وعزتهم ووحدهم وسموهم وعلو شأنهم ومبادئهم فى مختلف الاتجاهات.

فالعبارة الواردة فى كلام الإمام عليه السلام اقتباس من الآية الشريفة: ٩٧ من سورة المائدة التى تقول: «جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْيَتَّى الْحَرَامِ قِيَامًا لِلنَّاسِ».

وقد ورد

«القيام»

هنا كمصدر بمعنى اسم الفاعل أى تقويم حياة الناس من الناحية المادية والمعنوية، على غرار الدعائم القوية التى يقوم عليها البيت والخيمة.

فبيت الله هو رمز الوحدة وقوة المسلمين ورفعتهم وعظمتهم من جانب ومن جانب آخر فإنه ينطوى على المناسك التى تطهر القلب من دنس المعصية وتفيض عليه نور الهدى وتغمره بالرحمة الإلهية.

ولما فرغ الإمام عليه السلام من ذكر بساطة الكعبة، عرج على التعرض لخصائص الأرض التى تضم البيت وهى مكة فقال:

«ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ [٦١٣] بِقَاعِ الْأَرْضِ حَجْرًا،

وَأَقْلَّ نَتَائِقَ [٦١٤] الدُّنْيَا مَدْرًا [٦١٥]. وَأَضْيَقَ بَطُونِ الْأَوْدِيَةِ قَطْرًا [٦١٦]. بَيْنَ جِبَالِ خَشْنَةَ، وَرِمَالِ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣١٥

دَمْتَةَ [٦١٧]، وَعُيُونِ وَشَلَّةَ [٦١٨]، وَقُرَى مُنْقَطَعَةٍ؛ لَا يَزُكُّو [٦١٩] بِهَا حُفَّ [٦٢٠]، وَلَا حَافِرَ [٦٢١] وَلَا ظَلْفَ [٦٢٢].».

فقد كشف الإمام عليه السلام بهذه الصفات الثمان لأرض مكة عن محرومية هذه الأرض من مختلف الجهات؛ فقد تحدت بادئ الأمر عن وعورتها وصعوبتها بحيث يرى كل من تشرف بها أن بيت الله واقع فى واد ضيق بين الجبال الشامخة والقاحلة التى يصعب تسلقها، حتى استطاعوا اليوم حفر العديد من الأنفاق والمنعطفات لشق الشوارع التى يمكنها اختراق تلك الجبال بغية مرور الناس عليها.

ثم أشار عليه السلام إلى قلة التربة الصالحة للزراعة؛ والحق أن كذلك، حيث يضطرون اليوم لحمل التربة من المناطق القريبة والنائية إليها بغية غرس بعض الأشجار، ثم تطرق عليه السلام إلى ضيق وديانها، فنحن نعلم أن الوديان الواسعة التى تضم الأراضى الزراعية الصالحة للزراعة تعد من أفضل البقاع لمعيشة الإنسان، والعديد من المدن الكبيرة إنما تقع فى مثل هذه الوديان، بينما تتعذر الحياة والعيش بأى شكل من الأشكال فى الوديان الضيقة.

ثم أشار عليه السلام إلى جبال مكة الوعرة التى قلما ينمو فيها نبات والرمال الناعمة التى يصعب السير عليها، وتنقلها الرياح من مكان إلى آخر وعيونها قليلة المياه، والمناطق المعمورة المتفرقة على تلك الصحارى الجرداء التى تتوسطها، ليتطرق بالتالى إلى عدم صلاحية تلك الأرض لتربية الحيوانات الأليفة كالجمال والبقر والشاة. حقاً لولم يكن بيت الله وسط تلك الجبال فإن أحداً سوف لن يفكر أن تكون مكة موضع سكنه إلا أن الله تبارك وتعالى اختار هذه المنطقة كأفضل موضع للعبادة

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣١٦

ودعى المستطيعين كافة إلى التوجه إليها للإتيان بمناسك الحج بهدف تهذيب النفوس والقضاء على آثار الكبر والغرور.

وهذه هي الحقيقة التي أذعن لها خليل الله إبراهيم عليه السلام الذي أمر بإعادة بناء الكعبة حيث قال: «رَبَّنَا إِنِّي أَسِيَكْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بَوَادِ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ» [٦٢٣].

وحين فرغ الإمام عليه السلام من ذكر موضع البيت وخصائص أرض مكة، تطرق إلى شعيرة الحج وزيارة بيت الله الحرام الذي بدأ منذ خلق آدم وسيستمر حتى نهاية الخليقة فقال:

«ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَلَدَهُ أَنْ يَتَنُوا [٦٢٤] أَعْطَاهُمْ [٦٢٥] نَحْوَهُ، فَصَارَ

مَثَابَةً [٦٢٦] لِمُنْتَجِعِ [٦٢٧] أَسْفَارِهِمْ، وَغَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ [٦٢٨]. تَهْوَى إِلَيْهِ ثِمَارُ الْأَفْنَدَةِ مِنْ

مَفَاوِزِ [٦٢٩] قَفَارِ [٦٣٠] سَحِيقَةِ [٦٣١] وَمَهَاوِي [٦٣٢] فِجَاجِ [٦٣٣] عَمِيقَةٍ، وَجَزَائِرِ بَحَارِ مُنْقَطَعَةٍ».

فهذه العبارات الرائعة للإمام عليه السلام اقتباس من الآيات القرآنية الشريفة، حيث اعتبر الإمام عليه السلام مكة بصفتها «مثابة» على غرار ما صرح به القرآن الكريم: «وَأِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا» [٦٣٤]. كما عبر عنها بالمنتجع (الموضع الذي يقصد لتحقيق المنافع) كما جاء في الآية القرآنية الشريفة: «لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ» [٦٣٥]. والعبارة

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣١٧

«تهوى إليه ثمار الأفندة»

اقتباس من الآية الشريفة: «فَأَجْعَلْ أُنْفُدَهُ مِّنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ» [٦٣٦].

وتنسجم العبارة

«من مفاوز قفار»

مع الآية الشريفة: «وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا تُوَكِّ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ» [٦٣٧].

وهكذا تحدث عن توجه مختلف الأقسام من مناطق العالم إلى مكة وأردفها بالإشارة إلى مناسك الحج والأعمال التي تختزن الدروس والعبر فقال:

«حَتَّى يَهْزُؤُوا [٦٣٨] مَنَاجِبَهُمْ ذُلًّا يُهْلَلُونَ لِلَّهِ حَوْلَهُ، وَيَزْمُلُونَ [٦٣٩] عَلَى أَقْدَامِهِمْ سُغْتًا [٦٤٠] غُبْرًا [٦٤١] لَهُ. قَدْ

تَبَدَّلُوا السَّرَابِيلَ [٦٤٢] وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَشَوْهُوا [٦٤٣] بِإِعْفَاءِ [٦٤٤] الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ».

فقد أشار الإمام عليه السلام بهذه العبارة القصيرة إلى جانب من مناسك الحج من قبيل ارتداء ملابس الإحرام وترك ما يحرم على المحرم من الزينة، وكذلك الطواف حول البيت والسعى بين الصفا والمروة وفق آداب معينه ينطوى كل واحد منها على تعليمات تربوية من دروس الحج، والحق لا يسع الإنسان الوقوف على عمق تأثير هذه التعليمات ما لم يؤدي الإنسان تلك المناسك ويطلع عن كتب على هذا المشروع التهذيبي. ثم قال عليه السلام في مواصلته لكلامه:

«إِبْتِلَاءٌ عَظِيمًا، وَامْتِحَانًا شَدِيدًا، وَاخْتِبَارًا مُبِينًا، وَتَمَحِيصًا بَلِيغًا، جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَبًا لِرَحْمَتِهِ، وَوُضْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ».

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣١٨

فالتعبير بالابتلاء والامتحان والاختبار يدل جميعاً على الامتحان، إلا أنها ذكرت مرّة بوصف عظيم وأخرى شديد وثالثة مبين، والمراد الامتحان المهم للغاية الذي يكون كبيراً وشديداً وواضحاً، وامتحان الحج ينطوى على هذه الصفات الثلاث.

والعبارة

«تَمَحِيصًا بَلِيغًا»

إشارة إلى نتيجة هذا الامتحان الذي يترك بصماته العميقة في تطهير القلوب وإخلاص النيات، حيث ورد في الخبر أن زائر بيت الله بعد إتيانه بتلك المناسك العظيمة يعود كما ولدته أمه، حيث قال الإمام الصادق عليه السلام: قال أبي:

«مَنْ أَمَّ هَذَا الْبَيْتَ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا مَبْرَأً مِنَ الْكِبْرِ، رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَهَيْئَةِ يَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» [٦٤٥].

وبالطبع فإن كل هذه الكلمات في إطار تحقيق هدف الخطبة المتمثل بمكافحة الكبر والغرور والعجب والأنانية، لأن الحج يخلع عن الإنسان ثوب الغرور والكبر ويلقنه درس التواضع والإخلاص.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣١٩

## القسم العاشر

### إشارة

وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ، وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ، بَيْنَ جَنَاتٍ وَأَنْهَارٍ، وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ، جَمَّ الْأَشْجَارِ، دَانِي الثَّمَارِ، مُلْتَفِّ النَّبِيِّ، مُتَّصِلِ الْقَرَى، بَيْنَ بُرَّةٍ سَمْرَاءَ، وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، وَأَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ، وَعِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ، وَرِيَاضٍ نَاصِرَةٍ، وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ، لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ. وَلَوْ كَانَ الْأَسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا، وَالْأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا، بَيْنَ زُمْرَدَةٍ خَضْرَاءَ، وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ، لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُضَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ، وَلَوْضَعَ مُجَاهِدَةً إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ، وَلَنَفَى مُعْتَلِجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ، إِخْرَاجًا لِلتَّكْبِيرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِسْكَانًا لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ، وَلِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَابًا فَتْحًا إِلَى فَضْلِهِ، وَأَسْبَابًا ذُلًّا لِعَفْوِهِ.

## الشرح والتفسير: الكعبة المقدسة

واصل الإمام عليه السلام هنا ما ذكره في المقطع السابق من الخطبة، فأشار إلى هذه النقطة وهي أن الله كان قادراً على أن يجعل البيت في أروع البقاع مناخاً، ويشيدها ويزينها بالأحجار الكريمة؛ إلا أنه لم يفعل ذلك خشية إلتفات الناس وتركيزهم على الجوانب المادية فيقلل أجرهم وثوابهم، فأشار عليه السلام لهذا الأمر بعبارات بمنتهى الروعة والجمال بما يعجز الآخرون عن الإتيان بمثله فقال عليه السلام:

«وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٢٠

بَيْتَهُ الْحَرَامَ، وَمَشَاعِرَهُ [٦٤٦] الْعِظَامَ، بَيْنَ جَنَاتٍ وَأَنْهَارٍ، وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ، جَمَّ [٦٤٧] الْأَشْجَارِ، دَانِي الثَّمَارِ، مُلْتَفِّ [٦٤٨] النَّبِيِّ، مُتَّصِلِ الْقَرَى، بَيْنَ بُرَّةٍ [٦٥٠] سَمْرَاءَ، [٦٥١] وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، وَأَرْيَافٍ [٦٥٢] مُحْدِقَةٍ [٦٥٣]، وَعِرَاصٍ [٦٥٤] مُغْدِقَةٍ [٦٥٥]، وَرِيَاضٍ نَاصِرَةٍ [٦٥٦]، وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ، لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ».

فقد رسم الإمام عليه السلام صورة رائعة ودقيقة لمنطقة نضرة من خلال اثنتي عشرة صفة مختلفة.

فذكر الإمام عليه السلام كلما ينبغي ذكره بهذا الخصوص فأشار عليه السلام بدقة متناهية إلى جميع مواضع الجمال التي تتصف بها الأرض الجميلة والمعمورة فبلغ بها منتهى الفصاحة والبلاغة والبديع والبيان، فالواقع لو كان البيت في منطقة نظرة حسنة جميلة المناخ، لتبدل إلى ممتزّه لطيف يقصده الناس من أجل الاستجمام والرفاهية، ولزالت الدروس التربوية والأخلاقية للحج.

ثم قال عليه السلام بشأن بنیان الكعبة:

«وَلَوْ كَانَ الْأَسَاسُ [٦٥٧] الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا، وَالْأَحْجَارُ

الْمَرْفُوعُ بِهَا، بَيْنَ زُمْرَدَةٍ خَضْرَاءَ، وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ، لَخَفَّفَ ذَلِكَ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٢١

مُصَارَعَةَ [٦٥٨] الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ، وَلَوْضَعَ مُجَاهِدَةً إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ، وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ [٦٥٩] الرِّيبِ مِنَ النَّاسِ.

قطعاً أن فلسفة الحج تهدف إلى دفع الإنسان إلى مقاومة هوى النفس والوساوس الشيطانية، وتصبح هذه المقاومة ضعيفة إن كانت لهذه المناسك مسحة جمالية، بينما تصبح مقاومة الوسواس الشيطانية والأهواء النفسية أقوى حين تقام هذه المناسك بنوع من الصعوبة والمشقة في ذلك الوسط الجاف والبسيط؛ وعلى هذا الأساس تشتد مقاومة عباد الله ويصبح إيمانهم أقوى وأرسخ وتنفعهم الآثار التربوية للحج.

والمراد من

«مُصَارَعَةَ الشَّكِّ»

مبارزة وسواس الشك والهواجس التي تخطر على قلب المؤمن وهي الوسواس الباطنية، والمراد من «مجاهدة إبليس» وساوسه الخارجي، ومفهوم العبارة

«مُعْتَلَجَ الرِّيبِ»

تلاطم أمواج الشكوك التي تطغى على المؤمنين في التكليف الديني الشاق، و

«شك» و «ريب»

وإن فسرت بمعنى واحد إلا أن بعض أرباب اللغة ذهب إلى أن الريب بمعنى الشك والترديد الذي يرفع عنه الغطاء لاحقاً، بينما يمكن أن يكون الشك باقياً.

ثم خلاص الإمام عليه السلام إلى نتيجة كليه فقال:

«وَلَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ، إِخْرَاجاً لِلتَّكْبِيرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِسْرَافاً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ، وَلِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَاباً فَتْحاً [٦٦٠] إِلَى فَضْلِهِ، وَأَسْبَاباً ذُلّاً [٦٦١] لِعَفْوِهِ».

إشارة إلى أن الواجبات الشرعية كالصوم والصلاة والحج والزكاة والخمس

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٢٢

والجهاد في سبيل الله وكذلك بعض النواهي وترك الأهواء والرغبات غالباً ما تكون ثقيلة وشاقة، لتمييز صفوف المطيعين والمتواضعين إزاء أوامر الله من العصاة والمتكبرين عبدة الأهواء، ولولا ذاك لما إمتازت هذه الصفوف عن بعضها البعض الآخر. والمفردات

«شدايد» و «مجاهد» و «مكاره»

وإن كانت متقاربة المفهوم والمعنى وأنها تشير جميعاً إلى الأعمال الشاقة والصعبة، لكنها تستند إلى ثلاث رؤى؛ الشدة التي تتطلب الصبر والمشقة التي تستلزم التحمل والحلم والكراهية التي تقتضي الصبر والاستقامة.

جدير ذكره أن الإمام عليه السلام قد بين أربع نتائج من قبيل اللازم والملزوم لهذا الأمر وهي: ١. إزالة الكبر من القلوب. ٢. استبداله بالتواضع الذي يمثل الهدف الأصلي للخطبة. ٣. فتح أبواب الجنة. ٤. شمول العفو والرحمة.

تأمل

«أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ أَحْمَرُهَا!»

ما ورد آنفاً في كلام الإمام عليه السلام هو عين ما صرحت به الروايات

«أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ أَحْمَرُهَا» [٦٦٢]

ويشير هذا الحديث المروي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إلى أن الطاعة وأعمال الخير تختزن أجراً وثواباً أعظم كلما كانت الطاعة وأعمال الخير شاقّة على الجسم عند الإمتثال.

«أَحْمَرُ»

من مادة

«حَمَزُ»

تعنى لغويّاً الشدّة والصعوبة والمشقّة، ويفيد هذا التعبير أن للأعمال الشاقّة والثقلية والمجهدّة قيمة عظيمة عند الله تعالى. وسبب ذلك واضح فهي تتطلب قوّة وطاقه أكبر على مستوى الروح والجسم بغية الإتيان بها، ونعلم جميعاً أن أجر الأعمال وثوابها على قدر مشقّتها والقوّة اللازمة للإتيان بها.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٢٣

ولا تقتصر هذه القوّة على الجانب البدني (مثل حج بيت الله مشياً على الأقدام في ظلّ ظروف تشير إلى عظمه هذه السنه) فغالباً ما تتعداها إلى الجانب الروحي والمعنوي؛ فمثلاً «إخلاص النيّة» بحيث لا يقارن بها أي شائبة في التوجه لغير الله لا تبدو عملية سهلة وبالأمير الهين، وكذلك يبدو التواضع والخشوع الذي لا ينسجم مع روحية الإنسان المتمردة أمراً في غاية الصعوبة، ومن هنا شق على إبليس تحمله فشق على نفسه عصي الطاعة والعبودية وإلى الأبد.

فكلّ مشقّة من هذه المشقّات توجب عظيم الثواب والأجر من جهة وتهذب النفس البشريّة وعلى هذا الضوء كانت الرياضات مدعاة لصفاء النفس وقوتها واقتدارها.

وبالطبع فإنّ مكافحة الكبر والعصبيّة التي تعدّ الموضوع الأصلي لهذه الخطبة لمن أبرز مصاديق الحديث الشريف

«أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ أَحْمَرُهَا»

كما أنّ حج بيت الله الحرام في تلك البقعة الصعبة والوعرة والمحرقه وطبق آدابها المعروفة لتشق على النفس البشريّة؛ من قبيل الإحرام والسعي بين الصفا والمروة وطواف بيت الله والوقوف بصحراء عرفه والمشعر ومنى وحلق الرأس وهي من المصاديق الأخرى الواضحة للحديث الشريف.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٢٥

## القسم الحادي عشر

### إشارة

فَاللَّهُ اللَّهُ فِي عَاجِلِ الْبُعْثِ، وَآجِلِ وَخَامِيَةِ الظُّلْمِ، وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبَرِ، فَإِنَّهَا مَصِيدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى، وَمَكِيدَتَهُ الْكُبْرَى، الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مَسَاوِرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ، فَمَا تُكْدِي أَيْدَاءَ، وَلَمَّا تُشْوِي أَحْيَاءَ، لَا عَالِمًا لِعِلْمِهِ، وَلَا مُقَلًّا فِي طِمْرِهِ. وَعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللَّهُ عِبَادَةَ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَاةِ، وَمُجَاهِدَةَ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ، تَسْكِينًا لِأَطْرَافِهِمْ، وَتَخَشُّعًا لِأَبْصَارِهِمْ، وَتَذَلِيلًا لِأَنْفُسِهِمْ، وَتَخْفِيزًا لِقُلُوبِهِمْ، وَإِذْهَابًا لِلْخَيْلَاءِ عَنْهُمْ، وَلَمَّا فِي ذَلِكَ مِنْ تَغْيِيرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضِعًا، وَالتَّصَاقِ كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالْأَرْضِ

تَصَاغِرًا، وَلُحُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ الصَّيَامِ تَذَلُّلاً؛ مَعَ مَا فِي الرَّكَاهِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الْأَرْضِ وَغَيْرِ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ. انْظُرُوا إِلَى مَا فِي هَذِهِ الْأَفْعَالِ مِنْ قَمَعِ نَوَاجِمِ الْفَخْرِ، وَقَدْعِ طَوَالِعِ الْكِبَرِ.

### الشرح والتفسير: آفة الكبر والغرور

واصل الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الخطبة متابعة الهدف الأصلي لهذه الخطبة والذي يتمثل بدم الكبر والغرور واستعراض سوء آثاره، غير أنه سلك طريقاً رائعاً بهذا الخصوص فاتجه صوب الفرائض والعبادات والواجبات ليبين مدى تأثيرها في القضاء على آثار الكبر والغرور.

فحذر بادئ الأمر وبصورة كلية من العواقب السيئة للبغي والظلم فقال:

«فَاللَّهُ اللَّهُ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٢٦

فِي عَاجِلِ الْبُغْيِ، وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ، وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبَرِ».

ثم تطرق عليه السلام إلى السبب الجلي على هذا التحذير فقال:

«فَإِنَّهَا مَصِيدَةٌ [٦٦٣] إِبْلِيسَ

الْعُظْمَى، وَمَكِيدَتَهُ الْكِبْرَى، الَّتِي تُسَاوِرُ [٦٦٤] قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوِرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ،

فَمَا تُكْدِي [٦٦٥] أَبَدًا، وَلَا تُشْوِي [٦٦٦] أَحَدًا، لَأَعَالِمًا لِعِلْمِهِ، وَلَا مُقِلًّا [٦٦٧] فِي طَمْرِهِ [٦٦٨].»

فالأمر الثلاثة التي حذر منها الإمام عليه السلام في بداية كلامه والتي تتمثل بالبغي والظلم والكبر من قبيل اللازم والملزوم لبعضها البعض الآخر.

فالأفراد المتكبرون لا يرون سوى أنفسهم ولذلك فهم لا يرون من أهميته لحقوق الآخرين فيرتكبون أنواع الظلم والجور والذي يعد من الشباك الخبيثة والخطيرة للشيطان والتي لا ينجونها سوى أولياء الله والصالحين من الأفراد المؤمنين.

والعبارة:

«فَمَا تُكْدِي أَبَدًا...»

إشارة إلى عموميتها هذا التحذير؛ فلا يتصور العالم أن بإمكانه النجاة من هذه المصيدة بما لديه من علم ومعرفة فقط، أو ينجو من آثاره شخص فقير بفقره، فكل شخص بدون استثناء معرض للتلوث بالبغي والظلم والكبر ستكون عاقبته سيئة ومريرة.

ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى العبادات الإسلامية ليركز على جانب مهم منها فشرح الانعكاسات الإيجابية لهذه العبادات في القضاء على آثار الكبر والغرور وإحياء روح التواضع والبساطة فقال:

«وَعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللَّهُ [٦٦٩] عِبَادَةَ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٢٧

وَالرَّكَّاتِ، وَمُجَاهِدَةَ الصَّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ، تَشْكِينًا لِأَطْرَافِهِمْ [٦٧٠]،

وَتَخْشِيعًا لِأَبْصَارِهِمْ، وَتَذَلِيلًا لِنُفُوسِهِمْ، وَتَخْفِيفًا [٦٧١] لِقُلُوبِهِمْ، وَإِذْهَابًا لِلْخِيَلِ [٦٧٢]

عَنْهُمْ».

إشارة إلى أن أحد الجوانب الفلسفية المهمة لهذه العبادات تحطيم دوافع الكبر والغرور الذي يفضي إلى البغي والظلم، فأداب الصلاة وأركانها تدعو الإنسان بصورة كاملة إلى التواضع من قبيل الوقوف كالعبد الخاضع لله ومن ثم الركوع والأهم من كل ذلك السجود يربي في الإنسان روح التواضع من جهة ومن جهة أخرى يصدده عن الذنب والمعصية: «أَنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ» [٦٧٣].

كما أن الزكاة تعدّ في الواقع نوعاً من التقدير والاحترام للمحتاجين، فتعمل بدورها على إزالة الكبر والغرور عن روح الاثرياء والتمكّنين، وهكذا الصوم الذي يجعل الإنسان في مصاف الفقراء والمحتاجين بما يشعر به الإنسان من جوع وعطش والذي يحطم بالتالي كبره وغروره؛ طبعاً لا تنحصر فلسفة هذه العبادات بما ذكرناه آنفاً، إلّا أنّ ما مضى كان جانباً من فلسفتها والتي أشار إليها الإمام عليه السلام في هذه الخطبة.

وقد أشير إلى هذا المعنى في عدد من الروايات والأحاديث؛ فقد جاء في الحديث المروي عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أنّه قال:

«إِنَّ عَلَّةَ الصَّلَاةِ أَنَّهَا إِقْرَارٌ بِالرُّبُوبِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَخُلْعُ الْأَنْدَادِ وَقِيَامُ بَيْنَ يَدَيْ الْجَبَّارِ جَلَّ جَلَالُهُ بِالذُّلِّ وَالْمَسْكِنَةِ وَالْخُضُوعِ وَالْإِعْتِرَافِ...» [٦٧٤].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٢٨

كما قال عليه السلام في فلسفة الزكاة:

«وَهُوَ مَوْعِظَةٌ لِأَهْلِ الْغِنَى وَعِبْرَةٌ لَهُمْ لِيَسْتَدَلُّوا عَلَى فَقْرِهِ الْأَخْرَجَهُ بِهِمْ» [٦٧٥].

كما روى عنه عليه السلام في فلسفة الصوم:

«عِلَّةُ الصَّوْمِ عِرْفَانُ مَسِّ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ لِيَكُونَ ذَلِيلًا مُسْتَكِينًا...» [٦٧٦].

ثم خاض الإمام عليه السلام في شرح ما ذكره في العبارات السابقة بصورة إجمالية حول فلسفة الصوم والصلاة والزكاة فقال:

«وَلَمَّا فِي ذَلِكَ مِنْ تَغْيِيرِ [٦٧٧] عِتَاقِ [٦٧٨] الْوُجُوهِ

بِالْتَّرَابِ تَوَاضِعاً، وَالتَّصَاقِ كَرَامٍ [٦٧٩] الْجَوَارِحِ بِالْأَرْضِ تَصَاغُراً [٦٨٠]، وَلُحُوقِ الْبُطُونِ

بِالْمُتُونِ [٦٨١] مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلاً؛ مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الْأَرْضِ وَغَيْرِ ذَلِكَ

إِلَى أَهْلِ الْمَسْكِنَةِ وَالْفَقْرِ».

حقاً إنّ ما ورد هنا، هو جانب من الجوانب الفلسفية لهذه العبادات الإسلامية المهمة، ذلك لأنّ العبادات تنطوي على العديد من الجوانب ذات الأهمية وفي مقدمتها تفعيل روح التواضع والبساطة ومناهضة الكبر والغرور، وفلسفة النهي عن الفحشاء والمنكر للصلاة وكونها معراج المؤمن إلى جانب تربيته روح التقوى والإخلاص في ظل الصوم ونبذ آفة التمايز الطبقي في الزكاة وغيرها من العبادات ممّا لا يسع الإنسان التكرار لدوره وجدواه.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٢٩

وقد وردت إشارات واضحة في الأخبار والروايات إلى هذه الأمور، من ذلك ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام:

«إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْتَعَلِمَ لِمَ اخْتَرْتُكَ مِنْ بَيْنِ خَلْقِي؟ قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا، فَقَالَ تَعَالَى «يَا مُوسَى إِنِّي قَلَّبْتُ

عِبَادِي ظَهراً وَبَطْناً فَلَمْ أَجِدْ أَحَداً أَذِلَّ لِي نَفْساً مِنْكَ يَا مُوسَى إِنَّكَ إِذَا صَلَّيْتَ وَصَعْتَ حَدِيثَكَ عَلَى الثَّرَابِ» [٦٨٢].

ثم خلاص عليه السلام إلى هذه النتيجة فقال:

«انظُرُوا إِلَى مَا فِي هَذِهِ الْأَفْعَالِ مِنْ قَمْعٍ [٦٨٣]

نَوَاجِمٍ [٦٨٤] الْفَخْرِ وَقَدْحٍ [٦٨٥] طَوَالِ الْكِبَرِ»

. جدير ذكره أنّ بعض هذه العبادات تتكرر كل يوم حتى لا يشهد الإنسان يوماً يخلو فيه من مفهوم نبذ الكبر.

تأمل

فلسفة العبادات

لاشك في أن الله تبارك وتعالى غنى عن عبادتنا وعبادة الملائكة ولوسلك جميع من في السموات والأرض طريق الإيمان أو الكفر لما أضاف ذلك إلى جلاله شيئاً أو انتقص منه: «أَنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ» [٤٨٦]. وكذلك قال: «وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» [٤٨٧].

وكل إنسان مهما كان له من شيء فمن الله تعالى ونفحة من نفحاته سبحانه، وعليه فلا يستطيع هذا المخلوق أن يقوم بفعل من شأنه زيادة عظمة الله، ومن هنا يمكن الاستنتاج أن فلسفة الأحكام وفائدتها ولا سيما العبادات إنما تعود على الإنسان نفسه، وللعبادات فلسفة مشتركة وفلسفة خاصية؛ فالفلسفة المشتركة للعبادات تتمثل في الخضوع والتواضع لله وتحطيم صنم الكبر والغرور والطغوى والعصيان، أضف إلى ذلك فإن العبادة تذكّر الإنسان بالله وتبث الروح في قلبه ونفسه

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٣٠

وتزيل عنه آثار الغفلة، وهكذا فإن العبادات تأخذ بالإنسان دائماً إلى مسير العبودية والطاعة. ناهيك عن أن لكل عبادة فلسفتها المختصة بها؛ فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والصوم يشد من عزم الإنسان في مواجهة هوى النفس، والزكاة تحد أو تقضى على التمايز الطبقي، والحج يؤدي إلى وحدة المسلمين وتنامي قدره الإسلام وشوكته، وقد وردت الإشارات لكل هذه الأمور في الروايات الإسلامية بشأن فلسفة الأحكام [٤٨٨].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٣١

## القسم الثاني عشر

### إشارة

وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ يَتَعَصَّبُ لَشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عَلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِيَةَ الْجُهَلَاءِ، أَوْ حُجَّةً تَلِيْطُ بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ غَيْرِكُمْ. فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرٍ مَا يُعْرِفُ لَهُ سَبَبٌ وَلَا عَلَّةٌ. أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ، وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خَلْقَتِهِ، فَقَالَ: أَنَا نَارِيٌّ وَأَنْتَ طِينِيٌّ.

وَأَمَّا الْأَغْتِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ الْأَمَمِ، فَتَعَصَّبُوا لِأَثَارِ مَوَاقِعِ النَّعَمِ، فَقَالُوا: (نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ).

### الشرح والتفسير: العصبية الطائشة

خاض الإمام عليه السلام هنا في بيان نقطة أخرى لمواجهة الكبر والغرور والعصبية الجاهلية وخلاصتها أن للأفراد المتعصبين أدلتهم على ذلك وإن كانت ضعيفة وواهية وخاطئة؛ إلا أن تعصبكم القبيح أدى إلى هذه النزاعات وسفك الدماء بما ليس له مبرر، وهذا يعنى أن تعصبكم أسوأ وأقبح من ذلك التعصب.

فقال عليه السلام:

«وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ يَتَعَصَّبُ لَشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عَلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِيَةَ الْجُهَلَاءِ، أَوْ حُجَّةً تَلِيْطُ [٤٩٠] بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ غَيْرِكُمْ. فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرٍ مَا يُعْرِفُ لَهُ سَبَبٌ وَلَا عَلَّةٌ».

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٣٢

إشارة إلى أنه كلما تأملنا تاريخ الأسلاف والأقوام المعاصرة نخلص إلى هذه النتيجة أنهم كانوا يمتلكون ذريعة لتعصبهم من قبيل إخفاء الحقيقة على الجهال أو اختراق أفكار السفهاء والسذج وبالنتيجة تحقيق سلسلة من المنافع المادية، بينما ليس لتعصبكم أى أثر



أو فائدة ويفتقر إلى أى دليل، سوى الكلمات البديهة والجنونية والافتتال الطائش الذى ينتهى إلى سفك الدماء، والفارق بين الجهال والسفهاء هو أن الجهال يفتقرون إلى أدنى علم بينما للسفهاء حض من علم، ومن شأن بعض الأسباب الواهية أن تسوق الطائفتين لتحقيق أهداف ومنافع المتعصبين والمستكبرين.

طبعاً ليس مراد الإمام عليه السلام أن تعصبكم معلول لعدم وجود علة، ذلك لأن لكل شىء فى العالم على ضوء النظر الفلسفية علة، بل المراد أنه كان لمن سبقكم من المتعصبين بعض الذرائع الظاهرية الخادعة، وأنكم لتفتقرون حتى إلى هذه الذرائع، فالمتعصبين الذين خاطبهم الإمام عليه السلام كانوا يتصفون بضحالة ثقافتهم وعقائدهم الجاهلية التى أفرزت ذلك التعصب والتى لا تصلح أن تكون ذريعة أبداً.

ثم أشار عليه السلام إلى نموذجين من التعصبات التى يبدو أنها كانت معززة ظاهرياً ببعض الأدلة وإن لم تكن صائبة؛ أحدهما تعصب إبليس واستكباره والآخر تعصب الأثرياء المستكبرين أصحاب الثروة فقال:

«أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ، وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خَلْقَتِهِ، فَقَالَ: أَنَا نَارِيٌّ وَأَنْتَ طِينِيٌّ».

لا شك فى أن إبليس خلق من النار، حيث كان ينحدر من الجن الذين خلقوا من النار بينما خلق آدم من الطين والتراب، وللنار ظاهرياً نور وشعاع، بينما يمتاز الطين بالظلمة، الأمر الذى يمكن أن يكون ذريعة لإبليس فى الكبر، والحال تمتاز النار بأنها محرقه والطين باعث الحياة، أضف إلى ذلك فإن فضيلة آدم بفعل الروح الإلهية التى ولجت فيه حيث قال تعالى: «فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٣٣

سَاجِدِينَ» [٦٩١] لكن إبليس وبفعل أنانيته وتعصبه لم يشأ إدراك تلك الحقيقة.

ثم خاض عليه السلام فى الطائفة الثانية وهم الأثرياء المتكبرون من الأمم السابقة الذين ابترتهم النعمة وكثرة عددهم حيث كانوا يتباهون بذلك والحال ليست لديكم حتى هذه الذرائع فى تعصبكم فقال:

«وَأَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مَثَرَفَةَ [٦٩٢] الْأَمَمِ، فَتَعَصَّبُوا لِأَثَارِ

مَوَاقِعِ [٦٩٣] النَّعْمِ، فَقَالُوا:

«نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ» [٦٩٤].

إشارة إلى أنهم جعلوا نعم الله فى الجوانب المادية التى تشمل القوة البشرية والأموال الطائلة وسيلة للكبر والتعصب وتمردوا على دعوة الأنبياء حتى شملهم العقاب الإلهي، أمّا تعصب مخاطبي الإمام عليه السلام فقد دفعهم إلى الاقتتال والنزاع تحت طائلة ذراع واهية وطفولية، فهى لا تشبه تعصب الشيطان ولا تعصب المترفين المستكبرين السابقين، بل تدور حول محور بعض الأمور التى لا تصلح لأن تكون حجة قط، وهذا أسوأ أنواع التعصب.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٣٥

## القسم الثالث عشر

### إشارة

فَإِنْ كَانَ لَابْدُ مِنْ الْعَصَبِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ، وَمَحَامِدِ الْأَفْعَالِ، وَمَحَاسِنِ الْأُمُورِ، الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجْدَاءُ وَالنُّجْدَاءُ مِنْ بِيُوتَاتِ الْعَرَبِ وَيَعَاسِيِبِ الْقَبَائِلِ؛ بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيْبَةِ، وَالْأَخْلَامِ الْعَظِيْمَةِ، وَالْأَخْطَارِ الْجَلِيْمَةِ، وَالْأَثَارِ الْمَحْمُودَةِ. فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ الْحَمِيدِ مِنَ الْحِفْظِ لِلْجَوَارِ، وَالْوَفَاءِ بِالذَّمَامِ، وَالطَّاعِيَةِ لِلْبِرِّ، وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكَبْرِ، وَالْأَخْذِ بِالْفَضْلِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ، وَالْأَعْظَامِ لِلْقَتْلِ، وَالْأَنْصَافِ لِلْخَلْقِ،

وَالْكُظْمِ لِلْغَيْظِ، وَاجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ.

### الشرح والتفسير: العصبية الممدوحة

التعصب كما ذكرنا سابقاً بمعنى التعلق الشديد بالشئ والذي يظهر بصورتين؛ بصورة سلبية ويراد بها التعلق الشديد الهمجي البعيد عن المنطق بالمسائل ذات القيمة الدينية وربما العديمة القيمة والوهمية والتي تفضى إلى العديد من الخلافات والنزاعات الدموية. والصورة الإيجابية والمراد بها الصمود والإصرار على الأمور ذات المثل والقيم الإنسانية والأخلاقية والاجتماعية الرفيعة، وهذا التعصب ليس فقط منزّه عن العيب والذنب، بل يعتبر من نقاط القوة والإيجابية، من قبيل من يصمد لحفظ الدين والإيمان أو حفظ الوطن والعرض والشرف.

ومن هنا سعى الإمام عليه السلام لدفع مخاطبيه المتعصبين للنجاه من تعصباتهم السلبية  
نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٣٦

والقيحة فاقترح عليهم العصبية الإيجابية ليشجع تطلعهم العاطفي ويسوق قواهم الباطنية نحو المشروع الإيجابي، وهذه هي الخطئة التي ينبغي أن يمارسها جميع الزعماء الحكماء في مجتمعاتهم بغية إصلاح المفاصل الاجتماعية، فبدلاً من الوقوف بوجه الأمواج العاتية للدوافع السلبية لابد من السعي إلى تغيير مسارها ودفعتها باتجاه القنوات الإيجابية ولذلك قال عليه السلام:

«فَإِنْ كَانَ لِأَبَدٍ مِنَ الْعَصِيَّةِ فَلْيُكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ، وَمَحَامِدِ الْأَفْعَالِ، وَمَحَاسِنِ الْأُمُورِ، الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجْدَاءُ [٦٩٥] وَالنُّجْدَاءُ [٦٩٦] مِنْ بِيُوتَاتِ الْعَرَبِ وَيَعَاسِبِ [٦٩٧] الْقَبَائِلِ».

أى لا ينبغي أن يكون مثلكم في هذه الأمور الجهال الذين يفتقرون إلى المنطق، بل عليكم الاقتداء والتأسي بالعقلاء والأفراد الواعين الذين يتسابقون في كسب الفضائل ونيل مكارم الأخلاق ويوظفون إمكاناتهم كافة في ميدان هذا السباق الإنساني.

ثم خاض عليه السلام في شرح ذلك ببضع عبارات قصيرة فقال:

«بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيْبَةِ، وَالْأَخْلَامِ الْعَظِيْمَةِ، وَالْأَخْطَارِ الْجَلِيْلَةِ، وَالْأَثَارِ الْمَحْمُودَةِ».

فالواقع إن هذه الصفات الأربع التي وردت في كلام الإمام عليه السلام تبين أبعاد شخصية الإنسان، التي تتمثل في الأخلاق الكريمة والفكر الحر والمقام الرفيع والآثار الحميدة (كالآثار العلمية والخدمات الاجتماعية) وبالطبع فإن الشخص الذي ينال هذه الصفات هو إنسان فاضل يسعه أن يكون قدوةً وأسوةً للآخرين.

ثم ركز الإمام عليه السلام في مواصلته لكلامه على جزئيات وتفصيل المسائل الأخلاقية ليشير إلى عشرة نماذج من مكارم الأخلاق والصفات الإنسانية البارزة داعياً الجميع إلى التمسك بها فقال:

«فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ الْحَمْدِ مِنَ الْحِفْظِ لِلْجَوَارِ، وَالْوَفَاءِ بِالذَّمَامِ، [٦٩٨] وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ، وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكَبْرِ، وَالْأَخْذِ بِالْفَضْلِ، وَالْكَفِّ عَنِ  
نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٣٧

الْبُغْيِ، وَالْأَعْظَامِ لِلْقَتْلِ، وَالْأَنْصَافِ لِلْخَلْقِ، وَالْكُظْمِ لِلْغَيْظِ، وَاجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ».

ومما لا شك فيه أن الإنسان الجامع لهذه الصفات العشر هو إنسان ماجد كما أن المجتمع الذي تسوده هذه الخصال هو مجتمع سليم وسعيد ومتطور من جميع الجهات.

جدير ذكره أن الصفات المذكورة على صنفين؛ فبعضها تشير إلى اجتناب المفاصل الفردية والاجتماعية مثل اجتناب القتل ومخالفة الكبر والابتعاد عن الفساد في الأرض، والبعض الآخر يشير إلى الأفعال النافعة والبناءة مثل حفظ الحقوق والوفاء بالعهد والإتيان بالخيرات والبذل والجود.

أما حفظ الجوار فيعنى رعاية حقوق الجار التي ورد التأكيد عليها في الشريعة الإسلامية، فقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه

قال:

«حُسْنُ الْجَوَارِ يَعْمُرُ الدِّيَارَ وَيَزِيدُ فِي الْأَعْمَارِ» [٦٩٩].

وبالطبع فإنَّ

«حُسْنُ الْجَوَارِ»

لا- يقتصر على كف الأذى عن الجار فحسب، بل لا بد من نجدته ومد يد العون إليه، وإن تعرض للأذى منه جابهه بكل رفق وود، والحق لو التزم الجميع بهذه التعاليم الإسلامية لسادت المحبة جميع ربوع العالم. والوفاء بالذمام إشارة إلى الالتزام بالعهود التي تحظى بفائق الأهمية في الشريعة السمحاء. وانصاف الخلق إشارة إلى عدم التفريط بحقوق النفس والآخرين والنظر بعين واحدة، فينبغي أن يريد للآخرين ما يريد لنفسه ويرفض للآخرين ما يرفضه لنفسه.

### تأمل

### العصبة الإيجابية والسلبية

يخترن الإنسان العديد من الدوافع المعقدة التي لو ترك لها العنان وانطلقت من

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٣٨

مصادر الجهل لأدت إلى نتائج سلبية للغاية وأحياناً تكون قاتلة، ويتوجب على قادة المجتمع في مثل هذه الحالات أن لا ينيروا لمواجهه هذه الدوافع بغية القضاء عليها فحسب، بل لا بد من تصحيح مسيرتها وإعادتها إلى الطريق الصحيح، وبعبارة أخرى لا بد من توظيفها من خلال اختيار البدائل الإيجابية دون الاقتصار على مواجهتها.

فالسيل العظيم ربما يؤدي إلى القضاء على أموال الناس وهدر طاقتهم ما لم تتم السيطرة عليه، غير أنه يكون سبباً للعمران والبناء من قبيل انتاج الطاقة الكهربائية وتشغيل المصانع الكبيرة وخزن المياه طيلة السنة وانعاش قطاع الزراعة لو بوشر ببناء سد عظيم بغية السيطرة على ذلك السيل.

ويبدو هذا المطلب واضحاً جلياً في النصوص الدينيّة؛ فقد ورد على سبيل المثال في خطبة النكاح:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحَلَّ النِّكَاحَ وَحَرَّمَ الزَّنا وَالسَّفَاحَ»

فالله تبارك وتعالى لم يأمر قط بقمع وكبت الغريزة الجنسية، بل طرح موضوع النكاح الشرعي كي لا يؤدي الأمر إلى الأعمال التي تتنافى مع العفة، وحين نصح نبي الله لوط عليه السلام قومه ونهاهم عن إتيان الفاحشة اقترح عليهم الزواج من بناته فقال: «هُؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ» [٧٠٠].

وجاء في سورة النور بشأن حد الزنا: «الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ» [٧٠١] ثم رافقته دعوة عامة لأبناء المجتمع إلى الزواج والتكافل الاجتماعي بهذا الشأن فقال: «وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» [٧٠٢].

كما صرحت بعض الروايات الإسلامية:

«فَأَمَّا سُؤْمُ الْمَرْأَةِ فَكَثْرَةُ مَهْرِهَا...» [٧٠٣].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٣٩

كما ورد في البعض الآخر:

«وَمِنْ سُؤْمِهَا شِدَّةُ مَوْتِهَا» [٧٠٤].

فقد تعارف بين الناس وجود بعض الأمور من قبيل الشؤم والتفائل ولكن بصورة خرافية وغاية في الضرر؛ فما كان من الإسلام إلّا أن كساها ثوب المنطق دون أن ينبرى لاقتلاعها.

والقضية هذه جارية عينها على التعصب؛ فهناك بعض الدوافع الباطنية للإنسان التي تسوقه نحو التعصب فإن خلى بينه وبينها ساقته إلى الجوانب السلبية التي تؤدى إلى الكبر والغرور وربما الاختلاف والنزاعات الدموية؛ إلّا أن الإمام عليه السلام سعى توجيهه باتجاه الجوانب الإيجابية فصرح أنه إن كان ولا بد لهؤلاء الأفراد والقبائل من التعصب فليكن هذا التعصب في مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال والدفاع عن المظلومين ومواجهة الظالمين ومد يد العون إلى المعوزين والمحتاجين.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٤١

## القسم الرابع عشر

### إشارة

وَاحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأَمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثَلَاتِ بِسُوءِ الْأَفْعَالِ، وَذَمِيمِ الْأَعْمَالِ.

فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ، وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ.

فَبَادَا تَتَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَيَاتِهِمْ، فَالزُّمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتْ الْعِزَّةُ بِهِ شَأْنَهُمْ، وَزَاوَتْ الْأَعْيَادُ لَهُ عَنَّهُمْ، وَمِيدَتِ الْعَافِيَةُ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَانْقَادَتِ النِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ، وَوَصَلَتِ الْكِرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلُهُمْ مِنَ الِاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ، وَاللُّزُومِ لِللَّفْهِ، وَالتَّحَاصُّ عَلَيْهَا، وَالتَّوَاصِي بِهَا، وَاجْتَبَتْ كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فَفَقَرْتُهُمْ، وَأَوْهَنَ مَنَّتَهُمْ؛ مِنْ تَصَاغُنِ الْقُلُوبِ، وَتَشَاخُنِ الصُّدُورِ، وَتَدَابُرِ النُّفُوسِ، وَتَخَاذُلِ الْأَيْدِي.

### الشرح والتفسير: الاعتبار بالماضين

دعا الإمام عليه السلام في هذا القسم وبعض الأقسام القادمة مخاطبيه إلى تأمل أحوال الأمم السابقة فاستعرض عناصر ضعفهم وقوتهم وعرفهم بالأسباب التي تقف وراء نجاحهم وفشلهم في مختلف زوايا حياتهم، حتى ينفثوا على تجاربهم ويشقوا طريقهم الصائب في حياتهم في ظل الاستفادة من التاريخ، وهذا النوع من التعليم والتعلم عن طريق النظر في تاريخ الأمم السالفة) مما أكدته القرآن الكريم في أكثر السور القرآنية والذي لا يخفى مدى تأثيره ودوره.

فقال عليه السلام:

«وَاحْذَرُوا مِمَّا نَزَلَ بِالْأَمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثَلَاتِ بِسُوءِ الْأَفْعَالِ، وَذَمِيمِ الْأَعْمَالِ. فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ، وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ».

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٤٢

فقد أشار الإمام عليه السلام بهذه العبارة إلى مصير بعض الأقوام مثل قوم عاد، وشمود وقوم نوح وقوم لوط وعاقبة الفراعنة وأمثالهم وما أصابهم من العذاب بفعل أعمالهم القبيحة فحذّرهم من مغبة الإبتلاء بذات المصير.

والعبارة:

«سُوءِ الْأَفْعَالِ وَذَمِيمِ الْأَعْمَالِ»

يمكن أن تكون تأكيداً لمعنى معين هو الأفعال القبيحة والذميمة، وهنالك احتمال آخر أن سوء الأفعال إشارة إلى الأعمال السيئة وذيمة الأعمال، الأفعال المستهجنة وإن لم تبلغ مرحلة الذنب مثل الغفلة عن المحرومين وترك الانصاف والبذل والعطاء والأثرة.

ولما فرغ الإمام عليه السلام من هذا البيان الإجمالي خاض في التفاصيل ليستفيد من ذات الأسلوب القرآني الذي طرح كراراً بغية بيان

المسائل المهمة فقال:

«فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَيَاتِهِمْ، فَالزُّمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ الْعِزَّةُ بِهِ شَأْنَهُمْ، وَزَاوَتْ الْأَعْيَادُ لَهُ عَنْهُمْ، وَمُيَدَّتِ الْعَافِيَةُ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَأَنْقَادَتِ النُّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ، وَوَصَلَتِ الْكِرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلَهُمْ».

ثم تطرق عليه السلام إلى بيان العناصر التي تقف وراء هذه الأمور الخمسة (العزّة ودحر العدو والعافية والنعمة والكرامة) فقال:

«مِنَ الْأَجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ، وَاللُّزُومِ لِلْإِلْفَةِ، وَالتَّحَاضِّ عَلَيْهَا، وَالتَّوَاصِي بِهَا».

ورغم أنّ هذه العناصر الأربعة تعود جميعاً إلى مسألة الاتحاد والوحدة، غير أنّ كلّ واحد يعالج نقطة معينة: فاجتناب الفرقة ناظر لنفي عناصر التفرقة والاختلاف ولزوم الإلفة لترسيخ عوامل الوحدة، والتحاظ إشارة إلى الحض والتشجيع (ربما التشجيع العلمي) والتواصي المراد به عن طريق البيان والحوار.

ثم أشار عليه السلام إلى الجانب السلبي لهذه المسألة؛ أي التفرقة وعناصرها فحذرهم بعبارات عميقة المعنى من ضرورة نبذ عوامل الفرقة والاختلاف فقال:

«وَاجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ [٧٠٥]، وَأَوْهَنَ مُتَّهَمَهُمْ [٧٠٦]».

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٤٣

آنذاك ركز الإمام عليه السلام على العوامل الخاصة بعد ذكره لهذا المبدأ الكلي فقال:

«مِنَ تَصَاعُنِ الْقُلُوبِ، وَتَشَاخُنِ الصُّدُورِ، وَتَدَاوُرِ النُّفُوسِ، وَتَخَاذُلِ الْأَيْدِي».

فهذه العناصر الأربعة هي العوامل الرئيسية للاختلاف والتي لبعضها جانب باطنى من قبيل الأحقاد الكامنة فى الصدور والحسد والبخل بينما لبعضها الآخر جانب ظاهرى من قبيل تولى البعض عن البعض الآخر وترك الأخوة والمؤمنين عند الحوادث والشدائد، نعم! لوسادت هذه الأمور أية أمة لكسرت فقرتها وسلبتها قوتها وقدرتها.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٤٥

## القسم الخامس عشر

### إشارة

وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ، كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمْحِيصِ وَالْبَلَاءِ. أَلَمْ يَكُونُوا أَنْثَلِ الْخَلَائِقِ أَعْبَاءَ، وَأَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلَاءَ، وَأَضْيَقَ أَهْلِ الدُّنْيَا حَالًا. اتَّخَذَتْهُمْ الْفِرَاعِنَةُ عَيْبِدًا فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، وَجَزَّ عَوْهُمْ الْمُرَارَ، فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلَكَةِ وَقَهْرِ الْعَلْبَةِ، لِأَيْجِدُونَ حِيلَةً فِي امْتِنَاعِ، وَلَمَّا سَبِيلًا إِلَى دِفَاعِ. حَتَّى إِذَا رَأَى اللَّهُ سُيْحَانَهُ جِدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ، وَالْأَخْتِمَالِ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ، جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَائِقِ الْبَلَاءِ فَرْجًا، فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ، وَالْأَمْنَ مَكَانَ الْخَوْفِ، فَصَارُوا مُلُوكًا حُكَّامًا، وَأَيْمَّةً أَعْلَامًا، وَقَدْ بَلَغَتِ الْكِرَامَةُ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَذْهَبِ الْأَمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ.

## الشرح والتفسير: عناصر انتصار المؤمنين الأوائل

بالنظر إلى أنّ الموضوع الأصلي لهذه الخطبة يتمثل فى مواجهة الكبر والغرور والعصبيات السلبية وقد بين الإمام عليه السلام ذلك فى الفصل السابق ولفت انتباه مخاطبيه إلى أحوال الأمم السالفة وانتصاراتهم ونجاحهم فى ظلّ وحدتهم وإفترهم، وعاد ثانية ليلفت

أنظارهم إلى التأمل في سيرة الأمم السابقة وما عانوه من امتحانات شاقّة وعسيرة ليستعرض لهم كيفية نجاحهم في تلك الامتحانات وتسلطهم على العدو، فأفاض الله عليهم العزة والعظمة ومنحهم الأمن فقال:

«وَتَذَبَّرُوا أحوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ، كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمْهِيمِ وَالْبَلَاءِ».

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٤٦

ثم تطرق عليه السلام إلى توضيح تلك الامتحانات الصعبة فقال:

«أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الْخَلَائِقِ أَعْبَاءً [٧٠٧]، وَأَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلَاءً، وَأَضْيَقَ أَهْلِ الدُّنْيَا حَالًا».

ثم غاص أكثر في التوضيح بهذا الشأن ليركز على ما واجهتهم من صعوبات في حياتهم فقال:

«اتَّخَذَتْهُمْ الْفِرَاعِنَةُ عَيْدًا فَسَأَمُوهُمْ [٧٠٨] سُوءَ الْعَذَابِ، وَجَرَّ عَوْهُمْ

الْمَرَارَ [٧٠٩]، فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلَكَةِ وَقَهْرِ الْعَلْبَةِ، لَيَجِدُونَ حِيلَةً فِي امْتِنَاعِ، وَلَا سَبِيلًا إِلَى دِفَاعِ».

ورغم أن خطوب حياة الأرقام السابقة وامتحاناتهم الصعبة والشاقّة لا تقتصر على زمان الفراعنة، ولكن بما أن القرآن أشار كراراً إلى المصائب التي عانى منها بنو إسرائيل في زمان فرعون والتي يعرفها جميع المسلمين، فقد أشار الإمام عليه السلام على وجه الخصوص إلى تلك الحقبة حيث تحول فيها الجميع إلى عبيد من جانب وكانوا يضطرونهم إلى أعقد الأعمال ويزودونهم بأدنى الإمكانيات وحين يشعرون بالخطر يعمدون إلى قتل رجالهم واستحياء نسائهم واستعمالهن للخدمة، وقد مضت عليهم عدّة سنين ولم يكن لهم من سبيل للنجاة حتى تطف الله عليهم فكانت معجزة الله في انتصارهم على عدوهم بهلاك الفراعنة وأعاونهم، حيث قال عليه السلام في مواصلته لكلامه

«حَتَّى إِذَا رَأَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ جَدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ، وَالْأَخْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ، جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَائِقِ الْبَلَاءِ فَرَجًا».

نعم! فحين يجتاز الإنسان الامتحان يبعث الله عليه ما يفرج عنه مشكلاته وفتشرك عليه شمس النصر والغلبة، الأمر الذي لمسناه في موسى عليه السلام وقومه.

فقد أشار الإمام عليه السلام في هذه العبارة إلى نصرهم بصورة كليّة، ثم خاض في التفاصيل فقال:

«فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ، وَالْأَمْنَ مَكَانَ الْخَوْفِ، فَصَارُوا مُلُوكًا

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٤٧

حُكَّامًا، وَأَيْمَةً أَعْلَامًا، وَقَدْ بَلَغَتِ الْكِرَامَةُ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَذْهَبِ الْأَمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ».

وقد ورد المزيد من التوضيح في القرآن المجيد بشأن بنى إسرائيل والفراعنة بهذا الخصوص والذي يكشف النقاب عن دقائق هذا النصر فقال تعالى «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونَ\* وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ\* وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَسَاهِينَ\* كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ» [٧١٠].

وقال تعالى في موضع آخر: «وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ» [٧١١].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٤٩

## القسم السادس عشر

### إشارة

فَانظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ الْأُمَمَاءُ مُجْتَمِعَةً، وَالْأَهْوَاءُ مُؤْتَلِفَةً، وَالْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً، وَالْأَيْدِي مُتَرَادِفَةً، وَالسُّيُوفُ مُنَاصِرَةً، وَالْبَصَائِرُ

نَافِذَةً، وَالْعَزَائِمُ وَاحِدَةٌ. أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَابًا فِي أَقْطَارِ الْأَرْضَيْنِ، وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ! فَانظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ، حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ، وَتَشَتَّتِ الْأَلْفَةُ، وَاخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ وَالْأَفِيدَةُ، وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ، وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ، قَدْ خَلَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كِرَامَتِهِ، وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ، وَبَقِيَ قَصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبْرًا لِلْمُعْتَبِرِينَ.

### الشرح والتفسير: الوحدة والفرقة، والنصر والهزيمة

بعد أن فرغ الإمام عليه السلام من كلامه السابق بشأن الأقوام السابقة ومصيرهم الذي يخترن الدروس والعبر، خلص في هذا المقطع من الخطبة إلى نتيجة ليركز على العنصر الرئيسي للنصر المتمثل باتحاد الصفوف والعنصر الرئيسي للفشل المتمثل بتفريق الصفوف ليشير إلى أبعاد وحدة الكلمة من خلال عدّة عبارات بسيع جمل فقال:

«فَانظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ الْأُمَلَاءُ [٧١٢] مُجْتَمِعَةً، وَالْأَهْوَاءُ مُؤْتَلَفَةً، وَالْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً، وَالْأَيْدِي مُتْرَادِفَةً، وَالسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً، وَالْبَصَائِرُ نَافِذَةً، وَالْعَزَائِمُ وَاحِدَةٌ. أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَابًا فِي أَقْطَارِ الْأَرْضَيْنِ، وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ».

فالإمام عليه السلام أشار بهذه العبارات الغاية في الروعة والعميقة المعنى إلى الاتحاد

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٥٠

والاتفاق في جميع مظاهره ليعده عنصر الإقتدار والرفعة، الاتفاق في التطلعات والرغبات والخطط والمشاريع والاتفاق في العمل والاتفاق عند الصلح والقتال وبالتالي وحدة الصفوف في جميع مظاهر الحياة.

ويبدو الدليل على هذا الكلام واضحاً تماماً؛ ذلك لأنه ليس للأفراد بمفردهم من قدره كبيرة وكل واحد منهم كالقطرة بحيث لو كانت في صحراء وأشرفت عليها أشعة الشمس أو هبت عليها الريح لحولتها إلى بخار، غير أن هذه القطرات أن اجتمعت مع بعضها البعض شكلت تلك البحار العظيمة التي من شأنها أن تكون مصدر لكل خير وبركة، فخيطة العنكبوت بمفرده ضعيف وايل للزوال ولا يسعه الصمود أمام أدنى نسيم، غير أنهم اليوم يلفونها مع بعضها ليصنعوا منها بدلة مضادة للرصاص والتي تفوق مقاومتها جميع المقاومات وهذا هو دور الاتحاد والاتفاق.

ولعل هذه العبارات واردة بشأن بنى إسرائيل حين نهض موسى بن عمران عليه السلام بالأمر ووحد صفوفهم فشملتهم العناية الإلهية والألطف الربانية فورثوا حكومة مصر والبلدان المجاورة لها، حتى تشكلت بعد موسى عليه السلام حكومات مقتدره كحكومة داود وسليمان عليهما السلام، وربما يكون أصلاً كلياً وعماماً حصل كراراً في تاريخ الأمم السابقة، وكلما كان هنالك اتحاد واتفاق ووحدة قرار وخطه حكيمة كان هنالك الانتصار والغلبة، على كل حال فإن شرح الإمام عليه السلام يكشف النقاب عن هذه الحقيقة أنه وإن كانت عدّة عوامل ضرورية للنصر والتقدم إلّا أنّ أهمها مسألة الاتحاد والاتفاق.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه فذكر العنصر الرئيسي في الفشل والهزيمة وهو الاختلاف؛ الاختلاف في وجهات النظر وتشنت الصفوف، ثم أشار إلى أبعاده المختلفة بخمس عبارات فقال:

«فَانظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ، حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ، وَتَشَتَّتِ الْأَلْفَةُ، وَاخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ وَالْأَفِيدَةُ، وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ،

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٥١

وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ، قَدْ خَلَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كِرَامَتِهِ، وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ [٧١٣] نِعْمَتِهِ، وَبَقِيَ قَصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبْرًا لِلْمُعْتَبِرِينَ».

نعم، فحين تتجه طاقات أمّة نحو الاختلاف، وتستبدل الإلفة والمحبة بالنفرة والعداوة وتتصاعد فيها أسنة لهيب اختلاف الكلمة وتفرق الأفكار إنّما تخوض حربها ضد نفسها وتهدر طاقتها بدلاً من تصديها لعدوها الذي ينوي القضاء عليها، والله سبحانه وتعالى ينزع عنها

لباس العزة ويكسيها لباس الذل والهوان.

ويمكن أن يكون هذا الجانب من كلام الإمام عليه السلام إشارة إلى قصية بنى إسرائيل بعد تلك الانتصارات المتتالية حين فقدوا مجدهم وعزتهم إثر الاختلاف والتشتت فنفروا في الأرض، وربما يكون إشارة إلى جميع الأقوام التي تعيش حالة السقوط بسبب كفران النعمة والاختلاف والتشتت عقب الانتصارات الباهرة التي تحققت في ظلّ الاتحاد ووحدة الكلمة.

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٥٣

## القسم السابع عشر

### إشارة

فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ (عليهم السلام). فَمَا أَشَدَّ اغْتِدَالَ الْأَحْوَالِ، وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهِ الْأَمْثَالِ! تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشْتِيهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ، لِيَالِي كَانَتِ الْأَكَايِرَةُ وَالْقِيَاصِرَةُ أَرْبَابًا لَهُمْ، يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيْفِ الْآفَاقِ، وَبَحْرِ الْعِرَاقِ، وَخُضْرَةَ الدُّنْيَا، إِلَى مَنَابِتِ الشَّيْحِ، وَمَهَوَافِي الرِّيحِ، وَنَكَدِ الْمَعَايِشِ، فَتَرَكُوهُمْ عَالِمَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبْرٍ وَوَبْرٍ، أَذَلَّ الْأَمَمِ دَارًا، وَأَجِيدَ بِهِمْ قَرَارًا، لِيَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا، وَلَا إِلَى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا. فَالْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ، وَالْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ، وَالكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ؛ فِي بِلَاءِ أَزَلٍّ، وَأَطْبَاقِ جَهْلِ! مِنْ بَنَاتِ مَوْوُودَةَ، وَأَصْنَامِ مَعْبُودَةَ، وَأَرْحَامِ مَقْطُوعَةَ، وَغَارَاتِ مَشْنُونَةَ.

## الشرح والتفسير: الاعتبار بولد إسماعيل وإسحاق

تابع الإمام عليه السلام في هذا الجانب من الخطبة ما ذكره في المقاطع السابقة بشأن العناصر التي تقف وراء انتصار وفشل الأمم السابقة فركز على المصاديق العينية لهذا الموضوع وأخذ بيد مخاطبيه ليغوص بهم في أعماق التاريخ فيكشف لهم النقاب عن قصة ولد إسماعيل وإسحاق عليهما السلام وبنى إسرائيل ليعتبروا بهم فقال:

«فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. فَمَا أَشَدَّ اغْتِدَالَ [٧١٤] الْأَحْوَالِ،

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٥٤

وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهِ [٧١٥] الْأَمْثَالِ!».

وعلى هذا الضوء فقد دعاهم الإمام عليه السلام لمقارنة أنفسهم بمن سبقهم ليتعرفوا على عناصر نجاحهم وإخفاقهم لكي لا يقعوا في شباك الشيطان ويعيشوا هوى النفس والغرور والتعصب.

وهنا لابد من الالتفات إلى أنّ ولد إبراهيم عليه السلام ينقسمون إلى ثلاث طوائف؛ طائفة هم بنو إسماعيل الذين يعدون أجداد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وبنو إسحاق الذين يتفرعون إلى فرعين؛ فرع هم بنو يعقوب الذين يشكلون قوم بنى إسرائيل وفرع آخر هم بنو «عيسو» ومن نسلهم «الأدوميون» (قوم من أولى القوّة كانوا يقطنون في منطقة «أدوم» التي تمتد من جنوب البحر الميت إلى شمال الحجاز).

ويحتمل أن يكون المراد بالعبارات السابقة قد أشار إلى قانون كلي في أنّ التاريخ يعيد نفسه باستمرار وعادة ما تعيش الشعوب والأمم ظروفًا متشابهة تستطيع من خلالها كلّ أمة أن تحدد معالم مصيرها.

ثم تطرق عليه السلام إلى شرح هذا الكلام بأسلوب الاجمال والتفصيل الذي يلعب دوراً في بيان الحقيقة فقال:

«تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشْتِيهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ، لِيَالِي كَانَتِ الْأَكَايِرَةُ [٧١٦] وَالْقِيَاصِرَةُ [٧١٧] أَرْبَابًا لَهُمْ، يَحْتَازُونَهُمْ [٧١٨] عَنْ رِيْفِ [٧١٩] الْآفَاقِ، وَبَحْرِ الْعِرَاقِ،



وَحُضْرَةُ الدُّنْيَا، إِلَى مَنَابِتِ الشَّيْحِ [٧٢٠]، وَمَهَافِي [٧٢١] الرِّيْحِ، وَنَكَدِ [٧٢٢] الْمَعَاشِ».

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٥٥

إشارة إلى أنهم سلبوهم حياة القرى والمدن المباركة وهجروهم إلى الصحارى والمناطق الجرداء القاحلة. ثم قال عليه السلام:

«فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً [٧٢٣] مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبْرٍ [٧٢٤] وَوَبْرٍ [٧٢٥]، أَذَلَّ الْأَمَمَ دَارًا، وَأَجْدَبَهُمْ قَرَارًا لِيَأْوُونَ [٧٢٦] إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا، وَلَا إِلَى ظِلِّ أَلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا».

انذاك خاض عليه السلام في شرح معطيات هذا الوضع فقال:

«فَالْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ، وَالْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ، وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ، فِي بِلَاءٍ أَزَلَّ [٧٢٧]، وَأَطْبَاقٍ جَهْلٍ! مِنْ بَنَاتِ مَوْوُودَةَ [٧٢٨]، وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ، وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ، وَغَارَاتٍ [٧٢٩] مَشْنُونَةٍ [٧٣٠]».

إشارة إلى أن اختلاف الآراء وتششت الأفكار، إنما تفرز على الدوام المحن والخطوب التي تصيب المجتمعات البشرية فتطمرها في وادى الجهل، كما يشير تاريخ الجاهلية إلى أنهم كانوا يمارسون الأعمال الهمجية والبربرية، وقد أشار الإمام عليه السلام إلى أربعة نماذج منها؛ فكانوا يعمدون إلى وأد بناتهم أحياء تحت ذريعة حفظ الحرمه وابرار الغيرة والنجاة من الفضيحة والعار، ويعبدون الأحجار التي كانوا يصنعونها بأيديهم فكان لكل قبيلة صنمها ووثنها، فقريش وبنو كنانة والأوس

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٥٦

والخزرج كانوا يعبدون «مناة»، وبنو ثقيف «اللاء والعزى» وهذيل «سواع» وبنو كلب «ود» وسائر الطوائف كانت تعبد سائر الأصنام، وقد نصب «هبل» كأعظم صنم لهم في الكعبة بينما كان «اساف» و «نائله» على الصفا والمروة فكان الجميع يعظم هذه الأصنام الثلاثة فتحولت الكعبة مركز التوحيد والعبودية إلى أكبر معبد وثني للأصنام.

وقطع الرحم الوارد في كلام الإمام عليه السلام يمكن أن يكون إشارة إلى قتلهم أولادهم خشية الفقر أو بصفته عبادة يتقربون بها لأصنامهم، وتشير «الغارات المشنونة» الحروب المتعددة التي كانت تنشب بين القبائل العربية في العصر الجاهلي تحت مختلف الذرائع، حتى ذهب بعض المؤرخين إلى أن نار تلك الحروب لم تكن تطفأ حتى ظهر الإسلام فوضع حداً للاقتتال القبلي وقتل الأولاد ووأد البنات وعبادة الأوثان.

وهذا هو مصير من يقطع أواصر الوحدة ويقبل على الاختلاف والتشتت والنفاق والذي يتجلى بصيغته معينه في كل أمة ولا يقتصر على العصر الجاهلي.

## تأمل

### القطرة والبحر

لعلنا سمعنا كراراً هذا الكلام في أن قطرات الأمطار ليس لها من قيمة تذكر بمفردها، غير أنها إن اتصلت بسائر القطرات وشكلت نهراً عظيماً وتراكت مع بعضها البعض الآخر ألفت كتلة عظيمة من شأنها القيام ببعض الأعمال الكبيرة ومن ذلك إنتاجها للقوة الكهربائية التي تشغل المصانع والمعامل الضخمة، وتضيئ المدن والقرى وتسقى قطاعات واسعة من المزارع والحقول، وبالتالي يمكنها إضفاء الحياة والحيوية.

ويبدو أن الناس كذلك، فكل إنسان مهما كانت قدرته وطاقته لا يمكنه القيام ببعض الأعمال بمفرده، على غرار قطرة المطر، ولكن ما

أن تتظافر هذه الجهود الصغيرة حتى يكون لها تأثيراتها الواضحة في هذا العالم، فهي لا تشكل درعاً

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٣٥٧

حصيناً العدو فحسب، بل تلعب دورها في عالم الاقتصاد والعلم والمعرفة فتؤدي إلى كل ذلك الرقى والتقدم والإزدهار، والحق لولا تلاقح قطرات علم العلماء طيلة التاريخ وفي المجتمعات البشرية لما شهدنا ليوم كل هذا التقدم العلمى الهائل ولما كان التمدن يفوق مدينة العصور الحجرية.

وإذا دب الاختلاف في صفوف المجتمعات البشرية فلا تتوقف عجلة الرقى والتقدم فحسب، بل تنعدم كل القدرات والقوى في اتون الاقتتال الداخلي والذي لا يفضى سوى إلى الدمار والخراب والتخلف.

وقد أكد الإمام عليه السلام مراراً في هذه الخطبة الشريفة على هذا المعنى، فأخذ بيد مخاطبيه إلى أعماق التاريخ البشرى ليريه عن كتب نتائج الاتحاد والفرقة.

من جانب آخر فقد ورد مثل هذا التأكيد في الآيات القرآنية والروايات الإسلامية؛ ولكن ما تجدر الإشارة إليه أن الظفر بوحدة الصفوف لا يبدو بالأمر الهين بل يحاط بالعديد من الصعوبات والعوائق، ومنها التعصب والكبر والفخر وترجيح المصالح الذاتية الضيقة والقصيرة الأمد على المنافع العامة والبعيدة الأمد، وقد عدّها الإمام عليه السلام في هذه الخطبة من العقبات التي تعترض سبيل الوحدة.

وقد أكد الإمام عليه السلام هذا المعنى في سائر خطب نهج البلاغة أيضاً؛ ومن ذلك ما ورد في الخطبة ١٢٧ أنه قال:

«وإياكم والفرقة فإن الشاذ من الناس للشيطان كما أن الشاذ من الغنم للذئب».

كما وردت إشارة رائعة إلى هذا المعنى في الخطبة ٨٦:

«ولا تبأغضوا فإنها الحالقة».

ونختتم هذا الكلام بالرسالة المهمة التي صرح بها القرآن الكريم في قوله تعالى

«وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» [٧٣١].

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٣٥٩

## القسم الثامن عشر

### إشارة

فَانظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعْمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا، فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ، وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أَلْفَتَهُمْ: كَيْفَ نَشَرَتِ النُّعْمَةَ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا، وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نِعِيمِهَا، وَالتَّفَتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا، فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِيقِينَ، وَفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ. قَدْ تَرَبَّعَتِ الْأُمُورُ بِهِمْ، فِي ظِلِّ سُلْطَانِ قَاهِرٍ، وَأَوْتَتْهُمُ الْحِيَالُ إِلَى كَنْفِ عِزِّ غَالِبٍ، وَتَعَطَّفَتِ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ. فَهَمُّ حُكَّامٍ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِينَ. يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ، وَيُمْنُونَ الْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْنُتُ بِهَا فِيهِمْ! لَا تُعَمَّرُ لَهُمْ قَنَاءٌ، وَلَا تُفْرَعُ لَهُمْ صَفَاءٌ.

### الشرح والتفسير: عزتكم بالاسلام

بعد كلام الإمام عليه السلام في القسم السابق من هذه الخطبة بشأن خطوب العصر الجاهلي والمشاكل والإرباكات والفقر وعدم الاستقرار التي اتصف بها، تناول هنا شرح المعطيات المباركة التي حصلوا عليها في ظل انبثاق دعوة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وما أصبحوا عليه من اتحاد وإلفه ومحبة، ليشرح هذا الأمر بعبارات غاية في الجمال والبلاغة فقال:

«فَانظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعْمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا، فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ، وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ الْفَتْهَمَ».

نعم؛ فقد كان كل قوم وقبيلة بل كل فرد في العصر الجاهلي يلهث خلف مصالحه ورغباته الضيقة حتى سادهم جو من الفرقة والاختلاف والتشتت، فجمعهم الله

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٦٠

تبارك وتعالى تحت رايه واحده في ظل الإسلام والتوحيد فانقلب كل شيء رأساً على عقب.

ثم تطرق عليه السلام إلى بيان هذه النعم من خلال تشبيهات واستعارات رائعة ليتطرق إلى الواحدة تلو الأخرى فقال:

«كَيْفَ نَشَرْتَ النُّعْمَةَ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا، وَأَسَأَلْتُ لَهُمْ جَدَاوِلَ [٧٣٢] نَعِيمِهَا، وَالتَّفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا، فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ، وَفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ [٧٣٣]».

فقد شبه الإمام عليه السلام هذه النعم بالطيور التي تفتح اجنحتها لتضم إليها صغارها فتمنحها الدفء والحنان والأمان، ثم شبهها ثانية بالماء العذب الفرات الذي ينحدر نحو الحقول والمزارع فيجعلها خضراء نضرة، ونتيجة ذلك الغرق في النعم والعيش بأمان في ظل حياة هانئة وديعة.

ثم واصل كلامه عليه السلام ليشير إلى نعمة الحكومة الإسلامية، الحكومة العزيزة والمقتدرة فقال:

«قَدْ تَرَبَّعَتْ [٧٣٤] الْأُمُورُ بِهِمْ، فِي ظِلِّ سُلْطَانِ قَاهِرٍ، وَأَوْتَتْهُمْ الْحَالَ إِلَى كَنْفِ عِزِّ غَالِبٍ، وَتَعَطَّفَتِ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي دُرَى [٧٣٥] مُلْكٍ ثَابِتٍ».

والتاريخ الإسلامي أفضل شاهد على جميع ما ذكره الإمام عليه السلام بهذه العبارات حيث انتصار العرب بالخصوص والمسلمين بصورة عامه في ظل الإسلام، الأمر الذي يقره مؤرخو الشرق والغرب.

ثم أشار في ختام هذا الكلام إلى النصر المطلق للمسلمين على خصومهم بعبارة بليغة فقال:

«فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِينَ. يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَى مَنْ كَدَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ، وَيُمُضُونَ الْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمُضِيهَا فِيهِمْ! لَا

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٦١

تُعْمَرُ [٧٣٦] لَهُمْ فَنَاءُ [٧٣٧]، وَلَا تُفْرَعُ [٧٣٨] لَهُمْ صَفَاءُ [٧٣٩]».

إشارة إلى سطوة الحكام والسلاطين في العهود السابقة عليهم إثر اختلافهم وفرقتهم وضعفهم وعجزهم حتى استعبدوهم بينما بث فيهم الإسلام روح الاتحاد والقدرة والعزة فانحنوا لهم حيث تحولوا إلى قوة لا تقهر.

قال أحد المستشرقين: بلغ المسلمون درجة من القوة بحيث يوصف بالجنون كل من يفكر في مواجهتهم.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٦٣

## القسم التاسع عشر

### إشارة

أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعِيَةِ، وَتَلَمَّتُمْ حِصْنَ اللَّهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ، بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ. فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ قَدْ امْتَنَّ عَلَى جَمَاعِيهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الْأَلْفَةِ الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا، وَيَأْوُونَ إِلَى كَنْفِهَا، بِنِعْمَةِ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيَمَةً، لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ، وَأَجَلُ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ.

وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ أَعْرَابًا، وَبَعْدَ الْمَوَالَةِ أَحْرَابًا. مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْأَسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ، وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ.

تَقُولُونَ: النَّارَ وَلِمَا الْغَارَا! كَذَّبْتُمْ أَنْ تَكْفُرُوا بِالسَّلَامِ عَلَيَّ وَجَهِي أَنْتَهَاكَ لِحَرِيمِي، وَنَقَضًا لِمِيثَاقِي الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ لَكُمْ حَرَمًا فِي أَرْضِيهِ، وَأَمَّا بَيْنَ خَلْقِيهِ. وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ، ثُمَّ لَأَجْبُرَنَّ أَيْلًا وَمِيكَائِيلَ وَلَا مَهَاجِرُونَ وَلَا أَنْصَارًا يُنصُرُونَكُمْ إِلَّا الْمَقَارَعَةَ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ.

وَإِنَّ عِنْدَكُمْ الْأَمْثَالَ مِنْ بَيَاسِ اللَّهِ وَقَوَارِعِهِ، وَأَيَّامِهِ وَوَقَائِعِهِ، فَلَا تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلًا بِأَخْذِهِ، وَتَهَاوَنًا بِطُشِيهِ، وَيَأْسًا مِنْ بَأْسِهِ. فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقُرُونَ الْمَاضِيَةَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَمَرُّكِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ. فَلَعَنَ اللَّهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي، وَالْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِي.

أَلَا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الْأَسْلَامِ، وَعَطَلْتُمْ حُدُودَهُ، وَأَمْتُم أَحْكَامَهُ.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٦٤

### الشرح والتفسير: اجتناب الفرقة

أشار الإمام عليه السلام في المقاطع السابقة إلى شؤون بني إسرائيل وضعفهم قبل قيام موسى عليه السلام ومن ثم قوتهم واقتدارهم في ظل حركة موسى التي وحدت صفوفهم وبالتالي ضعفهم وذلهم ثانية حين تولوا عن الدين الجديد ودعوة موسى، فذكر المسلمين بهذه المراحل الثلاث، المرحلة الأولى المتعلقة بالعصر الجاهلي، والمرحلة الثانية المرتبطة بانبثاق الدعوة الإسلامية وما انطوت عليه من انتصارات باهرة والذي مر علينا في الأقسام السابقة، وخاض هنا في تفاصيل المرحلة الثالثة التي انطوت على تخلف المسلمين عن الوحدة والانتصارات السابقة فقال:

«أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ [٧٤٠] أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ، وَتَلَمَّتُمْ [٧٤١] حِصْنَ اللَّهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ، بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ».

ثم خاض عليه السلام في شرح هذا الكلام فقال:

«فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ امْتَنَّ عَلَى جَمَاعِيهِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الْأَلْفَةِ الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا، وَيَأْوُونَ إِلَيْهَا كَنْفَهَا [٧٤٢]، بِنِعْمَةٍ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً، لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ، وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ حَظَرٍ».

فكل هذه العبارات تشير إلى أهميته الاتحاد والالفة، الأمر الذي أكدته القرآن الكريم في عدة مواضع في قوله تعالى «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا [٧٤٣]» [٧٤٤].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٦٥

فكشف النقاب أكثر عن الموضوع ليقول صراحة:

«وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ أَعْرَابًا وَبَعْدَ الْمَوْلَاةِ أَحْرَابًا. مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْأَسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رِسْمَهُ».

فقد أفصح الإمام عليه السلام في هذه العبارات عن مدى قلقه على أوضاع المسلمين آنذاك وكيف بدت عليهم آثار العصبية القبلية التي جهد النبي صلى الله عليه وآله على إزالتها في ظل التعاليم الإسلامية السمحاء، فكانت هذه العصبية أساس الاقتتال وسفك الدماء ولذلك صرح لهم الإمام عليه السلام: (أنكم لتتحدثون عن الإسلام والإيمان بينما لا تحسنون من الإسلام سوى اسمه ومن الإيمان سوى شكله)، نعم! إنكم لتنتطقون بالشهادتين وتأتون ظاهرياً بالصوم والصلاة لكنكم غافلون عن تعاليم هذا الدين.

ثم شرح الإمام عليه السلام هذه العبارة فقال:

«تَقُولُونَ: النَّارَ وَلِمَا الْغَارَا! كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَكْفُرُوا [٧٤٥] الْأَسْلَامَ عَلَيَّ وَجَهِي أَنْتَهَاكَ لِحَرِيمِي، وَنَقَضًا لِمِيثَاقِي الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ لَكُمْ حَرَمًا فِي أَرْضِيهِ، وَأَمَّا بَيْنَ خَلْقِيهِ».

عبارة هذه الشعار

«النَّارَ وَلَا الْعَارَ»

اطلقت حسب بعض الشراح لأول مرة من قبل «أوس بن حارثة» [٧٤٦] وهو من الشعارات التعصبيّة البعيدة عن الإسلام. فهؤلاء يزعمون أنّهم مستعدون لدخول النار، لكنهم ليسوا مستعدين لأنّ تظهر عليهم القبيلة الفلاتية، أو يراق لهم دم ولا يردون الصاع صاعين. فالإمام عليه السلام يصف هذا الكلام بأنه نقض العهود والتراجع عن الإسلام.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٦٦

وقال جمع من شراح نهج البلاغة إنّ العبارة

«النَّارَ وَلَا الْعَارَ»

عظيمة إن كانت في الأهداف القدسيّة، بينما تعدّ قبيحة ومذمومة إن كانت في المفاخر القبليّة الواهيّة.

إنّما يصح هذا الكلام إن لم تكن النار بمعنى جهنم، بل كانت بمعناها الواسع الذي يشمل نار المشاكل الدنيويّة أيضاً، مثلاً يقال (نتحمل جميع المحن وحتى الموت لكننا لا- نقبل بسيطرة الكفار على البلاد الإسلاميّة) فالشعار بالطبع صحيح؛ أمّا أن يقال (نحن مستعدون لدخول النار لكننا لا نتحمل أفضلية القبيلة الفلاتية) فالشعار هنا خاطئ وينسجم مع العصبيّة الجاهليّة.

وعليه فلا يبدو صحيحاً ما ذكره المحقق التستري في شرحه لنهج البلاغة حيث صرّح بأنّ هذا التقسيم مضحك، ذلك لأنّ من قال بهذا التقسيم إنّما فسّر النار بمعناها الواسع، رغم إنّ ما ورد في كلام الإمام عليه السلام على لسان المتعصبين آنذاك يراد به الجانب السلبي لذلك الشعار.

ثم أشار عليه السلام إلى العاقبة السيئة لهذا الأسلوب فقال:

«وإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَىٰ غَيْرِهِ [٧٤٧]

حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ، ثُمَّ لَجَجْتُمْ إِلَىٰ وَلَا مِيكَائِيلُ وَلَا مَهَاجِرُونَ وَلَا أَنْصَارُ [٧٤٨]

يَنْصُرُونَكُمْ إِلَّا الْمُقَارَعَةَ [٧٤٩] بِالسَّيْفِ [٧٥٠] حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ».

إشارة إلى أنّكم حين كنتم متمسكين آنذاك بالإسلام فقد أمدكم الله بنصرته بملائكته وعنايته الغيبية التي عمت الأنصار والمهاجرين، فدحرتهم الأعداء وثلتم

نفحات الولاية؛ ج ٧؛ ص ٣٦٦

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٦٧

النصر وعشتم العزة والكرامة والأمن، ولكن ستسلبون كلّ ذلك إذا وليتم ظهوركم للإسلام وعليه فما لكم إلّا العودة إلى الإسلام الأصيل واطردوا عن أنفسكم الكبر والغرور والعصبيّة الجاهلية واطفئوا نيران الفرقة لتشملكم عناية الله وأطافه.

ثم حذرهم الإمام عليه السلام ودعاهم لمقارنته أوضاعهم بما أصاب الأمم الظالمة من قبلهم، فاستعرض لهم نماذج العقاب الإلهي كما ورد في القرآن الكريم فقال:

«وَإِنَّ عِنْدَ كُمْ الْأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَقَوَارِعِهِ، وَأَيَّامِهِ وَقَائِعِهِ».

والعبارات الأربع

«بأس» و «قوارع»

و

«أيام»

و

«وقائع»

كلها إشارة إلى العاقبة الثقيلة والصعبة للأمم المذنبة السالفة، ولكن لكل من هذه العبارات مفهومها الخاص؛ فالباس تعنى القتال والعذاب والقوارع إشارة إلى العقوبات الشاقة من قبيل طوفان نوح والزلزلة التي أصابت قوم لوط وصاعقه قوم عاد وثمود، والأيام إشارة إلى مجموع الأيام التي تشهد وقوع هذه الحوادث، والوقائع هي هذه الحوادث بما فيها المقدمة وذى المقدمة وآثارها ونتائجها.

و

«أيام الله»

هنا إشارة إلى أيام الأمم السابقة الصعبة والمرعبة، فقد جاء في القرآن المجيد بشأن قوم عاد: «أَنَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصِيرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ» [٧٥١]. وقال إثر ذلك: «تَنَزَّعَ النَّاسُ كَأَنَّهُمْ أَغْرَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ» [٧٥٢]. وسائر الآيات الكثيرة الواردة بشأن قوم فرعون ونوح وأمثالهم.

ثم قال عليه السلام:

«فَلَا تَسْتَبْطِئُوا [٧٥٣] وَعِيدَهُ جَهْلًا بِأَخْذِهِ، وَتَهَاوُنًا بِبَطْشِهِ [٧٥٤]، وَيَأْسًا مِنْ بَأْسِهِ».

أى إن تأخر عقاب العصاة لبضعه أيام أو بضعه شهور فلا تظنوا باستحاله وقوعه،

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٦٨

فقد اثبت التاريخ وقوع هذا العذاب رغم تأخيره، وبالطبع فليس لهذا التأخير من أهميته مقارنة بعمر العالم.

ثم خاض عليه السلام فى أسباب هذا الموضوع (التشابه فى المصير) ليركز على أهمها فقال:

«فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقُرْنَ الْمَاضِيَةَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ. فَلَعَنَ اللَّهُ الشُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي، وَالْحُلَمَاءَ [٧٥٥] لِتَرْكِ التَّنَاهِي».

والكلام إشارة إلى الآية القرآنية الشريفة التي تقول: «لِعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ \* كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» [٧٥٦].

وبالطبع وردت إشارات إلى سائر عوامل سقوطهم فى القسم القادم من الخطبة؛ إلا أن عبارة الإمام عليه السلام تشير إلى أن أفدح أخطائهم تركهم فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك لأن تطبيق جميع الأحكام الشرعية يتوقف على إحياء هاتين الفريضتين، فإن أقيمتا أقيمت جميع الفرائض وإن تركتا تعطلت سائر الفرائض والت إلى الفناء والزوال، ولذلك ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ ... فَرِيضَةٌ عَظِيمَةٌ بِهَا تُقَامُ الْفَرَايِضُ» [٧٥٧].

وستتطرق إن شاء الله فى الخطب القادمة إلى الأهمية الفائقة لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فى الإسلام فى الموضوع الذى ورد الحديث فيه صراحة عن هذه الفريضة.

ثم اختتم الإمام عليه السلام كلامه فى هذا الجانب من الخطبة بالقول:

«أَلَا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الْأَسْلَامِ، وَعَطَلْتُمْ حُدُودَهُ، وَأَمْتُمْ أَحْكَامَهُ».

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٦٩

هذه الكلمات تشير إلى أن الاكتفاء بظاهر الإسلام وبعض الطقوس الظاهرية ليس مدعاة للنجاة، بل لابد من الالتزام بأحكامه وتعاليمه

وإقامه حدوده وتحكيم الإسلام في جميع المجالات وأنتم لستم كذلك، فأنتم تتشدقون باسم الإسلام وتتصرفون تصرف الجاهلية، ومع ذلك تتوقعون العزة والإقتدار.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٧١

## القسم العشرون

### إشارة

أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالنَّكَثِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ، وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ، وَأَمَّا الْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ، وَأَمَّا شَيْطَانُ الرَّذْهَةِ فَقَدْ كُفَيْتُهُ بِصِعْقَةٍ سَمِعَتْ لَهَا وَجْبُهُ قَلْبَهُ وَرَجَّهْ صَدْرِهِ، وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ. وَلَيْسَ أذنَ اللَّهِ فِي الْكِرَّةِ عَلَيْهِمْ لِأَدِيلِنَ مِنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَشَدَّرُ فِي أَطْرَافِ الْبِلَادِ تَشَدُّرًا.

### الشرح والتفسير: تكليفي في قتال المفسدين

أشار الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الخطبة إلى معاركه المعروفة ضد الفئات الظالمة في الجمل وصفين والنهروان وكيف كشف لهم عن قدرته وقوته، وكأنه أراد بهذا الكلام أن يلوح بقوته لبعض القبائل المتمردة التي عاشت الاقتتال مع بعضها بفعل العصبية القبلية وبقمها حجراً ويفهمها أنها إن واصلت هذه المسيرة الخاطئة ستجابه بأشد العذاب فقال:

«أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالنَّكَثِ وَالْفَسَادِ [٧٥٨]

فِي الْأَرْضِ، فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ، وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ [٧٥٩] فَقَدْ جَاهَدْتُ، وَأَمَّا الْمَارِقَةُ [٧٦٠]

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٧٢

فَقَدْ دَوَّخْتُ [٧٦١].»

إشارة إلى أن قتالي لهذه الفئات الثلاث كان بأمر الله تعالى، ويستند هذا الكلام إلى الرواية الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال لأمر المؤمنين على عليه السلام:

«وَأَنَّكَ سَتُقَاتِلُ بَعْدِي النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ» [٧٦٢].

وقد ورد هذا الكلام في (أسد الغابة) أنه عليه السلام قال:

«عَهْدُ إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ» [٧٦٣]

. هذا أولاً.

ثانياً: إشارة إلى أنني هزمت الفئات الثلاث، أما أصحاب الجمل فقد تفرقوا أيادي سباً وكسرت شوكة خوارج النهروان، كما تحطم معاوية وصحبه يوم صفين، غير أن حيلة ابن النابغة عمر بن العاص قد أنقذته من الهزيمة المطلقة.

ثم واصل عليه السلام كلامه ليركز على زعيم الخوارج حرقوص بن زهير وكنيته ذوالثدي، الذي قتل شر قتله يوم النهروان فقال:

«وَأَمَّا شَيْطَانُ الرَّذْهَةِ [٧٦٤] فَقَدْ كُفَيْتُهُ

بِصِعْقَةٍ [٧٦٥] سَمِعَتْ لَهَا وَجْبُهُ [٧٦٦] قَلْبَهُ وَرَجَّهْ [٧٦٧] صَدْرِهِ.»

وهناك خلاف بين شراح نهج البلاغة بشأن هذه الصاعقة، فقد ذهب البعض إلى أن صاعقه من السماء نزلت حقاً على زعيم الخوارج

ذوالثديّة فأهلكته وقذفت بجسّمه في تلك الحفرة (ردهة بمعنى حفرة ماء) بينما يعتقد البعض الآخر أنّ تلك الصاعقة هي الصراخات الشجاعة المدوية التي كانت تنطلق من الإمام عليه السلام في بداية المعركة، فكانت هذه الصراخات تقض مضاجع البعض ومنهم ذو الثديّة الذي إعتراه

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٣٧٣

الربع فصعق وصرع أرضاً لينحدر إلى تلك الحفرة، ثم هدد ما تبقى من أولئك الأوغاد العتاة فقال:

«وَبَقِيَتْ بَقِيَّتُهُ مِنْ أَهْلِ الْبَغِيِّ. وَلَيْنُ أَذِنَ اللَّهُ فِي الْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ لَادِيلَنَ [٧٦٨] مِنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَشَدَّرُ فِي أَطْرَافِ الْبِلَادِ تَشَدُّرًا [٧٦٩].»

وتشير العبارة:

«أَهْلِ الْبَغِيِّ»

إلى ظلمة الشام وأصحاب معاوية الذين كانوا سيهلكون لولا قضية التحكيم يوم صفين، فالإمام عليه السلام يقول: لو أُتيحت لي الفرصة لقصيت عليهم وأرسيت حكمه العدل والقسط في ربوع البلاد الإسلاميّة كافّة.

ولعل ذكر هذا المعنى بصيغة الجملة الشرطية يشير إلى أنّ الإمام عليه السلام سوف لن يُوفّق لشن هجومه الكاسح عليهم، فقد طالته المنية قبل أن يقوم بهذا العمل؛ ولكن على كلّ حال أعلن عن استعداده التام لمواجهة مادام فيه عرق ينبض ويعلم ضمناً صحبه خططه المستقبليّة.

## تأمل

### من هو ذو الثديّة؟

اسمه حرقوص بن زهير السعدي التميمي المعروف بذى الخويصرة، ذى الثديّة ومُخدج، ولا يعلم وجه تسميته بذى الخويصرة؛ ولكن بالنظر إلى اللحم الزائد في عضده كالثدي في الصدر لقب بذى الثديّة، كما عرف بالمخدج اليد لنقص في يده.

جاء في التفاسير في ذيل الآية ٥٨ من سورة التوبة: «وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخِفُّونَ». والمصادر التاريخية تؤكد أنه لما انتهت غزوة حنين وقف رسول الله صلى الله عليه وآله في موضع اسمه «جعراثة» لتوزيع الغنائم فطلب أبو سفيان وبعض المسلمين من قريش المزيد من الغنائم؛ فمنحهم رسول الله صلى الله عليه وآله أموالاً كثيرة لتأليف قلوبهم، فنهض ذو الثديّة وخاطب

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٣٧٤

رسول الله قائلاً: «إعدل يا محمّد!».

فقال صلى الله عليه وآله:

«ويحك! فمن ذا يعدل إن لم أعدل؟»

. فاستأذنه عمر أن يضرب عنقه، فنهاه النبي صلى الله عليه وآله وقال:

«دَعُهُ، فَسَيَخْرُجُ مِنْ ضَنْصِنِي هَذَا قَوْمٌ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرِّمِيَّةِ، ... تُخْتَفَرُ صِلَاتُكُمْ فِي جَنْبِ صِلَاتِهِمْ، وَصَوْمُكُمْ عِنْدَ صَوْمِهِمْ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَأَيِّجَاوِرُوا تَرَاقِيهِمْ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدٌ مُخَدَّجُ الْيَدِ، إِحْدَى يَدَيْهِ كَأَنَّهَا تَدِي أَمْرًا أَوْ بَضْعَةً تَدْرُدَرُ» [٧٧٠].

وعلى ضوء هذه النبوءة فقد ظهرت فئة في الأمية الإسلاميّة تقرأ القرآن وتعبد الله، ولكن حقيقة الأمر أنّهم خارجون عن الدين ولا يعرفون حقيقته.

وهذه الحقيقة معروفة بين المسلمين حتى أنّ عائشة المعروفة بغضها لعلي عليه السلام قالت بعد النهروان وقتل ذى الثديّة: سمعت



رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«يَقْتُلُهُ خَيْرُ أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي» [٧٧١].

وقد تحققت هذه النبوءة بعد صنفين وقضية التحكيم، حيث اجتمع الخوارج عند عبدالله بن وهب الراسبي، فخطبهم ذوالثديء ودعاهم للقتال وكان زعيمهم عبد الله بن وهب (وإن كانت الزعامة الفكرية والعقائدية لذى الثديء) [٧٧٢].

يذكر أن أمير المؤمنين عليه السلام أخبرهم أن قوماً يخرجون من الدين ويقاثلون المسلمين وعلامتهم رجل (مُخَدَجُ الْيَدِ) [٧٧٣]. وكان الناس يبحثون عن ذى الثديء، لكنهم لم يعثروا عليه، فطعنوا في علي عليه السلام وقالوا: خدعنا ابن أبي طالب لنقاتل إخواننا [٧٧٤].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٧٥

وكان علي عليه السلام يقول:

«مَا كَذِبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ».

فطلب ذا الثديء طلباً شديداً وقلب القتلى ظهراً لبطن فلم يعثر عليه، ثم قال:

اطلبوا الرجل وأنه لفي القوم، فلم يزل يتطلبه حتى وجده وهو رجل مخدج اليد كأنها ثدى في صدره، فكبر على عليه السلام وسجد شاكرًا [٧٧٥].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٧٧

## القسم الحادي والعشرون

### إشارة

أَنَا وَضَعْتُ فِي الصَّغَرِ بِكَالِ كَلِ الْعَرَبِ، وَكَسِرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَيْبِعَةٍ وَمُضَرٍّ. وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْقَرَايَةِ الْقَرِيْبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ. وَضَعْنِي فِي حَجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمَسِّنِي جَسَدَهُ، وَيُسْتَهْمُنِي عَرَفَهُ. وَكَانَ يَمْضُغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ.

وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيمًا أَعْظَمَ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْأَلُكَ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ. وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَتْرُ أُمَّهُ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْمًا، وَيَأْمُرُنِي بِالْأَقْتِدَاءِ بِهِ. وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحَرَاءِ فَارَاهُ، وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي. وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْأَسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَحَدِيحَهُ وَأَنَا تَالِئُهُمَا. أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ، وَأَشْمُ رِيحَ السُّبُوءِ.

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّهُ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّئَةُ؟ فَقَالَ: «هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيْسَ مِنْ عِبَادَتِهِ».

إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنْكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، وَلَكِنَّكَ لَوْزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ».

## الشرح والتفسير: التربية في كنف النبي صلى الله عليه وآله

أشار الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الخطبة إلى أمرين مهمين بغية تقوية معنويات

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٧٨

أصحابه في مقابل الأعداء والأوباش ومثیری الفتن القبليين؛ فتطرق إلى موقفه في الغزوات الإسلامية أمام صناديد العرب والضربات

الموجعة التي كان يسدها لهم، ليرعب ذلك الخصم العنيد، ومن ثم عرج على قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله والتي تنحصر به دون غيره، ليندفع المؤمنون بكل قوة وإخلاص لطاعة أوامره، وعليه فلا ينبغي التصور بأن الإمام عليه السلام خاض في الإشادة بنفسه في هذا الجانب من الخطبة؛ الأمر الذي يتناقض والجوانب السابقة من الخطبة، بل الإمام يتابع هدفاً أسمى من هذه التصورات. فقال بادئ الأمر:

«أَنَا وَضَعْتُ فِي الصَّغَرِ بِكَلَّاكِ الْعَرَبِ وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ [٧٧٦] قُرُونٍ رَيْبَعَةً وَمُضَرًّا».

والتعبير بالصغر في العبارة السابقة والذي يقابل الكبير إشارة إلى شبابه عليه السلام؛ لا الطفولة، فالعبارة سائدة لدى الجميع إذا إن الأفراد الذين تقدم بهم العمر حين يريدون الإشارة إلى عصر الفتوة يقولون: (لقد فعلت كذا وكذا في الصغر).

على كل حال تتداعى في عبارة الإمام عليه السلام هذه الخواطر الرائعة للانتصارات التي تحققت في المعارك الإسلامية؛ سيما الضربات التي سددها في ميدان «بدر» إلى «عتبة» و «الوليد» و «حنظلة» وحين دافع المستميت في ميدان «أحد» عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أمام حشود الأعداء والضربة المهلكة التي سددها يوم الأحزاب إلى أشجع شجعان العرب «عمرو بن عبدود» وذاع صيته في أرجاء الجزيرة العربية كافة، ثم بطولاته في فتح «مكة» وغزوة «حنين» وسائر الغزوات الإسلامية والتي تكشف برمتها عن مدى إقدار الإمام عليه السلام وشجاعته وصموده في الحروب دفاعاً عن الإسلام ونبي الإسلام صلى الله عليه وآله وتكشف عن الجانب المعنوي والروحي، وبالطبع فإن استعراض هذه الأمور يثبت حالة الرعب والذعر في صفوف الأعداء ويدفع المؤمنين لخوض الجهاد.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٧٩

وذكر بعض شراح نهج البلاغة كلاماً رائعاً بهذا الخصوص فبينوا أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أمضى ثلاثة عهود بعد البعثة؛ الأول: العهد الذي استغرق ثلاث عشرة سنة في مكة والذي اكتفى فيه بإعداد صحبه لمقاومة الأعداء دون اللجوء إلى السيف. والثاني: الذي يبدأ منذ الهجرة حتى معركة الأحزاب والذي كان موقف المسلمين فيها يقتصر على الدفاع. والثالث: عهد فتح مكة وغزوة حنين والذي تميز بالهجوم وإن كان الهدف إطفاء نار الفتنة.

وقد كان على عليه السلام إلى جانب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يضحى بنفسه طيلة هذه العهود، حيث بات على فراش النبي ليفديه بنفسه في الفترة الأولى ولا تنسى مواقفه في الفترة الثانية يوم بدر وأحد والأحزاب، كما تقدم الصفوف في فتح مكة وحنين في الفترة الثالثة [٧٧٧].

وقال بعض الكتاب إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يدافع عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حتى قبل البعثة وأشار إلى قصة حدثت حين كان عليه السلام في الثامنة من عمره فقد كان يقول:

«إِنَّ النَّبِيَّ لَا يَتَحَدَّثُ فِي بَيْتِهِ عَنِ الْعَبِيدِ وَيَخَاطَبُ الْغُلَامَانَ بِالشَّبَابِ وَلَا يَغْضَبُ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَقُلْ لِأَحَدِهِمْ أَفٍ [٧٧٨].»

والتعبير

«بِكَلَّاكِ»

(جمع كل كل بمعنى عظام الصدر) إشارة إلى الأبطال والزعماء في المجتمع آنذاك، و «قرون» جمع «قرن» كناية عن المقتدرين من الأفراد وأن قرن الحيوان من أعضائه القوية.

ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى الأمر الثاني من هذا القسم؛ وهو علاقته الحميمة بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله والتي ابتدأت منذ الطفولة حتى آخر عمره حيث تربي عليه السلام في كنفه صلى الله عليه وآله فقال:

«وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ».

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٨٠

ثم قال لمزيد من الايضاح:

«وَضَعْنِي فِي حَجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يُضْمِنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْتَفِينِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمَسِّنِي جَسَدَهُ، وَيُسْمِنِي عَزْفَهُ [٧٧٩]. وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ».

فالعبارة تفيد أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لم يفرق قط بينه وبين ولده، وقد احتضن الإمام عليه السلام منذ كان صغيراً وأفاض عليه من أخلاقه السامية وغمره بالحب والحنان، وأضاف عليه السلام:

«وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةً [٧٨٠] فِي فِعْلٍ».

إشارة إلى أنه تربي في حضن النبي صلى الله عليه وآله بحيث كان بمنتهى الصدق والإخلاص في القول والفعل والسير على الحق دون أدنى انحراف.

ثم تطرق عليه السلام إلى بيان هذه النقطة وهي: إني إن اتبعت النبي صلى الله عليه وآله قبل البعثة واعتزرتك الفترة وافتخرتك بتلك الفرصة، فذلك لأن النبي صلى الله عليه وآله كان يتمتع منذ نعومة أظفاره بهدى الله والطافه فقال:

«وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيمًا [٧٨١] أَعْظَمَ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسِيلُكَ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارُهُ. وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ [٧٨٢] أَثَرُ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْمًا، وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ».

أى أن رعايته النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لم تكن مقتصرة على الجوانب الظاهرية فحسب، بل كان يعلمني كل يوم درساً في الأخلاق والكمال والفضيلة وكنت أعي ذلك.

وتشير العبارة

«علماً»

إلى العلامات التي كانت توضع سابقاً على الطرق في الصحارى حتى يهتدى بها المسافرون في مسيرتهم فلا يضلون الطريق فيتجهون بكل ثقة إلى مقصدهم، وقد كانت لعلى عليه السلام هذه الهداية إلى الحق.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٨١

ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى أحد الفصول المهمة في حياة النبي صلى الله عليه وآله قبل البعثة؛ أى عبادته في غار حراء فقال:

«وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحَرَاءِ فَأَرَاهُ، وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي. وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْأَسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا. أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ، وَأَشْمُ رِيحَ النُّبُوَّةِ».

فالعبارة تشير إلى أن عبادته صلى الله عليه وآله في غار حراء كانت تتكرر لسنوات حيث قال الإمام عليه السلام:

«وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحَرَاءِ»

كما تشير إلى أن علياً فقط كان يراه.

أضف إلى ذلك فقد مضت على الدعوة الإسلامية سنوات ولم يؤمن بها إلا ثلاثة:

النبي وخديجة وعلي (صلوات الله وسلامه عليهم).

وأما بشأن رؤية نور الوحي واستشمام ريح النبوة فقد حملها بعض شراح نهج البلاغة على الجوانب المعنوية بينما ذهب البعض الآخر إلى عدم المانع على حملها على الجوانب الظاهرية والمادية، أى أنه حين نزول الوحي كان هنالك نور يسطع منه لا يراه سوى النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام كما كان الجو يتعطر برائحة زكية لا يشمها سواهما ولا مانع من وجود بعض الكائنات المادية التي يدركها الأفراد من ذوى الشعور القوى بينما يتعذر إدراكها على الآخرين، فمثلاً يقال: إن بعض الطيور ذات الحاسة القوية بإمكانها إدراك الأشعة فوق البنفسجية أو الأشعة الحمراء التي يتعذر إدراكها علينا نحن البشر وستحدث في مبحث التأملات عن

عبادة النبي صلى الله عليه وآله في غار حراء وإيمان خديجة عليها السلام وعلى عليه السلام بصفتها أول من آمن بالله وصدق بالنبي. ثم أشار عليه السلام إلى أمر آخر بشأن علاقته بالنبي فقال:

«وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ [٧٨٣] الشَّيْطَانِ

حِينَ نَزَلَ الوَحْيُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ: «هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ آيَسَ مِنْ عِبَادَتِهِ».

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٨٢

وأضاف عليه السلام فقال لى رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أَنْتَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنْتَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، وَلَكِنَّكَ لَوْزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ».

لعل هنالك من يقول: هنالك من لا يزال يعبد الشيطان فكيف التوفيق بين هذا الكلام وما جاء في هذه الخطبة؟ والجواب واضح في أن عرى الطاعة المطلقة للشيطان وعلى جميع المستويات التي كانت سائدة في العصر الجاهلي والتي تشمل الوثنية وعبودية الأصنام والانحرافات الأخلاقية والمظالم الاجتماعية الشديدة قد انهارت بظهور الإسلام وظهرت الفئات الخيرة الكثيرة المؤمنة في كل قرن وإن لم تكن أكثر عدداً وعدة من اتباع الشيطان فإن كفتهم الوجودية ومقاماتهم لأرفع وأسمى.

بعبارة أخرى فقد صرح الشيطان منذ اليوم الأول قائلاً: «وَلَا غَوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ» [٧٨٤]. وقد زال هذا المعنى بانثاق الدعوة الإسلامية، فطائفه كبيرة من المؤمنين من ذوى الإيمان القوى والعمل الصالح قد خرجوا من تبعية الشيطان بالإضافة إلى المخلصين والمراد بهم خاصة أولياء الله.

على كل حال فإن هذه العبارة من قبيل العديد من الروايات التي سنشير إليها لاحقاً، والتي تشير إلى مدى عظم منزلة على عليه السلام بالنسبة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله فقد كان صنوه فى كل شىء سوى النبوة، وهذه هى الحقيقة التى وردت فى حديث المنزلة الذى ورد مفصلاً فى كتب الفريقين، حيث إن النبي صلى الله عليه وآله استخلف علياً عليه السلام على المدينة فى غزوة تبوك فلما سأله الإمام أخبره صلى الله عليه وآله بحديث المنزلة.

والحديث حسبما رواه ابن عباس ونقلته مصادر العامة المعتمدة كحديث صحيح السند أن علياً عليه السلام بكى لما استخلفه رسول الله صلى الله عليه وآله على المدينة حين انطلق إلى تبوك فقال له صلى الله عليه وآله:

«أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بَعْدَى نَبِيٍّ»

. ثم قال:

«إِنَّهُ لَا يَتَّبِعُنِي أَنْ أَدْهَبَ إِلَّا وَأَنْتَ خَلِيفَتِي».

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٨٣

رواه الحاكم فى المستدرک وقال حديث صحيح السند، كما رواه الذهبى فى تلخيص المستدرک وصرح بصحته؛ كما ورد فى سائر المصادر مثل: مسند أحمد، ذخائر العقبى، مناقب الخوارزمى، الإصابة لابن حجر عسقلانى وسائر المصادر التى يضيق المقام عن ذكرها [٧٨٥].

## تأملات

### ١. العلاقة الحميمة بين على عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله

لقد كانت هذه العلاقة منذ كان على عليه السلام فى طفولته حين تعرضت مكة لتلك الأزمة الاقتصادية والقحط الشديد الذى أصابها،

وكان لأبي طالب أولاد كثيرون فشق عليه ذلك فطلب النبي صلى الله عليه وآله - وذلك قبل نبوته - من العباس الذهاب معه إلى بيت أبي طالب على أن يكفل أحد أبنائه، ويكفل النبي آخر فأتيا أبا طالب فقال لهما: اتركا لى عقيلًا واحملا من تريدان، فاختر النبي صلى الله عليه وآله عليًا عليه السلام والعباس جعفرًا، ومنذ ذلك الحين لازم على عليه السلام النبي صلى الله عليه وآله حتى بعث فآمن به وصدقه [٧٨٦].

وكانت اليد الغيبية وراء تلك الحادثة ليكون على عليه السلام منذ نعومة أظفاره إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله فيتربى على يديه وقد تتلمذ على يد رسول الله صلى الله عليه وآله حتى رأى نور الوحي وشم رائحته وسمع صوت جبرئيل، بل سمع حتى رنة الشيطان حين المبعث وبالتالي كانت له علاقة تامة بعالم الغيب حتى خاطبه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «أَنْتَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنْتَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ» [٧٨٧].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٨٤

## ٢. غار حراء

يقع غار حراء على سفح جبل يعرف اليوم بجبل النور، وكان هذا الجبل خارج مكة أما اليوم وبسبب اتساع مكة فإن جبل النور وغار حراء أصبحا داخلها، ويستغرق صعود هذا الجبل ما يقارب الساعة.

والغار المذكور غار صغير يستوعب شخصين في حال الوقوف للعبادة واثنان أو ثلاثة عند الجلوس، ولكن إلى جانبه موضع واسع يستوعب الكثير، والجدير بالذكر أن جانبي الغار مفتوحان ليدخله هواء لطيف، بحيث لا يشعر الإنسان بالحرارة الشديد في فصل الصيف، وبغض النظر عما سبق فهو موضع للاختلاء والمليء بالمعنويات.

وكان صلى الله عليه وآله قبل البعثة وأحياناً حتى بعد البعثة يذهب إلى غار حراء بعيداً عن ضوضاء الجاهلية وعبادة الأصنام والخرافات السائدة في ذلك العصر، فيناجي الله ساعات وأياماً في ذلك الغار، ويفكر في خلق السماوات والأرض؛ والغريب أن من يدخل الغار ويتجه إلى الشمال فإنه يستقبل الكعبة وبيت المقدس.

ويستفاد من بعض الروايات أنه صلى الله عليه وآله كان يذهب إلى غار حراء حتى بعد النبوة لبيتعد عن أذى المشركين ويخوض في عبادة الله ومناجاته وكان معه أحياناً على عليه السلام وخديجة عليها السلام، ونعلم أن الوحي كان أول نزوله عليه هناك.

قال ابن أبي الحديد في شرحه: وأما حديث مجاورته صلى الله عليه وآله بحراء فمشهور وقد ورد في كتب الصحاح أنه كان يجاور في حراء من كل سنة شهراً، وكان يطعم في ذلك الشهر من جاءه من المساكين فإذا قضى جواره من حراء كان أول ما يبدأ به إذا انصرف أن يأتي باب الكعبة فيطوف سبعمائة ثم يرجع إلى بيته، حتى جاءت السنة التي أكرمه الله فيها بالرسالة، فجاور في حراء ومعه أهله وخديجة وعلي ابن أبي طالب وخادم له. فجاءه جبرئيل بالرسالة.

(إن هذا الحديث يبدو إشارة إلى النزول الدفعي للقرآن على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في شهر رمضان؛ ولا ينافي النزول التدريجي في ٢٧ من رجب) [٧٨٨].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٨٥

## ٣. النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قبل البعثة

كثيراً ما يتساءل الناس عن الدين الذي كان يعتنقه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قبل البعثة؛ ولم ينزل آنذاك الدين الإسلامي الحنيف؟

يقال أحياناً إنه كان على دين شيخ الأنبياء، إبراهيم الخليل عليه السلام، وهذا الكلام صائب من جانب حيث كان صلى الله عليه وآله موحداً عابداً لله، والتوحيد من أبرز خصائص دين إبراهيم عليه السلام، ورغم أن جميع الأنبياء كانوا موحدين، إلا أن ذلك ليس دليلاً على أن النبي صلى الله عليه وآله كان متعبداً بشريعة إبراهيم في فروع الدين كافةً.

ويفهم من كتاب المرحوم ابن زهرة (غنية) أن هذا السؤال كان مطروحاً منذ ذلك الوقت، وقد أفرد فصلاً في كتابه لهذا الموضوع؛ وهو: هل كان النبي صلى الله عليه وآله متعبداً بشريعة سالف الأنبياء، ورغم أنه ذكر كلاماً مختصراً بهذا الخصوص، لكنه اكتفى بأن النبي صلى الله عليه وآله ربما عمل بدينه دون أن يذكر أى دليل على ذلك.

وورد في حاشية الطبعة الأخيرة لهذا الكتاب أن هذا السؤال كان مطروحاً منذ عهد السيد المرتضى والشيخ الطوسي، حيث صرح البعض بصورة كلية: أنه صلى الله عليه وآله كان يتبع ما سبقه من أديان، ونفى البعض الآخر ذلك، وأمسك آخرون عن الكلام، وروى عن الشيخ الطوسي أنه قال: إنه صلى الله عليه وآله كان على شرعاً خاصة قبل النبوة نزلت عليه عن طريق الوحي دون أن يتبع الأنبياء السابقين.

ويعتقد العلامة المجلسي أنه كان للنبي هذا المقام قبل البعثة، فكانت تحدّثه الملائكة فيسمع كلامهم وكان أحياناً أخرى يلهم في الرؤيا الصادقة، وبلغ مقام النبوة في الأربعين من عمره حيث نزل عليه القرآن والشريعة الإسلامية؛ ثم استدل على ذلك بستة أدلة [٧٨٩].

وما أجدر علمائنا الأعلام أن يلتفتوا إلى الخطبة القاصعة وكلام أمير المؤمنين عليه السلام بشأن ما كان عليه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من خلال أعظم ملائكته حيث قال:

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٨٦

«وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ».

فهذا الكلام يشير صراحة إلى أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لم يكن متعبداً لما سبقه من أديان، بل كانت له منهجيته الخاصة التي بلغته عن طريق الإلهام من ذلك الملك العظيم وكان صلى الله عليه وآله ملتزماً بها.

فكيف يعلمه هذا الملك العظيم سبل مكارم الأخلاق، ولا يلهمه الواجبات، وهكذا يتضح الجواب عن السؤال بشأن تعبد النبي صلى الله عليه وآله قبل البعثة بما سبقه من أديان، من عدمه [٧٩٠].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٨٧

## القسم الثاني والعشرون

### إشارة

وَلَقَدْ كُنْتُمْ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا أَتَاهُ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيماً لَمْ يَدْعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَنْتِ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَا، عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ. فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «وَمَا تَسْأَلُونَ؟» قَالُوا:

تَدْعُونَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ، أَنْتُمْ مُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنِّي سَأْرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيئُونَ إِلَيَّ خَيْرٌ، وَإِنْ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلْبِ، وَمَنْ يُحْزَبُ الْأَحْزَابِ». ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «يَا أَيُّهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتَعْلَمِينَ أَنَّي رَسُولٌ

اللَّهُ، فَانْقَلَعِي بِعُرْوَتِكَ حَتَّى تَقْفِي بَيْنَ يَدَيَّ يَا ذَنْ لَهِ». فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَأَنْقَلَعَتْ بِعُرْوَتِهَا، وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيُّ شَدِيدٍ، وَقَصَفَ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ؛ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُرْفَرَفَةً، وَأَلْقَتْ بَعْضَ نَهْهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَبَعْضَ أَعْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا عُلُؤًا وَاشْتِكَبَارًا: فَمَرَّهَا فَلْيَأْتِكَ نَضِيْفُهَا وَيَبْقَى نَضِيْفُهَا، فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نَضِيْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدَّهُ دَوِيًّا، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فَقَالُوا - كُفْرًا وَعُتُوًّا -: فَمَرَّ هَذَا التَّصْفَ فَلَيزَجْعُ إِلَى نَضِيْفِهِ كَمَا كَانَ، فَأَمَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَرَجَعَ؛ فَقُلْتُ أَنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوَّلُ مَنْ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٨٨

أَقْرَبُ بَأَنَّ الشَّجْرَةَ فَعَلْتُ مَا فَعَلْتَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَضِيْفًا بِبُيُوتِكَ، وَإِجْلَالًا لِكَلِمَتِكَ. فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ، عَجِيبُ السَّحْرِ خَفِيْفٌ فِيهِ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا! يَعْتُونِي.

### الشرح والتفسير: معجزة حركة الشجرة

أشار الإمام عليه السلام في هذا الجانب من الخطبة الذي يعد من أهم جوانبها إلى إحدى معجزات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في مكة وقد شهدها الإمام عليه السلام ليؤكد علاقته الحميمة به صلى الله عليه وآله وسبقه إلى الإيمان، وهي المعجزة التي قل من رآها من المسلمين آنذاك فقال عليه السلام:

«وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا أَتَاهُ الْمَلَأُ [٧٩١] مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ،

إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيمًا لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْرًا إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَا، عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيُّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ».

العبارة:

«الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ»

تشير إلى أن هذه المعجزة حدثت في مكة وحين جهر النبي صلى الله عليه وآله بدعوته وسمعها الكثير من الناس، ولكن لم يكن يتمتع المسلمون بقوة وقدرة، وإلا لما تجرأ خصوم الدعوة بالتحدث معه بهذه الطريقة الفظة.

على كل حال ظن أولئك أنهم يختبرون النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وقد سنحت الفرصة لرسول الله صلى الله عليه وآله، لأن يثبت لهم حقايقه دعوته من خلال المعجزة التي طلبوها (لا التي يريدونها) ولذلك جاء في هذه الخطبة:

«فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «وَمَا تَسْأَلُونَ؟» قَالُوا: تَدْعُونَا هَذِهِ الشَّجْرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرْوَتِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ».

فما كان منه صلى الله عليه وآله

: «فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ، أَنْتُمْ مُنُونٌ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟» قَالُوا: نَعَمْ».

جدير ذكره أنه صلى الله عليه وآله قال:

«فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ»

ولم يقل:

«فَإِنْ فَعَلْتُ»

إشارة إلى أن

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٨٩

المعجزة بيد الله وإن ظهرت على يد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

والعبارة:

«أَتَوْمُنُونَ» و «تَشْهَدُونَ»

إشارة إلى الإيمان القلبي بالإضافة إلى الشهادة بالحق ظاهرياً.

على كل حال فلم يقرّوا بالأمرين فما كان منه صلى الله عليه وآله إلّا أن:

«قَالَ: فَإِنِّي سَأْرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيئُونَ إِلَيَّ خَيْرًا، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلْبِ [٧٩٢]، وَمَنْ يُحَزَّبُ الْأَحْزَابَ».

والعبارة:

«وَإِنَّ فِيكُمْ ...»

إشارة إلى أبي جهل وعتبه وشيبه وأميته بن خلف الذين قتلوا يوم بدر ورمى بأجسادهم في بئر كانت هناك.

والعبارة:

«مَنْ يُحَزَّبُ الْأَحْزَابَ»

إشارة إلى أبي سفيان. فالواقع أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أكمل طلبهم المعجزة بثلاثة أخبار غيبية يعدّ كل منها معجزة، عدم إيمانهم وطرح بعضهم في البئر ومعركة الأحزاب التي حدثت بعد سنوات عديدة لاحقاً.

ثم إنفتحت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إلى أصل سؤالهم وإنفتحت إلى الشجرة

«ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «يَأْتِيَتُهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتَ تُوْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتَعْلَمِينَ أَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، فَانْقَلِبِي بَعْرُوكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ يَا ذَنِّ اللَّهِ».

وخطاب النبي صلى الله عليه وآله لتلك الشجرة يفيد أنّ للنباتات والجمادات نوعاً من الإدراك والشعور الذي أفاضه عليها الله، كما تفيد العبارة القادمة أنّها مؤمنة أيضاً بالله واليوم الآخر ولكن ما حقيقة هذا الإيمان وكيفيه ذلك الشعور والإدراك، وهل لها بعد اختياري أم إجباري، فذلك من الأمور التي ليست واضحة لدينا على وجه الدقّة.

ولدينا العديد من الآيات القرآنية التي تشير إلى ذلك الإيمان والشعور والإدراك لدى جميع الأشياء بما فيها الجمادات وتفيد أنّها تسبح الله وتقده، وقد أسهب المفسرون بهذا الشأن [٧٩٣].

نقعات الولاية، ج ٧، ص: ٣٩٠

فاستطرد أمير المؤمنين على عليه السلام وقال:

«فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَأَنْقَلَعَتْ بِعُرْوِقِهَا، وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ [٧٩٤] شَدِيدٌ، وَقَصَفُ [٧٩٥] كَقَصْفِ أَجْنَحِ الطَّيْرِ؛ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُرْفِقَةً [٧٩٦]، وَأَلْقَتْ بَعْضُهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَبِعُضِّ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ».

فالذي يستفاد من هذه العبارة أنّ تلك الشجرة كانت ضخمة بحيث صاحبت حركتها أصوات عالية كانت مدوية، فألقت ببعض أغصانها على النبي صلى الله عليه وآله وباللبعض الآخر على علي عليه السلام، فكانت تلك معجزة كبيرة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وآله ياذن الله في إقتلاع تلك الشجرة ووقوفها بين يديه صلى الله عليه وآله.

ولكن هل أدّت تلك المعجزة الباهرة إلى إيمان المشركين المتعصبيين؟ كلا! بل كعادة المتعصبيين المعاندين أخذوا يفتشون عن

الذرائع وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام

«فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا عَلُوًّا وَاسْتِكْبَارًا: فَمَرَّهَا فَلْيَأْتِكَ نَضِي مُهًا وَيَبْقَى نَضِي مُهًا، فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نَضِي مُهًا كَأَعَجَبِ إِقْبَالِ وَأَشَدِّهِ دَوِيًّا، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ».



والذى يستفاد من العبارة أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أراهم معجزتين أخريين؛ الأولى أنّه أمر الشجرة بالرجوع إلى مكانها، والثانية أنّه أمرها بأن يأتيه نصفها بإذن الله.

وهل اقتنع القوم المشركون المتعصبون بذلك؟ للأسف كلا! كما ورد في كلام الإمام عليه السلام:

«فَقَالُوا كُفْرًا وَعُتُوًّا: فَمُرْ هَذَا النَّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَيَّ نِصْفِهِ كَمَا كَانَ، فَأَمْرُهُ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٩١

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَزَجَّعَ؛ فَقُلْتُ أَنَا: لِمَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِسُكِّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوَّلُ مَنْ أَقْرَبَ بَأَنَّ الشَّجْرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَصْدِيقًا بِنُبُوتِكَ، وَإِجْلَالًا لِكَلِمَتِكَ».

وهل آمن أولئك بعد مشاهدتهم لهذه المعجزات الأربعة العجيبة والخارقة للعادة والتي حصلت جميعاً استجابةً لاقتراحهم وليس لاقتراح رسول الله صلى الله عليه وآله؟، كلا! وليتهم اقتصروا على عدم الإيمان بل رموه صلى الله عليه وآله بكلمات كافرة وطائشة وبعيدة عن المنطق كما أشار إلى ذلك الإمام:

«فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ، عَجِيبُ السَّحْرِ خَفِيفٌ [٧٩٧] فِيهِ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا! يَعْتُونَنِي».

إشارة إلى أننا شهدنا العديد من السحرة طيلة أعمارنا ونعلم أنّ فعلك كفعالهم، بل أمهر منهم ولا يصدقك في ذلك سوى أمثال هذا الصبي السريع التصديق!

والعجيب أنّ صدر كلامهم يناقض تماماً عجزه! فقد اقترحوا المعجزة وصرحوا باقتناعهم وإيمانهم بمجرد حصولها، ولكن حين تكررت المعجزة أربع مرات رموه بالسحر وهنا يرد هذا السؤال: إنَّ هؤلاء لولم يكونوا يعرفون السحر من المعجزة ويحتلمون السحر على النبي، فما بالهم اقترحوا عليه المعجزة منذ البداية؟ فقد كان لهم أن يرموه منذ البداية بالسحر. نعم، فالأفراد المتعصبون إنّما يفتقرون على الدوام إلى المنطق والوجدان والانصاف.

## تأملان:

### ١. معجزة الشجرة في الروايات الإسلامية

كان للنبي صلى الله عليه وآله عدة معجزات، والمعجزة المذكورة كانت أبرزها ولم تختصر الإشارة إليها في هذه الخطبة فحسب، بل وردت هذه المعجزة في أغلب التواريخ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٩٢

والروايات الإسلامية.

ويكفي هنا الإلتفات إلى ما ذكره ابن أبي الحديد في شرحه لهذه الخطبة فقد قال: وأما أمر الشجرة التي دعاها رسول الله صلى الله عليه وآله فالحديث الوارد فيها كثير مستفيض قد ذكره المحدثون في كتبهم والمتكلمون في معجزات النبي، وقد وردت في أغلب الروايات كما جاء في الخطبة القاصعة (التي نحن بصدددها) وإن اختصرها البعض وقال:

«إِنَّهُ دَعَا شَجْرَةً فَأَقْبَلَتْ تَخِدُّ إِلَيْهِ الْأَرْضَ خَدًّا».

ثم أضاف: وقد ذكر البيهقي في كتاب دلائل النبوة حديث الشجرة ورواه أيضاً محمد بن اسحاق بن يسار في كتاب السيرة والمغازي [٧٩٨].

وقال المرحوم العلامة التستري في شرح نهج البلاغة: رواها ابن أثير في كتاب الكامل وفي أسد الغابة والبلاذري في أنساب الأشراف والكرجكي في كنز الفوائد [٧٩٩].

طبعاً يعلم من له معرفة بمعجزات الأنبياء بصورة عامة ومعجزات رسول الله خاصة أن مثل هذه المعجزات ليست عجيبة في إثبات حقايق دعوة النبي، كما أن اصرار الأفراد الجهال والمتعصبين على إنكار الدعوة ليست بالشىء الجديد.

## ٢. الفارق بين السحر والمعجزة

كما ورد سابقاً فمما لا شك فيه فقد كانت لأنبياء الله والأئمة المعصومين عليهم السلام أفعال خارقة للعادة تتعذر على الإنسان العادى، أى الأمور التى تجرى خلافاً للقوانين الطبيعية السائدة ولا تتم إلا من خلال الاستمداد من قوة تفوق القوة الطبيعية من قبيل إحياء الموتى وشفاء المرضى الذى لا علاج لهم والإخبار عن الغيب الذى ورد فى القرآن الكريم بشأن المسيح عليه السلام ومعجزة العصا واليد البيضاء لموسى عليه السلام وناقته صالح عليه السلام واطفاء نار نمرود على إبراهيم لتصبح عليه برداً وسلاماً

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٩٣

ومعجزة شق القمر والأهم من كل ذلك معجزة القرآن الكريم التى خص بها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. ومن الواضح أن المعجزات لا تعنى تحقق معلول دون علمه لينكر ذلك بعض الأفراد، بل بمعنى الاستبداد من العلة غير الطبيعية المجهولة، والزعم بأننا عارفون بجميع العلة الطبيعية والنسب تفوق الطبيعة هو زعم لا يقره أحد.

ومن جانب آخر فإن السحر حقيقة وإن امتزجت بالعديد من الخرافات، والسحرة عادة ما يستفيدون من العلة الطبيعية، لكنها علة وأسباب لم يلم بها الناس العاديون فمثلاً قيل بشأن سحر السحرة على عهد موسى عليه السلام أنهم صنعوا شيئاً شبيه الحية وسكبوا داخله «الزئبق» الذى جعل ذلك الشىء الذى يشبه الحية يتحرك حين واجه أشعة الشمس بفعل «تطاييره»، وعليه ففعلهم لم يكن خارقاً للعادة؛ لكنهم استغلوا بعض الأسباب التى لم تكن معروفة لدى عوام الناس.

وهنا يرد هذا السؤال: كيف يتسنى للناس التمييز بين السحر والمعجزة ليتعرفوا على الأنبياء ويكتشفوا كذب السحرة؟ ويبدو الفرق بينهما واضح؛ ومن ذلك؛ أولاً: إن سحر السحرة محدود لأنه يستند العلوم البشرية المحدودة، ولذلك يقوم السحرة بما يريدون من خرق العادة لا تلك التى يقترحها عليهم الآخرون، ذلك لأن عملهم ينطلق من تجاربهم وتمريناتهم ورياضاتهم السابقة. أما بشأن الإعجاز فإن الأنبياء يتجهون صوب الأمور التى يقترحها عليهم الناس كالمعجزة آنفة الذكر ومعجزة شق القمر وسائر المعجزات التى طلبها قوم موسى من نبيهم عليه السلام رغم ما كان عليه الأنبياء من معجزات منذ انبثاقهم مثل معجزة القرآن والعصا واليد البيضاء.

ثانياً: تقتزن معجزات الأنبياء بادعاء النبوة والحال ليس للسحرة مثل هذا الادعاء فى خرقهم للعادة، فالحكمة الإلهية لم تسمح بحصول ما يخرق العادة بيد

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٩٤

الكذابين والمفترين ليدعى النبوة فيقود الناس إلى الضلال والغواية، بل تقتضى الحكمة الإلهية فضح هؤلاء السحرة، ومن هنا فقد افتضح كل ساحر هم بهذا الادعاء.

ثالثاً: لما كان السحر أمر منحرف، فلا يتجه إليه إلا الأفراد المنحرفون، أى الأفراد الذين تشهد أقوالهم وأولادهم على انحرافهم. وعلى هذا الأساس إن بدرت من شخص قضية خارقة للعادة فلا بد من تأمل سيرته، فإن كانت سيرته حسنة صالحة كان ذلك علامة على كون تلك القضية الخارقة للعادة معجزة، وإن كانت سيرته طالحة وأعماله مشينة كان ما بدر منه سحراً، ذلك لأن السحرة من المصاديق البارزة للكذابين من الأفراد والغشاشين.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٩٥

## القسم الثالث والعشرون

## إشارة

وَإِنِّي لَمِنَ قَوْمٍ لَاتَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، سَيِّمَاهُمْ سَيِّمَاتِ الصَّادِقِينَ، وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ الْأَبْرَارِ، عَمَّارُ اللَّيْلِ وَمَنَارُ النَّهَارِ. مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ، يُحْيُونَ سُنْنَ اللَّهِ وَسُنْنَ رَسُولِهِ؛ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَغْلُونَ، وَلَا يَغْلُونَ وَلَا يُفْسِدُونَ. قُلُوبُهُمْ فِي الْجَنَانِ، وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ.

## الشرح والتفسير: أولياء الله

خاص الإمام عليه السلام في ختام الخطبة في التعريف بنفسه ليكمل ما ذكره في السابق من التعريف بمنزلته وموقعه ليمنح ما ورد في هذه الخطبة قوة وعمقاً واتقاناً أكثر، من جهة، لأن الإيمان بالمتكلم والوقوف على مدى علمه وتقواه يدفع بالمخاطب لأن يحمل خطابه محمل الجد، ومن جهة أخرى ولتعريف عليه أولئك الشباب وسط أصحابه الذين لم يعلموا بمواقفه، إلى جانب ضرورة أن يعرف الجميع أن هذه الكلمات لم يكن هدفها الدنيا ولا ترسيخ دعائم الحكومة بل الهدف منها هداية الأمة إلى الصراط المستقيم، فقد أشار عليه السلام إلى تسع عشرة صفة من صفاته والتي تعد كل واحدة منها فضيلة ومنقبة عظيمة فقال:

«وَإِنِّي لَمِنَ قَوْمٍ لَاتَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ».

فالقيام بالوظيفة أحياناً يكون مخالفاً للأفكار ورغبات طوائف معينة في المجتمع وهنا يتخلى بعض الأفراد الانتهازيين وأصحاب الدعوة والراحة أو الجبناء عن أداء وظائفهم خشية التعرف لملامة الآخرين وتقريعهم، وولى الله من يواصل

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٩٦

طريقه إن رآه صحيحاً ولو انتهج عامة الناس طريق الخطأ دون أن يشعر بأدنى خشية أو خوف ويقدم رضا الله على رضا الخلق، وقد كان الإمام على عليه السلام رائد هذا الطريق بعد النبي صلى الله عليه وآله وهي الصفة التي امتاز بها جميع أئمة أهل البيت عليهم السلام وأبرز مصداق على ذلك الإمام الحسين عليه السلام وشهادته في كربلاء.

وقد أثنى الله في كتابه الكريم على المجاهدين الذين يتسمون بهذه الصفة فقال:

«يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ» [٨٠٠].

وقال في الصفة الثانية والثالثة: «سَيِّمَاهُمْ سَيِّمَاتِ الصَّادِقِينَ، وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ الْأَبْرَارِ».

و «الصادقين»:

هم الصادقون والمصدقون بأنبياء الله الذين كانوا يصدقونهم في أقوالهم وأفعالهم وقد جعلهم الله تعالى في الآية ٦٩ من سورة النساء في مصاف أنبيائه فقال: «فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ...».

و «الأبرار»:

من ذكر لهم القرآن ثمانى عشرة صفة في سورة الدهر، وهي الصفات التي ترفع صاحبها إلى أسمى مقام في القرب من الله، ونعلم أن هذه الصفات نعت بها (على وفاطمة الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام).

ثم قال في الصفتين الرابعة والخامسة:

«عَمَّارُ اللَّيْلِ وَمَنَارُ النَّهَارِ».

والعبارة:

«عُمَار»

جمع (عامر) إشارة إلى التهجد وإحياء الليل وعبادات اليوم والنهار التي تعمر روح الإنسان وقلبه وتضفي عليه معاني الصفاء والجمال وتحيي القلوب الميتة وتغسل الذنوب بماء حياة التوبة، والعبارة «منار» إشارة إلى الأبراج العالية التي كانت توضع سابقاً في مسير الطرق الصحراوية وتنصب عليها المصابيح حتى لا يضل المسافر الطريق (تشبه العلامات المرورية التي تنصب اليوم في الشوارع). فهؤلاء الأفراد كتلك المصابيح في هداية الناس إلى الله والسعادة والخير والنجاة من الضلال والغواية.

ثم قال في الصفتين السادسة والسابعة:

«مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ؛ يُحْيُونَ سُنْنَ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٩٧

اللَّهِ وَسُنْنَ رَسُولِهِ».

المراد من التمسك بحبل القرآن التوسل به ليخرج الإنسان من مستنقع الطبيعة وهوى النفس ويعرج إلى ساحة القرب الإلهي، أو خروج ماء الحياة من باطن أرض الوجود الإنساني بواسطته أو التمسك بحبل القرآن في المعابر الخطيرة بغية عدم السقوط في أودية الضلال.

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في أهمية القرآن الكريم الوارد في حديث الثقلين:

«كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ» [٨٠١].

وإحياء سنة الله وسنة النبي العمل بالفرائض الواردة في القرآن والواجبات التي فرضها النبي صلى الله عليه وآله، لا العمل لوحده فحسب بل لابد من دعوة الآخرين إلى ذلك.

ثم قال في الصفات الثامنة والتاسعة والعاشره والحادية عشرة:

«لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَغْلُونَ، وَلَا يَغْلُونَ [٨٠٢] وَلَا يُفْسِدُونَ».

وهذه الصفات في الواقع مرتبطة مع بعضها، فالتكبر والشعور بالعلو وحمل الغل والإفساد من صفات الطغاة المستكبرين بغية تحقيق أهدافهم اللامشروعة، قال القرآن الكريم: «إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا» [٨٠٣]، وقال أيضاً: «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا» [٨٠٤].

وبالنظر إلى أن كلمتي الفساد والخيانة وردت هنا بصورة مطلقة فإنهما تشملان في العقائد والأخلاق والأموال وجميع شؤون الحياة.

وأخيراً قال في الصفة الثانية عشرة التي تمتاز بشموليتها:

«قُلُوبُهُمْ فِي الْجَنَانِ، وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ».

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٩٨

إشارة إلى أن هدفهم نبيل للغاية فهم لا يفكرون سوى برضا الله وجنانه الخالدة، ومن هنا فأبدانهم تعيش على الدوام طاعة الحق والعمل بالواجبات الإلهية والواجبات الإنسانية، جدير بالذكر أن الخطبة ابتدأت بنفى الكبر والاستكبار واختتمت به وهذه إحدى شؤون الفصاحة والبلاغة في إرتباط النهاية بالبداية.

حقاً إن الذين يتصفون بهذه الصفات الإثنى عشرة هم المؤمنون المخلصون الذين ينتظرهم الجنة بشوق، وهم القدوة الحسنة لعباد الله في الحياة الدنيا.

\*\*\*

اللهم اجعلنا من السائرين على دربهم، ووفقنا لاتباع تعاليمهم ولا تفرق بيننا وبينهم في الدنيا والآخرة طرفه عين أبداً!

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٣٩٩

## الخطبة ١٩٣

### إشارة

يُصَفُّ فِيهَا الْمُتَّقِينَ [٨٠٥] رُوِيَ أَنَّ صَاحِبًا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُقَالُ لَهُ هَمَامٌ كَانَ رَجُلًا عَابِدًا، فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، صِفْ لِي الْمُتَّقِينَ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ. فَتَنَاقَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ جَوَابِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا هَمَامُ! اتَّقِ اللَّهَ وَأَحْسِنْ: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ». فَلَمْ يَقْنَعْ هَمَامٌ بِهَذَا الْقَوْلِ حَتَّى عَزَمَ عَلَيْهِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

### نظرة إلى الخطبة

تتابع الخطبة مطلباً معيناً وهو صفات المتقين حيث ذكر الإمام عليه السلام مائة وعشر

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٠٠

صفات للمتقين، لكننا إن تأملنا تفاصيل الخطبة لرأينا أن هذه الصفات تعالج أبعاداً مختلفة من حياة المتقين.

بعضها يتحدث عن سجايهم الأخلاقية الفردية، بينما يبحث البعض الآخر في أخلاقهم الاجتماعية.

ويكشف جانب آخر من الخطبة علو شأنهم في القضايا العقائدية والمعارف الدينية بينما يشير جانب آخر منها إلى منزلته تقواهم وورعهم من حيث الأقوال والأفعال.

كما تطرق جانب آخر من الخطبة إلى سيماهم وعلاماتهم التي ترشدنا إلى التعرف على المتقين الورعين في جماعة معينة من خلال هذه الصفات.

واختتمت الخطبة بحادثه عجيبة لهمام - السائل الذي أصر على بيان صفات المتقين - حيث صعق صعقة فارق على أثرها الحياة الدنيا؛ فقال الإمام عليه السلام: هكذا تفعل المواعظ البالغة بأهلها، فقام إليه رجل فقال: فما بالك يا أمير المؤمنين؟ فأجابه الإمام بجواب مقنع.

ويستفاد من بعض الطرق الروائية أن الإمام خطب بهذه الخطبة بعنوان صفات الشيعة [٨٠٦].

### إجابة عن سؤال

طبق لما ورد في صدر الخطبة فإنه يرد هذا السؤال: لم تحفظ الإمام عليه السلام عن بيان صفات المتقين بادئ الأمر ثم شرحها أثر إصرار السائل؟

وردت عدة وجوه في سبب تأمل الإمام عليه السلام بشأن الجواب منها:

١. إن الإمام عليه السلام كان يعلم بأن ذلك الرجل من أهل المواعظ والنصح ويخشى عليه من شعوره المرهف وحساسيته المتزايدة،

ومن هنا اكتفى الإمام عليه السلام بجواب

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٠١

إجمالي يدل عليه ذيل الخطبة.

٢. شهد المجلس آنذاك بعض الأفراد الغرباء الذين لم ير الإمام عليه السلام من مصلحة في سماعهم لتلك الكنوز والجواهر الثمينه، ولعل ذيل الخطبة شاهد على ذلك، فسؤال السائل وجواب الإمام عليه السلام يدل على وجود غير المؤهلين في ذلك الوسط.

٣. أثار الإمام عليه السلام اهتمام همام بصورة أعمق لسماع الجواب بذلك التأمل والسكوت لتأخذ تلك الموعظة مأخذها المطلوب منه.

٤. إن أدب السؤال والجواب يقتضى ألا يتعجل المجيب بجوابه، بل يتأمل في بداية الحديث ليعرف السائل بأهميَّة المطلب، الأمر هل الذى ذكر بشأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يترث في الجواب حتى يسئل عن ذلك التريث هو تفكير في الجواب؟ فيرد صلى الله عليه وآله: لا، بل إكرام للعلم والعمل [٨٠٧].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٠٣

## القسم الأول

### إشارة

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَيِّبًا عَنْ طَاعَتِهِمْ، آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ، لِأَنَّهُ لَاتَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مِنْ عَصَاهُ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مِنْ أَطَاعِهِ. فَكَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ.

فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ: مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الْاِقْتِصَادُ، وَمَشِيئُهُمُ التَّوَاضُعُ. غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ. نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي نَزَلَتْ فِي الرَّخَاءِ. وَلَوْلَا الْأَجْرُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ. عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَادُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهَمُّ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدِ رَأَاهَا، فَهَمُّ فِيهَا مُنْعَمُونَ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدِ رَأَاهَا، فَهَمُّ فِيهَا مُعَذَّبُونَ. قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ. صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً. تِجَارَةٌ مَرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ. أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا، وَأَسْرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا.

## الشرح والتفسير: صفات المتقين

قبل أن نخوض في شرح هذا القسم من الخطبة علينا أن نبين هذه النقطة وهي ما كيفية العلاقة بين جواب الإمام عليه السلام المقتضب بداية الأمر وسؤال همام؟ فقد طلب السائل بيان صفات المتقين، فأمر الإمام عليه السلام بالتقوى والإحسان بدلاً من بيان نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٠٤

الصفات، ثم تطرق إلى فوائد التقوى ويبدو للوهلة الأولى أن الأمر بالتقوى ليس جواباً عن سؤال همام ولا ذكر الفوائد. الظاهر أن الإمام عليه السلام أراد بهذا الكلام أن يفهمه بأن التقوى مفهوم واضح بالإجمال وعليك بالعمل، ثم تطرق عليه السلام لنتائج التقوى لحثه عليها، على كل حال فقد خاض الإمام عليه السلام في بداية الخطبة في بيان هذه النقطة المهمة حيث بين أن الله تعالى غنى عن الجميع فإن وردت بعض الوصايا الثقيلة والعديدة بشأن التقوى في هذه الخطبة فهي لا تضيف لله شيئاً من الجلال والجاه، بل ليطوى الإنسان مسيرة التكامل فقال عليه السلام:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَيِّبًا عَنْ طَاعَتِهِمْ، آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ، لِأَنَّهُ لَاتَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مِنْ عَصَاهُ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مِنْ أَطَاعِهِ».

ودليل ذلك واضح، فأولاً: الله تعالى وجود لامتناه من جميع الجهات وكمال مطلق وليس للنقص من سبيل إلى هذا الوجود ليرقى به

إلى كمال عن طريق الطاعة والعبودية ولو كفر من في الأرض كلهم جميعاً لما نال ذلك من كبرياء الله شيئاً، إذ إنّ المخلوقات أعجز من أن يلحقوا ضرراً بذاته القدسيّة.

وثانياً: كلّ ما لدى المخلوقات من الله وفيوضاته ولا معنى لإعادة الفيض عليه، كلّ خلق يتغذى على مائدته، بل حياتهم بلطفه ورحمته ولو أوكلهم الله إلى أنفسهم طرفه عين لهلكوا.

ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى أوضاع الناس الدنيوية كمقدمة في الواقع لبيان الجوانب المعنويّة التي ذكرت لاحقاً، فبين بعبارتين الأمور كافّة في جوانب حياتهم الماديّة وقال:

«فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ».

إشارة إلى أنّ الله بيده جميع حوائج الخلق الماديّة وهو يُفيض عليهم من لطفه بقدر كلّ حسب موقعه. وهذا ما ورد في القرآن الكريم في الآية ٣٢ من سورة الزخرف:

«نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ».

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٠٥

طبعاً تقسيم المعيشة لا يعنى وصول كلّ شيء للإنسان في داره دون سعي ومثابرة، ولكن الرزق يأتي بالسعي والجهد فقد خلق الله جميع الموارد ودعى الجميع للسعي والعمل، وهكذا المقامات الظاهريّة التي افاضها الله على العباد لا تتحصل هي الأخرى دون السعي والجد والاجتهاد.

جدير ذكره أننا أن شاهدنا موت البعض في العصر الراهن بسبب الجوع، فذلك ليس معلولاً لشحّة المواد وقتها، بل يعزى ذلك إلى ظلم وجور الطبقة الأناثيّة النفعيّة المستغلّة، فلو كان هنالك تقسيم عادل في الأرزاق لما جاع أحد حتى في ظلّ أصعب السنين قحطاً. ولم يوفر الله تعالى الرزق للإنسان فحسب دون الكائنات، بل وفر ذلك بصورة مذهلة لجميع الأحياء والحيوانات، فلم يغفل عن نطفة في جنين ولا يرقه في بيضة طائر أو بذرة نبات ووفر للجميع ما يحتاجون إليه، وتبدو قصّة تقسيم الأرزاق في مختلف أساليبها وطرقها لمن القصص العجيبة التي ينبغي أن تؤلف فيها الكتب.

ثم خاض عليه السلام في بيان السجيا البارزة للمتقين فاستهلها بثلاث صفات بارزة وقال:

«فَالْمَتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ، مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الْاِقْتِصَادُ، وَمَشِيَّتُهُمُ التَّوَّاضُعُ».

العبارة:

«مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ»

إشارة إلى الخطوة الأولى في تهذيب الإنسان وتربيته والتي تتمثل في صون لسانه ومنطقه؛ اللسان الذي تصدر بواسطته الكبائر، كما تحقق بواسطته أفضل العبادات، فإنّ صلح صلح كلّ ما في الإنسان وإن فسد فسد كلّ شيء فيه.

ولمفردة

«صواب»

، هنا مفهوم غاية في السعة يشمل كلّ كلمة حقّ وحكمه، نعم فالمتقون ينبرون قبل كلّ شيء لصون ألسنتهم ومنطقهم، ومن هنا يعتقد أصحاب السير والسلوك أنّ صون اللسان يعد الخطوة الأولى في إصلاح الذات، ذلك لأنّ صلاحه يعنى صلاح سائر الأعضاء، قال تعالى في كتابه العزيز: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٠٦

اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» [٨٠٨].

وإصلاح الأعمال وغفران الذنوب أثر التقوى والقول السديد، قرينه حسنة على إرتباطهما ببعضهما.

والتعبير بالملبس فى العبارة

«وَمَلَّبَسُهُمُ الْاِفْتِصَادُ» [٨٠٩]

والتي ذكرت ثانى صفه وفضيلة للمتقين إن وردت بمعناها الحقيقى فهى إشارة إلى اللباس الظاهرى الذى ينبغى أن يكون بعيداً عن الاسراف والتبذير وكذلك التقير والبخل كما روى ذلك بعض الشراح.

أما إن كان اللباس بالمعنى الكنائى الواسع بقرينه بعض الآيات مثل

«وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكُمْ خَيْرٌ» [٨١٠]

و «وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لِبَاسًا» [٨١١] و «هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ» [٨١٢] فلا ينبغى الاقتصار به على معنى الارتداء الظاهرى بل يكون معناه واسع يشمل جميع حياة الإنسان، أى إعتدال الحياة برمتها فىكون بمثابة اللباس على أجسادهم، كما عتبر فى الجملة الثالثة:

«مَسْبِيهِمُ التَّوَّاضُعُ»

فهى لا- تقتصر على المشى الظاهرى، ذلك لأن المشى المتواضع وإن كان حسناً لكنه لا يصلح فى مصاف أولى الصفات البارزة للمتقين، ولكن إن كان إشارة لمعنى المشى الواسع فمعناه أن سلوكياتهم كافة مقرونة بالتواضع. فقد أشار الإمام عليه السلام فى الواقع بداية الخطبة إلى ثلاثة مبادئ أساسية: الصواب والاعتدال والتواضع التى تسود حياة المتقين فى جميع جوانبها.

وقد وردت عدة تأكيدات على هذه المبادئ الثلاث فى الأخبار والروايات، فقد ورد فى الخبر عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«إِنَّ هَذَا اللِّسَانَ مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ وَشَرٍّ»

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٠٧

فَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَخْتِمَ عَلَى لِسَانِهِ كَمَا يَخْتِمُ عَلَى ذَهَبِهِ وَفِضَّتِهِ» [٨١٣].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَا عَالَ مَنِ افْتَصَدَ» [٨١٤].

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«فِيمَا أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا دَاوُدُ كَمَا أَنَّ أَقْرَبَ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ الْمُتَوَاضِعُ - مَعُونَ كَذَلِكَ أَبْعَدُ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ الْمُتَكَبِّرُونَ» [٨١٥].

ثم بين عليه السلام هاتين الصفتين فقال:

«عَضُّوا» [٨١٦] أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا

أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ».

«عَضُّوا»:

من مادة

«عَضَّ»

تعنى فى الأصل (التقليل) وحين تستعمل فى العين تعنى الخفض أى خفض الرأس إلى الأسفل أو إسدال الجفنين على العينين.

«وَقَفُوا»:

من مادة

«وَقَفَّ»



تعني لغوياً التوقف بينما تعني في الاصطلاح الفقهي وقف شيء لآخر أو تستعمل بمعنى أوسع بمعنى خص الشيء بآخر. وعليه فإن أخذنا المعنى الحقيقي للكلمة في العبارتين المذكورتين كان المفهوم أنهم لا ينظرون إلى الحرام ولا يسمعون سوى العلم النافع، وإن أخذنا بنظر الاعتبار المعنى الكنائى الواسع فمفهوم العبارة الأولى أنهم يخفضون بصرهم عن جميع المحرمات ويوقفون سمعهم على العلم النافع فقط.

والمراد من

«العلم النافع»

في الدرجة الأولى العلوم الدينيّة المفيدة والقيم المعنويّة والحياة السعيدة في العالم الآخر، وبالدرجة الثانية كلّ العلوم الضرورية للعزّة والمجد والاستقرار والرفعة للبشريّة في هذه الدنيا، بما فيها العلوم المرتبطة بصحة الإنسان وسلامته أو الصناعة والزراعة أو العلوم السياسيّة وما شابه ذلك.

لا شك في أنّ علاقة الإنسان بالعالم الخارجى والعالم المعاصر والسابق بصورة

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٠٨

رئيسيّة عن طريق هاتين النعمتين أى العين والأذن، فالإنسان يرى الحقائق بعينه وبها يقرأ التاريخ، ويسمع بأذنه رسالته السماء وأئمة الدين وتفصيل تجارب العظماء السابقين. فهو يرتبط بجميع الأشياء من حوله بهاتين الوسيطتين بحيث لو سلبتا منه لما بقى لديه شيء ولكن عقله وشعوره كعقل وشعور الصبي غير المميز، بل حتى لسانه وسائر حواسه إنّما تنشط في ظلّ سلامة هذين العضوين ومن هنا فإنّ الفرد الأصم والأعمى أخرس على الدوام وإن كان لسانه سالماً.

ورد في حديث عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«كُلُّ عَيْنٍ بَاكِئَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غَيْرُ ثَلَاثٍ؛ عَيْنٌ سَهَرَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ فَاضَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ» [٨١٧].

وفي حديث آخر عن الإمام الحسن عليه السلام قال:

«إِنَّ أَبْصَرَ الْأَبْصَارِ مَا نَفَدَ فِي الْخَيْرِ مَذْهَبَهُ وَأَسْمَعُ الْأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّذْكَيرَ وَانْتَفَعَ بِهِ» [٨١٨].

ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى صفة أخرى من صفات المتقين والتي تتمثل بالرضا والتسليم فقال:

«نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي نَزَلَتْ فِي الرَّخَاءِ» [٨١٩].

فالنعمة لا تسكرهم ولا تبطّرهم، والمصائب والخطوب لا تحزنهم ولا تجزعهم؛ فهم راضون برضا الله مسلمون لإرادته في جميع الأحوال. طبعاً أنهم لا يتوانون في السعى لمواجهة المحن والخطوب وتوفير أسباب النعم والعيش الكريم لكنهم لا يعيشون سوى الرضا والتسليم بالنسبة لما كان خارجاً عن إرادتهم؛ ذلك لأنهم يعلمون من جانب أنّ الله حكيم ورحيم وأرحم من الأم بولدها ولا يقدر سوى ما فيه مصلحة عبده المؤمن.

ويعلمون من جانب آخر أنّ الجزع إزاء الحوادث الأليمة ليس فقط لا يحلّ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٠٩

الأزمة بل يحبط الأجر والثواب وأحياناً يضاعف من شدة الخطب ويوجب بالتالى اليأس والقنوط إزاء كلّ حادثه.

وقد وردت عدّة روايات عن المعصومين عليهم السلام بشأن مقام الرضا والتسليم ومنها ما روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «رَأْسُ طَاعِيَةِ اللَّهِ الصَّبْرُ وَالرِّضَا عَنِ اللَّهِ فِيمَا أَحَبَّ الْعَبْدُ أَوْ كَرِهَ، وَلَا يَرْضَى عَبْدٌ عَنِ اللَّهِ فِيمَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ فِيمَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ» [٨٢٠].

وقد روى المرحوم الكليني بعد نقله لهذه الرواية اثنتى عشرة رواية في الرضا والتسليم ومقامات المؤمن الراضى والمسلم لإرادة الله تبارك وتعالى.

ثم تطرق عليه السلام إلى صفه بارزة أخرى للمتقين والتي تدل على الإيمان القوى والثقة بوعده الله فقال:

«وَلَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ».

فأرواحهم أشبه بالطير المسجون في القفص فهو يرى نفسه من جهة إزاء الحداثق النضرة المفعمة بأنواع الزهور والنباتات والفواكه والثمار، ومن جانب آخر يرفرف بأجنحته إزاء النار المحرقة داخل القفص فيحنو إلى الحرية ليحلق إلى تلك الحداثق ويتخلص من تلك النار المحرقة.

والمتقون على هذه الشاكلة، فعشقم للثواب من جانب وخوفهم من العقاب (أثر سوء العاقبة) من جانب آخر يشد أرواحهم المرهفة إلى العالم الآخر، بينما يحول عنهم دون ذلك الأجل الذي ضربه الله لهم.

ويكشف هذا التعبير ضمناً سيادة الخوف والرجاء في وجودهم، فهم راجون من جانب لثواب الله ولطفه، ويخشون من جانب آخر أن تزل أقدامهم في هذه الدنيا فيقعون في فخ الشيطان وهوى النفس فيغادرون الدنيا وقد ساءت عاقبتهم.

جاء في الحديث أن لقمان الحكيم خاطب ولده فقال له:

«يَا بُنَيَّ خَفِ اللَّهَ خَوْفًا

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤١٠

لَوَأْتَيْتَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِيَرِّ الثَّقَلَيْنِ خِيفَتَ أَنْ يُعَذَّبَكَ وَارْجُ اللَّهَ رَجَاءً لَوْ وَايْتِ الْقِيَامَةَ يَأْتُمُ الثَّقَلَيْنِ رَجُوتَ أَنْ يُغْفَرَ اللَّهُ لَكَ» [٨٢١].

وذكر الإمام عليه السلام صفة بارزة جداً في المتقين فقال:

«عَظَمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ».

فكل شخص يبدو له النهر الكبير ضئيلاً حين يكون إلى جانب المحيط المتلاطم الأمواج، وحين ينظر الإنسان إلى الشمس التي تضيئ العالم لا يرى من وجود لضوء أكبر وأكبر مصابيح العالم ضياءً، نعم، فقد تعرّف المتقون على القدرة المطلقة والعلم اللامتناهي لخالق عالم الوجود فأدركوا بقدر استعدادهم عظمة ذاته المقدسة، فكان من الطبيعي أن يصغر كل ما سواها في أعينهم، وهذه هي إحدى العوامل التي تقف وراء تقوى المتقين وورعهم وأعظم من ذلك عصمتهم من الذنب والمعصية، فكلما عظمت معرفة الإنسان بالله صغر ما سواه في نظره فلم يعد يتعلق بهذه الأشياء الحقيرة والتافهة ولذلك لا يقارف الذنب.

ومن هنا نفهم ما قاله الإمام عليه السلام:

«وَاللَّهُ لَوْ أُعْطِيَ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتُ أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ أُعْصِيَ اللَّهُ فِي نَمَلَةٍ أَسْلُبَهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتَهُ» [٨٢٢].

وقال في مواصلته لكلامه:

«وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضُمُهَا».

فإن ذلك يُعزى ذلك إلى عرفانه عليه السلام بالله تبارك وتعالى. نعم، كلما ازدادت معرفة الله لدى الإنسان صغرت الدنيا في عينيه وضعفت لديه أسباب الذنب واستشعر المزيد من الطمأنينة والسكينة، وبالطبع فإن أحد آثارها حضور القلب في العبادة والصلاة، بحيث لا يلتفت إلى الألم حين تُسَل السهام من جسده.

ثم أتجه عليه السلام إلى صفة بارزة أخرى تتمثل في مقام المتقين الشهودي فقال:

«فَهُمْ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤١١

وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنْعَمُونَ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ».

للإيمان واليقين مراحل، فإيمان البعض تفرزه الأدلة العقلية وسائر الأدلة الكافية والشافية عليه، وقد عبر العرفاء وأساتذة الأخلاق وبالاستناد إلى الآيات القرآنية عن هذه المرحلة بمرحلة (العلم اليقيني)، والمرحلة الأسمى هي (مرحلة الشهود) حيث يتجاوز الإنسان

في هذه المرحلة الأدلة العقلية ليلغ مقام الشهود فيرى الله ويشاهد عظمته ببصيرته وتزول عنه جميع الشكوك والوسوس التي تترتب أحياناً على الأدلة العقلية وهذا ما يصطلح عليه بمقام (عين اليقين).

والمرحلة الثالثة وهي مرحلة (حق اليقين) المختصة بخواص الله ومقرّبيه حيث يصل الإنسان في ظلها إلى مرتبة تذوب فيها ذاته فلا يرى سوى الله ويغيب عن ناظره كل ما سواه.

فالواقع أن المرحلة الأولى عامة وتشمل جميع المؤمنين الصادقين، بينما تختص المرحلة الثانية بالمتقين المخلصين والمجاهدين، وتختصر المرحلة الثالثة على صفة معينة من أولياء الله كالمعصومين عليهم السلام، ولكل مرحلة آثارها ومعطياتها وأحد آثار مرحلة الشهود التي أشير إليها في هذه الخطبة بشأن المتقين أنهم يرون أنفسهم حاضرين على الدوام أمام الحق ولا ينفكون عن طاعته وإمثال أوامره، وبالطبع فإن قدسية حياتهم خير شاهد على إيمانهم الشهودي فقد جاء في الحديث المروي عن الإمام الصادق عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله صلي بالناس الصبح، فنظر إلى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوى [٨٢٣] برأسه، مصفراً لونه، قد نحف جسمه وغارت عيناه في رأسه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله:

«كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا فُلَانٌ؟»

قال:

«أَصْبَحْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مُوقِنًا»

. فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله، وقال صلى الله عليه وآله:

«إِنَّ لِكُلِّ يَقِينٍ حَقِيقَةً فَمَا حَقِيقَةُ يَقِينِكَ؟».

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤١٢

فقال:

«إِنَّ يَقِينِي يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ الَّذِي أَحْزَنَنِي وَأَسْهَرَ لَيْلِي وَأَظْمَأَ هَوَاجِرِي فَعَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا حَتَّى كَأَنِّي إِلَى أَنْظُرَ عَرْشَ رَبِّي وَقَدْ نُسِبَ لِلْحِسَابِ وَحُشِرَ الْخَلَاتِقُ لِذَلِكَ وَأَنَا فِيهِمْ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَنَعَّمُونَ فِي الْجَنَّةِ وَيَتَعَارَفُونَ، عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِنُونَ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ وَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ مُصْطَرِحُونَ وَكَأَنِّي الْآنَ أَسْمَعُ زَفِيرَ النَّارِ يَدُورُ فِي مَسَامِعِي».

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه:

«هَذَا عَبْدٌ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ بِالْإِيمَانِ»

. ثم قال صلى الله عليه وآله له:

«إِلْزَمِ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ».

فقال: يا رسول الله ادع لي أن أرزق الشهادة معك. فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي صلى الله عليه وآله فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر [٨٢٤].

وقد وردت العديد من الأخبار التي تشبه ما ورد سابقاً بشأن المتقين طيلة التاريخ والذين بلغوا مقام الشهود والتي تؤكد كلام الإمام عليه السلام.

ثم واصل كلامه عليه السلام فذكر خمس صفات أخرى من صفات المتقين فقال:

«قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَأَجْسَادُهُمْ نَجِيفَةٌ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ».

فهذه الصفات سلسلة من صفات المتقين، ذلك لأنّ حزنهم الذي ورد في صفتهم الأولى يشير إلى خوفهم من الله والتقصير في الإتيان بالوظائف، قال الإمام الصادق عليه السلام:

«الْحُزْنُ مِنْ شِعَارِ الْعَارِفِينَ»

. وواصل كلامه قائلاً:

«وَلَوْ حَجَبَ الْحُزْنَ عَنْ قُلُوبِ الْعَارِفِينَ سَاعَةً لَاسْتَعَاثُوا» [٨٢٥].

نعم، فهم وجلون دائماً إزاء وظائفهم، ومن هنا خيم الحزن على قلوبهم خشية

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤١٣

التقصير في حقّ مظلوم أو صدور ظلم منهم أو أنّهم فكروا في ما سوى الله، أضف إلى ذلك لا يفارقهم غم العشق وحزن الإبتعاد عمّا يرجونه من قرب الله، على كلّ حال فهم لا يعيشون هم الدنيا أبداً، لأنهم لا يعيشون الدنيا.

وعليه فإن قال القرآن: «أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَأَخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» [٨٢٦]. فهذا لا ينافي ما ورد في هذه الخطبة، لأنّ الخطبة متعلقة بالخوف عمّا سوى الله والحزن على الدنيا الماديّة وقوله في الصفة الثانية أنّ الناس منهم في أمان إشارة إلى أنّ وجودهم لا يختزن سوى الخير والبركة للجميع ولا يفرز أيّ عناء وعذاب. قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنَزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَخَافُ النَّاسَ شَرَّهُ» [٨٢٧].

وقال عليه السلام في الصفة الثالثة إنّ أجسامهم نحيفة ولا يراد به النحافة المتعارفة اليوم في المجتمع، بل تعنى الضعف الذي يفيد الزهد من جانب والتقوى والصوم ويدل من جانب آخر على الخفة والاستعداد في إتيان الوظائف الشرعيّة، على كلّ حال فإنّ هذه الصفة ك بعض الصفات الأخرى لها استثناءات حيث إنّ البعض من الأفراد ليس بنحيف بحسب بنيتهم الجسميّة لكنه في صف المتّقين.

وأشير في الصفة الرابعة إلى حاجاتهم المحدودة لا على غرار أصحاب الدنيا كانزى الذهب والفضة الذين يشبهون جهنم كلّما أعطوا شيئاً نادوا «هل من مزيد»، والحق أنّ القناعة والحاجات الخفيفة لتصون الإنسان من العديد من الذنوب وتريح فكره لسلوك سبيل الحقّ، كما ذكر الإمام عليه السلام في إحدى كلماته القصار حيث قال:

«تَخَفُّفُوا تَلَحُّقُوا» [٨٢٨].

وجاء في الخبر أنّ الإمام الصادق عليه السلام دخل حماماً فقال له صاحب الحمام:

نخّيه لك؟ فقال عليه السلام:

«لا، إنّ المؤمنَ خفيفُ المؤمنة» [٨٢٩].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤١٤

وأشار في الصفة الخامسة إلى مقام العفة في أنّ أرواحهم عفيفة، تلك العفة التي تسوق الإنسان إلى غض الطرف عن الهوى والمعصية، وبعبارة أخرى لم يعد للأهواء والمعاصي من سبيل إليهم بحيث ينفرون من رؤية المناظر القبيحة والفاحشة.

قال عليه السلام في إحدى كلماته القصار:

«مَا الْمُجَاهِدُ الشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَعْظَمِ اجْرَاءٍ مِمَّنْ قَدَرَ فَعَفَّ؛ لَكَادُ الْعَفِيفُ أَنْ يَكُونَ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ» [٨٣٠].

وكيف لا يكونون كذلك وقد انتصروا في ميدان الجهاد الأكبر على عدوٍ خطر هو هوى النفس والشيطان.

ثم قال في ذكر صفة أخرى من صفاتهم:

«صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةٌ طَوِيلَةٌ. تِجَارَةٌ مُرَبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ»

. فالصبر سواء على الطاعة أو إزاء وساوس المعصية أو على المصيبة لمن الصفات البارزة للمتّقين.

ولا يسع أحد الظفر بأي هدف معنوياً كان أم مادياً ما لم يتحل بالصبر والاستقامة ولو فقد الإنسان هذه الصفة فإنّه يخاطر بدينه وإيمانه وعزته وشرفه ومن هنا جاء في حديث عن الإمام عليه السلام أنّه قال:

«وَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ» [٨٣١].

ونقل المرحوم الكليني في الكافي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

«الْجَنَّةُ مَحْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ وَالصَّبْرُ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى الْمَكَارِهِ فِي الدُّنْيَا دَخَلَ الْجَنَّةَ؛ وَجَهَنَّمَ مَحْفُوفَةٌ بِاللَّذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ فَمَنْ أَعْطَى نَفْسَهُ لَذَّتْهَا وَشَهَوَاتَهَا دَخَلَ النَّارَ» [٨٣٢].

واعتبر الإمام عليه السلام كما ورد في العبارة أنّ هذا العمل؛ أى الصبر مدّة قليلة إزاء نيل تلك السعادة الخالدة تجارة مربحة يسرها الله لهم.

قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤١٥

وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ» [٨٣٣].

وقال فى موضع آخر إنّ الملائكة تتلقى الصالحين من المؤمنين حين يرومون دخول الجنة بالسلام: «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ» [٨٣٤]. ثم تطرق عليه السلام إلى صفتين من صفات المتقين فقال:

نفحات الولاية؛ ج ٧؛ ص ٤١٥

«أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُواهَا، وَأَسْرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا».

إشارة إلى اقبال الدنيا بجميع متعها ولذائذها إلى الجميع لتستقطب إليها النفوس البشرية، ولكن لا يقع فى شباكها سوى أولئك الجهال أو أصحاب الأهواء، بينما لا- يغتر بها المتقون الذين يعلمون أنّ حقيقتها سراب، وهنالكَ البعض الذى يغتر بالدنيا عن طريق المال والثروة والجاه والمقام والشهرة، بينما لا يخفى هذا المعنى على المتقين.

والحقّ أننا لنرى الكثير من الناس الذين يصبحون اسارى المقام بحيث يدفعهم الحفاظ عليها إلى عدم التورع عن ارتكاب كلّ موبقة وجناية، وهنالكَ البعض الذى يأسره المال والشهوات بحيث يضحي من أجل ذلك بكرامته الإنسانيّة، أمّا المتقون السائرون على خطى المعصومين يتجاوزون ذواتهم وشعارهم فى ذلك «هَيْهَاتَ مِنَّا الدَّلَّةُ».

## تأمل

### محاور هذا الجانب من الخطبة

تدور محاور هذا الجانب من الخطبة الذى تضمن عشرين صفة من صفات المتقين حول عدّة أمور، إيمان المتقين الراسخ وهو الإيمان الذى بلغ حد الشهود ومشاهدة عالم ما وراء الطبيعة، مسألة التولى عن متع الدنيا ولذاتها وعدم الانخداع

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤١٦

بالأهواء والشهوات وتحرى العلم والمعرفة واجتناب الذنوب والمعاصى سيما معاصى اللسان والتواضع وكفّ الشر عن الخلق تمثّل معظم تلك الأمور.

وإن لم يكن للمتقين سوى هذا الجانب المذكور فى الخطبة لكفاه أن يصنع منهم أناساً كمل فضلاً عن الجوانب القادمة من الخطبة التى تشير إلى هذه الصفات.

والصفات السابقة ليست منفصلة عن بعضها البعض الآخر، بل هى سلسلة متصلة ومشروع جامع للسالكين إلى الله والذين ينشدون القرب منه تعالى.

فذلك الشخص الذى بلغ به الإيمان درجة كأنه يرى حجب النور وينظر من خلف حجب الطبيعة الضخمة إلى الجنة والنار من الطبيعى

أن يصغر في عينه كل ما سوى الله ولا تخدعه مفاتن الدنيا وزخارفها ويعيش الواقع إزاء خلق الله وكيف عنهم أذاه.

وهنا يطرح هذا السؤال: كيف يتحصل هذا الإيمان الشهودي ولمن سيكون نصيب هذه السعادة؟

وتتضح الاجابة عن هذا السؤال من خلال بعض التشبيهات، فالصورة الحقيقية لا تنعكس في مرآة القلب مادام ملطخاً بقذارة الأهواء، ولا يسع الإنسان التحليق إلى سماء الحقيقة مادام مسجوناً في زنانه الطبيعية.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤١٧

## القسم الثاني

### إشارة

أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ، تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يَرْتَلُونَهَا تَرْتِيلاً، يُحْزِنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَشِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ. فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا، وَتَطَلَّعَتْ نَفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصِبَ أَعْيُنِهِمْ. وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْعَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهيقَهَا فِي أَصُولِ آذَانِهِمْ، فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، مُفْتَرِّشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكْفُهُمْ وَرُكْبِهِمْ، وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ.

### الشرح والتفسير: ليل المتقين

خاض الإمام عليه السلام في هذا الجانب من الخطبة في حال المتقين في الليل ليركز على التفاصيل ويمهد السبيل أمام الجميع فقال: «أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ، تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يَرْتَلُونَهَا تَرْتِيلاً، يُحْزِنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَشِيرُونَ ٨٣٥] بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ». ويمكن أن تكون هذه العبارة إشارة إلى تلاوة القرآن في صلاة الليل، ذلك لأنهم يرتلون القرآن حين القيام بعد سورة الحمد في الصلاة؛ كما يمكن أن يكون الأمران منفصلين، أي أنهم ينهضون في الليل للصلاة وتلاوة القرآن أيضاً.

جدير ذكره أن الإمام عليه السلام بين أسلوب قراءة المتقين للقرآن بعبارة قصيرة عميقة

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤١٨

المعنى فهم يقرأون القرآن بصيغته الترتيل الذي يعنى التأمل والتدبر في مفاهيم القرآن أضف إلى ذلك قال: إنهم يرون أنفسهم مخاطبين بالقرآن فإن مرّوا بآية فيها تشويق تطلّعوا إليها طمعاً وإن مرّوا بآية فيها تخويف، استشعروا منها الحزن، كما أنهم يبحثون عن دواء دائهم الأخلاقي والمعنوي في زوايا الآيات القرآنية فهو الطبيب وهو الدواء.

ثم قال في شرحه لهذا المعنى:

«فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا، وَتَطَلَّعَتْ ٨٣٦] نَفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصِبَ أَعْيُنِهِمْ».

نعم! فهؤلاء لا- يطالعون القرآن بصورة سطحية بل يرون أنفسهم مخاطبين به فتأجج في قلوبهم نيران الشوق حيث البشارة الإلهية ويرون ببصائرهم ما وهم فيه في هذه الحياة الدنيا، وهذا ما يدفعهم إلى السير والسلوك إلى الله تعالى.

«وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْعَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ ٨٣٧] جَهَنَّمَ

وَشَهيقَهَا فِي أَصُولِ آذَانِهِمْ».

فقد بلغ إيمانهم مرحلة الشهود فأخذوا يرون حقائق عالم الغيب وكأنها تعيش معهم، وبالطبع إن كانت قراءة القرآن بهذه الصيغة كانت

أفضل وسيلة في التهذيب والتربية.

ورد في إحدى كلمات الإمام عليه السلام أنه قال:

«ألا لا خَيْرَ فِي قِرَاءَةِ لَيْسَ فِيهَا تَدْبِيرٌ أَلَا لَا خَيْرَ فِي عِبَادَةِ لَيْسَ فِيهَا تَفَقُّهُ» [٨٣٨].

وروى عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال:

«آيَاتُ الْقُرْآنِ خَزَائِنٌ فَكُلَّمَا فُتِحَتْ خَزِينَةٌ يَتَّبِعِي لَكَ أَنْ تَنْظُرَ مَا فِيهَا» [٨٣٩].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤١٩

ولما فرغ الإمام عليه السلام في العبارات السابقة من بيان كيفية صلاة المتقين المقرونة بتلاوة الآيات القرآنية والمتزامنة مع الخضوع والخشوع والتدبر وحضور القلب أردفها في العبارة التالية بيان ركنين آخرين هما الركوع والسجود فقال:

«فَهُمْ حَائِنُونَ [٨٤٠] عَلَى أَوْسَاطِهِمْ [٨٤١]، مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ [٨٤٢] وَأَكْفُهُمْ وَرُكْبِهِمْ، وَأَطْرَافِ [٨٤٣] أَقْدَامِهِمْ، يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ [٨٤٤] رِقَابِهِمْ».

فالعبارات التي ذكرها الإمام عليه السلام بشأن الركوع والسجود تعبيرات بمتهى الروعة والجمال والتي تطلع الإنسان على عمق هذه العبادات، فالإنحناء أمام الله وافتراش الجبين وبسط الأرجل على الأرض إزاء عظمة الله بالتوجه وحضور القلب ينطوي على عالم من المعنويات، والطريف أن الهدف النهائي لذلك تحرير رقبة الإنسان من قيد الأسر، ولكن هل المراد تحريرها من مخالف نار جهنم أم من كل قيد من قيود هوى النفس والشيطان والأشعار من الناس؟ يبدو أن عبارة الإمام عليه السلام مطلقة تشمل الجميع رغم تظافر الروايات التي وردت فيها العبارة

«مِنَ النَّارِ»

بعد

«فَكَأَنَّ الرِّقَبَةَ».

نعم! حرية الإنسان مرهونة بعبوديته لله في الدنيا وفي الآخرة وسوى المتقين أسرى الأهواء والرغبات والأموال والثروات والمقامات والشياطين.

وما بينه الإمام عليه السلام في هذا الجانب من الخطبة بشأن المتقين إقتباس في الواقع من الصفات التي ذكرها القرآن الكريم للمتقين في آواخر سورة الفرقان عن

«عِبَادُ الرَّحْمَنِ»

«فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: (وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سَجْدًا وَقِيَامًا\* وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا) [٨٤٥].»

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٢٠

## تأمل

١. خاض الإمام عليه السلام بعد بيانه لصفات المتقين في مستهل الخطبة في انشطتهم في الليل والنهار والتي تغص بدروس السعادة.

فشرح بادئ الأمر نشاطهم بالليل حيث يسرون فيه بصورة كاملة باتجاه التربية والتهذيب والقرب الإلهي.

ويستند أساس هذا النشاط إلى أمرين: ١. الصلاة بحضور قلب تام، وهي الصلاة الموصلة لكل سمو

«قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ»

وهي الطريق المتقين للقرب من الله والناحية عن كل فحشاء ومنكر.

٢. تلاوة القرآن في الصلاة وخارجها في غسق الليل حيث الصمت المطلق والشرايط التي تنفي الموانع كافة من الحضور بين يدي

القرآن والمقرونة بالتدبر في الآيات بحيث يرى المؤمن نفسه مخاطباً بآيات الثواب والعقاب فيرى بأمر عينيه مصير أصحاب الجنة وأصحاب النار في خضم الآيات وينفتح على معارفها ويتعظ بمواعظها ويمثل في حياته لأحكامها. حقاً إن مثل هذه الصلاة والتلاوة القرآنية في جوف الليل إنما تربيهم بحيث يستطيعون في النهار القيام بوظائفهم بأحسن نحو، وسيرد الحديث عن نشاطهم في النهار في القسم القادم من الخطبة.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٢١

### القسم الثالث

#### إشارة

وَأَمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ. قَدْ بَرَّاهُمْ الْخَوْفُ بَزَى الْقِدَاحِ يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاطِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى، وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ؛ وَيَقُولُ: لَقَدْ حَوْلُطُوا!

وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ! لَا يَرِضُونَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ، وَلَا يَسْتَكْتَبُونَ الْكَثِيرَ. فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مَتَّهِمُونَ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ إِذَا زُكِيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي، وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي! اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَنْظُنُونَ، وَاعْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ!

#### الشرح والتفسير: نهار المتقين

خاض الإمام عليه السلام في هذا الجانب من الخطبة في نشاط المتقين في النهار (على غرار القسم السابق الذي شرح فيه نشاطهم في الليل) فأشار بادئ الأمر إلى خمس صفات من صفاتهم فقال:

«وَأَمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ. قَدْ بَرَّاهُمْ [٨٤٦]

الْخَوْفُ بَزَى الْقِدَاحِ [٨٤٧] يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاطِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى، وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ؛ وَيَقُولُ: لَقَدْ حَوْلُطُوا [٨٤٨] وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ!».

والصفات الخمس التي ذكرها الإمام عليه السلام بشأن نشاط المتقين في النهار دلالة

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٢٢

واضحة على هذه الحقيقة وهي أن تقوى هؤلاء المتقين ليست منفصلة عن المجتمع قط، بل تقواهم مقرونة بالعلم والمعرفة والإدارة وتحمل المسؤولية والإحسان والعيش في وسط المجتمع.

«حُلَمَاءُ»:

من مادة «حلم» التي تعنى حسب (الراغب) ضبط النفس حين الغضب، ولما كانت هذه الحالة نابعة من العقل فإن مفردة الحلم تستعمل أحياناً بمعنى العقل ومن هنا تطلق كلمة الحلم على من يتمالك نفسه عند الغضب وعلى العالم أيضاً.

وقال علماء الأخلاق أن صفة الحلم تمثل حالة الاعتدال بين الصفتين الرذيلتين؛ إحداهما الذلّة والأخرى المفرطة وهي الغضب.

على كل حال فإن هذه الصفة غالباً ما تظهر حين التعامل مع الجهال فيضطر الحليم إلى مداراتهم بحيث لا يستغلّ عليهم يفقون إلى أنفسهم ويكفون عن جهلهم.



والتعبير بالعلماء لا يقتصر على أولئك الذين انفتحوا على العلوم المعروفة بل يشمل الأفراد ممن لهم اطلاع ومعرفة واسعة وقدرة على إدراك الحقيقة.

والعبارة:

«قَدْ بَرَّاهُمْ الْخَوْفُ بَرَى الْقِدَاحِ»

ليس المراد منها أن المتقين ضعيفو البنية خشية المسؤولين، بل المراد أن تلك الخشية جعلتهم أكثر فاعلية وحسماً في القيام بوظائفهم، ذلك لأن السهم حين يبرى ليصيب الهدف يكون انطلاقه أفضل وحدته أعظم.

والتعبير

«يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّازِرُ فَيَحْسِبُهُمْ مَرَضَى»

«إشارة إلى أن العلماء الحكماء والمتقين الأبرار يبدون في أعين السذج من الناس كأفراد ضعيفي الإرادة وغير جادين في قراراتهم. ومن هنا نرى رمى الأنبياء من قبل أممهم بتهمه الجهل والجنون، سيما أنهم لا يشابهون سائر قومهم، فمن لم يكن مثلهم يروونه مجنوناً لأنه يخالف عاداتهم وعقائدهم بينما الواقع هم المجانين.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٢٣

قال القرآن بشأن السابقين في الخيرات: «وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ» [٨٤٩].

جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد في ذيل الآية الشريفة أنه سئل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: هل المراد من الآية من يذنب ويخشى الذنب؟ فقال صلى الله عليه وآله:

«لا، بل الرَّجُلُ يَصُومُ وَيَتَصَدَّقُ وَيَخَافُ أَنْ لَا يَقْبَلَ مِنْهُ» [٨٥٠].

ثم خاض الإمام عليه السلام في بيان علو هممة المتقين فقال:

«لَا يَرْضُونَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ، وَلَا يَسْتَكْتَرُونَ الْكَثِيرَ. فَهُمْ لِنَفْسِهِمْ مُتَّهَمُونَ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ» [٨٥١].

فعلو هممتهم وسمو معرفتهم لا تدعهم يرضون بالأعمال القليلة أو يستكثرون تلك الأعمال على خلاف المغرورين ضيقى النظر الذين يرضون من أنفسهم بالقليل من العمل وكأنهم أشرف خلق الله، وبغض النظر عن ذلك فهؤلاء يتمتعون بصفة بارزة هي نقد الذات التي يفر منها أغلب الأفراد والذين لا يقبلون النقد من الآخرين وبطريق أولى لا ينتقدون أنفسهم وبذلك يهجرون الأمر الذي يؤدي إلى سموهم وتكاملهم.

فهؤلاء يشعرون بالخشية دائماً وكأنهم لم يؤدوا حق نعمه الله وهجروا طريقه عبودية الله وأنهم مسؤولون أمام خلق الله.

وقد فسّر بعض شراح نهج البلاغة الأعمال الواردة هنا بالعبادات فقط واستشهدوا بالروايات الواردة في كثرة عبادات النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والإمام السجاد عليه السلام. صحيح أن العبادات تعدّ إحدى الوظائف المهمة للعباد، ولكن ليس لدينا أى دليل على حصر الأعمال الواردة في العبارة المذكورة بالعبادة وعدم شمولها

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٢٤

للمسؤوليات الاجتماعية.

وقد كان أئمتنا عليهم السلام يقرون بذلك لله تعالى مع ما كانت لديهم من أعمال ضخمة واسعة ورغم قدسيتهم وطهارتهم، فقد ورد عن الإمام السجاد عليه السلام في دعاء أبي حمزة الثمالي تضرعه قائلاً:

«وَمَا قَدَرُ أَعْمَالِنَا فِي جَنْبِ نِعْمِكَ وَكَيْفَ نَسْتَكْتَرُ أَعْمَالًا تُقَابِلُ بِهَا».

وجاء في كتاب الغارات عن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أن أحدهم تعجب من كثرة ما ينفق ويتصدق في سبيل الله فقال له عليه السلام:

«لَوْ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَبْلَ مِنِّي فَزُضاً وَاحِداً لَأَمْسَكْتُ، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَقْبَلَ اللَّهُ مِنِّي شَيْئاً أَمْ لَا؟» [٨٥٢].

وهذا في الواقع درس لعامة الناس في عدم الاغترار بأعمالهم العبادية والخيرية مهما كانت كثيرة ذلك لأن مسألة الإخلاص صعبة ومعقدة.

وجاء في حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«ثَلَاثُ قَاصِمَاتُ الظُّهْرِ؛ رَجُلٌ اسْتَكْتَرَّ عَمَلَهُ، وَنَسِيَ ذُنُوبَهُ، وَأَعْجَبَ بِرَأْيِهِ» [٨٥٣].

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى نقطة أخرى في إطار حديثه عن مسألة نقد الذات فقال:

«إِذَا زَكَّى أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي، وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّي بِنَفْسِي! اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَأَغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ!».

وإننا لنعلم أن من موانع الرقي والتقدم نحو الله وفي المجتمع البشري هو مدح المداحين وتملق المتملقين الذي قذف بأغلب زعماء العالم في أودية الخطأ والضلال، والمتقون يشعرون بالخوف دائماً من مدح الآخرين حذراً من أن يسوقهم إلى الغرور والعجب فيتعرضون لسخط الله، فهم يسألون الله أن يكونوا أعظم من ذلك المديح وإن كانت لديهم معصية خفية سألوه غفرانها.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٢٥

## تأمل

### إشفاق المتقين من أعمالهم

يتصف نشاط المتقين نهاراً بالصبغة الشعبية والاجتماعية المحضنة رغم نشاطهم الليلي في تهذيب النفس في ظل المناجاة والعبادة والتضرع إلى الله، والاستناد إلى العلم والحلم والإحسان والخوف في تحمل المسؤولية لأفضل دليل على هذا المعنى. فهم علماء يوظفون العلم لهداية وإرشاد المجتمع.

وحلماء يتحملون الصبر إزاء تعصب ولجاجة الجهال من الأفراد، ومحسنون يمدون يد الخدمة بقدر استطاعتهم إلى المحتاجين. خائفون ووجلون من القيام بالمسؤوليات الكبيرة، فخوفهم خوف إيجابي ليكون الدافع للعمل أسمى وأعظم لا خوف سلبي يدعو إلى التقوقع وترك النشاط، ولذلك قال عليه السلام: إنَّ الخوف لم يضعفهم بل جعلهم أكثر عملاً على غرار السهم الذي يبرى ليعد لإصابة الهدف.

ومن صفاتهم أنهم ليسوا كأصحاب الدنيا الذين يتتهزون الفرص والنفعيين الذين يتأقلمون مع كل شخص ومع جميع الظروف بغية تحقيق أهدافهم المادية، ومن هنا يتهمهم مثل هؤلاء الأفراد بخفة العقل والسذاجة، وزبده الكلام فإنهم مشفقون من أعمالهم سباقون للنظر فيها قبل أن يتعرض لها الآخرون.

حقاً مثل هؤلاء الأفراد يستطيعون انقاذ المجتمع البشري من الظلم والجور وإيصال الحقوق إلى أصحابها.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٢٧

### القسم الرابع

## إشارة

فَمِنْ عَلَامِيهِ أَحَدِهِمْ أَنْكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ، وَحَزْمًا فِي لِينٍ، وَإِيمَانًا فِي يَقِينٍ، وَحِزْمًا فِي عِلْمٍ، وَعِلْمًا فِي حِلْمٍ، وَقَضِيدًا فِي غِنَى، وَخُشُوعًا فِي عِبَادَةٍ، وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ، وَصَبْرًا فِي شِدَّةٍ، وَطَلَبًا فِي حَلَالٍ، وَنَشَاطًا فِي هُدَى، وَتَحَرُّجًا عَنِ طَمَعٍ. يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَحِيلٍ. يُمَسِّي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ، وَيُضَيِّحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ. يَبِيْتُ حَيْدَرًا وَيُضَيِّحُ فَرِحًا؛ حَيْدَرًا لَمَّا حَيْدَرٌ مِنَ الْعُقْلَةِ، وَفَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ. إِنْ اسْتَضَعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكَرَّرَ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ. قُرْهُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى، يَمْرُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ، وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ.

### شرح وتفسير

### اثنا عشرة صفة أخرى

أشار الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الخطبة إلى اثنتي عشرة صفة أخرى من صفات المتقين بعبارة قصيرة عميقة المعاني ليستهلها بقوتهم في الدين وبعدهم عن الطمع فقال عليه السلام:

«فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنْكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ، وَحَزْمًا [٨٥٤] فِي لِينٍ،

وَإِيمَانًا فِي يَقِينٍ، وَحِزْمًا فِي عِلْمٍ، وَعِلْمًا فِي حِلْمٍ، وَقَضِيدًا فِي غِنَى، وَخُشُوعًا فِي عِبَادَةٍ، وَتَجَمُّلاً [٨٥٥] فِي فَاقَةٍ، وَصَبْرًا فِي شِدَّةٍ، وَطَلَبًا فِي حَلَالٍ، وَنَشَاطًا [٨٥٦] فِي هُدَى،

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٢٨

وَتَحَرُّجًا [٨٥٧] عَنِ طَمَعٍ».

والعبارة:

«قُوَّةً فِي دِينٍ»

تشير إلى عدم استطاعة المشككين والمنافقين النفوذ إليهم وليس بإمكان خطوب الدنيا ومصاعب الحياة زعزعة إيمانهم.

وتشير العبارة

«وَحَزْمًا فِي لِينٍ»

إلى أنهم رغم إشراقتهم الفكرية التي تستلزم عادة الحزم - خلافاً للعادات اليومية التي تسهل العمل - لا ينسون الليونة والمرونة

ويعاملون من يرافقتهم في تحقيق الأهداف الاجتماعية بالرفق والمحبة على ضوء المثل القائل:

«لَا تَكُنْ حُلُومًا فَتَسْتَرْطُ وَلَا مَرْمًا فَتُلْفُظُ».

والعبارة:

«وَإِيمَانًا فِي يَقِينٍ»

تشير إلى أن للإيمان درجات أعلاها درجة علم اليقين وحق اليقين التي تحصل أحياناً عن طريق الاستدلالات القوية والتمينه، وأخرى

عن طريق الشهود من خلال ذلك السمو.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«إِنَّ الْإِيمَانَ أَفْضَلُ مِنَ الْإِسْلَامِ وَإِنَّ الْيَقِينَ أَفْضَلُ مِنَ الْإِيمَانِ وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَعَزُّ مِنَ الْيَقِينِ» [٨٥٨]

. نعم فقد بلغ المتقون هذه المرتبة السامية والنادرة.

والعبارة:

«حِزْمًا فِي عِلْمٍ»

رغم أن مفردة الحرص تحمل الجانب السلبي عادة لكنها هنا تشير إلى أنهم بمنتهى الجدية في كسب العلم، ذلك لأنه لا أصالة

للتقوى ولا عمق دون العلم.

والعبارة:

«وَعِلْمًا فِي حِلْمٍ»

تشير إلى أن العالم لا ينبغي أن يغضب وينفعل إزاء جهل الجاهلين بل ينفذ إليه بحلمه بصورة تدريجية فيزيل جهله.

ونقرأ مانقله المرحوم العلامة المجلسي في حديث مفصل حوار الإمام الصادق عليه السلام مع البصرى الذى جاء إلى الإمام الصادق عليه السلام لتحصل العلم، فقال له فى شأن الحلم:

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٢٩

«فَمَنْ قَالَ لَكَ إِنَّ قُلْتَ وَاحِدَةً سَمِعْتَ عَشْرًا فَقُلْ إِنَّ قُلْتَ عَشْرًا لَمْ تَسْمَعْ وَاحِدَةً».

وقال بشأن العلم:

«فَأَسْأَلِ الْعُلَمَاءَ مَا جَهِلْتَ وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ تَعْتَنَّا وَتَجْرِبُهُ وَإِيَّاكَ أَنْ تَعْمَلَ بِرَأْيِكَ شَيْئًا» [٨٥٩].

والعبارة:

«قَصْدًا فِي غِنَى»

إشارة إلى أنهم إن أصبحوا أغنياء وأثرياء لا يتخلون عن الاعتدال ويجتنبون الإسراف والتبذير ويعينون الفقراء بما لديهم من أموال فائضة عن الحاجة.

والعبارة:

«وُخْشُوعًا فِي عِبَادَةٍ»

إشارة إلى أن عبادتهم ليست سطحية جوفاء خالية من الروح، بل تصدح عباداتهم بالخضوع والخشوع وحضور القلب الذى يمثل روح العبادة فى أعمالهم العبادية وكل صلاة من صلواتهم معراج للقرب الإلهى، ومن هنا قال القرآن الكريم فى وصفه للمؤمنين المفلحين: «الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ» [٨٦٠].

والعبارة:

«تَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ»

التي تقابل فى الواقع

«قَصْدًا فِي غِنَى»

إشارة إلى أن المتقين ولا يشكون حين الفقر والفاقة.

وتفيد مفردة

«تَجَمَّلَ»

أنهم رغم فقرهم وعوزهم يحافظون على ظاهرهم، كما يصفهم القرآن: «يَخْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ» [٨٦١].

والعبارة:

«صَبْرًا فِي شِدَّةٍ»

تشير إلى استقامتهم وصبرهم إزاء مكاره الدهر والحوادث الأليمة وكمصدق لقوله تعالى: «إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» [٨٦٢].

حيث يرون أنفسهم راجعين إلى الله ودار الأمن والأمان والروح والريحان دون الإكتراث لهذه الدنيا فقد قال النبى صلى الله عليه وآله:

«إِنَّ الصَّبْرَ نِصْفُ الْإِيمَانِ» [٨٦٣]

. وقال:

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٣٠

«الإيمان نصفان؛ نصف في الصبر ونصف في الشكر» [٨٦٤].

والعبارة:

«طلباً في حلال»

تشير إلى أن المتقين ليسوا أفراداً متوقعين ومعتزلين للأنشطة الحيوية، بل يسعون ويجدون من أجل المعاش والنهوض بالمجتمع الإسلامي الذي يشكل أحد أهدافهم الأساسية، مع هذا الفارق وهو أن أصحاب الدنيا لا يهتمون للحلال والحرام بينما يعيش هؤلاء هم الكسب الحلال ويهربون من العمل مهما كان دخله كثيراً إن شئوا منه رائحة الحرمة، قال النبي صلى الله عليه وآله:

«العبادة سبعون جزءاً أفضلها طلب الحلال» [٨٦٥].

وقال تعالى: «يا أيها الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً» [٨٦٦]. ويمكن أن تكون العبارة دلالة على أن العمل الصالح وليد الغنى الحلال والطيب.

والعبارة:

«نشاطاً في هدى»

تفيد أن طي طريق الهدى بالنسبة لهؤلاء وخلافاً لما يعتقدوه الأفراد ضيقى الفكر وقليل المعرفة منطلقاً للنشاط والحيوية، فهم لا يكفون قط من السير على هذا الدرب وسلوك هذا الطريق يضاعف من نشاطهم وفعاليتهم.

المراد من العبارة

«وتحرُّجاً عن طمع»

أن المتقين بعيدون كل البعد عن الطمع، الطمع نتيجة التعلق الشديد بالدنيا بسبب التوجه لغير الله والذي يؤدي إلى العديد من المفسد ومنها أنه أحد عناصر الذلّة والبغض والعداوة والحقد والحسد؛ فالطماع لا يشبع قط من مال الدنيا ويسعى للحصول عليه بالطرق والوسائل كافة فهو في الواقع يعيش أسر هذا القيد على الدوام كما قال الإمام عليه السلام في إحدى كلماته القصار:

«الطمع رِقٌّ مُؤَبَّدٌ» [٨٦٧].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٣١

أضف إلى ذلك فالطمع يعطل الفكر والعقل ويعرض الإنسان للتذبذب والحيرة، كما قال عليه السلام في إحدى كلماته القصار:

«أكثر مصارع العقول تحت بُرُوقِ المَطامِعِ» [٨٦٨].

ثم تطرق عليه السلام إلى ثلاث صفات أخرى من صفات المتقين فقال:

«يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ [٨٦٩]. يُمَسِّي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ».

نعم! فلو أتى أولياء الله بكل الأعمال الصالحة لظلوا يخشون عدم أدائهم حق العبودية لله والتقصير في إمتثال التكليف، كما ورد في الحديث الشريف عن الحارث بن المغيرة أو أبيه، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قلت له: ما كان في وصيته لقمان؟

قال عليه السلام:

«كَانَ فِيهَا الْأَعَاجِيبُ وَكَانَ أَعْجَبُ مَا كَانَ فِيهَا أَنْ قَالَ لِإِبْنِهِ: خِفُّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْفَةٌ لَوْ جِئْتَهُ بِبِرِّ الثَّقَلَيْنِ لَعَدَّكَ، وَارْجُ اللَّهُ رَجَاءً لَوْ جِئْتَهُ بِذُبُوبِ الثَّقَلَيْنِ لَرَجَمَكَ...» [٨٧٠].

وللقرآن الكريم تعابير مختلفة ورائعة بهذا الخصوص في وصفه للسابقين في الخيرات: «وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ» [٨٧١].

والعبارة:

«يُمسَى وَهَمُّهُ الشُّكْرُ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ»

إشارة إلى أن هؤلاء يتدثون يومهم الذي يستأنفون فيه العمل والنشاط باسم الله وفي آخر اليوم حيث انفتحوا على تلك النعم الإلهية واستغلوها في مرضات الله فيندفعون في الحمد والشكر، بالضبط كالجلوس على مائدة الطعام، فهم يشرعون بتناول الطعام باسم الله وينتهون بشكره حين يرفعون أيديهم عن الطعام، رغم ما ذهب إليه بعض الشراح [٨٧٢] أن الاختلاف في التعبير من باب التنوع في العبارة والمراد أنهم ذاكرون وشاكرون في الصباح والمساء وفي جميع الأحوال، إلا أن الأنسب ما ذكرناه. وقد وردت عبارات عميقة المعنى في الآيات والروايات بشأن أهميته ذكر الله.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٣٢

فقد ورد في الحديث عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

«ثَلَاثَةٌ مَعْصُومُونَ مِنْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ:

الذَّاكِرُونَ لِلَّهِ، وَالْبَاكُونَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَالْمُسْتَغْفِرُونَ بِالْأَشْحَارِ» [٨٧٣].

كما وردت عدّة آيات وروايات في الشكر منها: ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام في غرر الحكم أنه قال:

«شُكْرُ النِّعْمَةِ أَمَانٌ مِنْ حُلُولِ النِّقْمَةِ» [٨٧٤].

ثم أشار إلى صفتين مهمتين من صفات هؤلاء الأولياء فقال:

«يَيْتُ حَذِرًا وَيُصْبِحُ فَرِحًا؛ حَذِرًا لَمَّا حُذِرَ مِنَ الْعُقْلَةِ، وَفَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ».

طبعاً ليس مفهوم العبارة تقسيم الوقت في الخوف والرجاء، فالخوف والرجاء راسخ في قلوب المتقين في كل زمان، وعلى كل حال ولكن لما كان المتقون يخلون إلى أنفسهم بعد نهاية يومهم للحساب يشعرون بالقلق إن كان بدر منهم زلة أو خطأ ومن هنا ورد الحث على الاستغفار عند الليل قبل النوم فقد روى عن الصادق عليه السلام أنه قال:

«... مَنْ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ تَحَاتَّتْ ذُنُوبُهُ كَمَا يَسْقُطُ وَرَقُ الشَّجَرِ» [٨٧٥].

ولما كان النهار انطلاقة فعالية وأعمال صالحة جديدة، الفعالية التي ينبغي أن تستهل بالأمل والرجاء فقد أصبح تجلياً لصفه الرجاء والأمل.

وللمفسرين عدّة أقوال بشأن الفارق بين الفضل والرحمة ذيل الآية الشريفة: «قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ» [٨٧٦] فقد ذهب البعض إلى أن الفضل الإلهي هو النعم الظاهرية والمادية والرحمة النعم الباطنية والمعنوية، بينما ذهب البعض الآخر إلى أن الفضل بداية النعمة والرحمة دوامها، كما احتّمّل أن يكون الفضل إشارة إلى نعم الله العائمة على جميع الناس والرحمة إشارة إلى رحمته الخاصة بالمؤمنين. وبالطبع ليس هنالك من تناقض في هذه التفسير ويمكن الجمع بينها جميعاً.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٣٣

ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى بيان صفة أخرى من صفات المتقين ذات الصلة بالتربية وتهذيب النفس فقال:

«إِنْ اسْتَضَعِبَتْ [٨٧٧] عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا

تُحِبُّ».

هذا في الواقع أحد مراحل السلوك إلى الله والذي يصطلح عليه بمرحلة «المعاقبة» التي تأتي بعد مراحل «المشارطة» و «المراقبة» و «المحاسبة» أي يشترط على نفسه منذ الصباح حين ينطلق في يومه الجديد على عدم مقارفة أي ذنب، ثم يعيش المراقبة طيلة يومه ومن ثم يتفرغ ليلاً لحساب ما أتى به من عمل في النهار، فإن ظفر بمخالفة هب لمعاقبة نفسه كأن يمنع نفسه ما ترغب فيه، مثلاً يحرم نفسه من الطعام اللذيذ والفراش المريح والنوم الكافي وما شاكل ذلك ليؤدب نفسه الجامحة فتعيش طاعة الله في الأيام القادمة، وهذا

البرنامج مؤثر وعملي لتهديب النفس وبالطبع أن كل من داوم عليه سيلمس آثاره وبركاته بعد مدة ليست طويلة. ثم أشار إلى أربع صفات مهمة أخرى فقال:

«قُرَّةٌ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ، وَزَهَادَةٌ فِيمَا لَا يَبْقَى، يَنْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ، وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ».

والعبارة

«قُرَّةٌ عَيْنِهِ»

بالنظر إلى أن «قُرَّة» من مادة «قر» (على وزن حرّ) تعنى فى الأصل البرودة والعرب تعتقد أن دموع الشوق باردة دائماً ودموع الحزن حارة ومحرقة، فإن هذه العبارة تقال حيث السرور والفرح، وعليه فمفهوم العبارة المذكورة أن عين المتقين مسرورة بعالم الآخرة، ذلك لأنه عالم خالد ودائم، كما قال القرآن عن أصحاب الجنة: «خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ» [٨٧٨] وقال أيضاً:

«فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةٍ أَعْيُنُ جَزَاءٍ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [٨٧٩] وبالنظر إلى أنه وحسب ما ورد فى الأقسام السابقة من الخطبة فإن هؤلاء يرون بأعينهم فى هذه

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٣٤

الدنيا الجنة ونعمها، وتحصل لهم حالة السرور وقرّة العيون، وبالعكس حيث ايقنوا أن الدنيا متقلبة فلم يتعلقوا بها قط، ومزجهم الحلم بالعلم والقول بالعمل كان من أهم نقاط قوتهم، ذلك لأن العالم إن لم يكن حليماً إزاء جهل الجهال تعذر عليه هدايتهم وإرشادهم وإن لم يقترن قوله بفعله لم يعد لكلامه من تأثير، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام:

«إِنَّ الْعَالِمَ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ عَنِ الْقُلُوبِ كَمَا يَزِلُّ الْمَطَرُ عَنِ الصَّفَا» [٨٨٠].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٣٥

## القسم الخامس

### إشارة

تَرَاهُ قَرِيْبًا أَمَلُهُ، قَلِيْلًا زَلْلُهُ، خَاشِعًا قَلْبُهُ، قَانِعَةً نَفْسُهُ، مَنزُورًا أَكْلُهُ، سَهْلًا أَمْرُهُ، حَرِيْرًا دِيْنُهُ، مَيِّبَةً شَهْوَتُهُ، مَكْظُومًا غِيْظُهُ. الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ، إِنْ كَانَ فِي الْعَافِيْنَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِيْنَ، وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِيْنَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْعَافِيْنَ.

يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ، بَعِيدًا فَحْشُهُ، لَيْسًا قَوْلُهُ، غَائِبًا مُنْكَرُهُ، حَاضِرًا مَعْرُوفُهُ، مُقْبِلًا خَيْرُهُ، مُدْبِرًا شَرُّهُ. فِي الرِّكَازِ وَقُوْرٍ، وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُوْرٍ، وَفِي الرِّخَاءِ شَكُوْرٍ. لَا يَحِيْفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ، وَلَا يَأْتِمُّ فِيمَنْ يُحِبُّ. يَعْتَرَفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ، لَا يُضْتَبِعُ مَا اسْتَحْفِظَ، وَلَا يَنْسَى مَا ذَكَرَ، وَلَا يَتَابِرُ بِاللِقَابِ، وَلَا يُصَارُّ بِالْجَارِ، وَلَا يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ، وَلَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ. إِنْ صِيَمَتْ لَمْ يَغْمَهُ صِيَمُهُ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَغْلُ صَوْتُهُ، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ. نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ. وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ. أَتَعَبَ نَفْسَهُ لِاحْرَاقِهِ، وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ. بُعِدَهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهَيْدٌ وَنَزَاهِيَةٌ، وَدُنُوهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ. لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكَبْرٍ وَعَظْمَةٍ، وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيْعَةٍ.

## الشرح والتفسير: تسع صفات أخرى

### إشارة

تطرق الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة إلى تسع من صفات المتقين فقال:

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٣٦

«تَرَاهُ قَرِيبًا أَمَلُهُ، قَلِيلًا زَلُّهُ، خَاشِعًا قَلْبُهُ، قَانِعَةً نَفْسُهُ، مَنزُورًا [٨٨١] أَكَلُهُ، سَهْلًا أَمْرُهُ، حَرِيزًا [٨٨٢] دِينُهُ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ، مَكْظُومًا [٨٨٣] غَيْظُهُ».

فقد أشار الإمام عليه السلام في هذه العبارة إلى قصر الأمل، لأن طول الأمل - كما ورد في الروايات - ينسى الآخرة ونسيان الآخرة طامة كبرى تفرز مختلف المعاصي والذنوب.

صحيح أن وجود الأمل لدى الإنسان مدعاة للحركة والنشاط، كما جاء في الحديث النبوي الشريف:

«الْأَمَلُ رَحْمَةٌ لِمَاتِي وَلَوْلَا الْأَمَلُ مَا رَضَعَتْ وَالِدَةٌ وَلَدَهَا وَلَا غَرَسَ غَارِسٌ شَجَرًا» [٨٨٤]

. ولكن إن تجاوز هذا الأمل الحد وتبدل إلى أمل طويل فإنه يدفع جميع قوى الإنسان وأفكاره نحو الدنيا وينسيه كل شيء، بل يتعذر حتى على الإنسان في ظل هذه الحالة أن يستثمر دنياه.

وإننا لنرى أن قلة زلات المتقين كونهم يبعدون أنفسهم عن مطبات الذنب وذكرهم الدائم لله تبارك وتعالى. وخشوع قلوبهم نتيجة لعرفانهم بالله، لأن الإنسان كلما ازداد إدراكه لعظمة المعبود ازداد خضوعه له، وقناعة المتقين معلولة لسعة أفقهم إزاء النعم المادية للدنيا ومتاعها وزخرفها، وبما أنهم يؤمنون بفنائها وزوالها فهم لا يجازفون في السعي للحصول عليها فيقتنعون منها بذلك المقدار اللازم، وقلته طعامهم لعلمهم بأن كثرة الأكل - وبغض النظر عما تفرزه من أنواع الأمراض - فإنها تسلبهم حيوية العبادة ومناجاة الله، أضف إلى ذلك فإنها تجعلهم يغفلون عن ذكر المعوزين من أهل الفاقة.

وجاء في الحديث عن الإمام عليه السلام في غرر الحكم:

«مَنْ اقْتَصَدَ فِي أَكْلِهِ كَثُرَتْ صِحَّتُهُ وَصَلَحَتْ فِكْرَتُهُ».

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٣٧

العبارة:

«سَهْلًا أَمْرُهُ»

إشارة إلى أنه سهل لين في أعماله الشخصية، كما أنه سهل المؤونة إزاء الناس، وأنا لنرى بعض الأفراد الذين يعيشون حالة من التكلف القسوى بشأن سفر أو ضيافة ويزجون بأنفسهم في أتون عذاب أليم، أو يخوضون صراعاً قد يستغرق شهراً وربما سنوات تجاه الناس لانتزاع حق بسيط، والحال يعيش المتساهلون حياة وادعة مريحة على المستوى الشخصي إلى جانب الراحة في علاقاتهم مع الآخرين.

العبارة:

«حَرِيزًا دِينَهُ»

إشارة إلى أنه يهتم قبل كل شيء بحفظ إيمانه وعقيدته ومبادئ دينه، ولا يضحي بها من أجل المال والمقام والشهوة.

والعبارة:

«مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ»

لا- تعنى أنهم يفتقرون إلى الشهوات، بل يسيطرون بعقولهم وإيمانهم على تهذيب هذه الشهوة، وهوذات التعبير الرائع الذي ساقه القرآن الكريم بشأن يوسف عليه السلام: «وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ» [٨٨٥].

وأما العبارة:

«مَكْظُومًا غَيْظُهُ»

بعد الصفات السابقة إشارة إلى أن حفظ الدين وأداء الوظائف قد يؤدي أحياناً إلى ردود فعل طائشة من قبل بعض الجهال والذي يثير الغضب لدى المتقين، لكنهم مسلطون على أنفسهم ويكظمون غيظهم.



ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه فأشار إلى أربع صفات من صفات المتقين البارزة فقال: «الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ، إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ، وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ».

ورد في الحديث عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

«أَلَا أُتْبِكُمْ لِمَ سُمِّيَ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِنًا؟»

لا إيمان له الناس على أنفسهم وأموالهم، ألا أتبتكم من المسلم؟ المسلم من سلم الناس من يده ولسانه» [٨٨٦].

فإن كان هذا هو حال العاديين من المسلمين والمؤمنين، فمن الأولى أن يكون

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٣٨

كذلك الوضع بالنسبة للمتقين الذين يمثلون نخبة المؤمنين والمسلمين، فهؤلاء مصدر الخيرات والبركات ولا يتلقى الناس منهم أى شر.

وجاء في الحديث النبوي الشريف:

«أَنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ النَّحْلَةِ إِنْ صَاحَبْتَهُ نَفَعَكَ وَإِنْ شَاوَرْتَهُ نَفَعَكَ وَإِنْ جَالَسْتَهُ نَفَعَكَ وَكُلُّ شَأْنِهِ مَنَافِعٌ وَكَذَلِكَ النَّحْلَةُ كُلُّ شَأْنِهَا مَنَافِعٌ» [٨٨٧].

قال بعض الأعلام: إن وجه المشابهة بين المؤمن والنحل حذق النحل وفطنته وقلمه أذاه ومنفعته وقناعته وسعيه فى النهار وتنزهه عن الاقذار وطيب أكله، وأنه لا يأكل من كسب غيره [٨٨٨]، أضف إلى ذلك فإن النحلة تنتج الشهد العظيم الفائدة، بالإضافة إلى أن دورانها حول الأزهار يؤدى إلى تلقيح مختلف أنواع النباتات، ناهيك عن لسعتها التى تعد وسيلة للدفاع عن نفسها من العدو ذات فائدة عظيمة فى علاج بعض الأمراض ومفردة الخير والشر مفهوم غاية فى السعة تشمل الخيرات المادية والمعنوية وجميع الشرور المادية والمعنوية كذلك.

والعبارة:

«إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ»

إشارة إلى أنه لا يتأثر حين يكون وسط بعض الغافلين من الأفراد فهو لا ينفك عن ذكر الله واليوم الآخر، كما لا يعيش حالة الغفلة حين يكون وسط الذاكرين.

ثم أشار عليه السلام إلى ثلاث صفات مهمّة أخرى والتي تعدّ من كرامات المتقين فقال:

«يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطَى مَنَ حَرَمَهُ، وَيَصِلُ مَنَ قَطَعَهُ».

يردّ الإنسان بالمثل أحياناً على ما يواجهه من إساءات من الآخرين والتي غالباً ما تفرزها حالة الثأر والانتقام؛ ولكن لا تمارس أحياناً مثل هذه المعاملة وهذا بالطبع الأسلوب الذى يطبع سيرة أولياء الله والمتقين، فهم يتجاوزون ويعفون عن ظلم الظلمة فى الوقت الذى يتمكنون فيه من الانتقام والرد بالمثل، وهذا بحد ذاته

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٣٩

شجاعة لأنه ينبع من موقع القوة وليس من قبيل الاستسلام تجاه الظلم، ويعتمد البذل والعتاء تجاه من حرمه ومنعه، وهذا دليل على جوده وكرمه.

وبالتالى فهو يمد يد المصالحة والسلام لمن يقاطعه ويشمله بعونه ونجدته وهذا شجاعة وكرم.

جاء فى الخبر المروى عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال:

«إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ أَيْنَ أَهْلُ الْفَضْلِ؟ فَيَخْرُجُ عَنْكَ مِنَ النَّاسِ. فَتَسْأَلُهُمُ الْمَلَائِكَةُ: وَمَا كَانَ فَضْلُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: «كُنَّا نَصِلُ مَنْ قَطَعَنَا وَنُعْطَى مَنْ حَرَمَنَا وَنَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَنَا».

فَيَقُولُونَ لَهُمْ: «صَدَقْتُمْ اذْخُلُوا الْجَنَّةَ» [٨٨٩].

وقد أمرنا الله تعالى في القرآن الكريم بصورة عامه وشامله بهذا الخلق، حيث خاطب النبي صلى الله عليه وآله قائلاً: «ادْفَعِ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ» [٨٩٠].

ثم أشار الإمام عليه السلام في عبارات قصيرة وعميقة المعنى إلى ست صفات بارزة أخرى في المتقين فقال:

«بَعِيداً فُحْشُهُ [٨٩١]، لَيْتِنَا قَوْلُهُ، غَائِباً مُنْكَرُهُ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ،

مُقْبِلاً خَيْرُهُ، مُدْبِراً شَرُّهُ».

والصفات الست التي يقابل كل زوج فيها الآخر وتفسر بعضها البعض الآخر تشير إلى سلوكيات وتصرفات المتقين الاجتماعيه. والعبارة:

«بَعِيداً فُحْشُهُ، لَيْتِنَا قَوْلُهُ»

إشارة إلى أن معاملتهم لجميع الناس تنطلق من اللسان الجميل والكلمات المفعمة بالخير والمحبة وليس في أقوالهم وأعمالهم أى نوع

من العنف والغلظة، فهم ليسوا بعيدين غاية البعد عن الفاحش من القول فحسب بل هم أبعد ما يكونون عن الفاحشين.

وقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام حين سئل عن حد حسن الخلق أنه

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٤٠

قال:

«أَنْ تُلِينَ جَنَاحَكَ، وَتُطِيبَ كَلَامَكَ، وَتَلْقَى أَخَاكَ بِبِشْرٍ حَسَنٍ» [٨٩٢].

والعبارة:

«غَائِباً مُنْكَرُهُ»

تشير إلى انعدامه؛ أى لا يبدر منه أى منكر إزاء الآخرين.

ويحتمل أن يكون المراد أنه لو بدرت منهم زلة، فهي ليست بزلة علية على الأقل لتلوث المجتمع.

والعبارة:

«حَاضِراً مَعْرُوفُهُ»

إشارة إلى جميع المحاسن التي يقرها العقل والوجدان والشرع وليست غريبة عليها (من مادة عرفان بمعنى المعرفة).

والمراد من

«مُقْبِلاً خَيْرُهُ، مُدْبِراً شَرُّهُ»

أنهم مندفعون على الدوام فى الإتيان بأفعال الخير، وإن كانت لهم من أعمال سيئة فى الماضى فهم يسعون إلى هجرانها والإبتعاد عنها.

ثم أشار إلى ثلاث من صفاتهم الحميدة فقال:

«فِي الرِّزَالِ [٨٩٣] وَقَوْرٍ [٨٩٤]، وَفِي

المَكَارِهِ صَبُورٍ، وَفِي الرِّخَاءِ شُكُورٍ».

والمراد من

«زلزل»

الحوادث الأليمة والفتن العظيمة التي تهز القلوب. فالمتقون يربطون جأشهم إزاء هذه الخطوب ولا يفقدون معنوياتهم ويقفون إزاءها

كالجبل الأصم الذي لا تحركه الرياح العاتية،

«الْمُؤْمِنُ أَصْلَبُ مِنَ الْجَبَلِ» [٨٩٥]

فهم صامدون وهذا يدل على أن التقوى لا تعنى الإعتزال عن المجتمع والخلود إلى الدعة والراحة، بل المتقون الحقيقيون هم أولئك الذين يتصدون للأحداث الصعبة ويسعون جاهدين وبكل شجاعة لإنقاذ أنفسهم ومجتمعاتهم ممّا يعصف بها من خطوب.

والصبر على المكاره يمثل أحد فروع الصبر الذى يشمل كل مصيبة وحادثه أليمة. فالمتقون ثابتون وصامدون فى هذا الميدان، ذلك لأن الجزع إزاء المصائب

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٤١

يقود الإنسان إلى المعصية والسيء من القول من جهة، ومن جهة أخرى يغلق على الإنسان السبيل لمعالجة الموقف.

وشكرهم عند النعمة ناشىء من تواضعهم لله والخلق، فهم ليسوا على غرار المتكبرين الذين تنسيهم النعمة والمال والمقام والثروة كل شىء فيتمردون على الخالق والمخلوق.

ثم أشار عليه السلام إلى ثلاث صفات أخرى للمتقين فقال:

«لَا يَحِيفُ [٨٩٦] عَلَى مَنْ يُنْعِضُ،

وَلَا يَأْتُمُ فِيمَنْ يُحِبُّ. يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ».

فهذه الصفات الثلاث تنطلق من روح المتقين الداعية إلى الحق والساعية للعدالة، والعاذل من ينصف حتى عدوه فى إيصال حقه، كما قال تعالى فى القرآن: «وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا» [٨٩٧].

ولا يهب صحبه أكثر من حقهم بما يؤدى لتضييع حقوق الآخرين، كما قال القرآن الكريم: «وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ» [٨٩٨].

وهذا هو سرّ اعترافهم بالحق قبل إقامة الشهود عليه، ذلك لأنّ الذين يسلمون إزاء الشهود لا يعتبرون ممن يسلم للحق، وإقامة الشهود هى التى اضطرّتهم للتسليم؛ أما من ينشد الحق والعدل فهو ذلك الفرد الذى ينطلق إلى صاحب الحق ليعثر عليه ويؤدى حقه ويفك رقبة من ظلامه الآخرين، وعلى هذا الضوء لابد أن ينطلق المدين إلى الدائن ويفتش المؤمن عن صاحب الأمانة، على العكس ممّا تشهد المجتمعات المجانبه للتقوى.

نعم، فالمتقون من لا يقصرون فى أداء الحقوق وليسوا بحاجه للقضاء والمحاكم كما أنّ العداوة والصدقة لا تخرجهم من حدود الحق والعدل.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٤٢

قال النبى صلى الله عليه وآله:

«أَتَقَى النَّاسَ مَنْ قَالَ الْحَقَّ فِيمَا لَهُ وَعَلَيْهِ» [٨٩٩].

ثم واصل عليه السلام كلامه ليشير إلى سبع صفات بارزات أخرى من صفات المتقين بعبارات منسجمة فقال:

«لَا يُضِيعُ مَا اسْتَحْفِظَ، وَلَا يَنْسَىٰ مَا ذُكِّرَ، وَلَا يُنَابِزُ [٩٠٠]

بِالْقَابِ، وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ، وَلَا يَشْتُمُ [٩٠١] بِالْمَصَائِبِ، وَلَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ، وَلَا

يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ».

للعبارة:

«لَا يُضِيعُ مَا اسْتَحْفِظَ»

معنى واسع يشمل جميع الأمانات الإلهية والاجتماعية، من الصلاة التى قال فيها القرآن: «وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ» [٩٠٢].

حيث يحافظون عليها من خلال أدائها بإخلاص بعيداً عن السمعة والرياء، وكذلك سائر الأمانات، كالقرآن الكريم وأحكام الشريعة والأولاد الذين وهبهم إياهم الله تعالى ومختلف الأمانات التى يأتمنهم عليها الآخرون، فهم يسعون حثيثاً للحفاظ عليها ولا يفرطون بها بسبب التساهل والغفلة والتقصير.

العبارة:

«لَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ»

إشارة إلى جميع ما يذكر به من الأمور المفيدة من جانب الله تعالى وأولياء الله والمخلصين من الأساتذة والمعلمين والأصحاب والأصدقاء، فهؤلاء ليسوا من أهل النسيان الذين يتغاضون عن دروس الهدى والحق ولا يلتزمون بها، وإذا ما اعتراهم شيء من وساوس الشيطان تذكروا الله وإرشادات أوليائه فيعودون إلى رشدهم وهداهم، قال الله تعالى في القرآن: «إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ» [٩٠٣].

والعبارة:

«وَلَا يُنَابِرُ بِالْأَلْقَابِ»

إشارة لما ورد في القرآن الكريم: «وَلَا تَنَابَرُوا

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٤٣

بِالْأَلْقَابِ» [٩٠٤]. لأين ذكر هذه الألقاب يوجب في القلوب نيران العداوة والبغضاء فيضطر الطرف المقابل إلى ممارسة ردود الأفعال الطائشة، الأمر الذي يلوث أجواء المجتمع ويحطم شخصية الأفراد.

وعدم أذى الجار والشماته بالمصائب التي وردت بعد مسألة التنازير بالألقاب تشير إلى رعايتهم للحقوق الاجتماعية واحترام الآخرين في الجوانب كافة. وقد ورد الحث على رعاية حقوق الجار في القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وروايات الأئمة المعصومين عليهم السلام فقد روى عن أمير المؤمنين على عليه السلام أنه قال:

«اللَّهُ اللَّهُ فِي جيرانِكُمْ فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ سَيُورِثُهُمْ» [٩٠٥].

من جانب آخر فإننا نعلم أن من أصابته مصيبة فهو كالإنسان المجرع المحتاج إلى من يخفف عنه ويطبب جرحه، والشماته هنا كذر الملح على جرحه، وليس هنالك من إنسان حي يسمح لنفسه أن يقوم بهذا العمل. قال الإمام الصادق عليه السلام:

«مَنْ شَمَتَ بِمُصِيبَةٍ نَزَلَتْ بِأَخِيهِ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يُفْتَنَ» [٩٠٦].

وآخر الصفات التي وردت في العبارة المذكورة عدم دخول المتقين في الباطل وخروجهم من دائرة الحق والتي تنطوي على معانٍ عميقة جداً، يأبى المتقى - على ضوء ما ذكر - الدخول في الأفكار الباطلة والتصرفات الباطلة والخوض في الأقوال الباطلة ولا يتبع سوى الحق المطلق ولا يحيد عنه في مطلقاً وأينما كان وتجاه كل شخص وازاء كل عمل.

ثم أشار عليه السلام إلى ثلاث صفات أخرى من صفاتهم فقال:

«إِنْ صَمَتَ لَمْ يُعَمِّمْ صَمْتَهُ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَغْلُ صَوْتَهُ، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ».

فالمتقى لا يغتم في سكوته، مع أن السكوت في أغلب الأحيان يؤدي إلى حالة

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٤٤

من الكآبة والحزن، ذلك لأن السكوت أساس نجاه اللسان من أغلب الآفات، بالإضافة إلى كونه يدعو إلى التفكير في أمور الدين والدنيا، جاء في الحديث النبوي الشريف:

«طُوبَى لِمَنْ ... أَنْفَقَ الْفُضْلَ مِنْ مَالِهِ وَأَمْسَكَ الْفُضْلَ مِنْ قَوْلِهِ» [٩٠٧].

كما أن المتقى لا يضحك بصوت عال ويقهقهه في ضحكه، لأن القهقهة من عادات الأثرياء المغرورين والأفراد الفارغين، قال أمير المؤمنين عليه السلام في غرر الحكم:

«خَيْرُ الضَّحِكِ التَّبَسُّمُ».

والعبارة:

«وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ...»

إشارة إلى أنه أحياناً قد يمارس بعض الأصدقاء والقرباء وربما حتى الاخوة ظلماً بحق الإنسان بحيث لوهب للانتقام لنشبت نزاعات مستمرة قد تنتهي إلى ما لا- يحمد عقباه، فإنّ إعتد الإنسان في ظل هذه الظروف التحمل واستيعاب الآخر وسلم الطرف المقابل لله يكون قد أنقذ نفسه من الوسواس الشيطانية الخطيرة، كما يكون قد حافظ على حالة الهدوء والاستقرار في المجتمع، طبعاً ليس المراد من هذا الكلام العدو والغادر والقاسي، ذلك لأنّ مثل هذا التحمل والسكوت يدعوه لمزيد من الظلم والطغيان.

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى أربع صفات أخرى تكمل كلّ واحدة منها الأخرى فقال:

«نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ. وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ»

. أى أنه يتحمل المزيد من العناء بغية استقرار المجتمع، مثلاً لو ظهرت بعض المشاكل في المجتمع جهد نفسه وتحمل بعض المشاق لحل تلك المشكلات بغية إراحة المجتمع فالواقع أنّ هذا نوع من الإيثار والتضحية يعمد بموجبه الإنسان إلى تحمل بعض المشاكل الاجتماعية من أجل راحة خلق الله.

وذهب بعض شراح نهج البلاغة إلى أنّ العبارة الثالثة والرابعة

«أَتَعَبَ نَفْسَهُ...»

بمثابة الدليل على العبارتين السابقتين؛ أى إن كانت نفسه في عناء من جانبه فذلك لأنه يسعى دائماً للاستعداد والتزود للدار الآخرة، وإن كان الناس منه في راحة

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٤٥

فذلك لأنه قرر ذلك.

كما يحتمل أن تكون العبارتان واردتين بشأن مسألة أخرى فالعبارتان السابقتان إشارة إلى الأمور المادية، وهاتان العبارتان إشارة للأمر المعنوية.

قال الإمام عليه السلام:

«مَنْ عَمَرَ دَارَ إِقَامَتِهِ فَهُوَ الْعَاقِلُ» [٩٠٨]

. وقال تعالى: «وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ» [٩٠٩].

ثم اختتم الإمام عليه السلام الخطبة بأربع صفات أخرى من الصفات البارزة للمتقين الاختتام الذي ربما لم يكن آخر الخطبة لولا تلك الحادثة التي وقعت لهمام ولعله أشار لمطالب مهمة أخرى بهذا الشأن) فقال:

«أَتَعَبَ نَفْسَهُ لِإِخْرَجَتِهِ، وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ. بُعِدَهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهَيْدٌ وَنَزَاهِيَةٌ؛ وَدُنُوهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لَيْنٌ وَرَحِيَةٌ، لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكَبِيرٍ وَعَظْمَةٌ، وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعةٌ».

فقد أشار الإمام عليه السلام في ذكره لهذه الصفات إلى نقطة مهمة وهي: أنّ المتقين في صلاتهم الاجتماعية وتعاملهم مع الأصدقاء والأعداء واقامتهم للعلاقات أو قطعها مع هذا أو ذاك وبالتالي التعامل مع جميع الأمور إنّما ينشدون أهدافاً مقدسة؛ فإن بعدوا عن شخص فإنما ذلك بسبب تلوثه بالمعاصي أو أنّ الاقتراب منه يجعلهم عرضة للافتتان بزخارف الدنيا التي ابتلى بها هذا الفرد، وبالطبع فإنّ اقترابهم من الأفراد يستند إلى دورهم في هداية الجهال وتبنيه الغافل ومساعدة الضعيف والفقير، أما أصحاب الدنيا فإنما يتعدون عن هذا الفرد أو ذاك بسبب كبرهم وغرورهم ويقترّبون من هذا أو ذاك بغية تحقيق مصالحهم المادية والخداع والتضليل.

**مصير همّام بعد سماع الخطبة**

صرّح الراوى بعد نهاية الخطبة التي ذكرها الإمام عليه السلام حين بلغ هذا الموضع من

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٤٦

الخطبة

«قَالَ: فَصَعِقَ هَمَامٌ صَعَقَهُ كَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا».

«فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: أَهَكَذَا [٩١٠] تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةَ بِأَهْلِهَا».

«فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: فَمَا بِالْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ!».

«فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَيَحْكُ، إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتًا لَا يَغْدُوهُ، وَسَبَبًا لَا يَتَجَاوِزُهُ».

ثم أضاف الإمام عليه السلام:

«فَمَهْلًا! لَا تَعُدْ لِمِثْلِهَا، فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ!».

وهنا يرد هذا السؤال: لم كانت عاقبة همام تلك الصعقة بينما لم تحدث للإمام عليه السلام الذي ساق هذا الكلام؟

لابد من الالتفات في الجواب عن هذا السؤال إلى نقطة مهمّة وهي أن همام وإن كان رجلاً عابداً وزاهداً كما ورد في مستهل الخطبة «كَانَ رَجُلًا عَابِدًا»

وقلبه يفيض حكمة ومعرفة وروحه مفعمة بالصفاء والنقاء (كما يتجلى ذلك من سؤاله) ولكن مهما كانت روحه سامية لا يمكن مقارنتها بروح أمير المؤمنين عليه السلام التي تمثل بحراً من السمو والكمال، ومن هنا لم يسع قلب همام تحمل كل تلك المفاهيم والمعارف، وهل يمكن سكب البحر في جدول صغير؟ وعليه فليس من العجب أن يصعق همام صعقة تكون نفسه فيها ويفارق الدنيا. فقد ورد في القرآن الكريم بشأن قصة موسى وبنى اسرائيل وتجلي النور الإلهي للجبل: «فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا» [٩١١].

فلم يقتصر الأمر على عدم تحمل موسى، بل إنهار ذلك الجبل بعظمته.

نعم! فالمواعظ التي تنطلق من القلب تستقر هكذا في القلب، والمهم أن يكون الإنسان من ذوى «الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ»

وإلا فالعتاة من الأفراد من ذوى القلوب

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٤٧

القاسية والملوثة والواقعة في شباك الشيطان لا تمتلك الآذان الصاغية لسماع المواعظ ولا القلب الوداع لاستيعابها.

بعبارة أخرى أن همام وإن كان متقياً عالي الهمة، لكنه لم ير في نفسه ذلك السمو الذى بينه الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة، فاشتعلت فى أعماقه نيران الحسرة وصعقت نفسه كمداً.

ويشهد التاريخ الإسلامى على وجود العديد من هذه النماذج من الآثمين أحياناً الذين عادوا إلى رشدهم وعدد من المتقين الذين سمعوا مثل هذه المواعظ فلم يتحملوها وفارقوا الحياة [٩١٢].

وهناك احتمال ثالث وهو أن همام لما سمع البشائر التى ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام للمتقين حلقت روحه شوقاً إلى ديار المعبود لتعانق الجنان.

وجاء فى الخبر أن «ربيع بن الخُثيم» كان فى ذلك المجلس فلما صعق همام جرت دموعه على خديه وقال لأمير المؤمنين عليه السلام ما أسرع أثر وعظك فى ابن أخى ليتنى كنت مكانه، فقال عليه السلام:

«هَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا» [٩١٣].

والجواب عن السؤال الثانى هو ما ذكره الإمام عليه السلام أن لكل إنسان أجلاً فلا يفارق الدنيا حتى يحلّ أجله، ولكن حين حلول

الأجل يمكن أن يكون العامل النهائي بعض الأمور المختلفة، والعامل النهائي هنا العبارات العميقة لأمر المؤمنين عليه السلام، أضف إلى ذلك لا يمكن مقارنة روح الإمام عليه السلام بروح همام، فروح الإمام بحر متلاطم من الأمواج وليس من قبيل البركة التي تتغير أوضاعها بفعل التلاطم الشديد للمياه.

ويتضح مما تقدم جواب السؤال الثالث وهو لم قبل الإمام عليه السلام طلب همام وبين له تلك المواعظ الشافية والكافية والسامية، بينما قال عليه السلام كنت أخشى عليه هذه

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٤٨

الحادثة؟! لأن العامل النهائي حين حلّ أجله يمكن أن يكون تغييراً لمختلف أجهزة البدن أو الأمواج المعنوية العاتية داخل الروح. أما قول الإمام عليه السلام للمعترض: (لا تعدّ لمثلها فإنما نفث الشيطان على لسانك) فذلك لأنه لم يطرح السؤال بغية التحقيق لفهم الموضوع بل كان هدفه نقض كلام الإمام عليه السلام وبعبارة أخرى إبطاله حسبما يظن، والحق أن سؤالاً بهذا الشكل ولأجل هذا الهدف لهو سؤال شيطاني.

## تأمل

### نظرة أخرى لخطبة همام

هذه الخطبة في الواقع دورة متكاملة في الأخلاق الإسلامية التي تسلط الضوء على جميع زوايا الحياة الفردية والاجتماعية والمادية والمعنوية للإنسان، كما أنّها نظام متكامل لأولئك الذين يرومون السير والسلوك إلى الله.

فقد بينت صفات المتقين بأسلوب بديع خلال أكثر من مائة وعشر صفات (وكأنه عليه السلام اختار العدد الذي يمثل اسمه المبارك) فانطلق بها من إصلاح اللسان واختتمها بالتدين الاجتماعي واحترام حقوق الآخرين، فهناك بعض الأفراد الذين ينسحبون من الميدان منذ الخطوة الأولى أثر ضعف إيمانهم وخواء إرادتهم، لكن غيرهم من الأفراد مثل همام وباجتيازه لهذه الخصال يحث الخطي للقاء المعبود.

ومن المزايا التي تتصف بها هذه الخطبة أنّها تنتشل التقوى من صيغتها السلبية التي تراود أذهان البعض وتعرضها بصيغتها الإيجابية كما وردت في الآيات القرآنية والروايات الإسلامية.

وهذه الخطبة لا تقول لك عليك باعتزال عن المجتمع والانقطاع عن كل شيء في الدنيا لتبقى محافظاً على طهرتك، بل ترشد إلى الإندكاك في وسط المجتمع ووسط الأمواج العاتية لحياة أصحاب الدنيا بحيث لا يترك ذلك بصماته السيئة عليك، على

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٤٩

غرار الإنسان القوى البنية الذي يبقى محافظاً على سلامته وسط المرضى ويقاوم كافة الميكروبات والجراثيم.

وقد صنف المرحوم العلامة الشهيد المطهري التقوى إلى قسمين في كتابه (عشر مقالات): تقوى الضعف وتقوى القوة، وقال عن تقوى الضعف: إن الإنسان وبغية صون نفسه من المعاصي يهرب من أسبابها، وتقوى القوة: أن يخلق في روحه قوة وقدرة بحيث تمنحه حصانه روحية وأخلاقية.

ويضيف: يشاهد في أدينا الشعرية والنثرية بعض التعليمات التي تعكس التقوى بصورتها الأولى والتي ينبغي التعامل معها بحذر، ثم يتطرق إلى شرح تقوى القوة ويقول: «إن التقوى في النصوص الدينيّة سيما نهج البلاغة تعني تلك الملكة المقدسة التي تمد الروح بالقوة والإقتدار وتلجم النفس الأمارة وتكبح جماح العواطف الجامحة» [٩١٤].

نعم فالتقوى والإعتزال لا يعدّ فخراً، والفخر إنّما يحقّ ليوסף عليه السلام الذي صان نفسه عن تلك الرغبات الجنسية الشديدة وحفظ

نفسه من الفحشاء ببرهان ربه وذلك مثل التقوى في أعلى مستوياتها.

طبعاً لا ننكر أن البعض لم يبلغ هذه المرحلة من التقوى (تقوى القوة)، وما أكثر من يضطر لانتخاب الصنف الأول (تقوى الضعف).

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٥١

## الخطبة ١٩٤

### إشارة

يَصِفُ فِيهَا الْمُنَافِقِينَ [٩١٥]

### نظرة إلى الخطبة

الخطبة كما يبدو من عنوانها في المنافقين حيث تتحدث عن صفاتهم وتتكون من قسمين:

القسم الأول: يبتدئ بحمد الله والثناء عليه والشهادة بالرسالة للنبي صلى الله عليه وآله وتركزت خاتمته على المحن العظيمة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وما حاكه المنافقون وخصوم الدعوة الإسلامية ضده من مؤامرات خطيرة، وحيث تواصل خط النفاق واشتد بعد النبي صلى الله عليه وآله على عهد الإمام عليه السلام فقد حذر عليه السلام في القسم الثاني من الخطبة من خطورة المنافقين وذكر بالأدلة والبراهين للمجتمع الإسلامي خصائصهم الواحدة تلو الأخرى ليتعرف عليهم جميع المسلمين ويقبروا مؤامراتهم في مهدها.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٥٣

### القسم الأول

### إشارة

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَذَادَ عَنْهُ مِنَ الْمُعْصِيَةِ، وَنَسَأَلُهُ لِمَنْتِهِ تَمَامًا، وَبِحَبْلِهِ اغْتِصَامًا. وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خَاصًّا إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ كُلِّ غَمْرَةٍ، وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ. وَقَدْ تَلَوْنَ لَهُ الْأَذْوَانَ، وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصُونَ، وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعْنَتَهَا، وَضَرَبَتْ إِلَى مُحَارَبَتِهِ بَطُونَ رَوَاجِلِهَا، حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَهَا، مِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ، وَأَسْحَقِ الْمَرَارِ.

### الشرح والتفسير: محن الرسالة

استهل الإمام عليه السلام هذه الخطبة كسائر الخطب بحمد الله والثناء عليه والشهادة للنبي صلى الله عليه وآله بالرسالة، وقرن الحمد والثناء هنا بالتضرع والدعاء فقال:

«نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَذَادَ [٩١٦] عَنْهُ مِنَ الْمُعْصِيَةِ، وَنَسَأَلُهُ لِمَنْتِهِ تَمَامًا، وَبِحَبْلِهِ اغْتِصَامًا».

ولما كان أعظم فخر للإنسان هو التوفيق للطاعة وترك المعصية، فقد ركز الإمام عليه السلام هنا على هاتين النقطتين، والمراد من التوفيق هنا توفير أسباب الطاعة وترك المعصية، ذلك لأن الله أفاض علينا العقل والفتنة والضمير الحي وبعث الأنبياء والرسل وأنزل الكتب السماوية التي تقرّبنا جميعاً من الطاعة وتبعدنا عن المعصية، ولولا هذه الأسباب لغرقنا في مستنقع المعصية، وعليه يجدر بنا حمد الله وشكره على الدوام على هذه النعم العظيمة.



أما الدعاء الذي ذكره الإمام عليه السلام في عبارتين عقب هذا الحمد والثناء؛ فهو يتعلق

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٥٤

بطلب إكمال هذه النعم والتوفيق للاعتصام بحبل الله، والمراد منه دين الله كما يفهم من الآية الشريفة: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» [٩١٧].

أو المراد القرآن الكريم كما يستفاد من حديث الثقلين حيث قوله:

«كِتَابَ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ» [٩١٨]

أو المراد كلاهما حيث ليس هنالك من فارق بينهما.

الحق سنصبح أسعد الناس إن شملنا هذا التوفيق الإلهي بحيث تتم نعمه علينا ويقوى تمسكنا بحبل الله.

وقد طرح بعض شراح نهج البلاغة إشكالاً مفاده: كيف يطلب الإمام عليه السلام إتمام النعمة، بينما صرح القرآن الكريم قائلاً: «وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَأُنْثَوُهَا» [٩١٩] في إشارة إلى أن نعم الله خارجة عن حدود العد والإحصاء؟

ولكن ما ينبغي الالتفات إليه هو أن لإتمام النعم مراحل ودرجات؛ فإن تعذر على الإنسان بلوغ المرحلة النهائية فإنه يستطيع الوصول إلى سائر مراحلها الأخرى وهذا ما سأله الإمام عليه السلام الله تبارك وتعالى.

ثم شهد عليه السلام بنوّة النبي صلى الله عليه وآله بذكر بعض الصفات البارزة من صفاته فقال:

«وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خَاصَّ إِلَيَّ رِضْوَانِ اللَّهِ كُلَّ غَمْرَةٍ [٩٢٠]، وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ [٩٢١]».

وهاتان الصفتان التي بينهما الإمام عليه السلام بشأن النبي صلى الله عليه وآله جامعتان لكل صفات الخير؛ فالوقوف بوجه المحن والجلد على المصائب مالم يقترن بتلك المقاومة والتحمل فإنه لن يتمخض عن تبلور الأعمال ذات الأهمية.

وتشير العبارة:

«تَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ»

إلى أن المحن والخطوب التي تحملها رسول الله صلى الله عليه وآله لم تكن واحدة أو اثنتين بل كان يتجرعها الواحدة تلو الأخرى

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٥٥

فقد تحمل من أعداء الإسلام أشد المصاعب، صابراً حيث زرعو طريقه بالأشواك والعقبات، لكنه تخطاها جميعاً، وهذا بحد ذاته درس لجميع الأفراد الذين يرومون مواجهة الطاغوت وإصلاح مجتمعهم.

ثم بين الإمام عليه السلام جانباً من بعض المصائب العظيمة التي واجهها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إبان الدعوة إلى الله بعبارات قصيرة وعميقة المعنى فقال:

«وَقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الْأَذْنُونَ [٩٢٢]،

وَتَأَلَّبَ [٩٢٣] عَلَيْهِ الْأَقْصُونَ، وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعْتَتَهَا [٩٢٤]، وَضَرَبَتْ إِلَى مُحَارَبَتِهِ بَطُونَ

رَوَّاحِلَهَا [٩٢٥]، حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَهَا، مِنْ أُنْبَعِدِ الدَّارِ، وَأَسْحَقِ [٩٢٦] الْمَرَارِ».

والعبارة:

«تَلَوَّنَ لَهُ الْأَذْنُونَ»

إشارة إلى أن البعض من قرابة النبي صلى الله عليه وآله كالعباس الذي كان يرغب في دعمه وإسناده لم يكن جاداً بهذا الخصوص.

والعبارة:

«تَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصُونَ»

إشارة إلى سائر القبائل البعيدة عن قريش والتي اتحدت مع بعضها وألبت سائر القبائل للوقوف بوجه النبي صلى الله عليه وآله ودعوته

بحيث لم يكن يجرأ أحد من قرابته للدفاع عنه بشجاعة في ظل تلك الظروف كما كانت وتيرة العداة تتصاعد بالشكل الذي يصعب معه مواجعتها.

والعبارة:

«خَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعْتَتَهَا، وَضَرَبَتْ إِلَى مُحَارَبَتِهِ بَطُونَ رَوَاحِلَهَا»

إشارة إلى سرعة وجدية الخصوم في معاداته صلى الله عليه وآله، ذلك لأنهم حين يريدون للراحلة أن تسير بسرعة يسلسون قيادها ويضربون بطنها واضلاعها. والتاريخ الإسلامى بكل فصوله وصفحاته ليشهد على هذه الحقيقة، حيث إن الأعداء لم يتورعوا عن القيام بأى فعل كانوا يعتقدون أن من شأنه القضاء على الإسلام والنبي صلى الله عليه وآله والدعوة؛ لكن الله أراد لهذا النور أن يتم ولا يطفأ وأن يزداد إشراقاً يوماً بعد آخر، وفقد أفضل

نفحات الولاية؛ ج ٧؛ ص ٤٥٥

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٥٦

خططهم واطفاً بمطر لطفه ورحمته نيران فتنهم ومؤامراتهم فخرج النبي صلى الله عليه وآله من هذه الأحداث الخطيرة منتصراً مرقوع الرأس وبسط نفوذ الإسلام ونشر راياته في غرب العالم وشرقه.

ولكن حيث كان للمنافقين فى الداخل - أولئك الذين أظهروا إسلامهم وإلتحقوا ظاهرياً بركب المسلمين بينما كانت قلوبهم مع الأعداء وتختزن البغض والعداء - دور مهم وخطير تواصل حتى عهد الإمام عليه السلام وتغلغل بين صفوف المسلمين، فقد حذر المسلمين تحذيرات جدية بشأن خط النفاق وشرح - كما سيأتى - فى القسم القادم خصائص المنافقين وأخطارهم وسلط ابن أبى الحديد الضوء هنا على المخاطر والصعوبات التى تخاطها رسول الله إبان الدعوة وقال:

«من قرأ وكتب السيرة علم ما لاقى رسول الله صلى الله عليه وآله فى ذات الله من المشقة واستهزاء قريش به فى أول الدعوة ورميهم إياه بالحجارة حتى أدموا عقيبهم وصياح الصبيان به وفرث الكرش على رأسه وقتل الثوب فى عنقه وحصره وحصر أهله فى شعب بنى هاشم سنين عدده محرمة معاملتهم ومبايعتهم ومناكحتهم وكلامهم حتى كادوا يموتون جوعاً لولا أن بعضاً ممن كان يحنو لرحم أو لسبب غيره فهو يسرق الشىء القليل من الدقيق أو التمر فيلقيه إليهم ليلاً، ثم ضربهم أصحابه وتعذيبهم بالجوع والوثاق فى الشمس وطردهم إياهم عن شعاب مكة حتى خرج من خرج منهم إلى الحبشة وخرج عليه السلام مستجيراً منهم تارة بثقيف وتارة بنى عامر وتارة ببيعة الفرس وبغيرهم، ثم اجمعوا على قتله والفتك به ليلاً حتى هرب منهم لائذاً بالأوس والخزرج تاركاً أهله وأولاده حتى وصل المدينة فناصره الحرب ولم يزل منهم فى عناء شديد وحروب متصلة حتى أكرمه الله تعالى ونصره وأدى دينه، ومن له أنس بالتواريخ يعلم من تفاصيل هذه الأحوال ما يطول شرحه» [٩٢٧]. (هذه هى الأمور التى أشار إليها الإمام عليه السلام فى هذه العبارات القصيرة والعميقة المعنى).

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٥٧

## القسم الثانى

### إشارة

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَحَدِذْكُمْ أَهْلَ النَّفَاقِ، فَإِنَّهُمْ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ، وَالزَّالُونَ الْمُرْتَلُونَ، يَتَلَوْنُونَ أَلْوَانَ، وَيُفْتَنُونَ افْتِنَانًا، وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ، وَيُضَيِّدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ. قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ، وَصِدْفَانُهُمْ نَقِيَّةٌ. يَمْسُونَ الْحَفَاءَ، وَيَدْبُونَ الصَّرَاءَ. وَصِدْفُهُمْ دَوَاءٌ،

وَقَوْلُهُمْ شِفَاءً، وَفِعْلُهُمُ الدَّاءُ العَيَاءُ. حَسَدَهُ الرَّحَاءُ، وَمُوكَدُّ البَلَاءِ، وَمُقْنَطُوا الرَّجَاءِ.  
لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيحٌ، وَإِلَى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ، وَلِكُلِّ شَجْوَدٍ مُوَعٌ. يَتَفَارَضُونَ الثَّنَاءَ، وَيَتَرَاقِبُونَ الْجَزَاءَ إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا، وَإِنْ عَدَلُوا كَشَفُوا،  
وَإِنْ حَكَمُوا أَشْرَفُوا.

### الشرح والتفسير: خطر المنافقين

كما ذكرنا في آخر القسم السابق فإن الإمام عليه السلام أشار هنا إلى صفات المنافقين ليحذر المسلمين من خطرهم فذكر أوصافهم  
بمنتهى الدقة بحيث يعجز غيره بالخوض في صفات المنافقين بهذا العمق والدقة.

واستهل كلامه بست من صفاتهم فقال:

«أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَحْذَرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ، فَإِنَّهُمْ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ، وَالزَّالُونَ [٩٢٨] الْمُزِلُّونَ، يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَانًا،  
وَيَفْتَنُونَ [٩٢٩] افْتِنَانًا».

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٥٨

فالصفة الأولى التي ذكرها الإمام عليه السلام للمنافقين تتمثل في ضلالهم؛ ليس ضلالهم فحسب بل إصرارهم على إضلال وإغواء  
الآخرين، أضف إلى ذلك فهم خاطئون يسعون إلى قذف الآخرين في لهوات الخطأ والزلل.

ويبدو الفارق بين الضالين والزالين واضحاً، فالأولى إشارة إلى السير عن عمد وعلم في طريق الضلال والغواية، وتشير الثانية إلى كثرة  
زلاتهم وأخطائهم.

نعم! فزلاتهم جمّة كثيرة وكيف لا تكون كذلك ولم يستضيئوا بنور العلم والإيمان.

وبغض النظر عن هذه الخصال الذميمة الأربع فهم أفراد متلونون يخرجون كلّ يوم بلون معين ويلبسون شكلاً آخر في كلّ زمان  
ليحققوا أغراضهم الدنيئة من خلال ذلك فإذا كانوا بين المصلين وقفوا للصلاة، وإن خالطوا أهل الخمر والفجور انغمسوا في  
تعاطيها، بالضبط كما وصفهم القرآن: «وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ  
مُسْتَهْزِئُونَ» [٩٣٠].

وربما يكون الفارق بين

«يتلونون» و «يفتنون»

أن الأولى تشير إلى جوانبهم وأبعادهم الظاهرية حيث يكتسبون كلّ يوم لونا، والثانية إشارة إلى خططهم الخفية بحيث يعملون كلّ  
يوم لخطّة مشبوهة، فطبيعة النفاق تتمثل في أقوالهم وأفعالهم وخططهم.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه في هذا الإطار فأشار إلى ست صفات أخرى من الصفات الخطيرة التي يتصف بها المنافقون بعبارة  
قصيرة عميقة المعنى فقال:

«وَيَعْمِدُونَكُمْ [٩٣١] بِكُلِّ عِمَادٍ، وَيَزُودُونَكُمْ [٩٣٢] بِكُلِّ مِرْصَادٍ. قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ [٩٣٣]،

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٥٩

وَصِفَاحُهُمْ [٩٣٤] تَقِيَّةٌ. يَمْسُونَ الْخَفَاءَ، وَيَدْبُونَ [٩٣٥] الضَّرَاءَ [٩٣٦]، وَصَفُهُمْ دَوَاءٌ، وَقَوْلُهُمْ شِفَاءً،

وَفِعْلُهُمُ الدَّاءُ العَيَاءُ [٩٣٧].»

والعبارة:

«وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ»

إشارة إلى أنهم لا يتورعون عن التشبث بكلّ وسيلة للقضاء عليكم، من قبيل بثّ الشائعات وإثارة الشكوك في صفوف المؤمنين وبث

الفرقة والعداوة والبغضاء والفساد و....

والعبارة:

«وَيُضِدُّوْكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ»

إشارة إلى أنهم لا يغضون الطرف عن أدنى فرصة بغية تسديد الضربات إلى السلمين والانقضاض عليهم. فهم متربصون فإذا ما سنحت أدنى فرصة وثبوا عليكم.

وجميع العبارات القادمة تعكس ازدواج شخصية المنافقين واختلاف ظاهرهم عن باطنهم فقال إن قلوبهم مريضة وظاهرهم سليم، أقوالهم تبدو شافية، غير أن تصرفاتهم سقيمة لا علاج لها، فجميع أعمالهم مقرونة بالمؤامرات السرية والخطط الشيطانية الخفية.

ثم واصل عليه السلام كلامه لبيّن ثلاث صفات أخرى فقال:

«حَسَدُهُ [٩٣٨] الرَّحَاءِ، وَمُؤَكَّدٌ

وَالْبَلَاءِ، وَمُقْنَطُو الرَّجَاءِ».

قال تعالى في القرآن المجيد: «أَنْ تَمَسَّسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا» [٩٣٩] وهذه هي طبيعة المنافقين في كل عصر ومصر.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٦٠

إن بثّ اليأس والتشاؤم بغية إضعاف الإرادة والقضاء على قوة الجهاد والمقاومة، هي إحدى الحيل الخطيرة للمنافقين بحيث لو نجحت لانطوت على آثار غاية في الخطورة، ويبدو هذا الموضوع أعظم خطورة في العصر الراهن حيث تخيم فيه وسائل الإعلام على جميع أرجاء المعمورة، وقد وصف المنافقون هذه الوسيلة في داخل وخارج البلدان الإسلامية لإدخال اليأس في قلوب المسلمين وصددهم عن الرقى والتقدم والتطور وتمهيد السبيل للقضاء عليهم. ولا بد هنا من الصمود لمواجهة هؤلاء الشياطين بكل ما أوتى المسلمون من قوة والتذكير بالألطف الإلهية والعنايات الخفية وخلق الأمل هنا وهناك والجهر بهذا المبدأ: «أَنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» [٩٤٠]، «وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» [٩٤١].

ثم أشار عليه السلام إلى ثلاث صفات من صفاتهم فقال:

«لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيحٌ [٩٤٢]، وَإِلَى

كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ، وَلِكُلِّ شَجْوٍ [٩٤٣] دُمُوعٌ».

العبارة الأولى كناية عن كثرة الأفراد الذين يذهبون ضحية مؤامراتهم وخططهم أو يتعرضون للأذى والضرر.

وتشير العبارة الثانية إلى أن المنافقين يسعون بمختلف الحيل وأساليب الخداع والتلق للنفوذ إلى القلوب والإيحاء إلى الآخرين بأنهم من أصدقائهم.

وتشير العبارة الثالثة إلى أساليبهم المضللة في الخداع وذرف دموع التماسيح على مصائب المؤمنين ليغطوا من خلال ذلك على بغضهم الباطني وعداوتهم

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٦١

المتأصلة في قلوبهم فيخدعون الناس ويستقطنونهم إلى أودية الضلال فيجعلونهم يعيشون ذلك البؤس والشقاء.

والعبارة الرابعة إشارة إلى كثرة الأفراد الذين خدعوا بهم وهلكوا بفعل ضرباتهم الموجهة، وإشارة إلى أن ضحاياهم ليسوا قلائل بحيث يمكن تجاوزهم بسهولة، فهم على درجة من الكثرة وكان كل زقاق وشارع فقد ضحية لمؤامراتهم ومخططاتهم، وبناء على ما تقدم فلولم يتصد المسلمون لإفشال خططهم فسوف لن يسلم أحد من ضرباتهم المهلكة.

والعبارة الخامسة تخبر عن الأعيابهم بغية اختراق القلوب، فهم على الدوام شركاء مع اللصوص ورفاق قطاع الطرق والذين يزودون

السراق بكلّ المعلومات عن القوافل ويتعاونون معهم جنباً إلى جنب، ولذلك فهم يسعون ليوحوا لكلّ من يصادفونه أنّهم من خلص أصدقائه.

والعبارة السادسة هي إكمال وتأکید لما ورد في العبارة السابقة؛ فهؤلاء يصوّرون للآخرين أنّهم يشاطرونهم أحزانهم ويذرفون دموع التماسيح على مصائبهم بينما يضحكون في باطنهم ويشعرون بالسرور والفرح، نعم هذا هو ديدن النفاق. وأشار عليه السلام في مواصلته لكلامه إلى صفتين قبيحتين وذميتين من صفات المنافقين فقال: «يَتَقَارِضُونَ الثَّنَاءَ، وَيَتَرَاقِبُونَ الْجَزَاءَ».

نعم فكلّ واحد منهم يخوض في المجلس في مدح الآخر والاشادة به وينسب له بعض الصفات الحميدة التي ليس لها من صلة بشخصيته، على أساس أنّه يطالبه أن يعامله بالمثل فيمدحه ويثنى عليه في مجلس آخر، فمدحهم وثنائهم لا ينطلق من الحقّ قط وتقدير المحسنين والأخيار، بل الهدف سماع المزيد من الكذب المشابه لما يورد بحقه.

والعبارة:

«يَتَرَاقِبُونَ الْجَزَاءَ»

هي الأخرى تأكيد على هذا الموضوع وتعبير آخر عن هذه الصفة الذميمة والمريضة، أي أنّهم لا يقدمون خدمة مجاتيّة بعيدة عن الرياء لكائن من كان، بل يتوقعون مقابلها خدمة لهم، ولا يقتصر ذلك على الثناء فحسب بل في كلّ أمر وحيثما ما كان.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٦٢

وأخيراً اختتم الإمام عليه السلام هذا القسم ببيان ثلاث رذائل أخلاقيّة ذميمة للمنافقين فقال:

«إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا [٩٤٤]، وَإِنْ عَدَلُوا [٩٤٥] كَشَفُوا، وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا».

إنّ حاجة الناس لبعضها البعض ممّا لا يمكن إنكاره وقد توجب هذه الحاجة أحياناً أن يلجأ أحد للآخر لمساعدته في حلّ مشكلته، إلّا أنّ الإلحاح عمل قبيح، فذلك الطرف المقابل ربّما لا يريد أو يتعذر عليه القيام بذلك العمل أو قبول ذلك الطلب فيشعر بحاله من الخجل والانزعاج من ذلك الإلحاح.

قال القرآن الكريم في بيان صفة المؤمن حين الحاجة: «لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا» [٩٤٦] إلّا أنّ المنافقين يريدون نيل أهدافهم وإن أخذ الطرف المقابل حياةً واضطر للعمل خلاف رغبته وميله؛ وكذلك إن إرادوا نصح شخص وأمره بالمعروف كما يزعمون ذهبوا بماء وجهه وسط الآخرين، بينما صرحت التعاليم الإسلاميّة بأنّ هذا العمل ينبغي أن يتمّ بمنتهى الدقّة واللطافة؛ بما يحفظ ماء وجه المسلم ولا يكدره ويجعله يعيش حالة من الحزن والغم.

وتشير العبارة:

«وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا»

إلى أنّ المنافقين إن بلغوا منصباً فإنّهم ليس فقط لا- يؤدّون حقّ ذلك المنصب، بل يسلكون طريق الاسراف فيغضبون الله والناس لضمان مصالحهم اللامشروعة، قال القرآن الكريم بشأن بعض المنافقين:

«وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَأُحِبُّ الْفُسَادَ» [٩٤٧].

ويحتمل أن يكون المراد من قوله

«إِنْ حَكَمُوا»

أنّهم إن تصدّوا للحكم في مسألة معينة فإنّ حكمهم لا يستند إلى العدل قط وأنّهم ينتهكون حدود العدل والقسط، ولا مانع من الجمع بين التفسيرين.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٦٣

## القسم الثالث

## إشارة

قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقِّ بَاطِلًا، وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلًا، وَلِكُلِّ حَقٍّ قَاتِلًا، وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحًا، وَلِكُلِّ لَيْلٍ مِضٍ بِأَحَا. يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِتُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ، وَيُنْفِقُوا بِهِ أَغْلَاقَهُمْ، يَقُولُونَ فَيْشِدْبُهُونَ، وَيَصِدُّونَ فِيمَوْهُونَ. قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ، وَأَضَلَعُوا الْمَضِيقَ، فَهَمُّ لُئِمَةُ الشَّيْطَانِ، وَحُمَةُ النَّيِّرَانِ: (أَوْلَيْكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ).

## الشرح والتفسير: التخطيط الدقيق للمنافقين

أشار الإمام عليه السلام في هذا الحانب من الخطبة الذي يمثل ختامها إلى أن المنافقين يندفعون نحو تنفيذ مآربهم وفق خطط جهنمية متكاملة، واستنفروا أفكارهم لحل كل معضلة تعرض عليهم وأعدوا البرامج اللازمة للقضاء على معارضيهم فقال عليه السلام: «قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقِّ بَاطِلًا، وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلًا، وَلِكُلِّ حَقٍّ قَاتِلًا، وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحًا، وَلِكُلِّ لَيْلٍ مِضٍ بِأَحَا». فقد كشف الإمام عليه السلام عن حقيقة في هذه العبارات الخمس واستناداً لمفردة «أَعَدُّوا»

أن المنافقين يلمون بجميع الشؤون الإيجابية للمجتمع ويخططون لمواجهتها والقضاء عليها، وقد انطلقوا من بعض الحلول حتى في المواقف الصعبة التي تواجههم ليتمكنوا من خلال ذلك من فتح ما أغلق عليهم من أبواب وإزالة ما يعترض طريقهم من عقبات، فهم يحملون سراجاً في الليالي الظلماء لتحقيق مآربهم.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٦٤

وكثيراً ما تلاحظ الشواهد الحية لهذه العبارات العميقة المعنى في كلام الإمام عليه السلام طيلة التاريخ ولا سيما القرون الإسلامية الأولى ومن ذلك الحجج والذرائع لتنجية الإمام عليه السلام عن الخلافة (كونه شاباً أو فيه دعابة) وإحراق بيت الوحي بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بذريعة المخالفة لإجماع المسلمين (الإجماع الذي ليس له من وجود خارجي) والمطالبة بدم عثمان ومن جانب أولئك الذين تلطخت أيديهم بدمه، ورفع القرآن على أسنه الرماح حين الأشراف على الهزيمة وما شابه ذلك. والطريف أنهم يتشبثون أحياناً ببعض الأمور التي تثير الدهشة لدى كل إنسان مطلع؛ مثلاً حين قيل لجيش معاوية إنكم أنتم «الفئة الباغية» التي أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وآله في حديثه المعروف بشأن عمار حين خاطبه قبل ثلاثين سنة وقال له: «يَا عَمَارُ تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ»

فردوا على ذلك: إن قاتل عمار هو على، لأنه هو الذي أتى به! ونحن لم نقله [٩٤٨].

ثم أشار عليه السلام إلى حيلة أخرى من حيلهم في النفوذ إلى القلوب فقال:

«يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِتُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ، وَيُنْفِقُوا بِهِ أَغْلَاقَهُمْ» [٩٤٩].

فهم نفعيون مشبهون رأس مالهم الكفر والنفاق والضلال وزبائنهم السذج من الأفراد وثمان هذه المعاملة فقدان الدين والإيمان، على غرار بعض التجار الذين لا يهتمون للمشتري حين الشراء بغية استقطاب الآخرين لشراء بضائعهم على أساس أن:

«الإنسان حريص على ما مبيع»

فيشروا الرغبة لدى الطرف المقابل ليقبل على متاعهم الفاسد والتالف فيشتريه بأعلى الأثمان.

ثم قال عليه السلام:

«يَقُولُونَ فَيَشْبَهُونَ، وَيَصِفُونَ فَيَمُوهُونَ [٩٥٠]».

نعم! فهؤلاء دائماً ما يبدون النفاق والضلال بصيغة الحق ليقبله منهم الناس

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٤٦٥

الذين ينشدون الحق بفعل فطرتهم وطبيعتهم فيغوصوا في مستنقع من الضلال.

وقال في صفة أخرى

«قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ، وَأَضَلُّوا [٩٥١] الْمَضِيقَ».

ونحن نجد هذا الأسلوب عند منافق عصرنا الذين يستقطن العديد من الناس بسهولة ويلحقونهم بهم، ثم يقطعون العديد من التعهدات والمواثيق التي يبدو من الصعوبة بمكان الخروج منها كما يقوم الاستكبار العالمي الناهب وبغية توريط الأمم والشعوب بمنحها بعض القروض وبشروط غاية في السهولة بادئ الأمر، فإذا ما وقعت في شباكهم وخذعت بألاعيبهم مارسوا معها مختلف الضغوط وبشتى الوسائل ليفرضوا عليها رغباتهم وأغراضهم في حين تكون هذه الشعوب قد غاصت في مأزق يصعب عليها الخروج منه.

وأخيراً اختتم الإمام عليه السلام خطبته بهذا التحذير قائلاً:

«فَهُمْ لُْمَةُ [٩٥٢] الشَّيْطَانِ، وَحُمَةُ [٩٥٣]

النَّيْرَانِ:

«أُولَئِكَ حَزْبُ الشَّيْطَانِ، أَلَا إِنَّ حَزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ» [٩٥٤].

## تأمل

### النفاق والمنافقون طيلة التاريخ

لا يسع أحد تحديد الانطلاقة التاريخية للنفاق والمنافقين. فهناك العديد من الأفراد الفاسدين والمفسدين في المجتمعات البشرية الذين ينبرون للمواجهة حين يمتلكون القوة والقدرة اللازمة لها؛ ولكنهم حين يتجرعون الهزيمة، يعتمدون إلى إرتداء ثوب النفاق ليتحولوا إلى خلايا سرية ويواصلوا من خلال ذلك العمل لتحقيق أهدافهم المشبوهة، ويبدو أنهم يستسلمون في الظاهر ويعربون عن إخلاصهم وإلتحاقهم بالجماهير لكنهم يعتمدون سرياً مختلف الخطط والمشاريع لتحقيق

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٤٦٦

مآربهم وأهدافهم المُغرِضة.

ولعل من أبرز خصائص المنافقين الإزدواج في الشخصية، الإزدواج في الظاهر والباطن والقول والفعل والمجالس الخاصة والعامة وبالتالي الإزدواج في كل شيء والذي شرحه الإمام عليه السلام في هذه الخطبة بعبارات بمنتهى العمق والدقة، فهؤلاء يزعمون أنهم مصلحون بينما في الواقع هم مفسدون حقيقيون، ويحسبون أنفسهم أذكياء وعقلاء والآخريين حمقى وأغبياء، والحال هم الحمقى والبلهاء.

وهؤلاء شركاء للصوص وأصحاب القوافل ورفاق الناس وعملاء الأجانب الذين يعتاشون على البلد ويعيشون التبعية للاستعمار.

وإذا ما برزت عاصفة وجدد الجدد وحان وقت التضحية والفداء التمسوا الذرائع الواهية وصرخوا «إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ» [٩٥٥] وانسحبوا من الميدان، وهنا بالضبط تتكشف أوجه النفاق ويماط اللثام عنها أثر بروز الأحداث والصعوبات.

وخلافاً لما يعتقد بعض السذج من أبناء العامة من أن كل من رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسمع كلامه أو وقعت عيناه عليه

اكتسب هالة من القدسيّة واصطلح عليه بالصحابي وأحرزت عدالته وصدقه، فإنّ هنالك العديد من المنافقين الخطرين بين معاصرين لرسول الله صلى الله عليه وآله والذين أشارت إليهم سورة المنافقين وكما أشارت بصورة أوضح وأعمق سورة التوبة وسورة الأحزاب وسائر السور القرآنيّة، وكان لرسول الله صلى الله عليه وآله موقفه الشديد منهم، ومن يتأمل هذه السور القرآنيّة ويتمعن فيها يدرك شدّة موجة النفاق حتى في آواخر عمر النبي صلى الله عليه وآله إلّا أنّ نفوذ النبي وقدرته والانتصارات الباهرة للمؤمنين سلبتهم زمام المبادرة.

فقد نشطوا عقب رحيل النبي صلى الله عليه وآله وأعدوا مختلف الخطط المشبوهة وبلغ سعيهم درجة بحيث اعتلوا على عهد بنى أميّة منبر رسول الله صلى الله عليه وآله بعنوان خلفاء النبي صلى الله عليه وآله حيث شغله من اعتنق الإسلام وآواخر عهد النبي صلى الله عليه وآله و ابن أعدى أعداء النبي ألا وهو

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٦٧

معاوية «خال المؤمنين» وهذه قصة لا مجال لبحثها.

وكثيراً ما يشاهد اليوم النفاق في عالمنا المعاصر أكثر من أى وقت مضى، حيث ينشط فيها المنافقون بإعداد مختلف الخطط التآمرية وبوسائل وأدوات وإمكانات هائلة والكثير من العملاء في مختلف بقاع العالم والاستفادة من جميع الوسائل الحديثة والمتطورة والمشاريع الشيطانيّة.

كما تمارس البلدان الاستعمارية التي تتوقف حياتها على إمتصاص دماء الآخرين مختلف الجرائم والجنايات تحت غطاء بعض العناوين البراقة من قبيل حقوق الإنسان والحرية والديمقراطية، سيما في البلدان التي لا تتماشى مع سياستهم، حيث تتعالى أصواتهم لممارسة أدنى عنف بحقّ سجين بينما تخرس ألسنتهم حيال ما يجري في سائر السجون كسجن «أبو غريب» في العراق و «غوانتانامو» حيث ترتكب أشنع الجرائم التي قل نظيرها في التاريخ والتي دوت فضائحها في مختلف أرجاء العالم.

فهم يسعون في ظلّ هذه الحرية لسلب حرية العمل والعقيدة جميع معارضيهم ويسعون لترسيخ وتأسيس الحكومات العميلة لهم، بل لا يتورعون أحياناً من التصريح علناً بأنّ أفضل خيار لنا هي الحكومات التي ترعى مصالحنا.

وبالتالي يتحدّث هؤلاء عن الحكومات الشعبيّة، بينما يسعون جاهدين لإسقاط أى حكومة يقف ورائها الشعب لكنها لا تضمن مصالحهم.

ولعل إحدى طرقهم الخبيثة ما يقدمونه أحياناً كمساعدات أو قروض دون مقابل وأخرى مع مقابل وفائدة، والهدف غير المعلن بالطبع هو خلق التبعية في تلك الدول والبلدان، ذلك لأنّها إن أصبحت تابعة كان عليها أن تقبل مكرهه كلّ ما يملى عليها؛ وهذه قصة عميقة الفصول كثيرة الشعب يتطلب شرحها العديد من الكتب والمجلات وليس هنالك من سبيل للخلاص من مخالب هؤلاء المنافقين المتغترسين والمتسلطين والمتلونين سوى وحدة الشعوب المظلومة والمقهورة

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٦٨

فتقوم بالدرجة الأولى بكشف النقاب عنها وكشف حقيقتها ليعرفها الجميع، ثم تهب وفق خطة مدروسة لمقاومتها، والحقّ بما أنّ المنافقين يقتصرون على تحقيق أهدافهم الماديّة فإنّهم يفتقرون إلى روح الفداء والتضحية وبالتالي فهم محكومون بالهزيمة والفشل.

\*\*\*

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٦٩



## إشارة

يَحْمَدُ اللَّهَ وَيُثْنِي عَلَى نَبِيِّهِ وَيَعِضُ [٩٥٦]

## نظرة إلى الخطبة

يمكن تصنيف الأبحاث التي بينها الإمام عليه السلام في هذه الخطبة إلى ثلاثة أقسام:  
القسم الأول: حمد الله والثناء عليه مع ذكر بعض آثار الذات القدسيّة والتي تعدّ من عجائب عالم الوجود، ثم الشهادة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله بالرسالة والإشارة إلى بعض الصفات البارزة من صفاته.  
والقسم الثاني: إشارة إلى الهدف من خلق الإنسان ومراقبه الله له وشرحها بعبارات غاية في الروعة والجمال.  
والقسم الثالث: الوعظ بالتقوى والاستعداد لحساب الآخرة وحضور محكمة العدل الإلهية.  
نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٧١

## القسم الأول

## إشارة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ، وَجَلَالَ كِبَرِيَّائِهِ، مَا حَيَّرَ مُقَلَّ الْعُقُولِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ، وَرَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النُّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ.  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، شَهَادَةَ إِيْمَانٍ وَإِيْقَانٍ، وَإِخْلَاصٍ وَإِدْعَانٍ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ وَأَعْلَامَ الْهُدَى دَارِسَهُ، وَمَنَاهِجَ الدِّينِ طَامِسَهُ، فَصَدَعَ بِالْحَقِّ؛ وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ، وَهَدَى إِلَى الرُّشْدِ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

## الشرح والتفسير: البعثة النبوية والظروف الصعبة

استهل الإمام عليه السلام هذه الخطبة - كسائر الخطب - بحمد الله والثناء عليه، ولكن بعبارات جديدة وتشبيهات مريبة للنفوس ومهذبة لها.

فقال:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ، وَجَلَالَ كِبَرِيَّائِهِ، مَا حَيَّرَ مُقَلَّ [٩٥٧]

الْعُقُولِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ، وَرَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ [٩٥٨] النُّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ».

حقاً لو أمعن الإنسان النظر في عالم الخلق من الذرة حتى المنظومات السماوية والمجرات وأنواع النباتات والأزهار والثمار مروراً بالأصناف العجيبة للحيوانات

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٧٢

والطيور والسباع وحياتان البحار ووحوش الصحارى والأنواع المذهلة للحشرات والأحياء الدقيقة لتعرف كل يوم على عجائب جديدة وغرائب شتى فيها؛ والتي يكشف عنها كل يوم تطور العلم البشري ويعكس عجائب خلقتها بما يجعل الإنسان يعيش حالة من الدهول إزاء قدرة الخالق الحكيم، وهذه هي الحقيقة التي تتضح يوماً بعد آخر في أنه أسمى من الخيال والقياس والوهم، بل أسمى من كل ما رأينا وقرأنا وكتبنا.

ثم اتجه عليه السلام صوب الاقرار بالشهادتين ليبين كل واحد منهما بعبارات جديدة فقال:  
 «وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، شَهَادَةَ إِيْمَانٍ وَإِيْقَانٍ، وَإِخْلَاصٍ وَإِذْعَانَ [٩٥٩]».

فهذه العبارات الأربع (إيمان وإيقان وإخلاص وإذعان) تشير إلى أربع مراحل من العقائد الدينيّة، فالإيمان هو المرحلة الأولى حيث يقرّ الإنسان بشيء ثم يؤمن به رغم ما يثار حوله من شكوك وشبهات جزئية؛ ولكن مرحلة الإيقان هي المرحلة التي يزول فيها تلك الشبهات والشكوك ويضحى فيها الإيمان القلبي شفافاً ومشرقاً.

ومرحلة الإخلاص مرحلة نفى كل ما سوى الله فلا يرى المؤمن سواه فيعشقه ويناجيه ويطلب منه ولا يلتفت إلى أحد غيره، وأخيراً ترد مرحلة الإذعان التي تعنى حسب أرباب اللغة الإقرار المقرون بالخضوع، أي يظهر إيمانه في جميع أعماله وأقواله وتصرفاته، فتصطبغ حياته بالصبغة الربانيّة فيصبح مصداقاً لقوله تعالى «صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً» [٩٦٠].

ومن الطبيعي أنّ الإيمان واليقين والإخلاص كلّما تجذر في الإنسان كانت ثمرته النهائيّة تلك الأعمال. ولما فرغ عليه السلام من الشهادة لله بالوحدانيّة خاض في الشهادة بالرسالة مع ذكر بعض

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٧٣

الصفات البارزة للنبي صلى الله عليه وآله وأهدافه؛ فقال:

«وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ وَأَعْلَمَ الْهُدَى دَارِسَةً [٩٦١]، وَمَنَاهِجَ الدِّينِ طَامِسَةً [٩٦٢]، فَصَدَعَ [٩٦٣] بِالْحَقِّ؛ وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ، وَهَدَى إِلَى الرُّشْدِ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ».

والعبارة:

«أَعْلَمَ الْهُدَى»

تعنى العلامات التي توضع في طريق المسافرين حتى لا- يضلوا الطريق (كالإشارات الضوئيّة التي تنصبها إدارة المرور في الطرق والشوارع ليتعرف الناس على تلك الطرق) وتشير هنا إلى تعاليم أئمة الدين وإرشادات الكتب السماويّة.

والعبارة:

«وَمَنَاهِجَ الدِّينِ طَامِسَةً»

إشارة إلى قوانين السماء التي اعترها النسيان على عهد الجاهليّة.

نعم فقد نهض رسول الله صلى الله عليه وآله بالأمر وحمل لواء الدعوة في ظلّ هذه الظروف وذلك الوسط الذي خيمت فيه ظلمات الكفر على كلّ مكان فقام بأربعة أمور: الأول أنّه بين الحقّ في المعارف الدينيّة بصورة جليّة، ثم هب لابتناء الخير للناس ودعاهم بإرشاداته ومواعظه إلى ترك الذنوب والفساد والآثام وإمتثال الأوامر والطاعة لله ورسوله، وهداهم في المرحلة الثالثة إلى كلّ ما فيه سموهم وتكاملهم، وأخيراً أوصاهم بالعدل والقسط والاعتدال في جميع الأمور (صلوات الله وسلامه عليه)، فقد أشار الإمام عليه السلام في هذه العبارة إلى أركان الدعوة الإسلاميّة إلى جانب رسمه صورة واضحة للاوضاع في عصر الجاهليّة.

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٧٥

## القسم الثاني

### إشارة

وَاعْلَمُوا، عِيَادَ اللَّهِ، أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا، وَلَمْ يُرْسَلْكُمْ هَمَلًا، عَلِمَ مَبْلَغَ نِعْمِهِ عَلَيْكُمْ، وَأَخْصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ، فَاسْتَفْتِحُوهُ، وَاسْتَنْجِحُوهُ، وَاطْلُبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَمْتِحُوهُ، فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِيَابٌ، وَلَمَا أَعْلَقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بِيَابٌ، وَإِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ، وَفِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ

وَحِرَانٌ؛ لَمَا يَثْلُمُهُ الْعَطَاءُ، وَلَمَا يَنْقُضُهُ الْحَيَاءُ، وَلَا يَسْتَنْفِذُهُ سَائِلٌ، وَلَا يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ، وَلَا يَلْوِيهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ، وَلَا يُلْهِمِيهِ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ، وَلَا تَحْجُزُهُ هَيْبَةٌ عَنْ سَيْلِبٍ، وَلَا يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ، وَلَا تُؤْلَهُهُ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ، وَلَا يُجِنُّهُ الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ، وَلَا يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ. قَرَّبَ فَنَائِي، وَعَلَا فِدَانَا، وَظَهَرَ فَبَطْنِ، وَبَطَنَ فَعَلَنَ، وَدَانَ وَلَمْ يُدْنِ. لَمْ يَذَرِ الْخُلُقَ بِاخْتِيَالٍ، وَلَا اسْتَعَانَ بِهِمْ لِكَمَالٍ.

### الشرح والتفسير: الموائد الإلهية المطلقة

أشار الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الخطبة إلى ثلاث مسائل رئيسية: الأولى هدف الخليفة، ثم النعم الجمّة التي تفاض على جميع العباد، وأخيراً التأكيد على المراقبة الدائمة والحضور الإلهي في كلّ مكان وعلى كلّ حال. فقال في الأمر الأول:

«وَاعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا، وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلًا [٩٦٤].»

وهذا هو اقتباس من الآية الشريفة: «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٧٦

لَا تُرْجَعُونَ» [٩٦٥].

ومن المفروغ منه أنّ الله عليم وحكيم لا يفعل العبث قط، رغم أنّ منافع الأفعال وفوائدها لا تعود عليه بشيء؛ لأنّه غني مطلق، ولكن بالطبع لأفعاله آثار وبركات تعود على عباده.

وبما أنّ الشرط الأول لبلوغ الهدف يتمثل في وجود الهدى والمرشد فقد وردت العبارة:

«لَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلًا»

عقب العبارة

«لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا»

، لأنّ الإرسال في مثل هذه الحالات بمعنى الترك والهمل تقال في الأصل للقطيع دون راع، وعلى هذا الضوء تتضح مسؤولية الإنسان إزاء أهداف الخليفة وهداية الأولياء.

وقال عليه السلام في المسألة الثانية:

«عَلِمَ مَبْلَغَ نِعْمِهِ عَلَيْكُمْ، وَأَخْصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ».

والنعمة والإحسان تشمل جميع النعم المادية والمعنوية بالإضافة إلى مختلف القابليات والاستعدادات الباطنية، وهذا يعني أنّ الناس يتمتعون بنعمه فلا يسلكون طريق الجحود ولا يهدرون نعم الله ويجتنبون الكسل والتعاس في الانتفاع بهذه النعم وليعلموا أنّ جميع الأسباب والوسائل متوفرة للوصول إلى الهدف المنشود والكمال المطلوب.

ثم انتقل إلى المسألة الثالثة فقال عليه السلام:

«فَاسْتَفْتِحُوهُ [٩٦٦]، وَاسْتَنْجِحُوهُ [٩٦٧]، وَاطْلُبُوا إِلَيْهِ

وَاسْتَمْنِحُوهُ [٩٦٨]، فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ، وَلَا أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ».

إشارة إلى أنّ الفيض جاهز من المبدىء الفياض، وقد جاء الآن دوركم لتمدوا إلى خزائن لطفه يد العوز والحاجة وتفتحوا أبواب رحمته وتسالوه التوفيق والفلاح، وأنا لنعلم بالطبع أنّ النتيجة ستكون قطعية وحتمية حين تقترن قابلية

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٧٧

القابل بفاعلية الفاعل.

وخلافاً لما يظنه الوثنيون وعبدة الأصنام والمشركون وأتباعهم في عصرنا الراهن من أنّه لا ينبغي التوجه مباشرة إلى الله ولا بدّ من عبادة غيره ليفتح لهم الطريق إليه تعالى فقد صرح الإمام عليه السلام أنّ ليس هنالك من مانع ولا رادع في الطريق ولكلّ العباد طرق

بابه وإن استعانوا أحياناً بوجهة الشفعاء فهذا تأكيد آخر على الاتصال المباشر بالذات القدسيّة وإمثال أوامره. ثم خاض في توضيح هذا الكلام من خلال الإشارة إلى ثلاث نقاط أخرى ليوضح من خلالها الفارق بين عطاء الله وبذل الآخرين فقال:

«وَإِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ، وَفِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَّانٍ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَجَانٍّ؛ لَا يَتَلَمَّهُ [٩٦٩] الْعَطَاءُ، وَلَا يَنْقُصُهُ الْحِبَاءُ [٩٧٠]، وَلَا يَسْتَنْفِذُهُ سَائِلٌ، وَلَا يَسْتَنْقِصِيهِ نَائِلٌ.»

حيث إن الله الرحيم حاضر في كل مكان وتمد إلى ساحة كبريائه أعناق وأيدي جميع المحتاجين، بل هو مع كل شخص أينما كان، ومن جانب آخر فإنه ليس لعطائه من حدود، وهو دائم لا ينضب ولا ينفد ولا يخشى عليه التقدير على الآخرين إن منح البعض الآخر، لأنه وجود لامتناه من جميع الجهات ومن هنا فإن جوده وكرمه لا متناه ونعمته وعطاءه لامتناهين أيضاً، بل كما ورد في دعاء الافتتاح:

«وَلَا تَزِيدُهُ كَثْرَةُ الْعَطَاءِ إِلَّا جُوداً وَكَرَمًا»

، إشارة إلى أنه كلما أفاض أكثر كلما ازداد أمل الناس بجوده وكرمه. ثم خاض في المسألة الثالثة:

«وَلَا يَلْوِيهِ [٩٧١] شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ، وَلَا يُلْهِبِيهِ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ، وَلَا تَحْجِزُهُ هَيْبَةٌ عَنْ سَلْبٍ، وَلَا يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ، وَلَا تُولِيهِ [٩٧٢]

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٧٨

رَحْمَةً عَنْ عِقَابٍ، وَلَا يُجِنُّهُ [٩٧٣] الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ، وَلَا يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ.»

فهذه العبارات السبع تشجع من جانب للعباد في أن يسألوه كل ما يريدون، ويعلموا أنه لو تزامنت مع طلبات طلبات الخليقة كافة فإنه عليم بكل هذه الطلبات خبير بها، الأمر الذي لا يدركه إطلاقاً سوى الله تبارك وتعالى وكل ما سواه قد يشغله سؤال شخص عن الإلتفات إلى سؤال آخر.

ومن جانب آخر تحذير لجميع العباد في مراقبة حضور الله تبارك وتعالى في جميع الأحوال وليدركوا كما أن نعمه وعطاياه لامتناهية وأنه لا يخيب أحداً في سؤاله وطلبه وأن رحمته سبقت ومنعت غضبه وأن نعمه لا تحول دون مؤاخذه الظلمة والطغاة وأنه عالم بكل ما يفعلونه في خلوتهم وعلانيتهم، والحق ليس هنالك من معنى للغيب والشهادة والبعيد والقريب على الذات القدسيّة ولا تجرى هذه الأمور سوى على مخلوقاته المحدودة التي تشعر بالقرب والبعد والخفاء والعلانية.

ثم شرح وأكد ما ذكره في العبارات السابقة بسبع عبارات أخرى تتعلق بصفات الله تبارك وتعالى فقال:

«قَرَبَ فَنَأَى، وَعَلَا فَدَنَا، وَظَهَرَ فَبَطَنَ، وَبَطَنَ فَعَلَنَ، وَدَانَ [٩٧٤]

وَلَمْ يَدُنْ. لَمْ يَذَرِ [٩٧٥] الْخَلْقَ بِاحْتِيَالٍ، وَلَا اسْتِعَانَ بِهِمْ لِكَلَالٍ [٩٧٦].»

والواقع أن جميع هذه الصفات السبع تستند إلى حقيقة واحدة وهي: أنه وجود لامتناه من جميع الجهات، ولذلك فهو حاضر في كل مكان وفي نفس الوقت فإن كنه هذه الذات اللامتناهية خارج عن متناول الأفكار، والظاهر والباطن والقريب

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٧٩

والبعيد لديه على حد سواء، واستناداً إلى علمه اللامتناهية فهو غني عن الحاجة للتفكير حين الخلق ولهذا السبب فليس للتعب والكلل والملل من سبيل إلى ذاته القدسيّة، لأن هذه صفات المخلوقات ذات القدرة المحدودة، فيشعرون بالتعب حين تنفذ طاقتهم وقدرتهم والحق أن الإمام عليه السلام قد اعتمد منتهى الفصاحة والبلاغة في هذه الخطبة ليصور حقيقة واحدة بأوجه مختلفة وبعبارات متنوعة غاية في الجمال والروعة.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٨١

### القسم الثالث

#### إشارة

أَوْصِيَكُمْ، عِبَادَ اللَّهِ، بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهَا الرِّمَامُ وَالْقَوَامُ، فَتَمَسَّكُوا بِوَتَائِقِهَا، وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا، تُوَلُّ بِكُمْ إِلَى أَكْنَانِ الدَّعَةِ وَأَوْطَانِ السَّعَةِ، وَمَعَاقِلِ الْحِرْزِ وَمَنَازِلِ الْعِزِّ، (يَوْمَ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ)، وَتُظَلِّمُ لَهُ الْأَفْطَارُ، وَتُعْطَلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ. وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَتَرْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ، وَتَبْكُمُ كُلُّ لَهْجَةٍ، وَتَذِلُّ الشُّمُّ الشَّوَامِخَ، وَالصُّمُّ الرِّوَاسِخَ، فَيَصِيْرُ صَيْلُهَا سِرَابًا رَقْرَقًا، وَمَعْهَدُهَا قَاعًا سَيْمَلَقًا، فَلَا شَفِيعَ يَشْفَعُ، وَلَا حَمِيمٍ يَنْفَعُ، وَلَا مَعْدِرَةَ تَدْفَعُ.

#### الشرح والتفسير: أهوال القيامة

أوصى الإمام عليه السلام الجميع هنا بالورع والتقوى وعدد آثار التقوى المهمة فقال:

«أَوْصِيَكُمْ، عِبَادَ اللَّهِ، بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهَا الرِّمَامُ وَالْقَوَامُ».

والتعبير

«بزمام»

إشارة إلى قوة التقوى المانعة والتي تحول دون الإنسان وإرتكاب المعصية وتصده عن السقوط في مستنقع الفساد والذنوب والانحدار في فخ الشيطان وهوى النفس، و

«قوام»

إشارة إلى أسس الحياة الطيبة والمقرونة بالسعادة، وبعبارة أخرى أن للتقوى بعد الحيلولة من جانب والبناء من جانب آخر، فإن امتزج الجانبان كملت سعادة الإنسان ونجاته، وبكلمة موجزة فإن سعادة الإنسان تتكامل مادياً ومعنوياً بوجود التقوى.

واعتبر بعض شراح نهج البلاغة أن

«الرِّمَامُ وَالْقَوَامُ»

يتعلقان بالعبادات، والحال أن العبارة من قبيل حذف المتعلق الذي يهب المفهوم شمولية، والآيات القرآنية

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٨٢

شاهد على ذلك أن التقوى سبب النجاة في الآخرة ومصدر البركة في الحياة المادية الدنيوية حيث صرح تعالى من جانب: «تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا» [٩٧٧].

ومن جانب آخر: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» [٩٧٨].

ثم قال في مواصلة كلامه كتوضيح وتأکید:

«فَتَمَسَّكُوا بِوَتَائِقِهَا» [٩٧٩]، وَاعْتَصِمُوا

بِحَقَائِقِهَا [٩٨٠]، تُوَلُّ بِكُمْ إِلَى أَكْنَانِ الدَّعَةِ [٩٨٣] وَأَوْطَانِ السَّعَةِ، وَمَعَاقِلِ الْحِرْزِ وَمَنَازِلِ الْعِزِّ».

والتعبير

«بوثائق»

جمع وثيقه بمعنى العروة المحكمه إشارة إلى الأبعاد الظاهرية للتقوى، والتعبير

«بالحقائق»

جمع حقيقة إشارة إلى جوانبها الواقعية.

والعبارات الأربع التي ذكرت في العبارة المذكورة كنتيجة (وجزاء الشرط مقدر) تشير إلى أن التمسك بالتقوى سبب الهدوء والسكينة وكذلك الفتح والحفظ من الأخطار والتمتع بالعزة والكرامة.

نعم! حين تسود التقوى في المجتمع بصفتها شعور بالمسؤولية الربانية فإنه قل من يتجاوز على حقوق الآخرين ويمارس الظلم والجور ونتيجة ذلك الاستقرار والسكينة، وإن سادت التقوى بصفتها وظيفة فإن المجتمع يأخذ بالرقى والاتساع

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٨٣

شيئاً فشيئاً، وإن برزت التقوى بصفتها سداً منيعاً أمام العدو فإن المجتمع سيصان من شره ومجموع هذه الأمور هي أساس العزة والرفعة والسمو.

ثم قال عليه السلام: إن هذه الآثار الأربعة إنما تتحقق بصورة كاملة في الآخرة؛ ليس بمعنى إنعدام هذه الآثار في الحياة الدنيا بل المعنى: أن الهدف الأصلي والنهائي هناك:

«يَوْمَ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ»

وَتُظْلِمُ لَهُ الْأَقْطَارُ، وَتُعْطَلُ فِيهِ صُرُومٌ [٩٨٦]

الْعِشَارِ [٩٨٧].

فهذه الصفات الثلاث تتعلق بالصيحة الأولى وزلزلة نهاية العالم، لأنها على درجة من الرعب والهول وإثارة الدهشة بحيث تنسى الإنسان كل شيء سوى نفسه، كما رسم هذه الصورة القرآن الكريم فقال: «يَوْمَ تَرُؤِنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ» [٩٨٨].

ثم تطرق الإمام عليه السلام في مواصلته لكلامه ليشرح جوانب أخرى من بداية القيامة والتي تهز القلوب وتذهل الأفكار فقال:

«وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَتَرْهَقُ [٩٨٩] كُلُّ مُهْجَةٍ [٩٩٠]،

وَتَبْكُمُ [٩٩١] كُلُّ لَهْجَةٍ، وَتَذَلُّ الشُّمُ [٩٩٢] الشَّوَامِحُ [٩٩٣]، وَالصُّمُ [٩٩٤] الرِّوَايُحُ [٩٩٥]، فَيَصِيرُ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٨٤

صَلْدُهَا [٩٩٦] سَرَابًا رَقْرَقًا [٩٩٧]، وَمَعْهَدَهَا [٩٩٨] قَاعًا [٩٩٩] سَمْلَقًا [١٠٠٠].

والذي يستفاد من الآيات القرآنية أن تغييرين شديدين وعظيمين يحدثان في نهاية العالم وعلى أعتاب القيامة والتي عبر عنها بالنفخ في الصور، ذلك لأنهم في الماضي كانوا يعمدون إلى النفخ في بوق الحركة أو بوق الحرب وبعده أصوات مختلفة لتبلغ مسامع الآخرين حين يراد تحريك الجيش أو إعلان الحرب أو إيقافه من النوم، وعليه فالنفخ في الصور هذا يعنى بداية تغيير عظيم.

كما يستفاد من الآيات القرآنية حدوث زلزلة عظيمة تتزامن مع النفخة الأولى وبموجبها تذهل الكائنات الحية كافة من شدتها وهذه نفخة الموت، وإلى ذلك أشارت الآية الشريفة: «أَنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْ عَظِيمٌ\* يَوْمَ تَرُؤِنَهَا...» [١٠٠١]. وكذلك الآية:

«وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ...» [١٠٠٢].

وفي النفخة الثانية أي إعادة الحياة يحدث تغيير آخر يظهر فيه عالم جديد على إنقراض العالم السابق فينطلق الأموات من القبور للحساب، وقد وردت الإشارة في سورة الزلزلة إلى النفخة الثانية: «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا\* وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا\* وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا\* يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا». كما ورد في الآية ٦٨ من سورة الزمر إشارة لذلك: «ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ». وما

ذكره

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٨٥

الإمام عليه السلام في هذا الجانب من الخطبة إشارة إلى النفخة الأولى التي تؤدي إلى خراب العالم ونسف الجبال ومحو آثارها وذهول الإنسان وبالتالي موته.

وما ورد في ذيل هذه الخطبة إشارة للأحداث التي تعقب النفخة الثانية حيث قال:

«فَلَا شَفِيعٌ يَشْفَعُ، وَلَا حَمِيمٌ يَنْفَعُ، وَلَا مَعْدِرَةٌ تَدْفَعُ»

. وهذا الكلام اقتباس من الآية القرآنية الشريفة: «مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ» [١٠٠٣]. والآية: «فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْدِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ» [١٠٠٤].

ومن الطبيعي أن عدم قبول المعذرة كما يفهم من الآيات المذكورة يختص بأولئك الذين حطموا الجسور الموصلة للشفاعة بأعمالهم وأفعالهم؛ وإلا فإن أولئك الذين أبقوا السبل الموصلة إليها فسيشملون بتلك الشفاعة، قال تعالى في القرآن الكريم بهذا الخصوص: «وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى» [١٠٠٥].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٨٧

## الخطبة ١٩٦

### نظرة إلى الخطبة [١٠٠٦]

يفيد ترتيب هذه الخطبة أنها جزء من خطبة مفصلة وقد اختار المرحوم السيد الرضى هذا القسم حسب منهجه في الاقتطاف، وقد اقتطع هذا القسم من سائر الأقسام وذكره بصورة مستقلة. على كل حال تتكون هذه الخطبة من ثلاثة أقسام: تضمن القسم الأول إشارات قصيرة وعميقة المعنى إلى بعثه النبي صلى الله عليه وآله وبالنتيجة فضله العظيم على البشرية برمتها سيما المجتمع العربي.

وحذر في القسم الثاني من الخداع والاعتزاز بزخارف الدنيا بعد الوصية بالورع والتقوى، ثم أوضح تفاهة الدنيا بعبارات غاية في الروعة والمعنى وبتشبيهات رائعة.

وكشف في القسم الثالث عن سبيل النجاة وأكد على ضرورة المبادرة إلى استغلال الفرص ما دامت سانحة قبل فوات الأوان وحلول الموت.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٨٩

### القسم الأول

#### إشارة

بَعَثَهُ حِينَ لَأَعْلَمَ قَائِمًا، وَلَا مَنَارًا سَاطِعًا، وَلَا مَنَهْجًا وَاضِحًا.

أَوْصِيَكُمْ، عِبَادَ اللَّهِ، بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا دَارُ سُخُوصٍ، وَمَحَلَّةٌ تَنْغِيصُ، سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ، وَقَاطِنُهَا بَائِسٌ، تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مِيدَانَ السَّفِينَةِ تَقْصِي فُهَا الْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ الْبِحَارِ، فَمِنْهُمْ الْعَرِيقُ الْوَبِقُ، وَمِنْهُمْ النَّاجِي عَلَى بَطُونِ الْأَمْوَاجِ، تَخْفِزُهُ الرِّيَّاحُ بِأَذْيَالِهَا، وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا، فَمَا عَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ، وَمَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَى مَهْلِكٍ!

## الشرح والتفسير: أهوال الدنيا

قال الإمام عليه السلام في المقطع الأول من هذه الخطبة حيث أراد كشف النقاب عن العصر الذي انطلقت فيه الدعوة النبوية والمراد به العصر الجاهلي ومن خلال ثلاث عبارات قصيرة:

«بَعَثَهُ حِينَ لَاعَلَمَ قَائِمًا، وَلَا مَنَارًا سَاطِعًا [١٠٠٧]، وَلَا مَنَهَجًا وَاضِحًا».

فالطرق الصحراوية والجبليّة لم تكن واضحة في الأزمنة السابقة كما هي عليه اليوم، طبعاً الطرق الرئيسيّة كانت معروفة بفعل كثرة التردد عليها والعبور والمرور، غير أنّ الطرق الفرعيّة لم تكن كذلك، وبغية إرشاد المسافرين كي لا يضلوا الطرق كانوا ينصبون في النهار بعض العلامات بصيغته أعمده وما شابه ذلك في أغلب الطريق منذ بدايتها حتى نهايتها والتي يصطلح عليها بـ «العلم» وكانوا يشعلون السراج على سطوحها والتي يصطلح عليها بـ «المنار»، وعليه لولا أعلام النهار

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٩٠

وأسرجه الليل ووضوح الطرق الرئيسيّة لتزايد احتمال ضلال سالكي الطريق.

فقد شبه الإمام عليه السلام حياة الناس في الجاهليّة بالطرق العشوائية التي لم تنصب عليها أية علامة وسراج يضيء الدرب، وليس لذلك من نتيجة سوى الضلال المبين للناس والذي أشار إليه القرآن الكريم بقوله: «وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» [١٠٠٨].

ثم واصل عليه السلام كلامه فخاطب الجميع قائلاً:

«أَوْصِيكُمْ، عِبَادَ اللَّهِ، بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأُحْذِرُكُمْ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا دَارٌ شُخُوصٌ، [١٠٠٩] وَمَحَلَّةٌ تَنْغِيصُ، سَاكِنُهَا ظَاغِنٌ، وَقَاطِنُهَا بَائِسٌ».

وتشير هذه العبارات الأربع جميعاً إلى تقلب أحوال الدنيا وعدم استقرارها، مع إقترانها بالألم والمعاناة، والعجيب مع إتضاح دلالات تقلبها وتصرم أحوالها وكثرة خطوبها ومحنها في جميع مواضعها إلّا أنّ هنالك طائفة من الناس تراها خالدة من الناحية العملية وتسعى إليها بكل ما أوتيت من قوة.

وعلى هذا الأساس تطرق الإمام عليه السلام إلى بيان مثال بليغ ومثير بشأن هذه الدنيا الغرور بحيث لا يمكن الإتيان بصورة أفضل منه فقال:

«تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مِيدَانَ السَّفِينَةِ تَقْصِفُهَا [١٠١٠] الْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ [١٠١١] الْبِحَارِ، فَمِنْهُمْ الْغَرِقُ الْوَبِقُ [١٠١٢]، وَمِنْهُمْ النَّاجِي عَلَى بُطُونِ الْأَمْوَاجِ، تَحْفِزُهُ [١٠١٣] الرِّيَاحُ بِأَذْيَالِهَا، وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا، فَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرِكٍ، وَمَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَى مَهْلِكٍ!».

وتشبيه الدنيا بالبحر وسكنتها بركاب السفينة وإبان العواصف الشديدة التي لا تفضي سوى إلى الغرق قد ورد قبيل هذه الخطبة للإمام عليه السلام في مواضع لقمان الحكيم، فقد ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام في ما روى عن لقمان الحكيم أنه وعظ ابنه

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٩١

قائلاً:

«يَا بَنِيَّ إِنَّ الدُّنْيَا بَحْرٌ عَمِيقٌ قَدْ غَرِقَ فِيهَا عَالَمٌ كَثِيرٌ فَلْتَكُنْ سَيِّفِيَّتَكَ فِيهَا تَقْوَى اللَّهِ وَحَشْوَهَا الْإِيمَانَ وَشِرَاعَهَا التَّوَكُّلَ وَقِيمَهَا الْعَقْلَ وَدَلِيلَهَا الْعِلْمَ وَسُكَّانُهَا [١٠١٤] الصَّبْرُ» [١٠١٥].

وقد أشار الإمام عليه السلام في مواصلته لهذه الخطبة إلى سبيل النجاة من هذا البحر المرعب.

على كلّ حال فما بينه الإمام عليه السلام في هذا التشبيه البليغ والرائع هو أنه رسم صورة لأهل الدنيا كيف يتبدل أمنهم إلى خوف وصحتهم إلى مرض وغناهم إلى فقر وتجمعهم إلى فرقة حين يتعرضون لمختلف أنواع المصائب والمحن والخطوب، وكيف تقضى عليهم هذه الدنيا من خلال أحداثها وعلى هذا الأساس يبدو من العجيب كيف يتعلق الناس بها ويطمأنون إليها.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٩٣



## القسم الثاني

## إشارة

عِبَادَ اللَّهِ، الْآنَ فَاعْلَمُوا، وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةً، وَالْأَبْدَانُ صِيحِيحَةٌ، وَالْأَعْضَاءُ لَدَنَةٌ، وَالْمُنْقَلَبُ فَيَسِيحٌ، وَالْمَجَالُ عَرِيضٌ، قَبْلَ إِزْهَاقِ الْفُوتِ، وَحُلُولِ الْمَوْتِ.  
فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ، وَلَا تَتَنَزَّرُوا قُدُومَهُ.

## الشرح والتفسير: اغتنام الفرصة

كشف الإمام عليه السلام بوضوح في شرحه لهذا الجانب من الخطبة- كما أشرنا سابقاً- النقاب عن سبيل النجاة من تلك المحن الخطيرة التي أشار إليها في القسم السابق، حيث تبدو النجاة من الخطوب الخطيرة لهذه الدنيا المزخرفة والغرور حتمية إذا ما طبقت هذه الوصايا والتعاليم فقال:

«عِبَادَ اللَّهِ، الْآنَ فَاعْلَمُوا، وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةً، وَالْأَبْدَانُ صِيحِيحَةٌ، وَالْأَعْضَاءُ لَدَنَةٌ» [١٠١٦]، وَالْمُنْقَلَبُ [١٠١٧] [فَيَسِيحٌ ١٠١٨]، وَالْمَجَالُ عَرِيضٌ، قَبْلَ

إِزْهَاقِ [١٠١٩] الْفُوتِ، وَحُلُولِ الْمَوْتِ. فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ، وَلَا تَتَنَزَّرُوا قُدُومَهُ».

فقد حذر الإمام عليه السلام في هذه العبارات العميقة المعنى الجميع، ولاسيما الشباب والكهول من ضرورة اغتنام الفرصة والمبادرة إلى العمل كونه أفضل وسيلة للنجاة قبل فوات الأوان وحلول عهد الشيخوخة والعجز حيث تتباطى فيه الألسن ويضعف نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٩٤

فيه البدن ويمرض وتذبل الأعضاء ويضيق الميدان وتسلب الفرصة، نعم لابد من المبادرة للعمل الصالح قبل حلول هذه العقبات. كما أكد على عدم الظن ببعده الأجل مهما كان عمر الإنسان، فلا ينبغي الغفلة حتى لمن كان في سنى الشباب والفتوة والشعور بالقوة والنشاط والصحة والسلامة، والإبتعاد عن الغرور بحيث لو قيل له: كفاك ذنباً ومعصية فعد إلى الله وتب إليه، قال مازالت الفرصة سانحة، وسيأتي يوماً وقت التوبة والعمل الصالح فيما بعد، فهل هنالك من يعلم ماذا سيحصل غداً، وهل هناك من يضمن ماذا سيحل بعد ساعته، ومن منّا سيبقى حياً ومن منّا سيموت؟ وقد ورد مثل هذا المعنى في مستهل الخطبة ٢٣٧ حيث قال عليه السلام:

«فَاعْلَمُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفْسِ الْبَقَاءِ وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ وَالتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ».

جدير ذكره أن أغلب نسخ نهج البلاغة ذكرت في مستهل هذه الخطبة العبارة «الآن فاعلموا»

بدلاً من (فاعلموا) وتشهد القرائن، على صحة هذه النسخة، أضف إلى ذلك فإن انسجام المطالب وتناسب المواعظ تفيد ضرورة العمل، والخطبة ٢٣٧ شاهد على ذلك.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٩٥

## الخطبة ١٩٧

## إشارة

يُنَبِّئُ فِيهِ عَلَى فَضِيلَتِهِ لِقَبُولِ قَوْلِهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ [١٠٢٠]

## نظرة إلى الخطبة

تتألف هذه الخطبة من ثلاثة أقسام:  
أشار الإمام عليه السلام في القسم الأول إلى طاعته الخالصة ودفاعه المطلق عن النبي واستدل على ذلك بعلم صحب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وشهادتهم.  
وتطرق في القسم الثاني إلى الأحداث المهمة منذ احتضار النبي ووفاته حتى غسله ودفنه والصلاة عليه والتي تفيد أنه عليه السلام أقرب من غيره للنبي صلى الله عليه وآله.  
وخلص في القسم الثالث إلى نتيجة واضحة تتمثل في وجوب طاعته من قبل الجميع بدليل كل سوابقه وفضائله ومناقبه، ثم دعا مخاطبيه لمواكبه في حفظ بيضة الدين وإرث النبي صلى الله عليه وآله وإمتثال أوامره في جهاد العدو (معاوية وجند الشام) وأن لا يشعروا بأدنى شك في أنهم على الحق وأن أعداءهم على الباطل.  
نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٩٧

## القسم الأول

## إشارة

وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ. وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ، وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا الْأَقْدَامُ، نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا.

## الشرح والتفسير: طاعتي المطلقة

استهل الإمام عليه السلام هذه الخطبة بالإشارة إلى أمرين مهمين؛ الأول أنه كان دائماً وفي جميع المواطن مطيعاً مطلقاً لله ولرسوله، بينما كان هنالك بعض الأفراد من هذه الأمة وبعض الصحابة ممن ينبري بين حين وآخر للرد على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وقال:

«وَلَقَدْ [١٠٢١] عَلِمَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ.»

«مستحفظون»:

(بفتح الفاء صيغه اسم مفعول) إشارة إلى تلك الطائفة التي استودعها رسول الله أمانة سره والتاريخ الإسلامي الصحيح، وهذا يدل على وجود

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٩٨

ثلة من صحبه الذين حفظت سره بدقه بعيدة عن أى غرض وسوء نية، فهم حفظة الأسرار الإسلامية والحوادث التاريخية والذين كان يعرفهم الناس بالإخلاص والأمانة.

في مقابل تلك الزمرة على عهد معاوية التي باعت دينها بالدنيا ووضعت الأحاديث والروايات وانبرت للقضاء على فضائل علي عليه السلام ونسبت النقص والكذب له عليه السلام لتعمر دنياها بهذه المعاصي.

وهذه العبارة تمثل في الوقت ذاته إشارة إلى أولئك الذين تنطلق ألسنتهم أحياناً بالردّ والإعتراض على رسول الله صلى الله عليه وآله، كما ورد في القرآن الكريم: «وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ» [١٠٢٢]. وإشارة إلى بعض الأفراد المعروفين مثل عمر والذي ورد بشأنه في روايات العامة أنه اعترض يوم الحديبية - طبق نقل المصنف عبدالرزاق الصنعاني، العالم المعروف لدى العامة على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حيث قال له: أأنت رسول الله؟ قال صلى الله عليه وآله:

بلى. قال عمر: ألسنا على الحقّ وعدونا على الباطل؟ قال صلى الله عليه وآله: بلى. فقال عمر:

فعلام نعطي الدنية في ديننا (ونمضي صلحاً مع العدو أشبه بالاستسلام؟) فردّ عليه النبي صلى الله عليه وآله بأنه رسول الله ويتبع أمر الله وأتاه سينصره، فواصل عمر إعتراضه وقال: أو لم تقل إننا سنحج البيت؟ فقال صلى الله عليه وآله: نعم سنحج البيت ولم أقل سنحجه هذا العام [١٠٢٣].

ويفهم من الرواية أنه لم يكن الخليفة الثاني فقط من يعترض على رسول الله صلى الله عليه وآله بل كانت معه طائفة ممن تعترض أيضاً.

إلا أننا لا نلمس في أي من صفحات التاريخ أن علياً عليه السلام اعترض على فعل من

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٤٩٩

أفعال النبي صلى الله عليه وآله بل كان يتبعه في الأمور كافة ويمثل لأوامره دون نقاش.

ثم واصل عليه السلام كلامه مشيراً إلى تضحياته في سبيل الإسلام والنبي صلى الله عليه وآله فقال:

«وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ [١٠٢٤] بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ [١٠٢٥] فِيهَا الْأَبْطَالُ، وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا الْأَقْدَامُ، نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا».

هذه العبارات القصيرة إشارة إلى تضحياته عليه السلام في الغزوات الإسلامية كأحد وخير والأحزاب وحين.

وإننا لنعلم حسب تصريح المؤرخين بشأن معركة أحد أن خصوم الدعوة لما بثوا شائعة قتل النبي صلى الله عليه وآله في المعركة وقتل العديد من المسلمين انفرج سائر المسلمين عن المعركة ولم يبق حول النبي سوى علي عليه السلام الذي دافع بكل صبر وثبات [١٠٢٦].

كما نعلم أن أحداً لم ينبر في يوم الأحزاب ل «عمرو بن عبدود» وبيارزه سوى أمير المؤمنين علي عليه السلام حين تخلف جميع المسلمين [١٠٢٧].

وفي معركة خيبر كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الراية كل يوم لمن يزعم القتال لكنهم لم يحققوا شيئاً حتى كان آخر يوم فسلم الراية لعلي عليه السلام ففتح حصون خيبر الواحدة تلو الأخرى [١٠٢٨].

ولقد فرّ أغلب المسلمين يوم حين تعرضوا لهجوم العدو المباغت لما شعروا بالخوف والرعب وكان علي رأس من ثبت وصمد في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله هو علي عليه السلام [١٠٢٩].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٠٠

وبالطبع فإن تضحيات علي عليه السلام لا تقتصر على ميادين القتال، بل اقتحم عليه السلام سائر الميادين بكل شجاعته سيما تلك التي يتخاذل فيها الأبطال، فقد بات عليه السلام على فراش رسول الله حين هم الكفار والمشركون بالقضاء على رسول الله صلى الله عليه وآله ففداه بنفسه.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٠١

## القسم الثاني

### إشارة

وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي. وَلَقَدْ سَأَلْتُ نَفْسُهُ فِي كَفِّي، فَأَمْرَزْتُهَا عَلَى وَجْهِي. وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ صَبَأِي لِي اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَالْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي، فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالْأَفْتِيَةُ. مَلَأَ يَهْبِطُ، وَمَلَأَ يَعْرُجُ، وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْبَةً مِنْهُمْ. يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرْبِ رِيحِهِ. فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيًّا وَمَيِّتًا؟ فَانْفُذُوا عَلَيَّ بِصَائِرِكُمْ، وَلْتَصُدَّقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ. فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَعَلَى جَادَّةِ الْحَقِّ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَرَلَةِ الْبَاطِلِ. أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ!

### الشرح والتفسير: أولى الناس بالنبي صلى الله عليه وآله

### إشارة

لما فرغ الإمام عليه السلام من بيان رابطة الحميمة والقائمة على أساس الإخلاص والطاعة مع النبي صلى الله عليه وآله في حياته ذكر علاقته به بعد وفاته والتي تفيد أنه لم يكن لأحد من المسلمين غيره مثل هذه العلاقة بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله فقال:

«وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي. وَلَقَدْ سَأَلْتُ نَفْسُهُ فِي كَفِّي، فَأَمْرَزْتُهَا عَلَى وَجْهِي».

والعبارة:

«إِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي»

يمكن أن تشير إلى أن أمير المؤمنين على عليه السلام رفع رأس النبي صلى الله عليه وآله وضمه إلى صدره في تلك اللحظة والتي كانت سكينته للنبي صلى الله عليه وآله وعلى عليه السلام بالإضافة إلى أن هذه الوضعية تسهل من التقاط الأنفاس، كما يحتمل أن

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٠٢

يكون رأس النبي كان في حجر الإمام عليه السلام وقد انحنى فمس صدره عليه السلام رأس النبي صلى الله عليه وآله، إلا أن هذا الاحتمال لا ينسجم مع قوله

«عَلَى صَدْرِي»

. وقد اختلف الشراح في المراد من النفس في العبارة

«سَأَلْتُ نَفْسُهُ»

حيث دارت أقوالهم حول محورين:

الأول: أن المراد من النفس الدم الذي ورد في أغلب عبارات الفقهاء والأدباء والتي أشارت إلى هذا المعنى، ومن ذلك

«النفس السائلة»

في الكتب الفقهية كما ورد مثل هذا الاستعمال في الأشعار العربية حيث قيل: ثم سيلان نفسه في كفه، وإمرارها على وجهه، وأراد بنفسه دمه يقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قاء وقت موته دمًا يسير، وأن علياً عليه السلام مسح بذلك الدمه وجهه [١٠٣٠].

والتفسير الآخر هو أن النفس تلك الروح البشرية القدسية التي وردت الإشارة إليها كراراً في القرآن الكريم «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا» [١٠٣١]. وعليه فمفهوم العبارة أن روح النبي الطاهرة فاضت على يد علي حين فارقت بدنه الطاهر فمسح بها وجهه [١٠٣٢].

إلا أن العبارة التي بقيت مبهمه على أغلب الشراح والمترجمين هي قوله عليه السلام:  
«أَمْرُزْتُهَا عَلَيَّ وَجْهِي»

فقالوا: وهل الروح شيء يمكن مسح الوجه بها؟!

ولحل هذا الإشكال يمكن أن يقال إنَّ

«الكف»

مؤنثه لأنَّ الأعضاء الثنائية في البدن مؤنثه بينما الأعضاء المفردة مذكرة، قال الشاعر العربي:

«وَكَفُّ خَضِيبٍ زَيْتٌ بِنَانِي»

، وعليه فمعنى العبارة أنَّ كَفِّي لامست الروح القدسية للنبي صلى الله عليه وآله ثم مسحت وجهي بتلك الكف للبركة، وهكذا يحل إشكال تفسير العبارة المذكورة.

ثم خاض عليه السلام في سائر مراسم وفاة النبي صلى الله عليه وآله كالغسل والدفن فقال:

«وَلَقَدْ وُئِيْتُ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٠٣

غُسْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَالْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي، فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالْأَفْتِيَةُ [١٠٣٣]. مَلَأَ

يَهْبِطُ، وَمَلَأَ يَعْزُجُ، وَمَا فَارَقْتُ سَمْعِي هَيْئَةً [١٠٣٤] مِنْهُمْ. يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ [١٠٣٥] فِي

ضَرْبِهِ».

والعبارة:

«وُئِيْتُ غَسْلَهُ»

يمكن أن تكون إشارة إلى أن النبي صلى الله عليه وآله كلفني بالقيام بهذا العمل، ومعونة الملائكة بهدف إكرام النبي صلى الله عليه وآله وتعظيمه وإجلاله، وضجيج الدار والأفنية الوارد في العبارة يمكن أن يراد به المعنى الحقيقي، من قبيل ما ذكره بشأن تسييح الجمادات في تفسير آيات التسييح الواردة في القرآن الكريم، كما يمكن أن يكون المراد به المعنى المجازي ليشير إلى الحزن والأسى العظيم الذي خيم على بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وهنالك احتمال أن تكون الملائكة محذوفة والعبارة تدل على ذلك، وعليه فمعنى العبارة

«ضجت...»

هو ضجيج الملائكة الذين كانوا في بيته صلى الله عليه وآله، ولكن يبدو هذا الاحتمال بعيداً.

والاحتمال الرابع هو أن هذا الضجيج كان من قبل الناس الحاضرين حول البيت.

والعبارة هبوط وعروج الملائكة إشارة إلى أن الملائكة كانت تأتي جماعات جماعات تصلي على النبي وتعرج، وكان الإمام عليه السلام يسمع بأذنه الشريفة أصواتهم حين الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وآله وقد تواصلت هذه الصلوات والتحيات على النبي صلى الله عليه وآله حتى دفنه.

والتعبير بالضريح إشارة إلى الحفرة التي أعدت لدفن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله؛ لأنَّ هذا هو المعنى اللغوي للضريح، وإن كان الضريح اليوم يطلق على ما يوضع على القبر.

وقد تواترت روايات الفريقين على أن علياً عليه السلام تولى لوحده غسل النبي ودفنه فقد روى المرحوم العلامة المجلسي في بحار الأنوار عن كتاب الوصية للشيخ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٠٤

«عيسى الضرير» عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال:

«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ يَا عَلِيَّ! أَضْمِنْتُ دِينِي تَقْضِيهِ عَنِّي! قَالَ نَعَمْ. قَالَ اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ. ثُمَّ قَالَ يَا عَلِيَّ تَغْسِلُنِي وَلَا يُغْسِلُنِي غَيْرُكَ فَيَعْمَى بَصْرُهُ... قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَكَيْفَ أَقْوَى عَلَيْكَ وَخَدِي؟ قَالَ يُعِينُكَ جِبْرَائِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ» [١٠٣٦].

ثم خاض الإمام عليه السلام في استنتاج من مجموع الأبحاث السابقة ليعتبر قربه من النبي صلى الله عليه وآله في حياته ووفاته دليلاً واضحاً على أولويته بأمر الخلافة، فقال:

«فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيًّا وَمَيِّتًا؟»

وأثر ذلك عُبيء الجميع للجهاد ضد العدو.

لعل هنالك من يتساءل وما علاقة هذه الأمور بقضية الخلافة؟ وتبدو الإجابة عن هذا السؤال واضحة؛ ومراد الإمام على عليه السلام لو كانت خلافة النبي - على فرض - أنه غير منصوص عليها فلا بد أن تسند إلى أقرب الأفراد منه وأولاهم به صلى الله عليه وآله، وليس ذلك الشخص الذي عاش التسليم المطلق لأوامر النبي وأعظمهم تضحيه وجهاداً في الغزوات الإسلامية ومن كان يرى هبوط الملائكة وعروجها ولا- تفارق سمعه هينمة من أصواتها ومن تولى غسل النبي وتكفينه ودفنه كما عهد إليه أولى من غيره بهذا الأمر؟ فعلمه ومعارفه من جانب وتضحياته الجسام من جانب آخر وقربه من رسول الله من جانب ثالث والوصية له بغسل النبي ودفنه وتكفينه من الجانب الرابع فكل هذه الامتيازات لو وضعت في كفة ميزان لرجحت على الكفة الأخرى مهما كانت ثم خلص عليه السلام إلى نتيجة فقال:

«فَانْفُذُوا عَلَيَّ بِصَائِرِكُمْ، وَلْتَصُدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ. فَوَالَّذِي لَأِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَعَلَى جَادَةِ الْحَقِّ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَّةٍ [١٠٣٧]

الْبَاطِلِ».

فقد اعتمد الإمام عليه السلام في الواقع منطقاً منظماً بصيغته علّة ومعاليل متسلسلة في هذه الخطبة، فقد أثبت بادئ الأمر قربه من النبي وتضحياته في حياته ثم قربه منه

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٠٥

بعد وفاته، وأثر ذلك خلص إلى أولويته في إحراز مقام الخلافة. ثم تطرق إلى نتيجة كئيبة فدعى الجميع إلى جهاد العدو [١٠٣٨].  
والعبارة:

«جَادَةَ الْحَقِّ وَمَزَلَّةَ الْبَاطِلِ»

هي عبارة رائعة ودقيقة، ذلك لأن الحق كالجادة المستقيمة والواضحة التي توصل الإنسان إلى مقصده المطلوب، إلا أن الباطل ليس بطريق بل مزلة وهاوية.

ثم اختتم الإمام عليه السلام الخطبة بعبارتين فقال:

«أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ!».

فقد أتم الإمام عليه السلام على الناس الحجة بهذه العبارة وأكد ضرورة العمل بتعاليمه ووصاياه ثم سأل الله كحسن ختام للخطبة المغفرة للجميع ليشمل الله صحبه بلطفه ورحمته إن ارتكبوا بعض الأخطاء.

### الحوادث الأليمة إبان وفاة النبي صلى الله عليه وآله وبعدها

أشار الإمام عليه السلام في هذه الخطبة إلى الفاجعة الأليمة لرحيل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ووضجيج الملائكة التي تكشف عن عظم هذا المصاب الجلل.

وتبدو هذه الحادثة أعظم خطورة حين تتزامن مع سائر الرزايا والأحداث والتي تكشف دراستها عن مدى عمق تلك الفاجعة.

وقد خاض جمع من شراح نهج البلاغة هنا في ذكر بعض هذه الأحداث؛ لكننا رأينا من الأفضل أن نترك العنان لقلم «الشهرستاني» أحد علماء القرن السادس صاحب كتاب الملل والنحل والمعروف بتعصبه للعامة لئلا نرى ما ذكره بهذا الخصوص فقد أشار إلى عشرة اختلافات مهمّة كلّ واحدة منها تعدّ مصيبة للعالم، وإن سعى لتبريرها تحت ذريعة اجتهاد الصحابة، ولكن تلك الأعمال كانت على درجة من

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٠٦

الوضوح في شاعتها بحيث تأبى التبرير بالاجتهاد أو الخطأ.

الاختلاف الأول في النزاع الذي حدث عند النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في مرضه حيث روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله قال حين اعتل:

«إيتوني بدواةٍ وقسطاسٍ أكتبُ لكم كتاباً لا تضلُّوا بعدي».

قال عمر:

«إن رسول الله غلب عليه الوجد (وما يقوله خارج عن الوعي) حسبنا كتاب الله».

فاشتم نزاع الصحابة فقال صلى الله عليه وآله:

«قوموا عني لا يتبعني عندي التنازع».

قال ابن عباس بعد نقله لهذا الحديث:

«الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله» [١٠٣٩].

ثم تطرق إلى الاختلاف الثاني في مرض رسول الله أيضاً حين قال صلى الله عليه وآله:

«جهزوا جيشاً أسامة لعن الله من تخلف عنه»

. فقال البعض علينا إمثال أمر النبي، وكان أسامة خارج المدينة يتأهب للحركة نحو الشام للقضاء على فتنهم، وقال البعض الآخر غلب الوجد على النبي ولا نطبق مفارقتة.

والاختلاف الثالث حين وفاة النبي صلى الله عليه وآله حيث قال عمر:

«من قال أن محمداً قد مات فتلته بسيفي هذا وإنما رفع إلى السماء كما رفع عيسى عليه السلام».

وقال أبوبكر: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد رب محمد فإنه حي لا يموت ثم تلى هذه الآية: «وما محمد إلا رسول قد...» [١٠٤٠].

فقبل الناس منه وقال عمر: كآني لم أسمع هذه الآية إلا الآن [١٠٤١].

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٠٧

والاختلاف الرابع في موضع دفن النبي حيث أراد المهاجرون دفنه في مكة، بينما أراد الأنصار دفنه في المدينة لأنها دار الهجرة، ورغبت فئة ثالثة بدفنه في بيت المقدس حيث الأنبياء ثم اتفقوا جميعاً على دفنه في المدينة، ويعتقد البعض أن هدف عمر من هذا الكلام هو اشغال الناس حتى يحضر أبوبكر وتتم له الخلافة.

حيث روى عنه صلى الله عليه وآله أنه قال:

«الأنبياء يُدفنون حيث يموتون» [١٠٤٢].

وبرز الاختلاف الخامس في الخلافة والذي عدّه الشهرستاني من أهم الخلافات حيث قال:

«أذ ما سئل سيف في الأسلام على قاعدة ديبية مثل ما سئل على الإمامة في كل زمان».

ثم نقل قصة سقيفة بني ساعدة وما حدث فيها من اختلافات وبالتالي بيعه أبي بكر.

واعتبر الخلاف السادس قضية فذك وأشار فيه إلى خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام حيث طالبت بها كهبة من النبي أو ميراث، فاحتج عليها أبو بكر بالحديث (الموضوع)

نفحات الولاية ؛ ج ٧ ؛ ص ٥٠٧

«نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ، مَا تَرَكَنَاهُ صَدَقَةٌ».

ثم أشار إلى الاختلاف السابع بشأن مانعي الزكاة الذي اعتبرهم البعض كفره بينما لم يكفرهم البعض الآخر والاختلاف الثامن نص أبو بكر على خلافة عمر حين وفاته فقال له الناس:

«وَلَيْتَ عَلَيْنَا فَطًّا غَلِيظًا»

؛ بينما استجاب له سائر الناس.

والاختلاف التاسع في الشورى التي نصبها عمر لتعيين الخليفة من بعده، والاختلاف العاشر الذي حدث على عهد أمير المؤمنين على عليه السلام بعد أن بايعته الأمة على الخلافة، فأثار طلحة والزبير وعائشة، فتنه الجمل، ومعاوية، صفين، والخوارج، النهروان [١٠٤٣].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٠٩

## الخطبة ١٩٨

### إشارة

يُبَيِّنُ عَلَى إِحَاطَةِ عِلْمِ اللَّهِ بِالْجَزْئِيَّاتِ، ثُمَّ يَحْتُ عَلَى التَّقْوَى،  
وَيُبَيِّنُ فَضْلَ الْأِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ [١٠٤٤]

### نظرة إلى الخطبة

تتألف هذه الخطبة من عدة أقسام:

تحدث الإمام عليه السلام في القسم الأول بعبارات رائعة عن العلم الإلهي المطلق وشهد للنبي صلى الله عليه وآله بالرسالة، ليكمل في الواقع الشهادتين بعبارات جديدة.

وأوصى عليه السلام في القسم الثاني بالتقوى وأنها دواء كل داء والشفاء من جميع الأمراض والوسيلة لإصلاح المفساد كافة وطهارة الروح وقره العين، وقد تضمنت إشارات إلى التقوى من خلال ذكر بعض النقاط التي قلما ذكرت في سائر الخطب.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥١٠

وتطرق في القسم الثالث إلى أهميته الإسلام ومزاياه بعبارات مشوقة تستقطب القلوب.

وتحدث في القسم الرابع عن النبي صلى الله عليه وآله وخدماته الجليلة في ذلك العصر المظلم الجاهلي وزعامته للنهضة الإسلامية.

واختتم الخطبة بالحديث عن القرآن الكريم من خلال ذكره لأربعين صفة من صفاته التي يمكن القول إنها أشمل إشادة وتمجيد للقرآن، عليه آلاف التحية والثناء.



نفحات الولاية، ج٧، ص: ٥١١

## القسم الأول

## إشارة

يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ، وَمَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي الْخَلَوَاتِ، وَاخْتِلَافَ النَّيَّانِ فِي الْبِحَارِ الْعَامِرَاتِ، وَتَلَاطُمَ الْمَاءِ بِالرِّيَّاحِ الْعَاصِفَاتِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا نَجِيبُ اللَّهِ، وَسَفِيرٌ وَحِيهِ، وَرَسُولٌ رَحْمَتِهِ.

## الشرح والتفسير: احاطة الله العلمية

بما أن هذه الخطبة تتحدث حول الإسلام والقرآن، فقد استهلها الإمام عليه السلام بالحديث عن الإيمان بالمبدأ والمعاد؛ الإيمان الذي يشكل الدافع لجميع الخيرات والوسيلة لجميع البركات، حين يريد التحدث عن معرفة الله فإنه يركز على العلم الإلهي المطلق الذي يعد من أهم صفات الحق تعالى فقال:

«يَعْلَمُ عَجِيجَ [١٠٤٥] الْوُحُوشِ

فِي الْفَلَوَاتِ [١٠٤٦]، وَمَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي الْخَلَوَاتِ، وَاخْتِلَافَ النَّيَّانِ [١٠٤٧] فِي الْبِحَارِ

الْعَامِرَاتِ [١٠٤٨]، وَتَلَاطُمَ الْمَاءِ بِالرِّيَّاحِ الْعَاصِفَاتِ [١٠٤٩]».

فقد ركز الإمام عليه السلام في هذا الجانب من الخطبة على أربع ظواهر مختلفة عن بعضها البعض الآخر في هذا العالم ولا تحصى بالاهتمام، ليشير إلى علم الله تعالى بها:

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٥١٢

الأولى وكما نعلم فإن الصحارى المترامية الأطراف في العالم تضم العديد من الحيوانات الوحشية التي لا يطرق سمعنا ضجيجها وعجيجها، لكن الله تعالى عالم بها ويعلم كل حيوان فيها ومتى يضح بصوته وما طبيعته ذلك الضجيج.

والظاهرة الثانية: كثرة الذنوب التي تمارس في الخلوات والبعيدة عن أنظار الناس والتي تخفى علينا جميعاً، لكن الله يعلم بكل إنسان في كل مكان وكل زمان والذنوب الذي يرتكبه.

والظاهرة الثالثة: أنه يعلم بحركات وسكنات الحيتان في أعماق البحار والغائبة عن عيون الناس.

وأخيراً يعلم الأمواج في المحيطات والبحار وحركاتها في الليل والنهار والتي لا ندرك سوى جزء يسير منها، فهو العالم متى تتحرك واين تتحرك وكيف تتوقف.

ولو أضفنا لكل هذه الأمور أن علم الله تعالى بهذه الأمور لا يقتصر على اليوم والأمس، بل منذ الأزل الذي شهد وقوع هذه الحوادث ليل نهار (ما عدا الذنوب البشرية المحددة بزمان معين) فالله يعلم كيف تحققت كل واحدة من هذه الظواهر وأين وكيف.

وكذلك لو أضفنا أن الأمور المذكورة لا تقتصر على الكرة الأرضية، التي تعد مركز مختلف الحوادث، بل مليارات الكواكب في مجرتنا والتي تعتبر مركزاً للعديد من الحوادث الدائمة بالإضافة إلى سائر المجرات الأخرى والتي يتجاوز عددها المليارات.

نعم! كل هذه الأمور حاضرة في علم الله وهنا نوقن بما ذكره القرآن الكريم في الآية ٢٧ من سورة لقمان اذ قالت: «وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ». في أنه عين الواقع وهي ليست من قبيل الاستغراب فحسب، بل لا تعد بشيء بالنسبة لدائرة علم الله المطلق.

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٥١٣

ثم واصل كلامه عليه السلام بعد بيان علم الله تعالى بعالم الخلق بالشهادة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله بالرسالة واثني عليه بثلاث صفات مهمّة من صفاته فقال:

«وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا نَجِيبٌ [١٠٥٠] اللَّهُ، وَسَفِيرٌ وَحِيهِ، وَرَسُولٌ رَحْمَتِهِ».

نعم! فهو إنسان غاية في النجابه والسمو انتجبه الله للنبوّة وأنزل عليه وحيه وجعله موضع رحمة.

وقد تجلت هذه الرحمة بعده صور ووجوه، فتارة عن طريق بيان المعارف الدينيّة الساميّة، وتارة أخرى بواسطة شرح التعاليم وثالثه بطلب الرخصة من الله للأئمّة، وبالتالي ستظهر هذه الرحمة بصيغته الشفاعه يوم القيامة؛ نسأل الله أن يشمل بها جميعاً  
جاء في الحديث النبوي الشريف أنه لما نزلت الآية الشريفة: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» [١٠٥١] أنه صلى الله عليه وآله قال لجبرئيل عليه السلام لما نزلت هذه الآية:

«هَلْ أَصَابَكَ مِنْ هَذِهِ

الرَّحْمَةَ شَيْءٌ؟ قَالَ: نَعَمْ إِنِّي كُنْتُ أَخْشَى عَاقِبَةَ الْأَمْرِ، فَأَمَنْتُ بِكَ لَمَّا أَثْنَى اللَّهُ عَلَيَّ بِقَوْلِهِ:

«ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ» [١٠٥٢]

وَقَدْ قَالَ: إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهْدَأَةٌ» [١٠٥٣].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥١٥

## القسم الثاني

### إشارة

أَمَّا بَعِيدٌ، فَإِنِّي أَوْصِيَّكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ، وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ، وَبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ، وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ، وَنَحْوَهُ قَصِيدٌ سَبِيلِكُمْ، وَإِلَيْهِ مَرَامِي مَفْرَعِكُمْ. فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ دَوَاءٌ دَاءٌ قَلْبِيكُمْ، وَبَصِيرَةٌ عَمَى أَفْتَدِيكُمْ، وَشِفَاءٌ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ، وَصِدٌّ لَمَاحِ فَسَادِ صِدُورِكُمْ، وَطُهُورٌ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ، وَجَلَاءٌ عَشَا أَبْصَارِكُمْ، وَأَمْنٌ فَرَعَ جَأَشِكُمْ، وَضِيَاءٌ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ. فَاجْعَلُوا طَاعِيَةَ اللَّهِ شِعَارًا دُونَ دِثَارِكُمْ، وَدَخِيلًا دُونَ شِعَارِكُمْ، وَلَطِيفًا بَيْنَ أَضْمَاعِكُمْ، وَأَمِيرًا فَوْقَ أُمُورِكُمْ، وَمَنْهَلًا لِحِينِ وُرُودِكُمْ، وَشَفِيعًا لِدَرْكِ طَلِبَتِكُمْ، وَجُنَّةً لِيَوْمِ فَرَعِكُمْ، وَمَصَابِيحَ لِطُورِ قُبُورِكُمْ، وَسَيِّكُنَّا لَطُولِ وَحْشَتِكُمْ، وَنَفْسًا لِكَرْبِ مَوَاطِنِكُمْ. فَإِنَّ طَاعِيَةَ اللَّهِ حِزْبٌ مِنْ مَتَالِفِ مُكْتَنِفَةٍ، وَمَخَافِ مَتَوَقِّعَةٍ، وَأَوَارِ نِيرَانِ مُوقَدَةٍ. فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعِيدٌ دُنُوبُهَا، وَاحْلَوْلَتْ لَهُ الْأُمُورُ بَعْدَ مَرَاتِبِهَا، وَانْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأُمُوجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا، وَأَسِيهَلَتْ لَهُ الصُّعَابُ بَعِيدٌ انْصَابِهَا، وَهَطَلَتْ عَلَيْهِ الْكِرَامَةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا، وَتَحَدَّبَتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا، وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النَّعْمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا، وَوَبَّلَتْ عَلَيْهِ الْبَرَكَهَ بَعْدَ إِرْذَالِهَا.

فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ، وَوَعَّظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ، وَآمَنَنَّ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ. فَعَبُدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ، وَاخْرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ.

## الشرح والتفسير: التقوى مصدر الخيرات

بعد أن أشار الإمام عليه السلام إلى علم الله المطلق والشهادة بالنبوّة في القسم السابق

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥١٦

والذي كان يمثل في الواقع مقدمه، خاض في هذا القسم في ذي المقدمه والذي تمثل في الدرجة الأولى في الوصيه بالتقوى وقرنها ببعض صفات الله ليؤجج في قلوبهم نيران عشق التقوى والورع فقال:

«أَمَّا بَعِيدٌ، فَإِنِّي أَوْصِيَّكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ، وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ، وَبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ، وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ، وَنَحْوَهُ قَصِيدٌ

سَيَلِكُمْ، وَإِلَيْهِ مَرَامِي مَفْرَعِكُمْ [١٠٥٤].

كما قال القرآن الكريم: «وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ» [١٠٥٥]. وقال أيضاً: «ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوُونَ» [١٠٥٦].

ثم خاض عليه السلام إثر الوصية بالتقوى إلى ذكر آثارها بثمان عبارات قصيرة وعميقة المعنى فقال:

«فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ دَوَاءٌ دَاءٌ قُلُوبِكُمْ، وَبَصْرٌ عَمَى أَفْنَدَتِكُمْ، وَشِفَاءٌ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ، وَصَلَاحٌ فَسَادِ صُدُورِكُمْ، وَطُهُورٌ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ، وَجَلَاءٌ عَشَا [١٠٥٧] أَبْصَارِكُمْ،

وَأَمْنٌ فَرَجَ جَاشِكُمْ [١٠٥٨]، وَضِيَاءٌ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ».

العبرة الأولى إشارة إلى الأمراض الفكرية والروحية في الغواية والضلال، والعبرة الثانية إشارة إلى إزالة الموانع وحجب المعرفة في ظل التقوى، وتشير العبرة الثانية إلى قلعة الطعام ورعاية الاعتدال في تناول الأغذية في ظل التقوى؛ ذلك لأننا نعلم وكما ورد في الحديث النبوي الشريف:

«الْمِعْدَةُ رَأْسُ كُلِّ دَاءٍ وَالْحِمِيَةُ رَأْسُ كُلِّ دَوَاءٍ» [١٠٥٩].

والذي أيده الأطباء المعاصرون قاطبة أن قسماً مهماً من الأمراض معلول لكثرة

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥١٧

الطعام، والصحة وطول العمر في قلعة الطعام، والعبارتان الرابعة والخامسة كلاهما إشارة إلى تطهير الباطن من الرذائل الأخلاقية كالكبر والحسد والبغض والعداء وما شابه ذلك، غير أن العبرة الرابعة واردة بشأن الصفات القبيحة التي ترسخ في باطن الإنسان بحيث تقوده إلى الفساد، بينما تشير العبرة الخامسة إلى الانحراف السطحي والبسيط والذي يغسل بماء التقوى.

والعبرة السادسة إشارة إلى أن التقوى تجعل رؤية الإنسان الباطنية أعظم حدة وعينه أشد بصيرة، ويبدو أن الفارق بينها وبين العبرة «وَبَصْرٌ عَمَى أَفْنَدَتِكُمْ»

أن الكلام في تلك العبرة عن العمى المطلق بالتقوى وهنا إشارة إلى قلعة نور البصيرة الذي يزداد في ظل التقوى.

والعبرة السابعة إشارة إلى الاضطرابات التي يعيشها الإنسان أثر مقارفة الذنب والمعصية؛ فالخوف من عذاب الله في الدنيا والآخرة وتأنيب الضمير الموجود في طبيعة الذنب كلها تزال بالتقوى.

قال القرآن الكريم «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَرَعٍ يُؤْمِنُونَ آمِنُونَ» [١٠٦٠].

والعبرة الأخيرة تشير إلى تأثير التقوى في القضاء على ظلمات الجهل وإنهيار العدالة والظلم والجور. وعلى هذا الضوء فإن التقوى تجلب للإنسان خير وسعادة الدنيا والآخرة.

ثم تطرق الإمام عليه السلام بعد ذكره للتقوى وآثارها المهمة في الحياة المادية والمعنوية البشرية إلى طاعة الله والتي تعد من المعطيات الهامة للتقوى ليوضح بعشر عبارات قصيرة وعميقة المعنى أهمية الطاعة في حياة الأفراد المؤمنين فقال:

«فَاجْعَلُوا طَاعَةَ اللَّهِ شِعَاراً دُونَ دِنَارِكُمْ، وَدَخِيلاً دُونَ شِعَارِكُمْ، وَلَطِيفاً بَيْنَ أَضْلَاعِكُمْ، وَأَمِيراً فَوْقَ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥١٨

أُمُورِكُمْ، وَمَنْهَلاً [١٠٦١] لِحِينِ وُرُودِكُمْ [١٠٦٢]، وَشَفِيعاً لِدَرَكِ [١٠٦٣] طَلَبَتِكُمْ، وَجُنَّةً لِيَوْمِ فَرَعِكُمْ،

وَمَصَابِيحَ لِطُوبَى قُبُورِكُمْ، وَسَكَنًا لِطُولِ وَحْشَتِكُمْ، وَنَفْسًا لِكَرْبِ مَوَاطِنِكُمْ».

فقد شخص الإمام عليه السلام في العبارات الثلاث الأولى منزلة طاعة الله في وجود الإنسان، فشبها بادية الأمر بالشعار الذي يعنى ما يلي البدن من الثياب لا- الدثار الذي يعنى الثياب الخارجية التي تقتصر على الرياء والاهتمام بالظاهر، ثم غاص أبعد من ذلك ليسحبها إلى باطن الجسم على أنها اعمق من الشعار، ثم تعمق أكثر ليرى موضعها في القلب.

وهنا لابد من الالتفات إلى أن العبرة «بين اضلاع» إشارة لطيفة إلى القلب، ذلك لأن القلب داخل الصدر وقد احيط من جميع جوانبه

بالاضلاع.

جدير ذكره أن القلب ليس مركز الإدراكات، إلمائه على صلة وثيقة بدماع الإنسان وروحه، وكل ظاهرة تطراً على الروح إنما تظهر آثارها بادئ الأمر في القلب.

العبارة:

«أَمِيرًا فَوْقَ أُمُورِكُمْ»

إشارة إلى ضرورة سيادة أوامر الله في جميع شؤون الحياة الفرديّة والاجتماعيّة والسياسيّة.

والعبارة:

«وَمَنْهَلًا لِحِينٍ وَرُودِكُمْ...»

تشير إلى أن المعطيات الإيجابية والبركات الجمّة لطاعة الله على الحياة الماديّة والمعنويّة للإنسان إنما تغذى روحه، وتوصله إلى أهدافه الساميّة وتحميه مما يتعرض له من مشاكل، وتعد مصدر السكينة والطمأنينة في عالم البرزخ والقبر ويوم القيامة.

ثم واصل عليه السلام كلامه بالتطرق إلى علّة لزوم الطاعة فقال:

«فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ حِزْبٌ مِنْ مَتَالِفِ مُكْتَنِفِهِ، وَمَخَاوِفَ مُتَوَقِّعِهِ، وَأَوَارٍ [١٠٦٤] نِيرَانِ مُوقَدِهِ».

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥١٩

فالعبارتان الأولى والثانية في الواقع إشارة إلى معطيات الطاعة في الحياة الدنيا، والعبارة الثالثة ترمز إلى آثارها في الآخرة؛ فهي تحفظه في الدنيا من المخاطر الحاضرة والمستقبلية، وفي الآخرة من العذاب الأليم لنار جهنم.

وذهب بعض شراح نهج البلاغة إلى أن المراد بهذه الأخطار، المفساد الأخلاقيّة والباطنيّة والتي تؤدّي إلى البعد عن هدى الله، والحال من شأن هذه الأخطار أن تشمل المخاطر الماديّة، ذلك لأنّ الطاعة الإلهيّة تفيض الأمن والاستقرار على المجتمع البشري وتنزل عليه بركات السماء والأرض وتحد من نسبة الوفيات، كما أشير إلى ذلك في الآيات الشريفه من سورة نوح: «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا \* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا» [١٠٦٥].

ثم عاد الإمام عليه السلام ثانية إلى مسألة التقوى والورع ومعطياتها وآثارها، على أن الطاعة والتقوى من قبيل اللازم والملزوم، فالتقوى تؤدّي إلى الطاعة، كما أن الطاعة عنصر بلورة التقوى في باطن الإنسان؛ حيث أشار عليه السلام إلى ثمانية من آثار التقوى بعبارات مقتضبة عميقة المعنى فقال:

«فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ [١٠٦٦] عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ

دُنُوعِهَا، وَاخْتَلَوَتْ [١٠٦٧] لَهُ الْأُمُورُ بَعْدَ مَرَاتِبِهَا، وَانْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاقُمِهَا،

وَأَسْهَلَتْ لَهُ الصُّعَابُ بَعْدَ انْصَابِهَا [١٠٦٨]، وَهَطَلَتْ [١٠٦٩] عَلَيْهِ الْكِرَامَةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا [١٠٧٠]،

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٢٠

وَتَحَدَّبَتْ [١٠٧١] عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا، وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النُّعْمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا [١٠٧٢]، وَوَبَلَّتْ [١٠٧٣]

عَلَيْهِ الْبَرَكَةُ بَعْدَ إِرْدَاذِهَا [١٠٧٤].»

فتتضح قيمة التقوى على صعيد الحياة الماديّة والمعنويّة للإنسان من خلال هذه الآثار التي بينها الإمام عليه السلام للتقوى.

نعم! فالشذائد تزول في ظلّ التقوى وتفاض أقطار الرحمة الإلهيّة على التقاة والمجتمعات التقية، ويغيب الفساد والانحراف. قال القرآن الكريم بهذا الخصوص:

«وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» [١٠٧٥]. وقال:

«وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» [١٠٧٦].

ولا تختصر علاقة التقوى بهذه الأمور على الجانب المعنوي، بل هي كذلك حتى من وجهة نظر التحليلات العقلية والمنطقية، فإننا نرى المجتمعات التي استطاعت من خلال انطلاقتها من التقوى والثقة بين أبنائها وتعاونهم مع بعضهم من التغلب على العديد من المحن والمخاطر وحدت من حجم الاختلافات والنزاعات والقضايا الجزائية والعقابية إلى أدنى ما يمكن. والطريف في الأمر أن شهر رمضان المبارك الذي يتمتع فيه الصائمون بمزيد من التقوى بمقتضى الآية الشريفة: «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» [١٠٧٧]

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٢١

شهد هبوطاً ملحوظاً للجرائم والجنايات، كما أن العديد من المشاكل الاجتماعية التي تفرزها المشاكل الأخلاقية تزول بأقصى ما يمكن من السرعة أبان مزاوله الناس للأسفار المعنوية كالسفر لحج بيت الله الحرام، ذلك لأن التقوى ملكة مانعة إزاء كل هذه المشاكل، والأفراد الذين يشعرون بثقل حقوق الآخرين التي تثقل رقابهم إنما يبحثون عما ينجيهم من هذا الثقل، وعلى هذا الضوء هنالك تفسير مادي إلى جانب التفسير المعنوي للعلاقة بين التقوى وغياب المشاكل ومضاعفة البركات.

ثم اختتم الإمام عليه السلام هذا القسم من الخطبة بالعودة إلى مسألة التقوى ليؤكد ثانية على ما استهل به هذا الجانب من الخطبة فقال: «فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ، وَوَعَّظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ، وَامْتَنَنَّ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ».

وهذه الصفات الثلاث التي ذكرها الإمام عليه السلام لله تبارك وتعالى تمثل جميعاً دوافع لسلوك سبيل التقوى، لأنها تشمل جميع النعم المادية والمعنوية والمواعظ الإلهية وهي المواعظ التي تفاض على جميع أهل الإيمان عن طريق رسالات الأنبياء سيما النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسائر أنواع النعم المادية والمعنوية التي تمنح للإنسان والتي يمكن من خلالها بلوغ ذروة العبودية والورع والتقوى والكمال المعنوي والمادي تثير لدى الإنسان الشعور بالشكر والحمد لواهب هذه النعم وتنتهي به إلى تقوى الله وطاعته وإمثال أوامره.

وقال في العبارة الأخيرة:

«فَعَبَّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ، وَاخْرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ».

«عبدوا» وإن أخذت من مادة عبادة إلا أنها تعنى في هذه الموارد الاعداد والتسليم ومن ذلك قولهم «عبد الطريق».

ومن الواضح أن إعداد النفس لعبودية الله مقدمة لأداء حق الطاعة، ولا يتيسر هذا الإعداد إلا عن طريق الإيمان والمعارف الإلهية وتزكية النفس وتهذيبها والانفتاح على أسرار العبادات.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٢٣

## القسم الثالث

### إشارة

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْأَسْلِمَامَ دِينَ اللَّهِ الَّذِي اضْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، وَاضْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ، وَأَصْفَاهُ خَيْرَةَ خَلْقِهِ، وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ. أَذَلَّ الْأَذْيَانَ بِعِزَّتِهِ، وَوَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِهِ، وَأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكَرَامَتِهِ، وَخَذَلَ مُحَادِّبِهِ بِنَصِيرِهِ، وَهَيَّأَ أَرْكَانَ الضَّلَالَةِ بِرُكْنِهِ. وَسَقَى مَنْ عَطَشَ مِنْ حِيَاضِهِ، وَأَتَّقَ الْحِيَاضَ بِمَوَاتِحِهِ. ثُمَّ جَعَلَهُ لَأَنْفِصِيَامٍ لِعُرْوَتِهِ، وَلَمَا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ، وَلَأَنْهِيْدَامٍ لِأَسَاسِهِ، وَلَمَا زَوَالَ لِتَدْعَائِمِهِ، وَلَمَا انْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ، وَلَا انْقِطَاعَ لِمِدَّتِهِ، وَلَا عَفَاءَ لِشَرَائِعِهِ، وَلَا حَيْدَ لِفُرُوعِهِ، وَلَا ضَنْكَ لَطَرْفِهِ، وَلَا وُعُوشَهُ لِسُهُولَتِهِ، وَلَا سَوَادَ لَوْضِحِهِ، وَلَا عَوَجَ لِأَنْتِصَابِهِ، وَلَا عَصَلَ فِي عُودِهِ، وَلَا وَعَثَ لِفَجْحِهِ، وَلَا أَنْطَفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ، وَلَا مَرَارَةَ لِحَلَاوَتِهِ. فَهُوَ دَعَائِمٌ أَسَاحَ فِي الْحَقِّ أَسِيْنَاخَهَا، وَتَبَّتْ لَهَا أَسَاسِيهَا، وَيَتَابِعُ عَزْرَتِ

عُيُونُهَا، وَمَصَابِيحُ شَبَّتْ نِيرَانُهَا؛ وَمَنَارٌ أَقْتَدَى بِهَا سِفَارُهَا، وَأَعْلَامٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا، وَمَنَاهِلٌ رُوِيَ بِهَا وَرَادُهَا. جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ، وَذُرْوَةَ دَعَائِمِهِ، وَسَيَامَ طَاعَتِهِ؛ فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَثِيقُ الْأَرْكَانِ، رَفِيعُ الْبُيُوتَانِ، مُنِيرُ الْبُرْهَانِ، مُصَيِّئُ النَّيْرَانِ، عَزِيزُ السُّلْطَانِ، مُشْرِفُ الْمَنَارِ، مُعَوِّذُ الْمَنَارِ. فَشَرَّفُوهُ وَاتَّبِعُوهُ، وَأَدَّوْا إِلَيْهِ حَقَّهُ، وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ.

### الشرح والتفسير: فضل الإسلام

خاض الإمام عليه السلام في هذا الجانب من الخطبة في بيان أهميّة الإسلام وعظمته هذا الدين الحنيف، حيث أكمل بهذا القسم ما أورده في القسم السابق بشأن التقوى

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٢٤

والطاعة، ذلك لأنّ الطاعة والتقوى إنّما تتحصل في ظلّ التبعية لهذا الدين. فتحدث بادئ الأمر عن إحدى عشرة صفة من صفات الإسلام العظيم فقال:

«ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْأَسْلَامَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي اضْطَفَأَهُ لِنَفْسِهِ، وَاضْطَنَعَهُ [١٠٧٨] عَلَى عَيْنِهِ، وَأَضْفَأَهُ خَيْرَةَ خَلْقِهِ، وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ».

فقد بين في هذه الصفات الخمس الأولى الأركان الأصليّة لهذا الدين المقدّس والذي انفرد الله تعالى بتشريعه بمنتهى الدقّة، وتولى إبلاغه أفضل خلق الله النّبي الأكرم صلى الله عليه وآله واستندت دعائمه على أساس حبّ الله.

العبارة:

«اضْطَفَأَهُ لِنَفْسِهِ»

إشارة إلى أنّ الطريق الذي يؤدّي إلى القرب الإلهي يقتصر على الدين الإسلامي الحنيف: «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْأِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ» [١٠٧٩].

والعبارة:

«وَاضْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ»

تقال في الأمور التي يكون الشخص حاضراً وناظراً حين الإتيان بها وبعبارة أخرى تتم أمام عينيه. وأمّا بشأن الله فهي كناية عن نهاية عنايته ومراقبته له، قال القرآن الكريم بشأن موسى عليه السلام: «وَلْتَضَنَّ عَلَى عَيْنِي» [١٠٨٠].

والعبارة:

«أَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ»

(بالنظر إلى عودة الضمير في محبته إلى الله) إشارة إلى أنّ الإسلام بنى على المحبّة وهذه إحدى افتخاراتنا في أنّ ديننا بنى على أساس الحبّ، ولذلك جاء في الرواية:

«هَلِ الدِّينُ إِلَّا الْحُبُّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ:

«قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ» [١٠٨١].

وعلى هذا الضوء فإنّ أساس هذا الدين محبّة العباد لله من جانب، وحبّ الله للعباد من جانب آخر، ثمّ واصل كلامه بالإشارة إلى ست صفات أخرى فقال:

«أَذَلَّ الْأَدْيَانَ بِعِزَّتِهِ، وَوَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِهِ، وَأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكَرَامَتِهِ، وَخَذَلَ مُحَادِّبِهِ [١٠٨٢] بِنَصْرِهِ،

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٢٥

وَهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلَالَةِ بِرُكْنِهِ. وَسَقَى مَنْ عَطَشَ مِنْ حِيَاضِهِ، وَأَتَّقَ [١٠٨٣] الْحِيَاضَ

بِمَوَاتِحِهِ [١٠٨٤].

والعبارتان:

«أَذَلَّ الْأَذْيَانَ بِعِزَّتِهِ، وَوَضَعَ الْمَلَلَ بِرَفْعِهِ...»

(بالنظر إلى أن الضمير في العبارات يعود إلى الإسلام) إشارة إلى ما ورد في القرآن الكريم: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» [١٠٨٥].

وجاء في الآية التي سبقتها: «يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» [١٠٨٦].

وقد انتصر الإسلام على سائر الأديان في جبهتين؛ إحداهما الجبهة الظاهرية من الناحية السياسية والعسكرية، والأخرى الجبهة الباطنية من حيث المنطق والدليل والبرهان، فقد أقام القرآن الكريم أقوى الأدلة لإثبات المعارف الدينية الحقة التي تسوق كل منصف إلى تقبلها، وكما قال الإمام عليه السلام في العبارة المذكورة فقد سقى كل من عطش من معين فيضه وملاً حقول العلم والمعرفة بأدلته وبراهينه.

ثم تطرق عليه السلام إلى سائر الامتيازات المهمة التي أتصف بها الإسلام ليركز بادئ ذي بدئ على خلود هذا الدين المقدس، فأماط اللثام عن حقيقته هذا الخلود بثمان عبارات عميقة المعنى وبرسم صورة غاية في الوضوح والروعة فقال:

«ثُمَّ جَعَلَهُ لَا انْقِصَامَ لِعُرْوَتِهِ، وَلَا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ، وَلَا أَنْهَادًا لِأَسَاسِهِ، وَلَا زَوَالَ لِدَعَائِيهِ، وَلَا انْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ، وَلَا انْقِطَاعَ لِمُدَّتِّهِ، وَلَا عَفَاءَ [١٠٨٧] لِشِرَائِعِهِ، وَلَا جَدًّا لِفُرُوعِهِ».

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٢٦

وهو ذات الأمر الذي قال فيه القرآن بشأن النبي: «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ..» [١٠٨٨].

وقد نظمت أصول الإسلام وأركانها من جانب الحكيم بما يعدها عن التزلزل مهما تقادم الزمان وقد تكهن بمتطلبات كل زمان ومكان في ظل أحكامه الثابتة والمتغيرة (بتغير الموضوعات) وهذه الشمولية هي التي جعلته خالداً.

ثم خاض الإمام عليه السلام بعد فراغه من إثبات خلود الإسلام في بيان سائر صفاته من قبيل سهولته ووضوحه واستقامته ووضوح قوانين الدين من خلال ثمان عبارات فقال:

«وَلَا ضَنْكَ [١٠٨٩] لِطُرُقِهِ، وَلَا وُعُوثَةٌ [١٠٩٠] لِسُهُولَتِهِ، وَلَا سَوَادٌ لِيُوضِحِهِ [١٠٩١]، وَلَا عِوَجٌ لِيَنْتَصِبِهِ [١٠٩٢]، وَلَا عَصَلٌ [١٠٩٣] فِي عُودِهِ، وَلَا وَعَثٌ لِيَفْجِهَهُ [١٠٩٤]، وَلَا انْقِطَاعٌ لِمَصَابِيحِهِ، وَلَا مَرَارَةٌ لِحَلَاوَتِهِ».

والعبارة الأولى

«وَلَا ضَنْكَ لِطُرُقِهِ»

إشارة إلى ما ورد في الحديث النبوي الشريف

«بُعِثْتُ بِالْحَنَفِيَّةِ السَّهْلَةِ السَّمْحَةِ» [١٠٩٥]

. الشريعة التي لا تختزن أي صعوبة أمام السالكين إلى الله وقوانينها سهلة مستساغة، ولما كان الإفراط في السهولة قد يؤدي إلى الضعف فقد قال في العبارة اللاحقة:

«وَلَا وُعُوثَةٌ لِسُهُولَتِهِ»

أي أن هذه السهولة واليسر والسماحة للشريعة لا تسير نحو الإفراط قط، بل ضمن إطار الاعتدال، وتشير العبارة الثالثة إلى هذه الحقيقة في أن وضوح جادة الإسلام دائمى

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٢٧

وليس ممّا يتخلله الظلام أحياناً والفارق بين العبارتين الرابعة والخامسة أنّ كليهما إشارة إلى استقامة الشريعة الإسلامية وخلوها من الاعوجاج، في حين أنّ العبارة الرابعة أشارت إلى استقامة المسيرة، بينما أشارت العبارة الخامسة إلى استقامة أعمدة وأسس بناء هذا الصرح العظيم.

وتشير العبارة السادسة:

«وَلَا وَعَثَ لِفَجِّهِ»

إلى أنّ سطح هذه الجادة محكم وراسخ والسير عليه سهل يسير، وليس من قبيل الطرق المليئة بالتراب والرمل والتي تغوص فيها أرجل السالك وبالتالي يصعب المشى والسير عليها.

وذهب بعض شراح نهج البلاغة إلى أنّ المراد بالعبارة السابعة

«وَلَا انْطَفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ»

هو وجود العلماء في كلّ عصر وزمان حيث تلتطف الله بهؤلاء الأدلاء في كل زمان والذين يضيئون الطريق لجميع السالكين، بينما ذهب البعض الآخر إلى أنّ المراد بهم الأئمة المعصومين عليهم السلام الذين لا تخلو الأرض منهم. كما يمكن أن تكون إشارة إلى مفهوم عام يشمل الأدلة الواضحة وعلامات الحق وآثار العظمة في كلّ عصر ومصر.

والعبارة الأخيرة:

«وَلَا مَرَارَةَ لِحَلَاوَتِهِ»

إشارة إلى المرارة التي تشوب العديد من حلوات الدنيا، أو التي تختتم بها، من قبيل المال والثروة والمقام والانتفاع باللذات التي عادة ماتستبطن القلق والإرباك؛ غير أنّ حلاوة الإسلام ممّا لا تشوبها مرارة قط.

ولما فرغ الإمام عليه السلام من بيان خلود الإسلام وسهولة أحكامه أشار إلى قوته وإقتداره ليؤدى حقّ الكلام بسبع عبارات قصيرة من خلال هذا الاستنتاج فقال:

«فَهُوَ دَعَائِمٌ أَسَاحٌ [١٠٩٦] فِي الْحَقِّ أَسْنَاخَهَا [١٠٩٧]، وَتَبَّتْ لَهَا أَسَاسُهَا [١٠٩٨]، وَيَتَابِعُ غَزْرَتَ [١٠٩٩]

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٢٨

عُيُونُهَا، وَمَصَابِيحٌ شَبَّتْ نِيرَانُهَا؛ وَمَنَارٌ أَقْتَدَى بِهَا سَفَارُهَا [١١٠٠]، وَأَعْلَامٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا، وَمَنَاهِلٌ رُوِيَ بِهَا وُرَادُهَا».

وعلى هذا الأساس فقد شبّه الإسلام بقصر عظيم الأسس والدعائم وراسخ القوائم وإلى جانبه الحقول والبساتين والعيون المليئة بالمياه وقد يسر الوصول إليه من خلال ملء طريقه بالمصابيح في الليالي المظلمة والعلامات الواضحة في النهار، بحيث لا يعيش سالك هذا الطريق أى ضلال في ليل أو نهار، كما شقت العيون في ذلك الطريق لتروى ضمنا العطاشى المسافرين.

ويمكن أن تكون هذه الأسس والدعائم إشارة إلى ما ورد في الحديث الشريف:

«بُنِيَ الْأِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةٍ؛ عَلَى الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَالْوَلَايَةِ وَلَمْ يُنَادَ بِشَيْءٍ كَمَا نُودِيَ بِالْوَلَايَةِ» [١١٠١].

أمّا العيون التي أُشير إليها في العبارة الثالثة فيمكن أن تكون إشارة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية وائمة العصمة عليهم السلام والمصابيح والمنائر إشارة إلى ما ظهرت منهم عليهم السلام من إعجازات وكرامات، ومناهل الرى إشارة إلى علوم المعصومين عليهم السلام والتي تسقى الجميع.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بالإشارة إلى ثلاث خصائص من خصائص الإسلام فقال:

«جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ، وَذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ، وَسَنَامَ طَاعَتِهِ».

فالعبارة الأولى إشارة إلى ما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: «وَرَضِيتُ لَكُمْ الْأِسْلَامَ دِينًا» [١١٠٢].



كما يمكن أن تكون العبارة الثانية إشارة إلى الآية الشريفة: «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٢٩

الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ» [١١٠٣].

والعبارة الثالثة إشارة إلى الجهاد طبق بعض الروايات، فقد جاء عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال لأحد أصحابه:

«أَلَا أَخْبَرُكَ بِأَصْلِ الْإِسْلَامِ وَفَرْعِهِ وَدَوْرَهُ سَنَامِهِ»

. قال: بلى! جعلت فداك. فقال عليه السلام:

«أَمَّا أَصْلُهُ الصَّلَاةُ وَفَرْعُهُ الزَّكَاةُ وَدَوْرُهُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ» [١١٠٤].

ثم أشار عليه السلام في ختام هذا القسم إلى سبع صفات أخرى من صفات الإسلام بعبارات قصيرة وعميقة المعنى فقال:

«فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَثِيقُ الْأَرْكَانِ، رَفِيعُ الْبُنْيَانِ، مُنِيرُ الْبُرْهَانِ، مُضِيئُ النَّيْرَانِ، عَزِيزُ السُّلْطَانِ، مُشْرِفُ الْمَنَارِ، مُعَوِّذُ [١١٠٥] الْمَتَارِ».

وتشير العبارة الأولى

«فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ...»

إلى أن الإسلام بنى على أسس محكمة من الأدلة العقلية والمنطقية والمعجزات الواضحة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

كما تشير العبارة:

«رَفِيعُ الْبُنْيَانِ»

إلى سعة وعظمة الخطط الإسلامية التي تشمل جميع أصول وفروع حياة الناس المادية والمعنوية.

والعبارة الثالثة:

«مُنِيرُ الْبُرْهَانِ»

يمكن أن تكون إشارة إلى الأدلة والبراهين التي تثبت حقايق الدين الإسلامي الحنيف.

والعبارة الرابعة:

«مُضِيئُ النَّيْرَانِ»

بشأن العلوم والمعارف الحقة التي تنبع من الإسلام، كما جاء في التاريخ: من أن الإسلام خلق حركة في القرون الوسطى المظلمة

ليحقق إنجازات وتطوراً هائلاً في جميع العلوم البشرية والتجريبية وقد صدر المسلمون من خلالها نتاجاتهم العلمية إلى جميع أكناف

العالم وكان كما صرح بعض علماء الغرب بمنزلة الشمعة التي أضاءت ظلمات القرون الوسطى لأوروبا.

ويمكن أن تكون العبارة الخامسة:

«عَزِيزُ السُّلْطَانِ»

إشارة إلى منعة وإقتدار حاكمية الإسلام الذي لا يقهر، أو منعة أدلته وبراهينه القوية والمتقنة وحصانتها من الإنهيار.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٣٠

والعبارة السادسة:

«مُشْرِفُ الْمَنَارِ»

واستناداً إلى أن «منار» أعمدة مرتفعة كانوا يضعون عليها المصابيح المضيئة لكي لا يضلّ المسافرون طريقهم في الصحارى والفلوات،

وكلّما كان هذا المنار أرفع وأعلى كان أعظم هداية وإرشاداً للآخرين - إشارة إلى أن هدى القرآن والإسلام على درجة من القوة

بحيث يدعو إليه جميع النائين من مختلف البقاع.

والعبارة السابعة:

«مُعَوِّذُ الْمَثَارِ»

بالنظر إلى أن «مثار» مصدر ميمي وبمعنى الحمل على الحركة والإثارة والطرْد - فهي إشارة إلى أن أي قدرة وقوة لا يسعها مواجهة الإسلام الأصيل.

ثم أصدر عليه السلام أثر ذكره لهذه الصفات أربع وصايا تتمثل في الواقع لوازم تلك الصفات فقال: «فَشَرُّهُوَ وَأَتْبَعُوهُ، وَأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ، وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ».

ومن البديهي أن يكون عظيماً من يتصف بهذه الصفات وعلى العاقل أن يعزه ويكرمه ولا بد من اتباع هذا الدين الذي يمتاز بهذه الأدلة القوية والواضحة والائتمار بأوامره ويعطيه ما يستحقه من منزلة بأن يجعله أسوة لحياته في جميع شؤونه.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٣١

## القسم الرابع

### إشارة

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا الْأَنْقِطَاعُ، وَأَقْبَلَ مِنَ الْآخِرَةِ الْأَطْلَاعُ، وَأَظْلَمَتْ بِهَجَّتِهَا بَعْدَ إِشْرَاقِ، وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَى سَاقِ، وَخَسَنَ مِنْهَا مِهَادٌ، وَأَزَفَ مِنْهَا قِيَادٌ، فِي انْقِطَاعِ مِنْ مُدَّتِهَا، وَأَقْتِرَابِ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَتَصَيَّرُ مِنْ أَهْلِهَا، وَأَنْفِصَامِ مِنْ حَلَقَتِهَا، وَانْتِشَارِ مِنْ سَبَبِهَا، وَعَفَاءِ مِنْ أَعْلَامِهَا، وَتَكْشُفِ مِنْ عَوْرَاتِهَا، وَقِصْرِ مِنْ طُولِهَا. جَعَلَهُ اللَّهُ بَلَاغًا لِرِسَالَتِهِ، وَكِرَامَةً لِمَمَّتِهِ، وَرَبِيعًا لِأَهْلِ زَمَانِهِ، وَرَفْعَةً لِأَعْوَانِهِ، وَشَرَفًا لِأَنْصَارِهِ.

## الشرح والتفسير: ربيع الإسلام

### إشارة

بين الإمام عليه السلام في الفصل السابق يبحث رائع عظمة الإسلام وبعض خصائصه وامتيازاته من خلال عبارات عميقة وبلغية. ثم تطرق هنا بشأن من بعث بذلك الدين أي النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ولا سيما تلك الظروف المعقدة التي انبثقت في ظلها دعوته الشريفة. وسيتطرق في الفصل القادم إلى أهمية القرآن الكريم بصفته أهم معجزة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله ودستور الشريعة الإسلامية.

وركز في هذا الفصل - كما ورد انفاً - إلى الظروف المعقدة للعصر الجاهلي والفترة التي انطلقت فيها الدعوة الإسلامية من خلال أربع عشرة عبارة قصيرة وعميقة المعنى في كشف ملاسبات ذلك الزمان فقال:

«ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٣٢

مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا الْأَنْقِطَاعُ، وَأَقْبَلَ مِنَ الْآخِرَةِ الْأَطْلَاعُ [١١٠٦]، وَأَظْلَمَتْ بِهَجَّتِهَا بَعْدَ إِشْرَاقِ، وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَى سَاقِ [١١٠٧].»

وأضاف:

«وَخَسَنَ مِنْهَا مِهَادٌ [١١٠٨]، وَأَزَفَ [١١٠٩] مِنْهَا قِيَادٌ [١١١٠]، فِي انْقِطَاعِ مِنْ مُدَّتِهَا،

وَأَقْتَرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا [١١١١].

ثم قال:

«وَتَصَرُّمٍ [١١١٢] مِنْ أَهْلِهَا، وَأَنْفِصَامٍ مِنْ حَلْقَتَيْهَا، وَأَنْتِشَارٍ مِنْ سَبَبِهَا، وَعَفَاءٍ [١١١٣] مِنْ أَعْلَامِهَا، وَتَكْشُفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا، وَقَصْرٍ مِنْ طُولِهَا».

وهذه العبارات الأربع عشرة تشير جميعاً إلى أن العالم آيل إلى الزوال، وأننا لنعيش أواخره. فالنعم والإمكانات والمواهب والاستعدادات في جميع الجوانب تسير نحو الفناء.

ثم قال عليه السلام:

«جَعَلَهُ اللَّهُ بَلَاغًا لِرِسَالَتِهِ، وَكَرَامَةً لِأَمَّتِهِ، وَرَبِيعًا لِأَهْلِ زَمَانِهِ، وَرَفْعَةً لِأَعْوَانِهِ، وَشَرَفًا لِأَنْصَارِهِ».

نعم! فهذا النبي العظيم صلى الله عليه وآله قد خلق ربيعاً مفعماً بالنضارة والحيوية آخر الدنيا وبلغ باتباعه قمة الفخر وذروة الانتصار وأغنى الجميع ببركته وجوده وأشرق بطلعته تلك الشمس الساطعة في ذلك الوسط المعتم.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٣٣

### إجابة عن سؤال

بالنظر إلى ما ورد سابقاً فإن القسم الأعظم من هذه الدنيا قد مضى ولم يبق من عمرها سوى القليل، وهذا ما يستفاد بصورة جلية من الآيات القرآنية، فقد جاء في الآية الشريفة الأولى من سورة الأنبياء: «أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ». كما جاء في الآية الأولى من سورة القمر: «أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ».

وفي الآيتين السادسة والسابعة من سورة المعارج: «أَنَّهُمْ يَرْؤُنَهُ بُعِيدًا \* وَنَرَاهُ قَرِيبًا» وسائر الآيات.

وهنا يرد هذا السؤال: وكم هو عمر الدنيا ليقال ولّى شطرها الأعظم؟ لقد مضى ١٤ قرناً على الدعوة الإسلامية ويمكن أن تمضي قرون طويلة أخرى والحال لا نشعر بأثر على زوال الدنيا وبداية القيامة.

وردت عدّة أقوال لشراح نهج البلاغة بهذا الشأن وكأنهم بلغوا طريقاً مسدوداً وأخذ كلٌّ يبحث عن سبيل للخروج منه، وأعرب البعض الآخر بعد كثرة الكلام عن عجزه ورأى من الأنسب الصمت والسكوت.

والطريف في الأمر أن كل شارح ذكر شيئاً بشأن عمر الدنيا؛ فقليل ٥ آلاف سنة وقيل ٧ آلاف سنة وقيل ١٢ ألف سنة، بينما عدّها البعض الآخر أكثر من ذلك، والأعجب من ذلك أن البعض أضاف مقداراً من الشهور والأيام إلى ما ذكره من سنوات، ويبدو أن أحداً منهم لم يعزز كلامه بدليل معتبر بل مجرد استناد الكلام إلى الحدس والظن؛ أو كإطلاق السهم في الليل كما يقولون. ونرى من الأفضل قبل أن نخوض في تعيين عمر الدنيا بالسنوات والأشهر والأيام؛ أن نتجه صوب الإجابة عن السؤال المذكور لنرى كيف أن ما تبقى من عمر الدنيا أقل مما تصرم منها.

ذكرت هنا عدّة أجوبة والجواب الآتي يعدّ أفضلها.

فالعلم المعاصر وكذلك الروايات الإسلامية ترى للحياة البشرية تاريخاً طويلاً

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٣٤

على الكرة الأرضية وبمقارنته بما بقي من عمر الإنسان على وجه الأرض يمكن أن يكون قصيراً.

فقد جاء في بعض الروايات:

«أَوْتَظُنُونَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ خَلْقًا غَيْرِكُمْ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ أَلْفَ أَلْفِ آدَمَ قَبْلَ آدَمِكُمْ هَذَا» [١١١٤].

وعليه فليس هنالك من مشكلة في ما ورد في هذه الخطبة وكذلك الإشارات التي تضمنتها مختلف الآيات القرآنية إلى هذه المسألة

والتي تشير إلى قصر عمر ما تبقى من الدنيا.

والتفسير الآخر للعبارات المذكورة أن المراد من انقطاع الدنيا واقبال الآخرة هو نهاية حياة الناس أو الأمم، لأن مدة عمر الإنسان قصيرة ولا يكاد يعيش فترة حتى يحل أجله.

ولو أمعنا النظر في العبارات الأربع عشرة المذكورة لرأينا أن هذا التفسير لا ينسجم مع تلك العبارات.

## تأمل

### ربيع النبوة

أشار الإمام عليه السلام في ختام هذا القسم إلى الافتخار بخلق النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لاتباعه، ليعتبره بمنزلة فصل الربيع لأهل زمانه وشرف ورفعه وعزّه وأعوانه وأنصاره.

وإننا لنذكر حقيقة هذه العبارات التي وردت في الخطبة كلما تأملنا تاريخ العصر الجاهلي ثم تلك النهضة والثورة العظيمة التي أحدثتها البعثة النبوية الشريفة، فقد كان أعراب الجاهلية يعتبرون الإنسان فاقداً لأية منزلة اجتماعية وتاريخية تذكر، بينما حظى بمكانة قل نظيرها أو انعدم في التاريخ البشري في ظل البعثة النبوية،

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٣٥

فلم يكتف أتباع نبي الإسلام صلى الله عليه وآله من العرب والعجم بتشكيل تلك الحكومة الواسعة الأطراف آنذاك في معظم مناطق العالم، بل بلغوا ذروة العلم والمعرفة والمدنية مما جعل العلوم الإسلامية في خاتمة المطاف تعد بؤرة وانطلاقة لتلك الثورة العلمية التي شهدتها أوربا في العصر الحديث، ولو عاد المسلمون اليوم لأمجادهم السابقة وأحيوا تلك القيم الإسلامية والمثل الدينية لاحتلوا الصدارة ثانية في المجالات العلمية والسياسية والاقتصادية.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٣٧

## القسم الخامس

### إشارة

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُورًا لَاتُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ، وَسِرَاجًا لَيَحْبُو تَوْقُدُهُ، وَبَحْرًا لَيُدْرِكُ قَعْرُهُ، وَمِنْهَا جَا لَيُضِلُّ نَهْجُهُ، وَشُعَاعًا لَيُظْلِمُ ضَوْؤُهُ، وَفُرْقَانًا لَيُخَمِّدُ بُرْهَانَهُ، وَبَيِّنَاتًا لَاتُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وَشِفَاءً لَاتُخْشَى أَشِقَامُهُ، وَعِزًّا لَاتُهْزَمُ أَنْصَارُهُ، وَحَقًّا لَاتُخْذَلُ أَعْوَانُهُ. فَهُوَ مَعِيدُ الْإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَبُحُورُهُ، وَرِيَاضُ الْعَدْلِ وَعُدْرَانُهُ، وَأَنْصَابُ الْأَسْلَامِ وَبُنْيَانُهُ، وَأَوْدِيَةُ الْحَقِّ وَغِيْطَانُهُ. وَبَحْرٌ لَيَنْزِفُهُ الْمُسِيئَاتُ نَزْفُونِ، وَعِيُونٌ لَيُنْضِبُ بِهَا الْمَاتِحُونَ وَمَنْاهِلٌ لَيَغِيْضُ بِهَا الْوَارِدُونَ، وَمَنْازِلٌ لَيُضِلُّ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ، وَأَعْلَامٌ لَيَعْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ، وَأَكَامٌ لَيَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ.

جَعَلَهُ اللَّهُ رِيًّا لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ، وَرَبِيعًا لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ، وَمَحَاجٍ لِبُطُونِ الصُّلَحَاءِ، وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ، وَنُورًا لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ، وَحَبْلًا وَثِيقًا عَزُوتُهُ، وَمَعْقِلًا مَنِيعًا ذُرُوتُهُ، وَعِزًّا لِمَنْ تَوَلَّاهُ، وَسَلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ، وَهُدًى لِمَنْ اتَّمَّ بِهِ، وَعُودْرًا لِمَنْ ائْتَحَلَّهُ، وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وَفَلْجًا لِمَنْ حَاجَّ بِهِ، وَحَامِلًا لِمَنْ حَمَلَهُ، وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَهَا، وَجَنَّةً لِمَنْ اسْتَلَامَ. وَعِلْمًا لِمَنْ وَعَى، وَوَحْدِيثًا

لِمَنْ رَوَى، وَحُكْمًا لِمَنْ قَضَى.

### الشرح والتفسير: خصائص القرآن الكريم

كما قيل سابقاً فقد استهل الإمام عليه السلام هذه الخطبة البليغة بالحديث عن أهميته  
نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٣٨

التقوى، ثم شرح سبيل التقوى الذى يتمثل فى تبعية هذا الدين الحنيف، وخاض فى المرحلة التالية فى أهميته الدعوة النبوية وحامل  
الرسالة الإسلامية، وتعرض فى القسم الأخير من الخطبة إلى خصائص وإمميزات القرآن معجزة النبي الخالدة ودستور الشريعة  
الإسلامية السمحاء، والذى يجدر ذكره أن الإمام عليه السلام أشار ب ٤٢ عبارة قصيرة وعميقة المعنى إلى ٤٢ امتيازاً مهماً من  
امتيازات القرآن وشرح خصائصه بأسهاب بحيث لا يمكن تصور ما هو أفضل منه.

فتطرق فى البداية إلى عشر فضائل وامتيازات فقال:

«ثُمَّ أُنزِلَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ نُورًا لَا تَطْفَأُ مَصَابِيحُهُ، وَسِرَاجًا لَا يَخْبُو [١١١٥] تَوَقُّدُهُ، وَبَحْرًا لَا يُدْرِكُ قَعْرُهُ، وَمِنْهَا جَأً [١١١٦] لَا يُضِلُّ  
نَهْجُهُ، وَشِعَاعًا لَا يُظْلِمُ ضَوْؤُهُ، وَفُرْقَانًا لَا يَحْمَدُ بُرْهَانُهُ، وَتَبْيَانًا لَا تُهْدِمُ أَرْكَانُهُ، وَشِفَاءً لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ، وَعِزًّا لَا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ، وَحَقًّا لَا تُخْذَلُ  
أَعْوَانُهُ».

والعبارتان الأولى والثانية فى الواقع اقتباس من الآيات القرآنية التى شبهت القرآن بالنور ومن ذلك الآية ١٥ من سورة المائدة: «قَدْ  
حَيَّاءَ كُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ»، فالقرآن الكريم أضاء بنوره طرق الحياة المظلمة وكشف السيل القويم من بين سبل الضلالة  
والحيرة، وأرشد قوافل المجتمعات الإنسانية فى صحارى وفلوات هذا العالم إلى هدفها المنشود ألا وهو سعادة الدارين الدنيا والآخرة.  
وتشير العبارة الثالثة:

«وَبَحْرًا لَا يُدْرِكُ قَعْرُهُ»

إلى الأسرار الخفية ودقائق العلوم المودعة فى القرآن الكريم والتى تسمو على الأفكار ولا يبلغها سوى خاصة أولياء الله، وقد أشارت  
بعض الروايات الإسلامية إلى بطون القرآن المتعددة.

والتعبير بالمنهاج الوارد فى العبارة الرابعة بشأن القرآن الذى يعنى الطريق الواضح والمستقيم الذى لا يضل فيه السالكون إشارة إلى  
الأفراد الذين انتفعوا بهذا الطريق الواضح والصراط الإلهى المستقيم ولا يعترهم الضلال قط.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٣٩

كما تصممت العبارة الخامسة: إشارة أخرى إلى نور القرآن حيث إن ضيائه خالد لا يزول أبداً كما وصف القرآن نفسه فقال: «لَا يَأْتِيهِ  
الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ» [١١١٧].

وأشارت العبارة السادسة إلى نقطة مهمة أخرى وهى أن القرآن فرقان؛ أى حين يمتزج الحق بالباطل أحياناً، فما كان مطابقاً للقرآن  
فهو حق وما خالفه فهو باطل، وعليه فهو يفرق الحق عن الباطل، وقد ورد التعبير عن القرآن بالفرقان فى الآية الأولى من سورة الفرقان  
إذ قالت: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا» والأهم من كل ذلك أن هذه الصفة للقرآن لا تقول إلى الخمود  
والانطفاء والاختفاء أبداً.

وفى العبارة السابعة شبه القرآن بالبناء الراسخ الأركان والأسس بحيث لا يهدم أبداً، وهذه إشارة إلى خلود التعاليم القرآنية [١١١٨].

ويطالعنا تشبيه آخر فى العبارة الثامنة؛ حيث شبه القرآن بالدواء الشافى الذى ليس بعده سقم، ذلك لأننا نعلم

«لَيْسَ مِنْ دَوَاءٍ إِلَّا وَهَيْجٌ دَاءٍ» [١١١٩]

فإن هنالك آثاراً مختلفة سليمة للدواء أحياناً، غير أن القرآن لا ينطوى سوى على المنافع والآثار الإيجابية.

وقد ورد التعبير بالشفاء عن القرآن في ذات القرآن في الآية ٥٧ من سورة يونس: «قَدْ جَاءَ ثَكْمَ مَوْعِظَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءً لِّمَا فِي الصُّدُورِ».

وفي الآية ٨٢ من سورة الاسراء: «وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ».

حتى أنه ليستفاد من أغلب روايات المعصومين أن القرآن الكريم شفاء

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٤٠

للأمراض البدئية بالإضافة إلى الأمراض العقائدية والأخلاقية، ومن تلك الروايات ما أكدت على فائدة سورة الحمد في علاج الأمراض البدئية.

وقد جاء تفسير سورة الحمد في العديد من الروايات، وكذلك في سائر التفاسير، ومنها تفسير كنز الدقائق، كما ذكر المرحوم الكليني في الجزء الثاني من كتابه أصول الكافي في باب فضل القرآن العديد من هذه الروايات الواردة بهذا الخصوص.

كما ورد الكلام في العبارتين التاسعة والعاشرة من عبارات الخطبة في أنصار القرآن وأعوانه الذين كتبت لهم الغلبة على الأعداء دائماً فلا يعيشون الفشل والهزيمة.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بالإشارة إلى إحدى عشرة فضيلة أخرى بعبارات قصيرة ومتتابعة، حيث شبه القرآن بالبحر والعين الصافية والبناء المتقن والمعدن الثمين والمنهج الواضح فقال:

«فَهُوَ مَعْدِنُ الْإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ [١١٢٠]، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ

وَبُحُورُهُ، وَرِيَاضُ [١١٢١] الْعَدْلِ وَعُدْرَانُهُ [١١٢٢]، وَأَتَافِي [١١٢٣] الْأَسْلَامِ وَبُتَيْانُهُ، وَأُودِيَةُ الْحَقِّ

وَعِطَائِنُهُ [١١٢٤]. وَبَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ [١١٢٥] الْمُسْتَنْزِفُونَ، وَعُيُونٌ لَا يُثْبِتُهَا [١١٢٦] الْمَاتِحُونَ [١١٢٧]، وَمَنَاهِلٌ لَا

يُغِيضُهَا [١١٢٨] الْوَارِدُونَ، وَمَنَازِلٌ لَا يَضِلُّ نَهْجُهَا الْمَسَافِرُونَ، وَأَعْلَامٌ لَا يَعْصِي عَنْهَا

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٤١

السَّائِرُونَ، وَآكَامٌ [١١٢٩] لَا يَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ».

العبرة:

«مَعْدِنِ الْإِيمَانِ»

إشارة إلى أن أدلة المعارف الإسلامية من التوحيد واثبات وجود الله حتى مسألة المعاد وإعجاز القرآن والولاية؛ إنما ذكرت جميعاً وبصورة واسعة في القرآن الكريم وهي الأدلة التي تشكل مصادر الأدلة الأخرى ذلك لأن المعدن يطلق على المصدر والمنبع والمركز الأصلي للأشياء الثمينة.

كما ذكر هذا المطلب بتعبير آخر في العبارة الثانية، اعتبر فيها القرآن عيناً فياضة وبحراً من العلم، بل عيون متدفقة وبحار يستطيع أهل الإيمان انتهاز مختلف العلوم منها، وإنما لنعلم اليوم أن مصدر علم الكلام والفقه والأخلاق وتاريخ الأنبياء وتاريخ الإسلام والعلوم الأخرى هو القرآن الكريم.

وأشار في العبارة الثالثة إلى مسألة مهمة أخرى ليصف فيها القرآن على أنه حدائق ورياض العدل وغدرانه ومنابعه، فقد خاطب القرآن الكريم جميع المؤمنين قائلاً: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ» [١١٣٠]؛ أي أنه لا يرى القيام بالعدل كافياً ويرى ضرورة القيام بالقسط حيث القوام صيغته مبالغه وتأکید، حتى أنه ليصرح بأن العداوة والبغضاء والقرب والصدقة لا ينبغي أن تحول دون إجراء العدالة: «وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ» [١١٣١].

كما أوصى في ذيل الآية الأولى بعدم التواني في إجراء العدالة حتى تحت طائلة إسناد الأب والام والأقرباء.

جدير ذكره أن الإمام عليه السلام شبه العدالة بالروضة والغدير الذي يسقى الروضة، وبالطبع فإن المجتمع الذي تطبق فيه العدالة بمثابة

جمال الحديقة والروضة والحركة والحيوية الناشئة من السقى الكافي، في حين أنّ المجتمع الذي يسوده الظلم

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٤٢

والتمييز الطبقي أشبه بالصحراء القاحلة والمحرقه الخالية من الماء والزرع.

والكلام في العبارة الرابعة عن أساس وبنیان الإسلام الذي ورد في القرآن الكريم، لأَنَّ «أثافي» و «بنیان» تعني الأسس والجذور، وحسب رواية الإمام الباقر عليه السلام:

«بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةِ أَشْيَاءٍ؛ عَلَى الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَالصَّوْمِ وَالْوَلَايَةِ» [١١٣٢]

ونعلم أنّ أصول هذه الفرائض وردت بصورة موسعة في القرآن الكريم.

وجرى الكلام في العبارة الخامسة عن الحقّ (الحقّ بمعناه الجامع الواسع الذي يشمل جميع الحقوق الإلهية والإنسانية والاجتماعية) حيث قال الإمام عليه السلام:

«وَأَوْدِيَةُ الْحَقِّ وَغِيَطَاتُهُ».

وجرى الكلام في العبارات السادسة والسابعة والثامنة عن عدم نفاذ المعارف والعلوم القرآنية التي لا تتناقض مهما اغترف منها، وتمد العلماء والباحثين والسالكين بالجديد من الحقائق حتى يوم القيامة، والدليل على ذلك واضح، فالقرآن كلام الله وكلام الله كذاته لا متناه، على غرار ما ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال:

«لَا تُخْصِي عَجَائِبُهُ وَلَا تُبْلِي غَرَائِبُهُ» [١١٣٣].

ويحمل هذا الكلام رسالته واضحة لجميع مفسري القرآن وهي أن لا يتصوروا أنّ ما قالوه بشأن القرآن هو آخر الكلام وليس هنالك ما هو جديد غيره.

وجاء في حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام بشأن من سأله عن القرآن الكريم، قائلاً: ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلّا غصاصة؟ فقال عليه السلام:

«لَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْهُ لِمَنْ دُونَ زَمَانٍ وَلَا لِمَنْ دُونَ نَاسٍ، فَهُوَ فِي كُلِّ زَمَانٍ جَدِيدٌ وَعِنْدَ كُلِّ قَوْمٍ غَضٌّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» [١١٣٤].

والعبارات التاسعة والعاشره والحادية عشرة إشارة إلى وضوح منهج القرآن

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٤٣

وضمانه الهدى لسلكي هذا الطريق، فلا يضل من سلك ولا تخفى علاماته على من سار عليه كما لا تغيب عنهم منازل الآمنة.

ثم أشار عليه السلام في مواصلته لذكر هذه الصفات الرفيعة للقرآن إلى خمس صفات أخرى فقال:

«جَعَلَهُ اللَّهُ رِيًّا لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ، وَرَبِيْعًا لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ، وَمَحَاجًّا لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ، وَمَحَاجًّا لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ، وَمَحَاجًّا لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ» [١١٣٥]

الضَّلْحَاءِ، وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ، وَنُورًا لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ».

والعبارة الأولى

«جَعَلَهُ اللَّهُ رِيًّا لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ»

إشارة إلى أنّ كلّ عالم أكثر تعطشاً للعلم، ذلك لأنه ذاق طعم العلم والمعرفة، وبما أنّ علوم القرآن الكريم ومعارفه غاية في السعة وليست محدودة فإنّ العلماء يستطيعون رى عطشهم العلمي بالقرآن.

جاء في الكلمات القصار للإمام عليه السلام في نهج البلاغة:

«مَنْهُومانِ لَا يَشْبَعَانِ؛ طَالِبٌ عِلْمٍ وَطَالِبٌ دُنْيَا» [١١٣٧].

والعبارة الثانية:

«وَرَبِيْعًا لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ»

إشارة إلى أن عالم الطبيعة يستأنف حياته في فصل الربيع، فتظهر النباتات والأزهار والثمار، وللقرآن مثل هذا الأثر في القلوب الواعية، فأزهار الفضيلة وثمار الإيمان اللذيذة والأخلاق والمعرفة وبالتالي القرب الإلهي إنما يتيسر في ظل القرآن الكريم. واعتبر القرآن في العبارة الثالثة جادة واسعة وواضحة لسالكي الحق، لأن الصلحاء هم أولئك الذين يحثون الخطي في السير والسلوك إلى الله وأن أفضل جادة وطريق يُمكنهم من بلوغ المقصد هي جادة القرآن الكريم. وأشار في العبارة الرابعة إلى نقطة جديدة وهي أن الأدوية قد يكون لها أحياناً تأثير في التسكين فقط، كما تكون أحياناً أخرى علاجاً مؤقتاً وثالثاً علاجاً تاماً،

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٤٤

لكنها تستبطن عوارض سلبية وأمراضاً عرضية، أمّا القرآن فهو الدواء المنزه عن هذه الأمور فهو العلاج التام الخالي من العوارض السلبية، كما أشار في العبارة الخامسة إلى أمر جديد وهو أن أنوار عالم المادة تمتزج أحياناً بالظلمة (كالنور بين الطلوعين وبين الغروبين) وإن لم تتخالطه ظلمة فإن له خسوفاً وكسوفاً أو غروباً وافولاً أما نور القرآن فلا غروب ولا أفول فيه ولا خسوف ولا كسوف، لأنه ينبعث من نور علم الحق وليس هناك من سبيل إلى الظلمة: «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...» [١١٣٨].

ثم أشار عليه السلام إلى أربعة امتيازات أخرى من امتيازات القرآن فقال:

«وَحَبْلًا وَثِيقًا عَزُوتُهُ، وَمَعْقَلًا [١١٣٩] مَنِيْعًا ذُرُوتُهُ، وَعِزًّا لِمَنْ تَوَلَّاهُ، وَسَلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ».

فالإمام عليه السلام بيانه لهذه الصفات الأربع إنما شبه في الواقع سعادة الإنسان بالقلعة الحصينة الواقعة على سفح الجبل، وعلى سالكي هذا الطريق - على غرار متسلقى الجبال - أن يتمسكوا بجبال قوية مربوطة أعلى الجبل ويتمسكوا بعدة عروات وثيقة ليتمكنوا من الوصول إلى تلك القلعة وتلك القلعة في موضع لا يبلغها العدو وكل من دخلها كانت له قدرة لا تقهر وعاش فيها سليماً معافى ومن هنا يفرز العدو الأصلي للإنسان هوى النفس والشيطان وعدم الاستقرار، ومن يستظل بالقرآن سيبلغ ذروة السلامة والسعادة والكرامة والأمن.

ثم أشار عليه السلام إلى خمس صفات منسجمات آخر من صفات القرآن فقال:

«وَهُدًى لِمَنْ اتَّمَّ بِهِ، وَعُدْرًا لِمَنْ انْتَحَلَهُ [١١٤٠]، وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وَفَلْجًا [١١٤١] لِمَنْ حَاجَّ بِهِ».

المراد من الهدى في العبارة الأولى واضح، والمراد من العذر في العبارة الثانية

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٤٥

يمكن أن يكون إتمام الحجّة، حيث أتم القرآن الحجّة على جميع الأفراد بشأن الإيمان والإتيان بالواجبات الإلهية، كما يمكن أن يكون إشارة إلى أن القرآن سيكون معذوراً أمام الله تعالى في القيامة، بمعنى كل من كان عمله وفق تعاليم القرآن سيكون معذوراً عند الله، ويبدو المعنى الثاني أصوب من الأول.

والعبارة:

«بُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ»

إشارة إلى أن الإنسان لا يستطيع الاستدلال بالقرآن في عقائده وأعماله فحسب، بل البراهين القرآنية أفضل برهان في دحر حجّة المخالفين سواء في المبدأ والمعاد أو في الإرشادات الدنيوية.

والعبارة:

«شَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ»

تأكيد أكثر على هذا المعنى إذ إن كل من جعل القرآن شاهده على خصمه كان أعظم شاهد له ونتيجة ذلك ما ورد في العبارة



الخامسة من أن الاستدلال والاستشهاد بالقرآن سبب التغلب والانتصار على الخصم.

ثم قال الإمام عليه السلام في آخر سبع صفات اختتم بها هذه الخطبة:

«وَحَامِلًا لِمَنْ حَمَلَهُ، وَمَطِيئَةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّسَ [١١٤٢]، وَجَنَّةً لِمَنْ اسْتَلَامَ [١١٤٣]، وَعِلْمًا لِمَنْ وَعَى، وَحَدِيثًا لِمَنْ رَوَى، وَحُكْمًا لِمَنْ قَضَى».

فقد شبه المؤمن بالقرآن في العبارة الأولى والثانية بالشخص الذي ركب مركباً يحلق به إلى سماء السعادة.

واعبر القرآن في العبارة الثالثة وسام شرف لجميع الأفراد الذين جعلوه دلالة حياتهم، فأيات القرآن أفضل شعار وعلاماته ودلالاته أفضل العلامات والدلالات.

وعده في العبارة الرابعة كدرع يقي الإنسان مكاره الحوادث في مواجهته للأعداء، العدو والظاهري المخالف للإسلام والعدو الباطني، أى هوى النفس والعدو

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٤٦

الخفي أى الشيطان.

وأشار في العبارات الخامسة والسادسة والسابعة إلى العلوم الحاصلة من القرآن، ويمكن أن تكون العبارة

«وَعِلْمًا لِمَنْ وَعَى»

إشارة إلى استدلالات القرآن المنطقية والعبارة

«حَدِيثًا لِمَنْ رَوَى»

إشارة إلى الأحاديث النقلية والأحاديث التي بلغتنا من جانب الوحي.

وأشار عليه السلام في العبارة الأخيرة إلى تطبيقه العملي في مسألة القضاء وصدار الأحكام، بناءً على أن القضاء في العبارة بمعنى الأحكام في الخصومات، وإن كان القضاء يشمل الأحكام كافة، فهو إشارة إلى جميع الأحكام الفقهية والعقائدية.

## تأملان

### ١. عظمة القرآن لدى أمير المؤمنين عليه السلام

ورد البحث بشأن عظمة القرآن في عدة خطب من نهج البلاغة، ولكن لم يرد أى بحث بهذه السعة والشمولية، وما ذكره الإمام عليه السلام في هذه الخطبة (إثنا وأربعين امتيازاً للقرآن) من مطالب يمكن أن تجعل المراقب غير الواعي يظنها من قبيل الادعاء الذى يفتقر إلى الدليل، إلا أن الدقة فى الآيات القرآنية تفيد وجود العديد من الشواهد والأدلة الكافية على هذا الأمر.

فمثلاً حين عد الإمام عليه السلام القرآن معدن الإيمان ومصدر العلم فذلك لأن القرآن ذكر عدة أدلة بشأن أهم المسائل العقائدية أى المبدأ والمعاد بحيث فتح أبواب الإيمان بالله والمعاد بوجه كل إنسان منصف.

وبشأن مسألة معرفة الله، فهو يأخذ بيد الإنسان فى أعالي السماء وأعماق الأرض ليريه الحركة المنظمة لتعاقب الليل والنهار وحركة الرياح [١١٤٤]، وخلق أنواع

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٤٧

الحيوانات والنباتات والثمار، [١١٤٥] وتحليق الطيور فى السماء [١١٤٦]، وحركة الغيوم وامتلاء الأرض العطشى بالمياه أثر نزول الأمطار [١١٤٧] والتي تعكس كل واحدة منها نظام عالم الخليفة ليوقن أن وراء ذلك مبدأ علم وقدرة صاغه بهذا الشكل. وبشأن مسألة المعاد فقد أخذ بيد الإنسان الطالب للحقيقة إلى بداية الخليفة [١١٤٨] وليريه مشاهد المعاد فى عالم النباتات [١١٤٩] وقدرة الله على

إحياء العظام البالية للموتى [١١٥٠].

وأما بشأن العدالة فقد أولاهما أهمية بحيث اعتبرها من وظائف المؤمنين القطعية [١١٥١] وتطبيقها حتى بشأن العدو [١١٥٢] وعد الانحراف عنها كبيرة من الكبائر.

وإن عد أمير المؤمنين عليه السلام القرآن كعين فياضة لرى قلوب العلماء وربع قلوب الفقهاء فدل ذلك في ذات القرآن، ذلك لأنه وإن كتبت آلاف التفاسير للقرآن فما زال العلماء يكتشفون كل يوم ما هو جديد فيه.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٤٨

وإن قال الإمام عليه السلام: إن القرآن سبب عزة المسلمين واقتدارهم فدل ذلك وقد ورد في عدة آيات قرآنية في أنه يدعو إلى وحدة الكلمة وعدم التفرقة ويرى الإخوة هي رابطة المؤمنين ونتيجة ذلك عزة المؤمنين في ظل عزة الله [١١٥٣].

كما أن جذور جميع المواضيع التي ذكرها الإمام عليه السلام بصفتها ٤٢ امتيازاً للقرآن في هذا الجانب من الخطبة موجودة في القرآن الكريم، ولو جمعت لأصبحت كتاباً ضخماً، ولو عمل بهذه الأوامر والتعاليم لحصلت منها كل هذه الآثار.

## ٢. العلماء الأجانب والقرآن

إن عظمة القرآن لم تقتصر على الإشادة به بهذه الصفات العظيمة من قبل المسلمين وكبار العلماء الأعلام، بل أذعن لهذه العظمة حتى أولئك الأبعد الذين غاصوا في تأمل آيات هذا الكتاب السماوي فذكروا بعض العبارات الجديرة بالتأمل والاهتمام.

كتب «آلبرماله» المورخ والعالم الفرنسى المعروف فى كتابه «التاريخ العام» حول القرآن:

«إن القرآن ممتاز بمعنى الكلمة، البديل عن سائر الكتب القيمة والذي يضم جميع العلوم (الإنسانية) وهو الكتاب الذى يحتوى على التعاليم الديتية والقوانين المدنية المعاصرة، ونسخة مرشدة للقاضى وكمال تام للزعيم الروحانى» [١١٥٤].

وكتب «ويل ديورانت» العالم والفيلسوف المعروف المعاصر فى كتابه تاريخ الحضارة:

«إن القرآن يخلق عقائد سهلة وبعيدة عن الغموض فى القلوب المتواضعة، منزّهة

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٤٩

من طقوس العادات الهجينة ومن سنن الوثنية والكهنة، وببركته بلغ المسلمون ذلك الرقى الأخلاقى والثقافى ورسخ بينهم النظم الاجتماعية وأسس الوحدة.

وأضاف: إنه حرر عقولهم من العديد من الأوهام والخرافات والظلم والعنف وأكسبهم عزة وكرامة، وقد غرس فى المجتمع الإسلامى حالة من الاعتدال والتقوى ليس لها مثل فى أى من مناطق العالم التى قطنها الإنسان الأبيض...» [١١٥٥].

وكتب «رولف لين تون» صاحب (سير الحضارة):

«لقد مهدت المدرسة القرآنية سبيل الرقى والتطور لكل فرد مهما كان انتماءه، بحيث أمكن حتى لابن العبد أن يبلغ المقامات الرفيعة والعالية فى المجتمع الإسلامى» [١١٥٦].

وقال البروفسور «درايز اروب»: «

القرآن سلسلة من الوصايا والتعاليم الأخلاقية والذى يتكون من مفاهيم يقبلها الجميع. وهذه الوصايا والتعاليم بليغة وكاملة وهى ضرورية ولازمة لتنظيم شؤون الناس» [١١٥٧].

وقال «جان ديون بورت» مؤلف كتاب «الاعتذار إلى القرآن ومحمد من التقصير»:

«إن القرآن منزّه عن كل عيب ونقص بحيث لا- يتطلب أدنى إصلاح، ولا- يشعر الإنسان بأى ملل إذا ما تصفحه من أوله إلى آخره» [١١٥٨].

وقال الشاعر الألماني المعروف والعالم «جيته»:

«لسنين طويلة، أبعدا القساوسة عن فهم حقائق القرآن المقدس وعن عظمة النبي محمد، ولكن كلما خطونا على طريق فهم العلم

تنزاح من أمام أعيننا حُجُب

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٥٥٠

الجهل والتعصب المقيت، وقريباً سيلفت هذا الكتاب الفريد أنظار العالم، ويصبح محور أفكار البشرية» [١١٥٩].

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٥٥١

## الخطبة ١٩٩

### إشارة

كَانَ يُوصَى بِهِ أَصْحَابُهُ [١١٦٠]

### نظرة إلى الخطبة

أوصى الإمام عليه السلام في هذه الخطبة بأربعة أمور مهمّة من التكاليف الإسلاميّة والتي تشكل جانباً من الخطبة.

فقد تطرق في القسم الأول إلى الصلاة وأهميتها وأشار إلى الإكثار منها والمحافظة على كفيّتها ليعتبرها وسيلة النجاة في الآخرة وسبب التطهر من المعاصي في الدنيا وغسل الروح والقلب من الرذائل الأخلاقيّة، ثم ذكر باهتمام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والمؤمنين بالصلاة.

وخاض في القسم الثاني في مسألة الزكاة التي تعدّ من أهم أركان الإيمان بعد الصلاة وعدّها من كفّارات الذنوب وحجاباً من نار جهنم، وأن أدائها مفخرة عظيمة، وعرض بالذم لمن يغفل عنها.

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٥٥٢

وانتقل في القسم الثالث إلى موضوع غاية في الأهميّة والذي يتمثل بأداء الأمانة ليعتبر المؤمن سعيداً وخائن الأمانة مهزوماً وآيساً من رحمة الله وخاض في تفسير مختصر للآية الشريفة: «أَنَا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ...» [١١٦١].

وتحدّث في القسم الرابع عن موضوع مهمّ يضمن إجراء جميع التكاليف والأحكام الإلهيّة وهو مراقبة الله واحاطته العلميّة بجميع أعمال الإنسان، وكذلك أعضاء الإنسان وجوارحه وضميره هي الأخرى مراقبة ومحيطه بأعماله.

وتفيد العبارة

«كَانَ يُوصَى بِهِ أَصْحَابُهُ»

أن الإمام عليه السلام كان يكرر هذا الكلام كلّما سنحت الفرصة ليحذر صحبه من خطورة هذه الأصول الأربعة المهمّة، ويجدر بالسالكين لخط الإمام عليه السلام أن يواصلوا وينفذوا هذه الوصايا ويتواصوا بعضهم البعض بهذه المبادئ الأربعة المنجيّة.

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٥٥٣

### القسم الأوّل

### إشارة

تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلَاةِ، وَحَافِظُوا عَلَيْهَا، وَاسْتَكْبِرُوا مِنْهَا، وَتَقَرَّبُوا بِهَا، فَإِنَّهَا (كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا). أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا: (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ \* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ). وَإِنَّهَا لَتَحْتُ الذُّنُوبَ حَتَّى الْوَرَقِ، وَتُطَلِّقُهَا إِطْلَاقَ الرَّبِقِ، وَشَبَّهَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْحَمَّةِ تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ، فَهَوِيَغَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ؟ وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَأَتَشَعَّلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ، وَلَا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَدِّدٍ وَلَا مَالٍ. يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: (رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ). وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَصَبًا بِالصَّلَاةِ بَعْدَ التَّبَشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ، لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا)، فَكَانَ يَأْمُرُ بِهَا أَهْلَهُ وَيَصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ.

## الشرح والتفسير: الأهمية القصوى للصلاة

### إشارة

أشار الإمام عليه السلام كما ذكرنا في مبحث «نظرة إلى الخطبة» إلى أربعة أمور مهمّة وأكد على أنها من الأركان، تتعلق ثلاث منها بفروع الدين (الصلاة والزكاة وحفظ وأداء الأمانة) والرابع من آثار أصول الدين وهو الإيمان بحضور الله في كل مكان وعلمه بمضمرات القلوب وأعمال الجوارح، وأشار في القسم الأول المتعلق بالصلاة إلى آثار الصلاة المعنويّة والتربويّة والعاقبة السيئة لتاركى الصلاة والمستخفين بها

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٥٤

وقد عرّف من خلال ذلك بالمصلى الحقيقي فقال بادئ الأمر:

«تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلَاةِ، وَحَافِظُوا عَلَيْهَا، وَاسْتَكْبِرُوا مِنْهَا، وَتَقَرَّبُوا بِهَا، فَإِنَّهَا (كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا)» [١١٦٢].

فقد تضمنت العبارة القصيرة أربعة أوامر بشأن الصلاة هي: تعاهدها، والمحافظة عليها، والإكثار منها، والتقرب بها إلى الله.

والمراد من التعاهد المراقبة والإصلاح، ويطلق هذا التعبير على الشخص الذى يتفقد أملاكه ومزارعه ويجد ويجتهد فى إصلاحها، وعليه فالعبارة المذكورة إشارة إلى مواصلة المذاكرة بشأن واجبات الصلاة ومستحباتها ومكروهااتها، بحيث يكون كل يوم أفضل من سابقه فى الصلاة.

والمراد من المحافظة ما أشير إليه فى الآية ٢٣٨ من سورة البقرة: «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى» والمتمثل بحفظها من الموانع والرياء والسمعة وامثال ذلك.

كما ذهب البعض إلى أنّ المراد حفظ أوقات كلّ صلاة وأدائها فى وقت الفضيلة.

ويشير التعبير «استكثروا» لما ورد فى الحديث النبوى الشريف:

«الصَّلَاةُ خَيْرٌ مَوْضُوعٍ فَمَنْ شَاءَ اسْتَقَلَّ وَمَنْ شَاءَ اسْتَكْثَرَ» [١١٦٣].

كما ورد فى الرواية:

نفحات الولاية ؛ ج ٧ ؛ ص ٥٥٤

«إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الصَّلَاةُ وَالْبِرُّ وَالْجِهَادُ» [١١٦٤].

وقال فى العبارة الرابعة التى تمثل فى الواقع نتيجة للعبارات الثلاث السابقة:

«وَتَقَرَّبُوا بِهَا».

جاء في الحديث المروى عن الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام أنه قال:

«الصَّلَاةُ

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٥٥

قُرْبَانٌ كُلُّ تَقِيٍّ» [١١٦٥].

ثم تطرق عليه السلام إلى الدليل على الوصايا الأربع بشأن الصلاة، فأشار إلى سبعة واستشهد ببعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فقال في البداية: «إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا» [١١٦٦].

وقد ذكر المفسرون تفسيرين لهذه الآية فقالوا: إن المراد من «موقوت» الوجوب حيث يستعمل هذا التعبير بدل الوجوب؛ والثاني إنه إشارة إلى أوقات الصلاة التي ينبغي مراقبتها بدقه من قبل المؤمنين فيأتون بكل صلاة في وقتها.

ثم خاض في الدليل الثاني فقال عليه السلام:

«أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا:

«مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ» [١١٦٧] \* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ» [١١٦٨].

طبعاً أشير في مواصلة الآية الشريفة المذكورة إلى سائر الذنوب التي أدت إلى دخولهم النار من قبيل: عدم إطعام المسكين ومسايرة أهل الباطل والتكذيب بيوم القيامة: «وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ \* وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ \* وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ» [١١٦٩]؛ إلّا أن المهم هو أن القرآن أشار إلى تقديم ترك الصلاة على كل تلك الأمور، وهذه دلالة واضحة على أهمية الصلاة ودورها في سعادة الإنسان.

وهذه الآيات هي أدلة واضحة على عقاب الكفار على ترك فروع الدين أكثرهم لأصول الدين.

وقال الإمام عليه السلام في بيان الدليلين الثالث والرابع لإثبات أهمية الصلاة:

«وإِنَّهَا

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٥٦

لَتَحْتُ الذُّنُوبَ حَتَّ [١١٧٠] الْوَرَقِ، وَتُطَلِّقُهَا إِطْلَاقَ الرَّبْقِ [١١٧١].

نعم؛ فكما أن الصلاة تحول دون الذنوب في المستقبل بمضمون الآية الشريفة:

«إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ» [١١٧٢]، فإنها تؤثر مثل ذلك في الذنوب السابقة عن طريق التوبة والإنابة إلى الله والتي تعد الصلاة مصدره فتقضى على المعاصي التي هي كالقيد على رقبة الإنسان وتصده عن الرقي والكمال؛ وتحرره من تلك القيود.

روى عن سلمان الفارسي قال: كنت مع رسول الله إذ جلسنا عند شجرة فهزها رسول الله فتساقطت أوراقها، ثم قال صلى الله عليه و

آله:

«أَلَا تَسْأَلُونَنِي عَمَّا صَنَعْتُ؟»

قالوا:

فأخبرنا يا رسول الله قال:

«إِنَّ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ تَحَاتَّتْ خَطَايَاهُ كَمَا تَحَاتَّتْ وَرَقَ هَذِهِ» [١١٧٣].

ثم استشهد الإمام عليه السلام في استدلاله الخامس بكلام رسول الله بشأن أهمية الصلاة فقال:

«وَشَبَّهَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْحَمَّةِ تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ، فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَمَا عَسَى

أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ [١١٧٤]؟» [١١٧٥].

ويتضح من خلال ما ورد في متن الخطبة من كلمة «الحمة» (عين المياه الحارة التي يستفاد منها في علاج المرضى) أن الصلاة ليست

كعين الماء العادية، بل عين خاصة لها آثار عجيبة في القضاء على الأذناس، ولكن لا بد من الإلتفات إلى أن هذا  
نفحات الولاية، ج٧، ص: ٥٥٧

التعبير حسب تحقيقنا وبحثنا إنما جاء فقط في كلام الإمام عليه السلام وفي هذه الخطبة.

ويمكن أن يكون هذا التأثير نابع من كون الصلاة تحيي في الإنسان روح التقوى وبمقتضى الآية الشريفة: «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ  
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ» فهي تصده عن الفحشاء والمنكرات في المستقبل وتدعوه بالطبع إلى التوبة بالنسبة لما سلف منه.  
ثم واصل كلامه عليه السلام ليستدل في دليله السادس بآية قرآنية أخرى تكشف عن عظم منزلة المصلين فقال:  
«وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَاتَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ، وَلَا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وُلْدٍ وَلَا مَالٍ. يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ:  
رِجَالٌ لَأَتْلِهِمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ» [١١٧٦].

جدير ذكره أن الآية المذكورة وردت بعد آية من تلك التي أعقت آية النور في القرآن وجرى الحديث في الآية التي سبقتها عن  
تلك البيوت الرفيعة التي أشرق فيها نور الله وانشغلت بتسبيح الله ليل نهار والرجال الذين أشير إليهم في الآية التي نحن بصددنا هم  
امناء نور الله الذين لم تستهوههم زخارف الحياة الدنيا أو تصدهم عن ذكر الله والإحسان إلى خلقه ومعونتهم.  
وأخيراً أشار عليه السلام في آخر دليل على أهمية الصلاة إلى سيرة النبي المقتبس من القرآن الكريم فقال:

«وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَصِيبًا [١١٧٧] بِالصَّلَاةِ بَعْدَ

التَّبَشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ، لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ:

«وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا» [١١٧٨]

، فَكَانَ

يَأْمُرُ بِهَا أَهْلَهُ وَيَصْبِرُ [١١٧٩] عَلَيْهَا نَفْسَهُ».

وتشير هذه الأدلة السبعة التي ذكرها أمير المؤمنين على عليه السلام بشأن أهمية الصلاة والتي استلهمها من القرآن والسنة وعشرات  
الأدلة الأخرى التي لم يكن عليه السلام في مقام

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٥٥٨

التطرق إليها، تشير إلى مدى أهمية الصلاة وكونها جوهره ثمينه ومدى تأثيرها ودورها في تهذيب الإنسان وسعادته إلى جانب  
المخاطر التي يستبطنها الابتعاد عن الصلاة والحرامان من بركاتهما.

## تأمل

### دور الصلاة في تربية الإنسان

الإنسان موجود رصيده النسيان؛ فهو لا ينسى الآخرين فحسب، بل غالباً ما يعاني من نسيان ذاته، وهذا النسيان الذاتي من أعدى أعداء  
سعادة الإنسان.

وهناك عنصران مهمان يسهمان في هذا النسيان الذاتي؛ الأول: المتطلبات الواقعية لحياته اليومية سيما في العصر الذي تعقدت فيه  
الحياة وكثرت مشاكلها، والثاني: الحاجات الكمالية والخيالية والظاهرية والمقرونة بالهوى وحب المال والجاه والشهوة، فهي أشبه  
بالمسافر الذي تطالعه على جانبي الطريق القصور الفخمة والشواهد الجميلة التي تصده فجأة عن مساره الرئيسي وتقذف به إلى الهاوية.  
ولعل أهم آثار الصلاة إيقاظ الإنسان من سباته ووضعها حداً لنسيانه، ذلك لأنه إن ذكر الله انقلب الوضع رأساً على عقب، فلسفة

الصلاة حسب الآية الشريفة: «أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي» [١١٨٠] هي ذكر الله والتي جاءت بعد الآية الشريفة: «وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ» [١١٨١] والتي أعقبت هذه الآية الشريفة: «أَنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ» تشير إلى أن الجذور الأصلية لفلسفة الصلاة إنما تكمن في ذكر الله، لأنَّ حبَّ الدنيا رأس كلِّ خطيئة، وحبَّ الدنيا هو الذي يصد الإنسان عن ذكر الله، كما ورد في الآية ٢٩ من سورة النجم: «فَاعْرِضْ عَمَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا».

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٥٩

وتفيد سائر الآيات القرآنية أن الشيطان إنما يطوف حول قلب الإنسان فإذا ما ذكر الله هرب منه: «أَنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ» [١١٨٢].

وهذا هودليل ما صرحت به الروايات الإسلامية من أن الصلاة عمود الدين وعين ماء صافية، سيما إن أوتى بهذه الصلاة في جماعة وأقبل فيها المؤمنون زمراً على الله تبارك وتعالى، جاء في الحديث عن نبي الإسلام صلى الله عليه وآله: «مَنْ صَلَّى الصَّلَاةَ فِي جَمَاعَةٍ فَظَنُّوا بِهِ كُلَّ خَيْرٍ وَقَبِلُوا شَهَادَتَهُ» [١١٨٣].

ولو تأملنا مقدمات الصلاة (الطهارة والوضوء والغسل) التي تدعو الإنسان إلى طهارة الروح والبدن وسائر شرائطها من قبيل حلية لباس المصلي والتوجه إلى المسجد، أقدم مركز للتوحيد، وسائر الأركان ومضامين الآيات والأذكار والتعقيبات، فإنها تعمق فهم الإنسان لمدى أهميته هذه العبادة العظيمة والاستثنائية، والذي يشير إلى مدى الدور الذي تلعبه الصلاة في تربية الإنسان وإيصاله إلى القرب الإلهي والسير والسلوك المعنوي والعرفاني.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٦١

## القسم الثاني

### إشارة

ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلَاةِ قُرْبَانًا لِأَهْلِ الْأَسْلَامِ، فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا، فَانْهَى تَجَعُّلُ لَهُ كَفَّارَةً، وَمِنَ النَّارِ حِجَازًا وَوَقَايَةً. فَلَا يُتَّبَعْنَهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ، وَلَمَّا يُكْتَبَرَنَّ عَلَيْهَا لَهْفُهُ، فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا، يَزْجُوبُهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا، فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ، مَغْتَبُونَ الْأَجْرَ، ضَالُّ الْعَمَلِ، طَوِيلُ النَّدَمِ.

### الشرح والتفسير: بركات الزكاة

كما أشير في مستهل الخطبة أن الإمام عليه السلام أشار فيها إلى أربعة أمور غاية في الأهمية كان أولها الصلاة وقد مر بحثها بصورة وافية، والأمر الثاني الزكاة حيث قال عليه السلام:

«ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلَاةِ قُرْبَانًا لِأَهْلِ الْأَسْلَامِ».

و «القربان»:

هنا يعني ما يوجب التقرب إلى الله تعالى ونعلم أن الصلاة هي رابطة الخالق بالخلق والزكاة رابطة الخلق بسائر عباد الله والتي تعد نوعاً من الارتباط بالله. جدير ذكره أن الصلاة والزكاة ذكرتا مع بعضهما في سبع وثلاثين آية من الآيات القرآنية، وهذا يدل على أنهما لازم وملزوم في تحقيق سعادة الفرد والمجتمع.

ثم عدد الإمام عليه السلام بعض الآثار المهمة للزكاة وشرائطها فقال:

«فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا، فَانْهَى تَجَعُّلُ لَهُ كَفَّارَةً، وَمِنَ النَّارِ حِجَازًا وَوَقَايَةً».

فالشروط الأول لقبول الزكاة حسب ما ذكر الإمام عليه السلام في هذه العبارة أن تؤدى

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٦٢

عن طيب نفس ورغبة وبصفتها إمتثال لأمر الله ونيل رضاه لتتطوى في ظل هذه الحالة على أثرين مهمين؛ أحدهما أنها كفارة للذنوب السابقة، والآخر حجاب من نار جهنم.

طبعاً، من يؤدى الزكاة مكرهاً ولا- يسعه طرح حب المال من قلبه يكون قد أدى التكليف، ولكن لا- حظ له من بركات المعنوية والروحية والأخلاقية.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أَرْضُ الْقِيَامَةِ نَارٌ مَا خَلَا ظِلُّ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّ صَدَقَتَهُ تُظِلُّهُ» [١١٨٤].

وقد صرح القرآن بأن إحدى صفات المنافق أنه إن انفق شيئاً إنما ينفقه كراهة ولذلك فهو لا يحظى بقبول الله تعالى «وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ... وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ» [١١٨٥].

ثم خالص الإمام عليه السلام إلى هذه النتيجة فقال:

«فَلَا يُبْعَثُ أَحَدٌ نَفْسَهُ، وَلَا يُكْتَرَنَ عَلَيْهَا لَهْفُهُ» [١١٨٦].

نعم! فالناس صنفان؛ صنف يؤدى زكاته وسائر صدقاته في سبيل الله بمنتهى الرضا، وليس له هم سوى الفوز برضا الله دون توقع أدنى شكر أو جزاء ممن يأخذ الزكاة والصدقة «أَنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لِأَنرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا» [١١٨٧]؛ أما الصنف التالى فذلك الذى يكون أداء الزكاة عنده كحالة الاحتضار، وهولا ينفك يعيش حالة من القلق، ليقول على الدوام: كم كان ثمين ذلك المال الذى زكيت وكم جهدت من أجل الحصول عليه، ولو كان عندى اليوم لفعلت به كذا وكذا، فهذا الصنف مصداق لما ذكره الإمام عليه السلام فى العبارة المذكورة، ولا بد أن نرى هنا كيف يبين الإمام عليه السلام الآثار السلبيّة لذلك، فقال:

«فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا، يَرْجُوبَهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا، فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ، مَغْبُونٌ الْأَجْرِ، ضَالٌّ الْعَمَلِ، طَوِيلُ النَّدَمِ».

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٦٣

ذهب بعض شراح نهج البلاغة فى تفسيرهم لهذه العبارة

«يَرْجُوبَهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا»

: إلى أن المراد أن الإنسان المؤمن لا يتوقع حتى بركة المال والحصول على المزيد من النعم فى أدائه للزكاة وسائر القربات، بل هدفه رضا الله، إلّا أنّ هذا التفسير لا يبدو منسجماً مع العبارة

«جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ»

و

«ضَالٌّ الْعَمَلِ»

، ذلك لأنّ الاستفادة من الروايات الإسلامية أن انتظار الفضل الإلهي والعناية ليس ممنوعاً فى هذه الموارد، بل مرغوب فيه.

فقد جاء فى الرواية أنه يستحب التوجه لله وطلب سعة الرزق حين الحاجة عن طريق التصدق [١١٨٨] وقد قال القرآن بهذا الخصوص:

«يَمْحَقُ اللَّهُ الرَّبَا وَيَرْبِي الصَّدَقَاتِ» [١١٨٩].

إلّا أن التفسير الثانى الذى يمكن قوله بشأن هذه العبارة والذى ينسجم مع سائر العبارات، الأول أن هذه العبارة استمرار للعبارة

«غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا»

؛ أى أنه لا يعطى الزكاة عن نفس طيبة ولا يأمل بما هو أفضل منها، ومن الطبيعى أن مثل هذا الشخص قد عمل خلاف السنة وانحدر إلى الضلال. والآخر أن المراد الشخص الذى لا يعيش الرضا الباطنى حين أداء الزكاة ويطلب من الله ما هو أفضل منها، فهو شخص



خاطى وجاهل بالسنة.

## تأمل

### الزكاة؛ ركن مهم في المجتمع الإسلامي

الزكاة من أهم الفرائض بعد الصلاة؛ فالكلام في الصلاة عن الرابطة بالخالق، وفي الزكاة عن الرابطة بخلق الله. والواقع أن صدق الإنسان وجديته في موضوع الارتباط بالخالق إنما يثبت حين تكون رابطة قوية بالخلق، فيحيط بمشاكلهم

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٦٤

ويسعى لحلها ويعبر عن مواساته للمحتاجين والمساكين والمحرومين ويسعى بكل ما أوتي من قوة لمساعدتهم، وبالطبع فإن أهم مظاهر ذلك هو أداء الزكاة، ومن هنا وكما أشير سابقاً فقد ذكرت الزكاة إلى جنب الصلاة في ٣٧ آية من الآيات القرآنية.

من جانب آخر فإن التمايز الطبقي يعد من أخطر الظواهر الاجتماعية في أن تكون هناك طبقة مرفهة مهيمنة على كل شيء وأخرى محرومة تفتقر إلى أبسط المقومات الأساسية للحياة، الأمر الذي يترك آثاره السلبية على هذه الطبقة المعذمة، كما تعاني الطبقة المرفهة من بعض الضغوط بفعل ردود الفعل التي تمارسها تلك الطبقة وهذا ما يؤدي بالتالي إلى سلب الأمن عن المجتمع.

قال القرآن الكريم في الآية ١٩٥ من سورة البقرة: «وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» والمراد إذا أردتم النجاة من الهلكة فلا تنسوا الانفاق في سبيل الله.

وهي الحقيقة التي وردت إشارة لطيفة إليها في كلام أمير المؤمنين عليه السلام، حيث قال بعد تصنيفه أبناء المجتمع إلى عالم وجاهل وغنى وفقير:

«وَإِذَا بَخِلَ الْغَنِيُّ بِمَعْرُوفِهِ بَاعَ الْفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ»

أى حين يبخل الأغنياء بالفضل على الفقراء والمحرومين فإن هؤلاء المحرومين يبيعون آخرتهم بدنياهم وبالتالي يشرون ويحطمون جميع القوانين الاجتماعية.

ومن جانب ثالث هنالك الصفات الرذيلة بالفعل والقوة في أغلب الأفراد والتي لا يمكن استئصالها إلا بأداء الزكاة، قال القرآن الكريم:

«خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا...» [١١٩٠].

نعم! هنالك تأثيرات عظيمة لأداء الزكاة في تهذيب النفس وتهذيب صفاته الإنسانية.

نقحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٦٥

## القسم الثالث

### إشارة

ثُمَّ أَدَاءَ الْأَمَانَةِ، فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا. إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمَاوَاتِ الْمَبِينِيَّةِ، وَالْأَرْضِ بَيْنَ الْمَدْحُورَةِ، وَالْجِبَالِ ذَاتِ الطُّوْلِ الْمَنْصُوبَةِ فَلَمَّا أَطْوَلَ وَلَا أَعْرَضَ، وَلَا أَعْلَى وَلَا أَعْظَمَ مِنْهَا. وَلَوْامْتَنَعَ شَيْءٌ بِطَوْلٍ أَوْ عَرِضٌ أَوْ قُوَّةٌ أَوْ عَزٌّ لَأَمْتَنَعَنَّ؛ وَلَكِنْ أَشْفَقَنَّ مِنَ الْعُقُوبِيَّةِ، وَعَقَلَنَّ مَا جِهَلَ مَنْ هُوَ أضعَفُ مِنْهُمْ، وَهُوَ الْإِنْسَانُ، (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا).

### الشرح والتفسير: أداء الأمانة

طرح الإمام عليه السلام في القسم الثالث من الخطبة- بعد بيان أهميته الصلاة والزكاة- مسألة أخرى غاية في الأهمية هي «أداء الأمانة».

والأمانة إن لم تؤدى فقدت سائر المشاريع الإسلامية أثرها ومعطياتها، فقال: «ثُمَّ أَدَاءَ الْأَمَانَةِ، فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا».

وقد اختلف شراح نهج البلاغة في المراد (بأداء الأمانة) الوارد في هذه العبارة؛ فقد ضيقه البعض ليراه يعنى الولاية والإمامة أو ما شابه ذلك، والحال أن مجيء أداء الأمانة بعد الصلاة والزكاة يفيد أن المراد به مفهوم عام وشامل، ذلك لأن أداء الأمانة أساس ودعامته جميع الأنشطة الاجتماعية والإيجابية بحيث لو تسللت الخيانة إلى أداء الأمانة لانعدمت الثقة بين الجميع ولزال التعاون الاجتماعى ولساد سوء الظن بين الناس مما يؤدى إلى إرباك المجتمع، ولذلك جاء فى الرواية أن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا بِبِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَيَّ

نقعات الولاية، ج ٧، ص: ٥٦٦

الْبِرِّ وَالْفَاجِرِ» [١١٩١].

كما ورد فى الحديث النبوى الشريف:

«الْأَمَانَةُ تَجْلِبُ الْغِنَى وَالْخِيَانَةُ تَجْلِبُ الْفُقْرَ» [١١٩٢].

جدير ذكره أن للأمانة معنيين؛ معنى خاص يشمل أمانات الناس المالية التى يستودعها بعضهم البعض الآخر وحفظها من أوجب الواجبات، ومعنى عام يشمل جميع المسؤوليات الإلهية، وعلى هذا الأساس فإن عمرنا وأولادنا وبلدنا ومراكزنا الاجتماعية والحكومات الإلهية كلها أمانات أودعت لدينا ولا ينبغي خيانتها.

والمفهوم العام يشمل أمانات الناس المادية وكذلك الأمانات الإلهية والمعنوية وحفظها من أركان الدين كما أشار الإمام عليه السلام إليها بعد الصلاة والزكاة، وتفيد العبارات اللاحقة بعدها إلى أن الهدف من ذكر الأمانة هنا هو المفهوم العام، ذلك لأن الإمام عليه السلام قال عقب هذه العبارة:

«أَنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمَاوَاتِ الْمُنْبَتَّةِ [١١٩٣]، وَالْأَرْضِيِّينَ

الْمَدْحُورَةَ [١١٩٤]، وَالْجِبَالِ ذَاتِ الطُّوْلِ الْمَنْصُوبَةِ، فَلَا أَطُولَ وَلَا أَعْرَضُ، وَلَا أَعْلَى وَلَا أَعْظَمَ مِنْهَا».

ثم قال عليه السلام:

«وَلَوْ امْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرْضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لَأَمْتَنَعَ؛ وَلَكِنْ أَشْفَقْنَا مِنَ الْعُقُوبَةِ، وَعَقَلْنَا مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَوْضَعُ مِنْهُمْ، وَهُوَ الْإِنْسَانُ، إِنَّهُ كَانَ ظُلُومًا جَهُولًا».

هذا الكلام إشارة لما ورد فى الآية ٧٢ من سورة الأحزاب: «أَنَا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظُلُومًا جَهُولًا».

نقعات الولاية، ج ٧، ص: ٥٦٧

## تأملان

### ١. نقطة مهمة

هنالك نقطة مهمة فى هذه الآية الشريفة: وهى: ما المراد بهذه الأمانة الإلهية التى بلغت هذا القدر من الثقل بحيث عجزت عن حملها السماوات والأرض والجبال؟

وقد ذهب أغلب المفسرين إلى أن المراد بها التكليف الشرعية والأوامر والنواهي والإيمان ومنها ولاية المعصومين عليهم السلام وأن

عدم تحملها من قِبَل السماء والأرض والجبال دليل على عدم استعدادها لقبول هذه المسؤولية، وعليه فعرض هذه التكاليف الإلهية عليها كان بلسان الحال، رغم ما ذهب إليه البعض من أن الله أفاض عليها آنذاك ما يكفيها من العقل والشعور لتخاطب بذلك الخطاب، ولكن على كل حال فقد حملها وقبلها الإنسان بفضل ما أودع من استعداد رباني شامل.

حقاً أن هذا لوسام شرف عظيم للإنسان لأن يخاطب بأوامر الله ونواهيهِ ولذلك فهو يحتفل في اليوم الذي يبلغ فيه التكليف. وعلى هذا الضوء فسر «الظلم والجهول» بعاقبة العمل، أي أنه لم يكن ظلوماً في قبول هذه الأمانة بل ظلم نفسه في أداء حقها ولم يلتفت إلى قدر نفسه ومقامه وكان جاهلاً به.

فهذا أوضح تفسير يمكن ذكره للآية الشريفة، لكنه لا ينسجم مع ما ورد في الخطبة التي نحن بصددتها من جهتين، الأولى إن السماوات والأرض والجبال إنما لم تتحمل هذه الأمانة بسبب ما هي عليه من عقل وفطنة، والثانية: إن الإنسان كان أضعف منها وقد ظلم نفسه إثر جهله وحمل تلك الأمانة، ومن هنا فإن النهوض بهذه الأمانة والتكليف يعد نقطة ضعف في الإنسان، وعدم قبولها من قبل السماوات والأرض يعد نقطة قوة لها.

وهذا المعنى وبغض النظر عن عدم انسجامه مع الآية الشريفة، فهو لا يتفق أيضاً مع سائر الآيات القرآنية، فإلله جعل الإنسان أفضل خلقه فقال: «لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ...

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٦٨

وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً» [١١٩٥] وقد أمر جميع ملائكته بالسجود له وجعله خليفته في أرضه وقال بحقه: «أَنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» [١١٩٦]. فهل يمكن أن يقال بعد كل هذه الافتخارات إن الإنسان أضعف واحط من الجمادات كالأرض والسماء والجبال؟!

حقاً إن هذه مسألة معقدة ولا يبدو من السهل الجمع بين مضمون هذه الخطبة وما جاء في الآية الشريفة، ولم يتجه شراح نهج البلاغة صوب حل هذه المشكلة، والحل الوحيد هو أن نعتبر الآية قضية كلية ونحمل كلام الإمام عليه السلام على قضية جزئية فنقول: إن الإمام عليه السلام تطرق إلى فئة من الناس، فئة بحكم الآية الشريفة:

«أُولَئِكَ كَالنَّعِيمِ بَلَّ لَهُمْ أَصْلٌ» [١١٩٧] ممن ليس لهم حظ من عقل ومعرفة ويعيشون في دوامة من الجهل والغرور والغفلة واتباع الهوى الذي تسلل إلى أفكارهم فكان قبول هذه الأمانة سبب بؤسهم وشقائهم بدلاً من أن يكون أساس إعزازهم وفخرهم؛ ولعلنا نلمس شبيه ذلك في القرآن الكريم بشأن المنافقين ومرضى القلوب: «وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَآمَنَ الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ \* وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ» [١١٩٨].

ومن هنا يجدر بالباحثين التركيز والتعمق في هذه المسألة.

## ٢. أفضل علامات الإيمان

إن حفظ الأمانة، سواء بالمعنى الخاص الذي يعنى حفظ ثروات الآخرين المالية، أو بمعناها العام في حفظ وصون المسؤوليات الإلهية والمعنوية والمادية

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٦٩

والفردية والاجتماعية، لمن المبادئ الأساسية لجميع الأنبياء عليهم السلام، والدليل على ذلك الحديث النبوي الشريف: «أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ».

وحفظ هذه الأمانة على درجة من والعظمة بحيث أبت حمله تلك السماوات المرفوعة والجبال الشامخة، وحملها الإنسان أشرف مخلوقات الله بما أفاض الله عليه من استعداد، وقد صانها وحملها الأنبياء والأولياء ومن سار على دربهم ليفوزوا بهذا الشرف، رغم

عدم أداء تلك الأمانة من قبل طائفة جاحدة من الظلمة والجهال، والنقطة المهمة هي أن المصادر الإسلامية ذكرت المزيد من الحقوق للمسلمين بالنسبة لبعضهم البعض الآخر؛ إلا أن حفظ الأمانة أهمها جميعاً والتي تعتبر جزءاً من حقوق الإنسان. ومن هنا جاء في الرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام أن أحد وصاياه كانت بهذا الخصوص:

«إِعْلَمَنَّ أَنَّ ضَارِبَ عَلِيٍّ بِالسَّيْفِ وَقَاتِلَهُ لَوْ اِتَّمَنَى وَاسْتَنْصَحَنِي وَاسْتَشَارَنِي ثُمَّ قَبِلْتُ ذَلِكَ مِنْهُ لِأَدَيْتُ إِلَيْهِ الْأَمَانَةَ» [١١٩٩].

وتبدو هذه المسألة على درجة من الأهمية بحيث اعتبرت من أفضل الدلالات على شخصية الإنسان وإيمانه حتى أنها لتفوق الصلاة والصوم والحج.

جاء في الحديث النبوي الشريف:

«لَا تَنْظُرُوا إِلَى كَثْرَةِ صَدَقَاتِهِمْ وَصَدَقَاتِهِمْ وَمِهِمْ وَكَثْرَةِ الْحَجِّ وَالْمَعْرُوفِ وَطَنَطَنَتِهِمْ بِاللَّيْلِ وَلَكِنْ انظُرُوا إِلَى صِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ» [١٢٠٠].

والدليل الواضح على صدق هذا الحديث الشريف، التجارب التي عشناها طيلة حياتنا، فما أكثر الأفراد الذين يعيشون حالة من الجَد والاجتهاد والالتزام بالمسائل العادية، ولكن ما أن ترد بعض المسائل المهمة سيما الأموال الطائلة حتى تنزل أقدامهم وتهتز شخصيتهم.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٧١

## القسم الرابع

### إشارة

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمَّا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ. لَطْفَ بِهِ خُبْرًا، وَأَحْاطَ بِهِ عِلْمًا. أَعْضَاؤُكُمْ سُهُودُهُ، وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ، وَصَمَائِرُكُمْ عَيْوُنُهُ، وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ.

### الشرح والتفسير: عالم الغيب والشهادة

أشار الإمام عليه السلام في الأقسام السابقة من هذه الخطبة إلى ثلاثة مواضيع مهمة تعدّ من أركان الأوامر الإلهية وهي الصلاة والزكاة وأداء الأمانة، ثم تطرق الإمام عليه السلام في هذا الجانب من الخطبة إلى أمر بمثابة العنصر الإجرائي لهذه الأوامر المهمة والذي يتمثل بإحاطة الله تعالى العلمية بالإنسان في أحواله كافة.

وبعبارة أخرى أن الإنسان حين يهتم بطاعة هذه الأوامر يشعر بأنه حاضر على كل حال عند الله وأن علمه محيط به على غرار العيون التي تبث داخل الطرق والمدن بغية رعاية الناس للقوانين السائدة فقال:

«إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمَّا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ. لَطْفَ بِهِ خُبْرًا، وَأَحْاطَ بِهِ عِلْمًا».

والتعبير بالعباد تعبير واسع يشمل جميع الناس بما فيهم المسلم والكافر والصغير والكبير والعالم والجاهل، وتقديم الليل على النهار لأن الليل موضع خفي لأغلب العصاة.

والعبارة:

«لَطْفَ بِهِ خُبْرًا»

بالنظر إلى أن اللطيف أحد أسماء الله الحسنى ويطلق على من يلزم بأظرف الأمور وأدقها، إشارة إلى عدم غياب أصغر أعمال العباد وأخفاها عن علمه تبارك وتعالى: «يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ» [١٢٠١].

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٧٢

وكل هذه الأمور تستند إلى كون علمه سبحانه وتعالى بجميع الأشياء علماً حضورياً فهو حاضر في كل مكان والكون برمته حاضر لديه، فلا يخفى عليه شيء ولا يعزب عن علمه شيء.

وقد تمسك البعض بمثال فقال: لو كان في يدنا شيء ننظر إليه فهل يخفى علينا شيء منه، وبالطبع فإن علم الله لأعمق وأسمى من ذلك بالنسبة لجميع الكائنات.

وقال في مواصلته لكلامه ولإثبات شدة الرقابة الإلهية على الإنسان:

«أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ، وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ، وَضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ، وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ».

ولمفردة الأعضاء (جمع عضو) معنى عام يشمل الأعضاء التي بها يقوم الإنسان بأعماله، مثل الأيدي والأرجل، وكذلك الأعضاء التي يبدو ظاهرياً لا يقوم بها بعمل كالأضلاع والعظام؛ أما الجوارح (جمع جارحة) واستناداً إلى مادتها اللغوية جرح التي تعني الاكتساب فهي تقتصر على الإشارة إلى تلك الأعضاء التي يقوم بواسطتها الإنسان ببعض الأعمال ويحسن بها أو يسيء بها، وعليه فذكر الجوارح بعد الأعضاء من قبيل ذكر الخاص بعد العام.

و«ضمائر» جمع «ضمير» بمعنى باطن الإنسان وتشير هنا إلى وجدان الإنسان الذي يمثل القاضي الباطني. و«خلوات» و:

جمع «خلوة» تعني الموضع الذي لا يتواجد فيه عامة الناس، ولما كانت أغلب الذنوب إنما ترتكب في الخلوات، فقد ركزت عليها العبارة السابقة.

وذهب بعض شراح نهج البلاغة إلى أنّ (خلوات) تعني ما يرتكب من أعمال في الخلوة وستكون من قبيل حذف المضاف، على كل حال فإن هدف الإمام عليه السلام من بيان هذه العبارات الأربع الأخيرة أن يقول ليس لعلم الله إحاطة بجميع أعمال الإنسان فحسب، بل أعضاء الإنسان وجوارحه ووجدانه شهوده وجنوده وعيونه، وإن كل بقعة من مكان حتى الخلوات لتشهد على أعمال الإنسان.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٧٣

## الخطبة ٢٠٠

### إشارة

في معاوية [١٢٠٢]

### نظرة إلى الخطبة

أشار الإمام عليه السلام في هذه الخطبة إلى سياسة معاوية المؤسسه على الكذب والخداع والمكر والحيلة، وذكر عليه السلام أنه أعرف بهذه الفنون من السياسة إلا أن الورع والتقوى وخشية الله لا تدعه أبداً يمارس هذا الأسلوب الرخيص، وصرح في آخر كلامه بأنه ممن لا تتطلى عليه هذه السياسة فيستغفل ولا يبدى مقاومة.

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٧٥

وَاللَّهِ مَا مُعَاوِيَةَ بِأَدَهَى مِنِّي، وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ. وَلَوْلَا كَرَاهِيَةُ الْعَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدَهَى النَّاسِ، وَلَكِنْ كُلُّ غَدْرَةٍ فُجْرَةٌ، وَكُلُّ فُجْرَةٍ كُفْرَةٌ.

«وَلِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».  
والله ما أشتغلُ بالمكيدة، ولا أشتغمرُ بالشديدة.

### الشرح والتفسير: السياسة الآثمة

إنّ بعض السذج والجهال في عصر أمير المؤمنين يرون حين مقارنتهم للإمام على عليه السلام بمعاوية أنّ هذا الأخير كان أعظم سياسة منه، وهو ذات الكلام الذي سمع في القرون اللاحقة من قبل البعض وما زال يكرره اليوم بعض الجاهلين، وعبارات الإمام عليه السلام تعدّ رداً منطقياً يلزم مثل هؤلاء الأفراد حجراً، حيث قال عليه السلام:  
«والله ما معاوية بأدهى [١٢٠٣] مني، ولكِنَّه يغدرُ ويفجُرُ».  
و «يغدرُ»:

من «غدر» بمعنى الخدعة ونقض العهد و «يفجُرُ»

من «فجور» بمعنى الإثم والمعصية، والواقع أنّ هذا الفجور نتيجة لذلك الغدر، لأنّ الغدر يمهد السبيل للمعصية. ثم قال عليه السلام:

«وَلَوْ لَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَذْهَى النَّاسِ».

فقد أشار الإمام عليه السلام في الواقع إلى نقطة مهمة وهي أنّ السياسة على نوعين: سياسة طائشة ومقرونة بأنواع المعاصي، وبالتالي فهي سياسة شيطانية، وسياسة عن نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٧٦

تدبير مفعم بالورع والتقوى، وبالتالي فهي سياسة رحمانية، وفي الواقع تتفاوت السياستين وتبعاً لذلك تتفاوت نتائجهما. والسياسة بالمعنى الأول لا تعرف من حد خلقي وديني وإنساني ووجداني، وتقضى على كلّ قانون أو مبدأ أو ضابطة تشكل خطراً عليها، على غرار ما نلاحظه اليوم في عالم السياسة الذي يحكم الشرق والغرب. أمّا الصنف الثاني فتخضع فيه السياسة لأطر معينة حدودها القيم والمثل الدينيّة والإنسانيّة والوجدان والضمير؛ فهي لا تعتمد الظلم والجور والمعصية قط سيما تجاه العزل من الأفراد الأبرياء؛ ولا- تسمح بالغدر والخيانة والفجور ونقض العهود والمواثيق، وترفض التسلط والتوسع وبالتالي ترى وجود بعض الخطوط الحمراء التي لا يمكن تجاوزها. ومن هنا أشار الإمام عليه السلام في مواصلته لكلامه إلى أولئك الأفراد الذين انتهجوا الغدر والفجور ليعتمدوهما كوسيلة لسياساتهم فقال:

«وَلِكِنْ كُلُّ غَدْرَةٍ فُجْرَةٌ، وَكُلُّ فُجْرَةٍ كُفْرَةٌ» (وَلِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)».

والعبارة:

«وَلِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ...»

حديث معروف عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله روته أغلب المصادر، ومنها: الشوكاني في نيل الأوطار، والبخارى في صحيحه، وقال الشوكاني:

متفق عليه [١٢٠٤].

ثم قال عليه السلام في اختتامه لهذا الكلام وحتى لا يتصور أحد أنّ الإمام عليه السلام بما هو عليه من نقاء القلب تنطوى عليه سياسة الغدر والمكر:

«وَاللَّهِ مَا اسْتَعْفَلَ بِالْمَكِيدَةِ، وَلَا اسْتَعْمَزُ [١٢٠٥] بِالشَّدِيدَةِ».

وهذا الكلام في الواقع رد على أولئك الذين يزعمون أنه لا- يمكن مواجهة أولئك الفجرة سوى من قبل أمثالهم وليس أمام الفرد المتدين سوى الوقوع في مخالبتهم،

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٧٧

فمضمون كلام الإمام عليه السلام هو إن الإنسان قد لا- يكون من أهل الخداع والفجور والخيانة ولكن يعرف طريقه أهل الغدر والخيانة حتى لا يقع في شباكتهم ويخدع بالأعيبيهم.

## تأمل

### السياسة الإنسانية والسياسة الشيطانية

حقيقة السياسة هي التدبير وإدارة الحكومة ورعاية شؤون الناس، وهو أمر متعارف عليه منذ قديم الزمان في المجتمعات البشرية، وقد حكمت تلك المجتمعات من قبل بعض الساسة طالحين كانوا أم صالحين.

والسياسة على صنفين: سياسة طائشة وأخرى حكيمة، أما السياسة الطائشة فهي تلك السياسة التي لا تؤمن بأى مانع أو رادع من أجل تحقيق أهدافها فتبيح كل شيء فهي تقتل المتهم والبريء وتهدم البيوت العامرة والخالية، وتشبث بكل حيلة وكذب وغش، وإذا ما عقدت اتفاقية وتعاضت مستقبلاً مع أهدافها نقضتها، وبالتالي فهي لا ترحم الولد والأب والام، ومن هنا قيل: إن السياسة لا تعرف من معنى للأب والام.

وقد قرأنا في التاريخ أن الخليفة العباسي هارون الرشيد قال لابنه المأمون: «لو نازعتني الملك لأخذت الذي فيه عيناك»، كما استقبل المأمون جسد أخيه الأمين بفرح وسرور، وما أكثر أمثال هذه الحوادث في تاريخ العرب والعجم والشرق والغرب والتي أشار القرآن الكريم إلى نماذجها بشأن فرعون فقال: «أَنْ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» [١٢٠٦].

أما السياسة الحكيمة والإنسانية فهي السياسة التي تعتمد الأسس المشروعة

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٧٨

بغية الوصول إلى الهدف ولا تنتهك قط حدود الأحكام الشرعية والمبادئ الإنسانية، وتجرى العدل بحق العدو والصديق؛ وترعى الأمانة، وتلتزم بالعهود والمواثيق وتنظر بعين الاعتبار إلى الإنسان وكرامته وعزته.

وإن أصحاب السياسة الحكيمة والإنسانية مهما كانوا قلائل مقارنة بأصحاب السياسة الشيطانية، قد يعانون من المشاكل والمعضلات، إلا أنهم ظلوا ناصعي الجبين في التاريخ وأضحت سياستهم قدوة للبشرية برمتها.

والنموذج البارز للصنف الأول من السياسة، معاوية ورهطه في الشام، والنموذج الجلي الواضح للسياسة بصنفها الثاني أمير المؤمنين علي عليه السلام، وهو ما أذعن له العدو والصديق سوى تلك الثلة المتعصبة.

ابن أبي الحديد واستناداً إلى مبادئ مذهبه قارن بين سياسة أمير المؤمنين عليه السلام في إدارة البلاد والسياسة التي انتهجها عمر، فقال: «زعموا أن عمر كان أسوس من أمير المؤمنين وإن كان هو أعلم منه».

ثم خاض في الرد على هذه النظرية فقال: «إن سياسة علي هي سياسة النبي صلى الله عليه وآله». وروى عن استاذة أبو جعفر النقيب أنه قال: «كانت سياسة علي عليه السلام هي ذاتها سياسة رسول الله صلى الله عليه وآله».

ثم تطرق إلى شرح كلمات الجاحظ (العالم السني المعتزلي) في مقارنة سياسة علي عليه السلام ومعاوية وإليك خلاصة كلامه:

زعم البعض أنّ معاوية كان أسوس من على عليه السلام وهذا خطأ كبير، ثم واصل كلامه في إبطال هذا الكلام حيث صرح بأنّ علياً عليه السلام لم يعمل في الحروب سوى بما وافق القرآن والسنة، بينما كان معاوية يخالف القرآن. فكان عليه السلام يوصي الجيش بعدم البدء بالقتال وتعقيب الهاربين والإجهاز على المجروحين (والحال لم يكن معاوية يرضى أيّاً من هذه الوصايا).

ولما فرغ ابن أبي الحديد من نقل هذا الكلام أتجه صوب بعض الإشكالات التي

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٧٩

أوردها البعض على سياسة على عليه السلام ومنها:

١. لو كان على عليه السلام حين يبيع له بالخلافة في المدينة أقر معاوية على الشام إلى أن يستقر الأمر له ثم يعزله، وقال في الجواب: إنّ أمير المؤمنين كان يعلم أن إقراره أقوى لحال معاوية وأكد في الامتناع من البيعة، فلا يبقى بعد ذلك من عذر لعزله.  
٢. إنّ حين ملك شريعة الفرات في صفين هلاً منعها عن معاوية وأهل الشام، فكان يأخذهم قبضاً بالأيدي بعد أن ملكها معاوية فمنعها عنه وعن أهل العراق؟

وقال في الجواب: إنّ لم يكن يستحل ما استحلّه معاوية من تعذيب البشر بالعطش؛ فإنّ الله تعالى ما أمر أحداً بذلك.

٣. إنّ عليه السلام أخطأ حين محى اسمه من الخلافة فقوى الشبهة في نفوس أهل الشام.

وقال في الجواب: إنّ عليه السلام احتذى في ذلك لما دعى إليه واقترحه الخصم عليه، فعل رسول الله صلى الله عليه وآله في صلح الحديبية، حين أصر زعماء الشرك على محو اسمه من النبوة (وحيث لم يرض ذلك أحد) فقد أقدم عليه بنفسه، وأخبره النبي صلى الله عليه وآله بذلك سابقاً.

٣. إنّ عليه السلام كان غير مصيب في ترك الاحتراس، فقد كان يعلم كثرة أعدائه؟

وقال في الجواب: إنّ هذا إن كان قادحاً في السياسة والتدبير فليكن قادحاً في سياسة رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لم يكن يرضى بذلك [١٢٠٧].

ولابن أبي الحديد كلمات أكثر من ذلك حيث أفرد أكثر من ٥٠ صفحة في شرح ذيل هذه الخطبة للبحث المذكور ولا يسعنا ذكرها هنا.

والجدير ذكره ما ذكره في آخر كلّ هذه الأبحاث، حيث قال: فقد بان بما أوضحناه فساد قول من قال إنّ تدبيره عليه السلام وسياسته لم تكن صالحة:

«أنّه أصحّ الناس تدبيراً وأحسنهم سياسةً وإنّما الهوى والعصبيّة لا حيلة فيهما».

نفحات الولاية، ج ٧، ص: ٥٨٠

إلى هنا تمّ وبحمد الله الخطبة ٢٠٠ من خطب أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام في نهج البلاغة ومن الجزء السابع لهذا الكتاب القيم، نشكر الله تعالى على توفيقه ومنّه أن يسّر لنا هذا الطريق، ونسأله أن يظللنا بغمام لطفه وكرمه كي نتمّ الأجزاء الآتية من هذا السفر المبارك إن شاء الله تعالى.

وكذلك نحمده أن نال هذا الشرح إعجاب ورضا الطوائف المختلفة من الناس انتخب بعنوان أفضل كتاب لسنة ٢٠٠٢ م ونأمل أن يفتح هذا الشرح فضلاً جديداً بين الشروح المطروحة لنهج البلاغة.

\*\*\*

ولا يخفى أننا تلقينا ببالغ الأسى والحزن رحيل وفقدان أحد الإخوة العاملين الأعزاء معنا، ألا وهو العالم الفاضل والمتتبع المتبحر المغفور له المرحوم حجّة الإسلام والمسلمين الحاج الشيخ إبراهيم البهادري (قدّس سرّه).



كان المرحوم رجلاً فاضلاً، جاداً، منظماً، مخلصاً، متّقياً، ومحققاً بارعاً، حيث أقدم على تحقيق أكثر من عشرين كتاباً من كتب العلماء الكبار، وترك من بعده تراثاً قيماً، نسأل الله تعالى أن يغمده برحمته الواسعة إنه قريب مجيب.

«رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ»

نهاية الجزء السابع لنقعات الولاية في شرح نهج البلاغة لأبي الميرالمؤمنين عليه السلام

٢٧/ شعبان المعظم / ١٤٢٦ هـ ق، الموافق ٢٠٠٤ م

[١] (١). «قطنوا»، من مادة «قطنون» على وزن «فنون» بمعنى الإقامة الإستيطان.

[٢] (٢). «ظعنوا» من مادة «ظعن» على وزن «رهن» في مقابل قطنون وبمعنى الرحيل والانتقال.

[٣] (٣). سند الخطبة:

مع الإلتفات إلى اتصال هذه الخطبة بالخطبة ٤٤، فأورد صاحب المصادر أسنادها في ذيل الخطبة ٤٤ ويقول: «تضمنت كتب السير قصة بنى ناجية هذه، وكلام أميرالمؤمنين عليه السلام هذا قبل أن تلد الرضى أمه، منهم أبو جعفر الطبرى فى تاريخه المعروف فى حوادث سنة ٣٨ هجرى، وإبراهيم بن هلال الثقفى فى كتاب «الغارات»، والبلاذرى فى «أنساب الاشراف»، وكما رواه آخرون مثل ابن عساكر فى «تاريخ دمشق»، وأبو الفرج الاصفهانى فى «الأغانى» فى شرح حال مثقلة بن هبيرة، (مصادر نهج البلاغة، ج ١، ص ٤٥١ و ٤٥٢؛ ج ٢، ص ٤٤١).

[٤] (١). تاريخ الطبرى، ج ٤، ص ٧٦؛ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ٣، ص ١٢٨ وقد ذكرنا شرحاً مسهباً بهذا الشأن فى الخطبة ٤٤.

[٥] (١). «بُعداً» مفعول مطلق لفعل محذوف جاء للتوكيد وتقديره «أبعدهم الله بُعداً».

[٦] (٢). سورة هود، الآية ٩٥.

[٧] (١). «أشّرت» من مادة «شرع» تعنى فى الأصل الذهاب إلى بركة الماء، أو شق الطريق إلى الماء، ومتى ما استعملت هذه المفردة فى «الرماح» تأتى بمعنى سُدّدت وصوّبت نحوهم.

[٨] (٢). «هامات» جمع «هام» بمعنى الرأس.

[٩] (٣). «استقل» من مادة «قل» على وزن «شل» بمعنى التفرقة والتشتت.

[١٠] (٤). انظر: سورة العنكبوت، الآية ٦٥.

[١١] (٥). انظر: سورة الحشر، الآية ١٦.

[١٢] (٦). انظر: سورة البقرة، الآيتان ١٦٦ و ١٦٧.

[١٣] (٧). «ارتكاس» من مادة «ركس» على وزن «مكث» بمعنى الانقلاب وعودة الشىء.

[١٤] (٨). «جماح» و«جموح» بمعنى الطغيان.

[١٥] (١). جعدة بن هبيرة المخزومى: ابن اخت أمير المؤمنين عليه السلام وأمه أم هانى بن أبى طالب، كان رجلاً شجاعاً وعالمياً أدرك عصر النبى الأكرم صلى الله عليه وآله، وولاه الإمام على عليه السلام على خراسان (أسد الغابة، ج ١، ص ٢٨٥).

- [١٦] (٢). «مدرعة» «جُبّه» من مادة «درع»، ثوب يعرف عند بعض العامة بالدراعية، قميص ضيق الأكمام.
- [١٧] (٣). «ثفنة» تعنى فى الأصل ما يمسّ الأرض من رُكبتى البعير بعد البروك ويكون فيه غلظة من ملاطمة الأرض.
- [١٨] (٤). سند الخطبة:
- هذه آخر خطبة خطبها أمير المؤمنين عليه السلام (وقتل بعدها بأسبوع). ذكرها الزمخشري فى كتابه ربيع الأبرار، كما روى بعضها أبو شاكر اللبثى فى عيون الحكم والمواعظ، وفسير ابن الأثير بعض كلماتها وبالنظر لاختلاف كلماتهم مع ما ورد فى نهج البلاغة يبدو أنها ذكرت من مصدر آخر غير نهج البلاغة. (مصادر نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤٥١).
- [١٩] (١). «مصائر» جمع «مصير» بمعنى موضع الرجوع.
- [٢٠] (٢). «نوامى» جمع «نامية» من مادة «نمو» بمعنى الشىء الزائد.
- [٢١] (١). «الطول» بمعنى الفضل والنعمة، وأصلها من طول على وزن «نور» بمعنى ما يحفظ للإنسان قوته وبقائه وإمكان استمراره فى الوجود، مادة «طُول» على وزن «قَوْل» وعليها أطلقت هنا.
- [٢٢] (٢). «مدعن» من مادة «إذعان» بمعنى التصديق والطاعة.
- [٢٣] (٣). «خنع» من مادة «خنوع» بمعنى الخضوع والتواضع.
- [٢٤] (١). «يتعاور» من مادة «تعاور» بمعنى تبادل الشىء والقيام بعمل بصورة متناوبة، والمراد منها فى العبارة عدم طرو الزيادة والنقصان على الذات القدسيّة، وأنّ هذه الذات منزّهة عن الحوادث.
- [٢٥] (١). اعتبر بعض شراح نهج البلاغة أنّ الوقت يرادف الزمان، بينما عدّه البعض الآخر بالزمن المعين وأنّ للزمان مفهوماً عاماً، والتفسير الثانى يبدو أصح. كما ورد فى القرآن الكريم فى الآية ١٠٣ من سورة النساء بشأن الصلاة، «إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا».
- [٢٦] (٢). سورة آل عمران، الآيتان ١٩٠ و ١٩١.
- [٢٧] (٣). «موطدات» من مادة «وطد» على وزن «وقت» بمعنى التثبيت والإحكام.
- [٢٨] (٤). «عمد» جمع «عماد» بمعنى العمود.
- [٢٩] (٥). «سند» بمعنى ما يستند عليه.
- [٣٠] (١). «متلكئات» من مادة «تلكؤ» على وزن «تكلّم» بمعنى التباطؤ.
- [٣١] (٢). «طواعية» بمعنى الطاعة والانقياد.
- [٣٢] (٣). «مصعد» موضع الصعود.
- [٣٣] (١). «فجاج» جمع «فج» على وزن «حج» بمعنى الفاصلة بين جبلين.
- [٣٤] (٢). «أقطار» جمع «قطر» على وزن «قفل» بمعنى الناحية.
- [٣٥] (١). سورة النحل، الآية ١٦.
- [٣٦] (٢). سورة الأنعام، الآية ٩٧.
- [٣٧] (٣). «ادلهمام» بمعنى شدّة الظلمة.
- [٣٨] (٤). «سجف» جمع «سجاف» حسب أرباب اللغة بمعنى الستر.
- [٣٩] (٥). «جلايب» جمع «جلباب» بمعنى ثوب واسع تلبسه المرأة فوق ثيابها وتغطى به رأسها وهو أقصر من العباءة.
- [٤٠] (٦). «حناس» جمع «حنس» على وزن «قبرص» بمعنى الليل المظلم.
- [٤١] (١). «غسق» الظلمة التى تقع عادة منتصف الليل.

[٤٢] (٢). «داج» من مادة «دجؤ» على وزن «غلو» بمعنى الشديد الظلام.

[٤٣] (٣). «ساج» من مادة «سجؤ» على وزن «غلو» السكون والهدوء.

[٤٤] (٤). «متطأطات» جمع «متطأطي» المنخفضات.

[٤٥] (٥). «يفاع» التل وكل شيء مرتفع.

[٤٦] (٦). «سفع» جمع «سفعه» على وزن «سفرة» الحمرة المائلة للسواد.

[٤٧] (٧). «يتجلجل» من «جلجله» صوت الرعد ثم اطلقت على كل صوت شديد.

[٤٨] (٨). «تلاشت» من «تلاشى» بمعنى الاضمحلال. ويرى البعض أن مادتها لا شيء.

[٤٩] (٩). «عواصف» جمع «عاصف» و«عاصفة» الرياح الشديدة.

[٥٠] (١٠). «أنواء» جمع «نوء» على وزن «نوع» غروب النجم في جهة المغرب، وللعرب عقيدة في الأنواء سنعرض لها في مبحث التأملات بمعنى الطوفان.

[٥١] (١١). «انهطال» نزول المطر كما تطلق على إنهمار الدموع.

[٥٢] (١٢). «مسحب» اسم مكان من مادة «سحب» على وزن «سهو» الجذب نحو الشيء.

[٥٣] (١٣). «مجر» اسم مكان من مادة «جر»؛ السحب والجر.

[٥٤] (١). سورة الرعد، الآية ٨.

[٥٥] (٢). سورة لقمان، الآية ٣٤.

[٥٦] (١). بحار الأنوار، ج ٥٥، ص ٣١٥.

[٥٧] (١). «نائل» له معنى اسم الفاعل والمصدر بمعنى العطاء أو البذل أو طالب البذل أو المعنيان هنا مناسبان.

[٥٨] (١). جاء في الحديث القدسي: «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي شيئاً إلا كما ينقص المخيط إذا دخل البحر» (صحيح مسلم، ج ٨، ص ١٧؛ كنز العمال، ج ١٥، ص ٩٢٤).

[٥٩] (٢). «أين» بمعنى المكان.

[٦٠] (٣). «أزواج» جمع «زوج» لها معنى واسع يشمل كل قرين ومثيل.

[٦١] (٤). لابد من الإلتفات إلى أن كلمة «يخلق» وردت بصيغة المجهول في متن نهج البلاغة لصبحي الصالح ولا يبدو لها أي مفهوم صحيح، بينما ذكرها أغلبية الشراح مثل المرحوم ابن ميثم ومغنية وعبدہ والتستري والخوئي والجعفرى بصيغة المعلوم والحق ما ذكره، أما العبارة «وَلَا يَنْظُرُ بَعَيْنٍ» وإن كانت ذات معنى بصيغة المعلوم إلا أنها أنسب مع العبارة اللاحقة بصيغة المجهول.

[٦٢] (٥). سورة يس، الآية ٨٢.

[٦٣] (١). «لهوات» جمع «لهاء» بمعنى اللحمه المشرفة على الحلق في أقصى الفم، ويقال لها اللسان الصغير، ولكن يبدو معناها في الخطبة الحنجره بقرينه المجاوره.

[٦٤] (٢). المراد من الآيات التسع ما وردت الإشارة إليها في آيات مختلفه من القرآن الكريم، وهي عبارة عن الجراد والقمل والضفادع والدم والرياح العاصفة والعصا واليد البيضاء والقحط الشديد الذي أصاب الفراعنة وآفات الفاكهه.

[٦٥] (١). «متكلف» تطلق على الشخص الشديد التعرض لما لا يعنيه.

[٦٦] (٢). «مرجحين» من الفعل الرباعي «رجح» على وزن «درج» بمعنى المائل لثقله والمتحرك يميناً وشمالاً ووردت في الخطبة بمعنى الخضوع والتواضع.

[٦٧] (٣). «متولّهة» من مادة «وله» بمعنى الحائرة أو متخوفة من شدة الحب.

[٦٨] (١). كتاب الوافي، ج ١، ص ٤٠٥، الباب ٤٠.

[٦٩] (٢). نفحات الولاية، ج ١، ص ١٠٥.

[٧٠] (١). سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

[٧١] (٢). روى المرحوم العلامة المجلسي في ج ٥٥ من بحار الأنوار عدة أقوال وروايات بشأن العرش والكرسى.

[٧٢] (١). «رياش» جمع «ريش» تعني في الأصل ريش الطائر ثم اطلقت على كل نوع من الثياب، ولما كان ريش الطيور بألوان مختلفة

وجميلة فهذه المفردة تختزن مفهوم الجمال والزينة، ويطلق الرياش على الثياب الفاخرة.

[٧٣] (١). «زلفه» و«زلفي» بمعنى القرب والمنزلة.

[٧٤] (٢). «قسي» جمع (قوس).

[٧٥] (٣). «نبال» جمع «نبل» بمعنى السهم.

[٧٦] (١). سورة الأعراف، الآية ٣٤.

[٧٧] (٢). «هزموا» من مادة «هزيمة» بمعنى الغلبة.

[٧٨] (١). التوراة: الكتاب الأول للملوك والسلاطين.

[٧٩] (١). بحار الأنوار، ج ١٤، ص ١٣٦ و ١٣٧ (بتلخيص كما ورد هذا المطلب مختصراً في القرآن الكريم في الآية ١٣ و ١٤ من

سورة سبأ).

[٨٠] (١). راجع دائرة المعارف لفريد وجدى، قاموس دهخدا والتفاسير ذيل الآية «قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ» سورة المائدة،

الآية ٢٢.

[٨١] (١). راجع بحار الأنوار، ج ١٤، ص ١٤٨ فما فوق، وتفسير الميزان، ج ١٥؛ التفسير الأمثل، ج ١٥ ذيل الآية ٣٨ من سورة الفرقان،

والآية ١٢ من سورة ق.

[٨٢] (١). «جنّة» من مادة «جن» على وزن «فن» بمعنى تغطية الشئ وتطلق على المجنون وكأنّ سترأ غطى عقله. والجن كائن لا يرى

والجنين أيضاً مستور في الرحم كما تطلق الجنّة على البستان كونه مغطى بالأشجار وجنان على وزن «زمان» تطلق على القلب المستور

في الصدر ووردت الجنّة في الخطبة بمعنى الدرع الذي يلبسه الإنسان في الدفاع عن نفسه.

[٨٣] (١). عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٦٩، ح ٣٢١.

[٨٤] (٢). بحار الأنوار، ج ٢، ص ٣٢٨، ح ٤٧.

[٨٥] (١). «اغترب» من مادة «اغتراب» بمعنى الهجرة.

[٨٦] (٢). «عسيب» يقال للعظم في مؤخرة ذيل الدابة أو الفرس.

[٨٧] (٣). «الذنب» من مادة «ذنب» على وزن «ضرب» بمعنى متابعة الشئ، وبما أنّ للذنب آثار وتبعات لا تفارق الإنسان لذلك قيل

له ذنب على وزن «ضرب» وذنب على وزن «هدف» الذي ورد في هذه الخطبة بمعنى ذيل الحيوان وذيل كل شئ.

[٨٨] (٤). «جران» يقال لمقدّم عتق البعير والعبارة (ضرب بجرانه) كناية عن الإطراق في مكان.

[٨٩] (٥). بحار الأنوار، ج ٧٣، ص ٣٣٦.

[٩٠] (١). سورة طه، الآية ١١٤.

[٩١] (١). «بثت» من مادة «بث»، على وزن «نص» بمعنى النشر.

[٩٢] (٢). «حدوتكم» من مادة «حدو» على وزن «محو» و«حدى» على وزن «دعا» تعني في الأصل سير الدابة بصوت مخصوص من

قبل الجمال ثم اطلقت على كل سوق وسير.

[٩٣] (٣). «تستوسقوا» من «سوق» بمعنى الاجتماع والانضمام إلى بعض.

[٩٤] (١). «أزعم» من مادة «زعم» على وزن «شمع» في الأصل بمعنى التصميم على الشيء.

[٩٥] (٢). «ترحال» من مادة «رحله» بمعنى السفر والحركة.

[٩٦] (١). «يسيعون» من مادة «سوغ» على وزن «فوق» وسيع، على وزن «سيل» بمعنى الهنيء.

[٩٧] (٢). «رنق» بمعنى الكدر.

[٩٨] (١). «أبرد» من مادة «برود» و«برودة» بمعنى البرودة وتستعمل هذه المفردة بشأن يرد مكاناً آخر النهار وكذلك بشأن الرسالة

التي تنقل من مكان إلى آخر وتطلق اليوم على دائرة البريد والمراد هنا ارسلت مع البريد بعد قتلهم إلى معاوية.

[٩٩] (١). روى ابن عبد البر عن عبد الرحمن بن أزي أن ثلاثمائة ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وآله في بيعه الرضوان شهدوا

صفين مع علي عليه السلام فقتل منهم ثلاثة وستون، ومنهم عمار بن ياسر (الاستيعاب، ج ٢، ص ٧٠ عمار بن ياسر).

[١٠٠] (٢). «أوه» بفتح الهمزة وكسر الواو وتشديدها وكسر الهاء كلمة توجع.

[١٠١] (١). بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٦٩.

[١٠٢] (١). سورة النحل، الآية ١٠٦.

[١٠٣] (٢). الاستيعاب، ج ٢، ص ٦٨ (سيرة عمار).

[١٠٤] (٣). كامل ابن الأثير، ج ٣، ص ٣٥٣، في حوادث سنة ٣٨ هجرى.

[١٠٥] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ١٠٧ و ١٠٨.

[١٠٦] (٢). اسد الغابة، ج ٢، ص ١١٤ (سيرة خزيمه).

[١٠٧] (٣). الاستيعاب، ج ١، ص ٢٦٨ (سيرة خزيمه بن ثابت).

[١٠٨] (٤). أسد الغابة، ج ٤، ص ٢١٥؛ الاستيعاب، ج ٢، ص ١٥٩ (سيرة قيس بن سعد).

[١٠٩] (١). الاستيعاب، ج ١، ص ٢٥٣؛ ج ٢، ص ٣٦٨.

[١١٠] (١). سند الخطبة:

روى هذه الخطبة بعض الأفراد بعد السيد الرضى وإن لم نعثر عليها في كتب الحديث قبله، فذكرها بما يفيد أنهم عثروا عليها في

مصدر آخر غير نهج البلاغة، وممن روى هذه الخطبة الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار فذكر بعض هذه الخطبة الذي يرتبط بأنواع نار

جهنم، كما فسّر ابن الأثير كلماتها في كتابه النهاية، وكما ذكر السيد هاشم البحراني في كتابه البرهان جانباً منها مع اختلاف وما ورد

في نهج البلاغة، وهذا يدل على أنه استقاها من مصدر آخر (مصادر نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤٥٩).

[١١١] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ١٢٦.

[١١٢] (١). «منصبه» مصدر ميمي من مادة «نصب» على وزن «غضب» بمعنى التعب، وللمصدر هنا معنى اسم المصدر.

[١١٣] (٢). «يهجموا» من مادة «هجوم» بمعنى الدخول أو الحمله غفلة ويراد بها في بعض الموارد القوّة.

[١١٤] (١). «معتبر» اسم مفعول من مادة «عبره» تعنى فى الأصل العبور من شىء، ويقال العبرة للحوادث التى يعتبر بها الإنسان كونها

تعبر الإنسان من شىء إلى آخر، وعليه فالمعتبر يطلق على كل أساس لعبرة واتعاظ.

[١١٥] (٢). «مصاح» جمع «مصحة» بمعنى اسم المصدر من مادة «صحته» تعنى الصحة والعافية.

[١١٦] (٣). كثرت أقوال شراح نهج البلاغة التى لا تخلو من تكلف فى تفسيرهم لهذه العبارات والمعطوف عليه فى العبارة (حلالها

وحرامها...) والأنسب أن تكون العبارة (حلالها... وما أعد الله...) عطف على (بمعتبر) ليكون المعنى أن للأنبياء ثلاثة وظائف أخرى

والتي شرحناها آنفاً.

[١١٧] (٤). المعجم الوسيط، مفردة «حمد».

[١١٨] (١). سورة المدثر، الآية ٣٨.

[١١٩] (٢). سورة المائدة، الآية ٣.

[١٢٠] (١). «بادياً» من مادة «بدو» على وزن «جر» بمعنى الايضاح ولها حيثية وصفية.

[١٢١] (٢). الكافي، ج ١، باب البدع والرأى والمقاييس، ح ١٩.

[١٢٢] (١). سورة البقرة، الآية ٢٨٥.

[١٢٣] (٢). سورة الجاثية، الآية ١٣.

[١٢٤] (٣). سورة البقرة، الآية ٢٩.

[١٢٥] (٤). سورة الرعد، الآية ٢٨.

[١٢٦] (٥). سورة الأعراف، الآية ٢٠١.

[١٢٧] (١). «أحمر»، إشارة إلى حمرة الوجه، أو كونه حنطاوياً، لأنّ بيض الوجوه كانت في ذلك المحيط ألوانهم بلون الحنطاوى.

[١٢٨] (٢). تفسير القرطبي، ج ٩، ص ٦١ و ٦٢.

[١٢٩] (١). بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٣٤٨.

[١٣٠] (٢). المصدر السابق، ص ٣٥٠.

[١٣١] (١). سورة الحجرات، الآية ٩.

[١٣٢] (١). سورة الحجرات، الآية ١٣.

[١٣٣] (٢). سورة البقرة، الآية ١٩٧.

[١٣٤] (٣). سورة مريم، الآية ٦٣.

[١٣٥] (٤). «نواصي» جمع «ناصية» بمعنى شعر مقدمة الرأس وهى إشارة لقدرة الله وكناية عن هيمنته على كل شىء.

[١٣٦] (٥). «تقلب» هنا بمعنى التصرف وكل تغيير إشارة إلّا أنّ بيده كل حركاتكم.

[١٣٧] (٦). سورة الملك، الآية ١٣.

[١٣٨] (٧). سورة الانفطار، الآيات ١٠-١٢.

[١٣٩] (١). سورة الطلاق، الآية ٢.

[١٤٠] (٢). تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٠٦.

[١٤١] (٣). سورة الانفال، الآية ٢٩.

[١٤٢] (٤). «اصطنع» من مادة «صنع».

[١٤٣] (١). سورة النساء، الآية ٦٩.

[١٤٤] (٢). سورة الحديد، الآية ٢١.

[١٤٥] (٣). سورة الرعد، الآيتان ٢٣ و ٢٤.

[١٤٦] (٤). «يرهب» من مادة «رهب» على وزن «شقق» فى الأصل من تغطية شىء بالقهر والغلبة وتعنى هنا الغلبة وتسلط الموت على

الإنسان.

[١٤٧] (١). سورة المؤمنون، الآيتان ٩٩ و ١٠٠.

- [١٤٨] (٢). سورة غافر، الآية ٣٩.
- [١٤٩] (٣). سورة البقرة، الآية ١٩٧.
- [١٥٠] (١). «شوكه» تطلق على حراب الجنود والأسلحة كافة، لأن السلاح علامة القدرة والشدة وتطلق الشوكه على كل قدرة، وتطلق على التنوء المدبب كالإبرة في النبات الشائك.
- [١٥١] (٢). «تدميه» من مادة «إدما» بمعنى إخراج الدم من البدن.
- [١٥٢] (٣). «رمضاء» بمعنى شدة الحرارة وكذلك الأرض والحجر المحرقة بفعل أشعة الشمس.
- [١٥٣] (٤). «طابقين» تنبيه «طابق» بكسر وفتح الباء بمعنى طبقة البناء ويطلق على ما يخبز عليه.
- [١٥٤] (١). «حطم» من مادة «حطم» على وزن «حتم» بمعنى هدم وكسر الشيء ويطلق على الأشياء التي تتهشم بقوة ومن هنا كان أحد أسماء جهنم الحطمة.
- [١٥٥] (٢). «توثبت» من مادة «وثوب» بمعنى القفز.
- [١٥٦] (٣). في ظلال نهج البلاغة، ج ٣، ص ٤٦ (باقتباس).
- [١٥٧] (١). «يفن» بمعنى الشيخ المسن.
- [١٥٨] (١). «لهز» من مادة «لهز» على وزن «محض» المخالطة والنفوذ في شيء.
- [١٥٩] (٢). «قتير» تعنى في الأصل رؤوس المسامير في حلقات الدرع ثم اطلق على كل أمر صعب ومرهق وبما أن فترة الكهولة تعد إحدى المشاكل الشديدة فقد اطلق القتير على الكهل وهذا هو المعنى المراد بها في الخطبة.
- [١٦٠] (٣). «التحمت» من مادة «لحم» على وزن «فهم» بمعنى اندكت واستحكمت وتعنى في العبارة المذكورة أن أطواق النار تلتصق بعظام الرقبة.
- [١٦١] (٤). «نشبت» من مادة «نشب» على وزن «رجب» التعلق.
- [١٦٢] (٥). «جوامع» جمع «جامعة» الغل لأنها تجمع اليدين إلى العنق.
- [١٦٣] (٦). «سواعد» جمع «ساعد».
- [١٦٤] (١). «رهائن» جمع رهينة.
- [١٦٥] (٢). «اسهروا» من مادة «سهر» على وزن «سفر» بمعنى اليقظة في الليل.
- [١٦٦] (٣). «اضمروا» من مادة «ضمور» على وزن «عبور» بمعنى الضعف وتتعدى في باب الأفعال.
- [١٦٧] (١). سورة محمد، الآية ٧.
- [١٦٨] (٢). سورة الحديد، الآية ١١.
- [١٦٩] (٣). سورة محمد، الآية ٤.
- [١٧٠] (٤). سورة الملك، الآية ٢.
- [١٧١] (١). «حسيس» من مادة «حس» تعنى الصوت الخفيف أو الضعيف.
- [١٧٢] (٢). «صان» من «صيانة» بمعنى المحافظة.
- [١٧٣] (٣). «لغوب» مصدر بمعنى شدة العياء.
- [١٧٤] (٤). «نصب» بمعنى التعب. وذهب البعض إلى أن لغوب بمعنى التعب الروحي والنصب التعب البدني. وعلى هذا الأساس فليس في الجنة ومجاورة الله من تعب روي ولا بدني.
- [١٧٥] (٥). سورة الحديد، الآية ٢١.

- [١٧٦] (١) سورة الأنبياء، الآية ١٠٢.
- [١٧٧] (٢) سورة فاطر، الآية ٣٥.
- [١٧٨] (٣) سورة النساء، الآية ٦٩.
- [١٧٩] (١) كثر العمال، الحديث رقم ٤٣٤٩٠؛ بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٧٥ مع اختلاف طفيف.
- [١٨٠] (١) سند الخطبة:
- ذكر صاحب مصادر نهج البلاغة أنّ أبا هلال العسكري ذكر هذا الكلام في كتابه الصناعتين قبل أن يجمع المرحوم السيد الرضى نهج البلاغة (مصادر نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤٦١).
- [١٨١] (١) «ضئيل» من مادة «ضئولة» على وزن «كهولة» تعنى النحيف المهزول.
- [١٨٢] (٢) «نجمت» من مادة «نجم» بمعنى الظهور والبروز ويقال للكواكب نجوم كونها تظهر فى السماء.
- [١٨٣] (٣) «ماعز»، الشاة.
- [١٨٤] (١) أعلام الزركلى، ج ٢، ص ٤٧.
- [١٨٥] (١) سند الخطبة:
- ذكر هذه الخطبة جمع من الأعلام ممن عاش بعد السيد الرضى كالمرحوم الطبرى فى الاحتجاج والزمخشري فى ربيع الأبرار بالإضافة إلى آخرين ويتضح من الاختلاف بين ما ذكره وما ذكره السيد الرضى أنهم رووها من مصدر آخر غير نهج البلاغة (مصادر نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤٦٧).
- [١٨٦] (١) سورة الرحمن، الآيتان ٢٦ و ٢٧.
- [١٨٧] (٢) سورة طور، الآية ٣٥.
- [١٨٨] (١) أشرنا فى شرحنا للخطبة ٦٥ فى الجزء الثالث من هذا الشرح إلى حديث عميق المعنى والذى بينه أمير المؤمنين عليه السلام فى رده على السائل الذى سأله عن وحدانيّة الله تعالى، فذكر عليه السلام للواحد أربعة معانٍ يستحيل اثنان منهما على الله بينما يصح الآخران (راجع نفحات الولاية، ج ٣، ص ٤١).
- [١٨٩] (٢) «مشاعرة» تعنى الإدراك بواسطة الحواس ومادته شعور بمعنى الاحساس.
- [١٩٠] (٣) «مرائى» جمع مرءاة تطلق أحياناً على العين حيث تنعكس فيها صور الموجودات.
- [١٩١] (٤) «محاضرة» بمعنى الحضور والمجالسة.
- [١٩٢] (١) «أوهام» جمع «وهم» على وزن «فهم» تعنى لغوياً ما يخطر على القلب ولكن تشير القرائن إلّا أنّها وردت فى هذه الخطبة وسائر الخطب بمعنى الأفكار الخيالية.
- [١٩٣] (٢) «تجلى لها» تعود الضمائر الست فى هذه العبارة والعبارتين التاليتين إلى الأوهام ومفهومها فى العبارة الأولى أنّ الله تعالى تجلى للعقول عن طريق الإدراكات العقلية وللأنظمة التى يراها العقل فى عالم الخلق وسلم عن طريق الإدراك العقلى باستحالة إدراك ذاته على العقول. وحوكم العقل بادعائه درك كنه ذاته من قبل العقل نفسه (عليك بالدقة). أمّا ما ذكره البعض من احتمالات أخرى لعودة الضمائر فلا يبدو صحيحاً.
- [١٩٤] (١) الكافى، ج ١، ص ١١٧، ح ٨.
- [١٩٥] (٢) سورة الصافات، الآيتان ١٥٩ و ١٦٠.
- [١٩٦] (١) «فلج» بمعنى الظفر سواء فى الاستدلال أو العمل.
- [١٩٧] (١) «صادع» من مادة «صدع» على وزن «صبر» تعنى فى الأصل الشقّ ولما كان شق الأرض يدعو إلى ظهور النباتات فإنّ



- الصدع يستبطن معنى الظهور والجهر.
- [١٩٨] (٢). «أمراس» جمع «مرس» على وزن «مرض» يعنى الحبل.
- [١٩٩] (٣). «عري» جمع «عروء» بمعنى العقدة.
- [٢٠٠] (٤). سورة الحجر، الآية ٩٤.
- [٢٠١] (١). الكافي، ج ٢، ص ١٢٦، ح ٦.
- [٢٠٢] (١). «مدخولة» من مادة «دخل» على وزن «دغل» بمعنى الفساد.
- [٢٠٣] (١). سورة المطففين، الآية ١٤.
- [٢٠٤] (٢). سورة الجاثية، الآية ٢٣.
- [٢٠٥] (٣). «سوى» من مادة «تسوية» بمعنى التنظيم والترتيب.
- [٢٠٦] (٤). «بشر» جمع «بشرة» بمعنى ظاهر جلد البدن وتأتى بمعنى الإنسان.
- [٢٠٧] (١). «الورد» بمعنى العطش وهنا كناية عن القدرة.
- [٢٠٨] (٢). «صدر» الرجوع بعد الورود وهي هنا كناية عن العجز والفقدان.
- [٢٠٩] (٣). «ديان» بمعنى المفيد والحاكم والمدبر.
- [٢١٠] (٤). «صفا» بمعنى الحجر الأملس لا شقوق فيه.
- [٢١١] (٥). «جامس» جامد.
- [٢١٢] (١). «شراسيف» جمع «شُرسوف» بمعنى الاضلاع التى تشرف على البطن.
- [٢١٣] (١). راجع دائرة المعارف لموريس باركر وحياء الحيوان للدميرى.
- [٢١٤] (١). «القلال» جمع «قلء» بمعنى قمة الجبل.
- [٢١٥] (١). سورة غافر، الآية ٥٧.
- [٢١٦] (٢). سورة الحجر، الآية ٢٢.
- [٢١٧] (١). دعاء أبو حمزة الثمالى.
- [٢١٨] (٢). سورة النازعات، الآيات ٣٠-٣٣.
- [٢١٩] (٣). سورة الرحمن، الآيات ١-٤.
- [٢٢٠] (٤). سورة الروم، الآية ٢٢.
- [٢٢١] (١). «يلجأوا» من مادة «لجوء» على وزن «غروب».
- [٢٢٢] (٢). «اوعوا» من مادة «وعى» على وزن «سعى» تعنى فى الأصل حفظ الشىء فى القلب ومنه الوعاء.
- [٢٢٣] (١). سورة فصلت، الآية ٥٣.
- [٢٢٤] (١). «الجرادة» من مادة «جرد» على وزن «فرد» بمعنى إزالة القشور ويبدو أن هذه المفردة اقتبست منها.
- [٢٢٥] (٢). «قماوين» تثنية «قمر» من مادة «قمر» و«القمر» مفردة وصفية تعنى المضىء.
- [٢٢٦] (٣). «سوى» بمعنى الكائن الكامل الذى لا عيب فيه.
- [٢٢٧] (٤). «نايين» تثنية «ناب» السن الأمامى.
- [٢٢٨] (٥). «منجلين» تثنية «منجل» كناية هنا عن أرجل الجرادة أو أيديها القوسية الشكل وتمسك بهما الأوراق والسيقان.
- [٢٢٩] (٦). «نزوات» جمع «نزوة» بمعنى الوثوب.

[٢٣٠] (٧). «مستدقة» من مادة «دقة» بمعنى النحافة ومستدقة بمعنى نحيفة.

[٢٣١] (١). انظر: الزلجى الحديث تأليف وترجمة محمد كاظم المالكي، ج ٢، ص ٣٢٩؛ قاموس معين، كلمة الجراة.

[٢٣٢] (١). «تبارك» من مادة «برك» فى الأصل من «البرك» على وزن «الفرك» بمعنى صدر الناقة ولما كانت الجمال تلصق صدرها بالأرض حين الاستقرار فقد استعملت هذه المفردة بمعنى ثبات الشىء واستقراره ومنه البركة لبقاء الماء مدّة فيها، ويقال للشىء مبارك إن ثبت واستقر خيره، وعليه فإن استعملت هذه المفردة بشأن الله عنت كثرة بركته وخلودها.

[٢٣٣] (٢). سورة الرعد، الآية ١٥.

[٢٣٤] (٣). «يعفر» من مادة «عفر» و«عفر» على وزن «فقر» و«سفر» بمعنى التراب والتعفير بمعنى التمرغ بالتراب.

[٢٣٥] (٤). «خد» تعنى فى الأصل الشق ثم اطلق على ما فى الوجه ووردت هنا بمعنى جانبى الوجه.

[٢٣٦] (١). سورة العنكبوت، الآية ٦٥.

[٢٣٧] (١). سورة النحل، الآية ٧٩.

[٢٣٨] (٢). «الريش» معروف لدى الطيور وبما أن الريش غالباً ما يكون للزينة فقد اطلقت هذه المفردة على الثياب المزينة.

[٢٣٩] (٣). «أرسى» من مادة «رسو» على وزن «رسم» بمعنى الثبات وأرسى بمعنى أثبت.

[٢٤٠] (٤). «الندى» و«نداوة» بمعنى الرطوبة والبلل.

[٢٤١] (١). سورة يس، الآية ٨٢.

[٢٤٢] (٢). سورة الرعد، الآية ١٢.

[٢٤٣] (٣). «اهطل» من مادة «هطل» على وزن «حتم» بمعنى تتابع المطر.

[٢٤٤] (٤). «ديم» جمع «ديمة» مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق.

[٢٤٥] (٥). «جدوب» و«جذب» على وزن «جم» بمعنى اليبس الناشىء من عدم نزول المطر.

[٢٤٦] (١). سورة الأعراف، الآية ٥٧.

[٢٤٧] (١). سند الخطبة:

قال صاحب مصادر نهج البلاغة أن السيد المرتضى (رحمه الله) قال: «إنّ شرح أصول التوحيد والعدل اقتبست من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام وخطبه وكل ما قاله المتكلمون هنا هو شرح لهذه الكلمات». وأضاف: «إنّ الطبرسى ذكر هذه الخطبة مع اختلاف يفيد أنه أخذها من مصدر آخر غير نهج البلاغة، كما روى المرحوم الكلينى قبل السيد الرضى بعض هذه الخطبة فى الجزء الأول من اصول الكافى». (مصادر نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤٧٧) ومن جانب آخر فإنّ مضامين الخطبة على درجة من الرفعة والسمو بحيث يستحيل صدورهما من غير الإمام المعصوم وحقّة الله وأنا لنعلم أن أحد أدلّة صحة استناد الروايات إلى المعصومين عليهم السلام هو علو مضمونها.

[٢٤٨] (١). «صمد» من مادة «صمد» تعنى أحياناً العظمة وأحياناً أخرى الصلابة والاستحكام كما تعنى الطهارة والتنزه وهذا هو المعنى المراد بها فى هذه العبارة.

[٢٤٩] (١). «جول» و«جولان» بمعنى الحركة فى كل اتجاه وجولان الفكر بمعنى التفكير.

[٢٥٠] (٢). سورة فاطر، الآية ١٥.

[٢٥١] (١). «ترفده» من مادة «رفد» بمعنى المعونة والمساعدة.

[٢٥٢] (١). «تشعير» من «شعور» بمعنى العلم والمعرفة وتعنى هنا العلم بالشىء عن طريق الحواس.

[٢٥٣] (٢). «بهمه» بمعنى السواد والليالى الظلماء والمعنى الأول هو المطلوب.

[٢٥٤] (٣). « صرد » بمعنى البرد وقيل إنها مفردة فارسية.

[٢٥٥] (٤). سورة القصص، الآية ٧١.

[٢٥٦] (١). سورة القصص، الآية ٧٢.

[٢٥٧] (٢). سورة القصص، الآية ٧٣.

[٢٥٨] (٣). سورة الأنعام، الآية ١.

[٢٥٩] (١). سورة الشورى، الآية ١١.

[٢٦٠] (٢). لا بد من الالتفات إلى أن الكلمات ( منذ وقد ولولا ) في العبارات الثلاث فاعل للأفعال منعت وحمد وجنبت ومفعولها قدمه وأزلية وتكمله، وتعود الضمائر المؤنثة في منعتها وحمتها وجنبتها إلى المخلوقات.

[٢٦١] (١). سورة سبأ، الآية ٣١.

[٢٦٢] (١). « ثقل » من مادة « قل » على وزن « ذل » بمعنى الرفع ولهذا اطلقت القلة على قمة الجبل حيث تقع في ارفع نقطة منه.

[٢٦٣] (٢). « تهوى » من مادة « هوى » على وزن « تهى » بمعنى السقوط من شاهق، و « هوا » على وزن « قفا » تطلق على الحب والرغبة.

[٢٦٤] (١). « واليج » من مادة « لوج » تعنى الدخول.

[٢٦٥] (٢). « لهوات » جمع « لهاة » اللحمية في سقف أقصى الفم وقيل معلقة بالحلق ومن هنا فهي تطلق على الحلق وقد وردت في هذه الخطبة بهذا المعنى.

[٢٦٦] (٣). « خروق » جمع « خرق » على وزن « برق » بمعنى الشق الذى يوجد فى الحائط أو فى غيره وتعنى هنا ثقب الأذن.

[٢٦٧] (١). سورة التوبة، الآية ١١٧.

[٢٦٨] (١). من الواضح أن الضمائر فى بينها وعليها تعود إلى المحدثات، وأن قراءة صفات المحدثات بصيغة الإضافة وبدون الألف واللام ( كما وردت فى بعض النسخ ) لأصبح المطلب أكثر وضوحاً، كما يصبح مفهوم العبارة أوضح إن استبدلت المبتدع بالمبدع كما فى بعض النسخ لأن المبتدع يعنى الخالق والمبدع فى هذه الحالة يعنى المخلوق والذى له معنى اسم المفعول.

[٢٦٩] (٢). « أود » بمعنى الثقل الذى يوجب الاعوجاج.

[٢٧٠] (٣). « التهافت » يعنى التساقط.

[٢٧١] (٤). « الانفراج » يعنى الانشقاق.

[٢٧٢] (١). « أسداد » جمع « سد ».

[٢٧٣] (٢). « خد » أخذ فى الأصل من خد الإنسان الواقع على طرفى الوجه ثم اطلق على الشقوق الواسعة والعميقة فى الأرض. وذكر فى الخطبة بمعنى الشق.

[٢٧٤] (٣). سورة النبأ، الآية ٧.

[٢٧٥] (٤). راجع شرح هذا الموضوع فى التفسير الأمثل ذيل الآية ٣ من سورة الرعد والآية ١٥ من سورة النحل.

[٢٧٦] (١). سورة الأحزاب، الآية ١٧.

[٢٧٧] (١). « مراح » من مادة « روح » مأوى الحيوانات.

[٢٧٨] (٢). « سائم » من « سوم » على وزن « قوم » الراعى وتعنى فى الأصل الذهب خلف الشىء.

[٢٧٩] (٣). « اسناخ » جمع « سنخ » تعنى الأصول والجذور وهنا تعنى أنواع الحيوانات.

[٢٨٠] (٤). « متبلدة » من مادة « بلادة » بمعنى الغباء مقابل الذكاء.

[٢٨١] (١). سورة الحج، الآية ٧٣.

- [٢٨٢] (٢). «خاسئة» من مادة «خسا» على وزن «مدح» تعنى فى الأصل الذلَّة وخاسىء بمعنى الذليل والعاجز.
- [٢٨٣] (٣). «حسیر» من «حسر» على وزن «حبس» تعنى فى الأصل العرى ورفع غطاء شىء ثم استعملت بمعنى الضعف والتعب.
- [٢٨٤] (١). سورة الأنبياء، الآية ١٠٤.
- [٢٨٥] (٢). انظر: هذا الموضوع فى الجزء الأول من نقعات الولاية بحث المعاد الجسمانى.
- [٢٨٦] (١). القاموس.
- [٢٨٧] (١). «يتكأده» من «كاد» على وزن «عد» بمعنى المشقَّة والعبارة هنا تعنى لا يشق عليه وكؤود: كثير المشقَّة.
- [٢٨٨] (٢). «يؤده» من مادة «أود» على وزن «قول» بمعنى الثقل ولم يؤده بمعنى لم يثقل عليه.
- [٢٨٩] (٣). سورة يس، الآية ٨٢.
- [٢٩٠] (٤). سورة البقرة، الآية ٢٥٥.
- [٢٩١] (٥). سورة الاحقاف، الآية ٣٣.
- [٢٩٢] (١). «مكاثر» من «الكثرة» كما تطلق على من يطلب الكثرة.
- [٢٩٣] (٢). «المثاور» من مادة «ثور» على وزن «غور» تعنى المهاجم.
- [٢٩٤] (١). سورة التكوير، الآيات ١-٦.
- [٢٩٥] (٢). سورة ابراهيم، الآية ٤٨.
- [٢٩٦] (٣). سورة طه، الآيات ١٠٥-١٠٧.
- [٢٩٧] (١). لإعادة المعدوم صيغتان؛ صيغته غير معقولة وأخرى معقولة، والصيغته غير المعقولة أن يعود الموجود الذى فنى بجميع خصائصه بما فيه الزمان إلى ما كان عليه فى السابق وهذا محال حيث لا معنى لعودة الزمان ثم إنه تناقض، أما الصيغته المعقولة فهى أن يعاد كل شىء بصورته السابقة ما عدا الزمان، ولعل عدم الالتفات إلى هذا الفارق أدى إلى ذلك النزاع اللفظى بين العلماء بشأن إعادة المعدوم فرآها البعض محالة بينما رآها البعض الآخر ممكنة.
- [٢٩٨] (١). «سأم» بمعنى التعب والملل ونفى الممل فى العبارات التالية ليس تكراراً بل نفى فى العبارة الأولى الممل الناشىء من تدبير العالم من الذات القدسيَّة، وفى العبارة التالية الممل الناشىء من طول بقاء العالم.
- [٢٩٩] (١). «التماس» من لمس بمعنى الطلب.
- [٣٠٠] (٢). «ضعة» من مادة «وضع» بمعنى الخسة.
- [٣٠١] (١). سورة الحجر، الآية ٢١.
- [٣٠٢] (١). سند الخطبة:
- روى هذه الخطبة أبو الحسن المدائنى من علماء القرن الثالث فى كتاب (صفين) وتبدأ الخطبة التى رواها «إذا كثر فيكم الاخلاط...» ثم ذكر الخطبة بعد عبارات مفصلة مع اختلاف وإضافات بما يفيد أنه أخذها من مصدر آخر لأنه أولاً عاش لفترة مديدة قبل السيد الرضى، وثانياً ما نقله يحتوى على إضافات بالنسبة لما نقله السيد الرضى كما ذكر جانب منها الزمخشري فى ربيع الابرار (مصادر نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤٧٨).
- [٣٠٣] (١). مصادر نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤٧٩؛ كما رواه ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ١٣٦.
- [٣٠٤] (١). ذكر بعض شراح نهج البلاغة (الخوئي) فى تركيب العبارة المذكورة أن (هم) مبتدأ و (بأبى وأمى) فى محل خبر و (من) بيانية وهذه العبارة تشبه العبارة (بأبى أنتم وأمى) التى استخدم فيها هنا بدل الضمير المخاطب ضمير الغائب فى آخر الجملة.
- [٣٠٥] (١). مصادر نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤٧٨.

- [٣٠٦] (٢). انظر: بحث علامات الظهور في كتاب سفينة البحار مادة «هدى»؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ١١٩ و ١٨١.
- [٣٠٧] (٣). وردت هذه الروايات في جميع الكتب المؤلفة بشأن المهدي عليه السلام بما فيها كتب الفريقين.
- [٣٠٨] (٤). كشف الغمّة، ج ١، ص ٩٥؛ بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٢٨٤.
- [٣٠٩] (١). ميزان الحكمة، ج ١، ص ٤٣ مادة «اخ».
- [٣١٠] (١). بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٥٧.
- [٣١١] (٢). «عَضَّ» من مادة «عَضَّ» على وزن «خَزَّ» تستعمل كناية عن الحوادث التي تزعج الإنسان.
- [٣١٢] (٣). «قَبَّ» جهاز الناقة (اطار صغير أصغر قليلاً من سنام الناقة يوضع عليها ليجلس عليها الراكب).
- [٣١٣] (٤). «الغارب» موضع بين العنق والسنام.
- [٣١٤] (١). مستدرک الوسائل، ج ١٣، الباب ١ من أبواب الربا، ح ١٨.
- [٣١٥] (٢). سفينة البحار، مادة زمان.
- [٣١٦] (١). «ازمّة» جمع «زام»، معروفة.
- [٣١٧] (٢). سورة المائدة، الآية ٢.
- [٣١٨] (١). «تصدعوا» من مادة «صدع» على وزن «صبر» تعني في الأصل التشقق ثم جاءت بمعنى التفرق والاختلاف أو افشاء الشيء وأريد بها التفرق.
- [٣١٩] (٢). «غَبَّ» عاقبة الشيء كما جاء بمعنى بين يوم ويوم وأريد به هنا المعنى الأول.
- [٣٢٠] (٣). «تقحموا» من مادة «اقحام» الإلقاء بالنفس دون روية.
- [٣٢١] (٤). «فور» و«فوران» معروف.
- [٣٢٢] (٥). «اميطوا» من مادة «ميط» على وزن «صيت» بمعنى الإبتعاد ومعنى الابعاد في باب الأفعال.
- [٣٢٣] (٦). «سنن» بمعنى الطريق و«سَنَنَ» على وزن «كهن» جمع «سَنَّة» بمعنى الأساليب.
- [٣٢٤] (٧). «قصد السبيل» يعني وسط الطريق سواء طريق الحقّ أم الباطل ولكن غالباً ما تطلق على السبيل الوسط للحقّ قال القرآن: وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ (النحل، الآية ٩) وأريد بها في الخطبة المعنى الأول.
- [٣٢٥] (١). «وعى من مادة» وعى «على وزن» سعى «بمعنى الفهم والحفظ وتحذف منها الواو حين ترد بصيغة فعل الأمر والفعل المضارع.
- [٣٢٦] (١). سند الخطبة:
- لم يرد في كتاب مصادر نهج البلاغة مصدر آخر لهذه الخطبة غير نهج البلاغة سوى كتاب الإعجاز والإيجاز للثعالبي ويتضح من كثرة الاختلافات مع ما جاء في نهج البلاغة أنه رواها من مصدر آخر غير نهج البلاغة (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٧). طبعاً مضمون الخطبة على درجة من الرفعة بحيث يبدو من المستبعد جداً صدورهما من غير الإمام المعصوم.
- [٣٢٧] (١). «بلاء» أحياناً من مادة «بلو» ناقص واوى وأخرى من مادة «بلى» ناقص يائي والأولى بمعنى الاختبار والامتحان، فالامتحان بوفور النعمة أحياناً وندرتها، وأحياناً بسلب النعم والآفات. قال الله تعالى «بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً» (الأنبياء، الآية ٣٥) والثانية تعني الكبر ثم وردت بمعنى الغم والحوادث الأليمة التي تنهك الإنسان، كما وردت هذه المفردة بمعنى اختبار، لأنها ثقيلة على جسم الإنسان وروحه.
- [٣٢٨] (١). «أعورتهم» من مادة «عار» بمعنى العيب وكل شيء يعدّ اظهارها عيباً يطلق عليه العورة وحين يرد في باب الأفعال كما ورد في العبارة فهو يعني إظهار العيب.

[٣٢٩] (٢). «أخذ» وردت هذه الكلمة بمعنى العقاب.

[٣٣٠] (١). «عمار» جمع «عامر» من مادة «عمارة» و«عمران» معروفة.

[٣٣١] (١). «صرعت» من مادة «صرع» على وزن «فرع» بمعنى التمرغ بالتراب.

[٣٣٢] (١). بحار الأنوار، ج ٧٩، ص ١٦٧.

[٣٣٣] (٢). المحجة البيضاء، ج ٨، ص ٢٤٠.

[٣٣٤] (٣). الكافي، ج ٣، ص ٢٣١، ح ١.

[٣٣٥] (١). سورة آل عمران، الآية ١٣٣.

[٣٣٦] (١). سورة يونس، الآية ٤٥.

[٣٣٧] (٢). سورة البقرة، الآية ٢٢١.

[٣٣٨] (٣). سورة ابراهيم، الآية ٧.

[٣٣٩] (٤). نهج البلاغة، الكلمة ٣٣٠.

[٣٤٠] (٥). «عمر» على وزن «دهل» وعمر على وزن «ظهر» كلاهما بمعنى واحد أى مدة الحياة، وقال البعض يطلق العمر على الأربعين

سنة الأولى والعمر بضمين على جميع العمر أو الشق الثانى منه.

[٣٤١] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ١٣، ص ١٠٠.

[٣٤٢] (١). سند الخطبة:

روى هذه الخطبة عدد من الأعلام ممن عاش قبل وبعد السيد الرضى. كما روى بعضها كل من المرحوم محمد بن حسن الصفار

المتوفى عام ٢٩٠ فى بصائر الدرجات والمرحوم الصدوق المتوفى عام ٣٨١ فى عيون الأخبار والخصال. ورواها الأمدى فى غرر

الحكم والثعالبى فى الإيجاز والإعجاز باختلاف (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٩).

[٣٤٣] (١). سورة الأنعام، الآية ٩٨.

[٣٤٤] (٢). ميزان الحكمة، ج ١، ص ٢٦٥، ح ١٣٥٠.

[٣٤٥] (٣). تفسير نور الثقلين، ج ١، ص ٧٥١، ح ٢٠٧.

[٣٤٦] (١). ميزان الحكمة، ج ١، ص ١٣٥٩.

[٣٤٧] (٢). الكافي، ج ٢، ص ٤٢٠.

[٣٤٨] (٣). بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٢٧٢.

[٣٤٩] (١). «مستسر» من مادة «سر» بمعنى الشخص الذى يكتم شيئاً.

[٣٥٠] (٢). طبقاً لما ورد فى العبارة فإن (ما) فى العبارة (ما كان لله...) نافية، إلا أن بعض شراح نهج البلاغة اعتبروها زمانية بمعنى (ما

دام) وقالوا إن مفهوم العبارة هو أن الهجرة باقية ما دام الله بحاجة إلى إيمان الناس والحاجة هنا بمعنى الطلب والمراد منها أوامر الله

ونواهيه للناس، ولكن يبدو المعنى الأول أنسب.

[٣٥١] (٣). لا بد من الالتفات إلى أن (إلا) محذوفة فى بعض نسخ صحى الصالح لكنها موجودة فى النسخ المصححة وليس للعبارة

من معنى صحيح بدون (إلا).

[٣٥٢] (١). سورة النساء، الآية ٧٥.

[٣٥٣] (٢). الكافي، ج ٢، ص ٤٠٤، باب المستضعف، ح ١.

[٣٥٤] (٣). «مستعصب» من مادة «صعب» بمعنى المشكل وصعوبة فهم الشيء ومجىء المفردتين صعب ومستعصب مع بعضهما،

للتأكيد.

[٣٥٥] (١). «يعي» من مادة «وعى» على وزن «سعى» بمعنى الفهم والحفظ.

[٣٥٦] (٢). «رزينه» من «رزائه» بمعنى الوقار ورزين بمعنى الشخص الوقور.

[٣٥٧] (٣). «تشغر» من «شغور» على وزن «شعور» لها عدده معان ومنها الهجوم الذى يناسب العبارة المذكورة ومن معانيها الرفع ورفع الرجل بمعنى شروع الحركة أى قبل حركة الفتنة.

[٣٥٨] (٤). «خطام» بمعنى «زمام» والعبارة «تطأ فى خطامها» كناية عن كون الفتنة كالدابة فى ارسالها وطيشها ولا قائد لها.

[٣٥٩] (١). «أحلام» جمع «حلم» على وزن «نهم» بمعنى العقل كما وردت بمعنى النوم والرؤيا والمعنى الأول هو المراد.

[٣٦٠] (٢). الاستيعاب، ج ٢، ص ٥٠.

[٣٦١] (٣). المصدر السابق، ص ٥٢.

[٣٦٢] (٤). المصدر السابق، ص ٥٠.

[٣٦٣] (٥). احقاق الحق، ج ٧، ص ٢٦١ وجاءت هذه الرواية مع اختلاف طفيف فى بحار الأنوار (من كتاب فضائل شاذان بن

جبرئيل) ج ٣٩، ص ١٠٨، ح ١٣.

[٣٦٤] (١). سورة الانفال، الآية ٧٢.

[٣٦٥] (٢). كنز العمال، ح ٤٦٢٥١.

[٣٦٦] (١). كنز العمال، ح ٦٤٢٦٠.

[٣٦٧] (٢). ميزان الحكمة، ج ١١، ح ٢١٠٦٥.

[٣٦٨] (٣). سفينة البحار، مادة هجرة.

[٣٦٩] (١). سند الخطبة:

قال ابن أبى الحديد: وأعلم أنّ هذه الخطبة من أعيان خطبه ومن ناصح كلامه ونادره، وفيها من صناعة البديع الرائعة المستحسنة البريئة من التكلف ما لا يخفى. وقد أخذها ابن نباتة فأودعها خطبه وشذر بها كلامه. وقال صاحب مصادر نهج البلاغة بعد نقله لهذا الكلام: فلو لم يكن ابن أبى الحديد اطلع عليها فى غير نهج البلاغة لم يقل إنها من أعيان خطبه مع ملاحظة أنّ ابن نباتة توفى سنة ٣٧٤ هجرى أى قبل صدور نهج البلاغة. وروى الأمدى من هذه الخطبة فى غرر الحكم. (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٢٣).

[٣٧٠] (١). «مجد» بمعنى الشرف والجلال والوقار والعظمة، وهذه الصفة تختص بصورة تامّة باللّه تعالى.

[٣٧١] (٢). «يشنيه» من مادة «ثنو» على وزن «سعى» تعنى فى الأصل طى الخبر وحين تقترن بالعطف على وزن «كتف» بمعنى طى الضلع وهى كناية عن الانصراف عن الشىء وعدم الاهتمام به.

[٣٧٢] (١). سيره ابن هشام، ج ١، ص ٣١٧.

[٣٧٣] (١). سورة ص، الآية ٥.

[٣٧٤] (٢). انظر: بحار الأنوار، ج ٩، ص ١٤٣؛ تاريخ الطبرى، ج ٢، ص ٦٧.

[٣٧٥] (١). «معقل» بمعنى الملجأ والجبل المرتفع من العقل بمعنى المنع.

[٣٧٦] (٢). «منيع» من «منع» بمعنى الأصرم الصعب المنال والبرج العالى.

[٣٧٧] (٣). «ذروته» تطلق على قمة الجبال والجانب المرتفع من كلّ شىء.

[٣٧٨] (١). «غمرات» جمع «غمرة» على وزن «ضربة» بمعنى إزالة آثار الشىء، ثم اطلقت هذه المفردة على ما يغطى تمام وجه الأرض، ووردت فى هذه الخطبة بمعنى غمرات الموت وشدائده التى تستولى على تمام وجود الإنسان.

- [٣٧٩] (٢). «أرماس» جمع «رمس» بمعنى القبر والتراب وهذا هو المعنى المراد بها أى القبر.
- [٣٨٠] (٣). «إبلاس» تعنى فى الأصل الحزن الذى يصيب الإنسان فى أوقات الشدة.
- [٣٨١] (٤). «مطلع» تعنى فى الأصل الموضع المرتفع ثم اطلق على مواقف يوم القيامة أو عالم البرزخ الذى يطلع فيه الإنسان على نتيجة أعماله.
- [٣٨٢] (٥). «روعات» جمع «روع» بمعنى الخوف.
- [٣٨٣] (٦). «اضلاع» جمع «ضلع» المواضع جوانب الصدر.
- [٣٨٤] (٧). «استكاك» من مادة «سك» بمعنى سدّ الشئ واستكاك الاسماع صممها على أعتاب الموت.
- [٣٨٥] (٨). «ضريح» القبر أو اللحد فى وسط القبر.
- [٣٨٦] (٩). «ردم» غلق الشئ كما تطلق على السد الكبير ومل الحفرة بالتراب.
- [٣٨٧] (١٠). «الصفيح» الحجر العريض.
- [٣٨٨] (١). وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٨٣٨، وكتاب الطهارة، أبواب الدفن، باب ١٦، ح ٦.
- [٣٨٩] (١). «سنن» بمعنى الطريق والأسلوب وتطلق على الجادة أيضاً.
- [٣٩٠] (٢). «قرن» ما يقرن به البعيران.
- [٣٩١] (٣). «اشراط» جمع «شرط» على وزن «شرف» بمعنى العلامات.
- [٣٩٢] (٤). «ازفت» من مادة «ازف» على وزن «شرف» بمعنى قربت.
- [٣٩٣] (٥). «افراط» جمع «فرط» على وزن «شرط» جبل صغير وعلامة والمراد بها هنا المعنى الثالث.
- [٣٩٤] (٦). «أناخت» من «أناخ» بمعنى نوم الدابة.
- [٣٩٥] (٧). «كلاكل» جمع «كلكل» بمعنى الصدر.
- [٣٩٦] (٨). «حضن» بمعنى الصدر.
- [٣٩٧] (٩). «رث» بمعنى قديم.
- [٣٩٨] (١٠). «غث» بمعنى المهزول ويقابل السمين.
- [٣٩٩] (١). «ضنك» بمعنى الشدة والضيق.
- [٤٠٠] (٢). «كلب» بمعنى عضة الكلب ثم استعملت فى كل انزعاج وشدة.
- [٤٠١] (٣). «لجب» بمعنى اضطراب الأمواج.
- [٤٠٢] (٤). «متأجج» من مادة «أجيج» بمعنى إشعال النار المقرون بالصوت.
- [٤٠٣] (٥). «ذاك» من مادة «ذكاء» على وزن «دواء» بمعنى إشتد لهيبتها وحرارتها.
- [٤٠٤] (٦). «عم» صفة مشبهة تعنى العمى من مادة «عمى» على وزن «جفا».
- [٤٠٥] (١). «زمر» جمع «زمره» على وزن «عمرة» طائفة صغيرة.
- [٤٠٦] (٢). «زحزحوا» من مادة «زحزح» على وزن «قهقهه» بمعنى الإبعاد.
- [٤٠٧] (١). سورة الفتح، الآية ٢٦.
- [٤٠٨] (١). «مبطل» من مادة «بطلان» بمعنى إبطال الحق.
- [٤٠٩] (٢). سورة النور، الآية ٥٢.
- [٤١٠] (١). «مدينون» من مادة «دين» بمعنى الجزاء ويقال المدينون لمن جُوزوا على عمل قاموا به.



- [٤١١] (٢). سورة المدثر، الآية ٣٨.
- [٤١٢] (٣). وسائل الشيعة، ج ٧، ص ٢٢٧، ح ٢٠، الباب ١٨ من أبواب حكم شهر رمضان.
- [٤١٣] (٤). «تقالون» من مادة «إقالة» بمعنى الإعادة وتعني هنا قبول العذر.
- [٤١٤] (١). «الزموا» من «لزم» بمعنى الملازمة والعبارة إلزموا الأرض الأمر بالتوقف والسكون.
- [٤١٥] (١). «اصلات» بمعنى سل السيف.
- [٤١٦] (١). سند الخطبة:
- ذكر ابن أبي الحديد اختلاف الرواية في بعض كلماتها، مما يدل على أنه رآها في غير نهج البلاغة (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٢٨).
- [٤١٧] (١). «الفاشى» من مادة «فشو» على وزن «كشف» بمعنى الانتشار والاتساع.
- [٤١٨] (١). سورة الفتح، الآية ٧.
- [٤١٩] (٢). سورة الجن، الآية ٣.
- [٤٢٠] (٣). فالتعبير عن الجذ بهذا الأسم لعظم مقامه.
- [٤٢١] (٤). «تؤام» على وزن «غلام» جمع «تؤأم» على وزن «جوشن» تعني في الأصل المولود مع غيره في بطن واحدة ويقال لهما التؤامان، ثم اطلق على كل شيء يقترب بآخر ويشير في العبارة المذكورة إلى أن نعم الله سبحانه وتعالى ليست مفردة بل مقرونة عادة بالعديد من النعم.
- [٤٢٢] (١). «الاحتذاء» يعنى التنسيق من مادة «حذو» على وزن «جذب» بمعنى التنسيق والانسجام.
- [٤٢٣] (١). «غمرة» الماء الكثير الذى يغطى كل شيء ثم اطلق على كل شدة.
- [٤٢٤] (٢). «حين» بفتح الحاء تعنى الموت والهلكة واستعمل بمعنى الغم والهم الشديد الذى يؤدى بالإنسان إلى الموت وحين بكسر الحاء بمعنى الزمان وقد وردت في هذه الخطبة بالمعنى الأول.
- [٤٢٥] (٣). «رين» بفتح الراء تعنى الصدأ الذى يصيب المعادن والذى يفيد الفساد والتلف أو ضياع شفافية المعدن ولمعانه.
- [٤٢٦] (١). سورة هود، الآية ٨٨، ورد هذا الكلام فى القرآن على لسان النبى شعيب عليه السلام تجاه قومه الطاعين.
- [٤٢٧] (٢). بحار الأنوار، ج ٩٩، ص ٥٥.
- [٤٢٨] (١). سورة البقرة، الآية ١٩٧.
- [٤٢٩] (٢). سورة مريم، الآية ٦٣.
- [٤٣٠] (٣). «تبرح» من مادة «برح» بمعنى الإبتعاد لكنها تعطى معنى الإيجاب حين تقترب بكلمة النفى.
- [٤٣١] (١). «الغابرين» جمع «غابر» من غبور على وزن «عبور» تعنى بقاء الشيء وعلية فغابرين تعنى الباقين.
- [٤٣٢] (٢). «اسدى» من مادة «سدى» على وزن «عبا» بمعنى الإحسان والعطاء.
- [٤٣٣] (٣). سورة النساء، الآية ١٣١.
- [٤٣٤] (٤). سورة سبأ، الآية ١٣.
- [٤٣٥] (٥). بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٧٢.
- [٤٣٦] (١). بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٧٢؛ نهج البلاغة، خطبة ١٧٦.
- [٤٣٧] (٢). «اهطعوا» من مادة «هطوع» على وزن «طلوع» بمعنى الاندفاع سريعاً نحو الشيء.
- [٤٣٨] (٣). «ألطوا» من مادة «لظ» على وزن «خط» بمعنى الإلحاح على الشيء.

- [٤٣٩] (١). سورة النحل، الآية ١٢٨.
- [٤٤٠] (٢). سورة آل عمران، الآية ١٢٠.
- [٤٤١] (٣). «ارحضوا» من «رحض» على وزن «محض» بمعنى الغسل.
- [٤٤٢] (٤). «الحمام» بكسر الحاء الموت.
- [٤٤٣] (١). «تصونوا» من مادة «صون» على وزن «قوم» بمعنى الحفظ وتصون بالتشديد بمعنى حفظ النفس.
- [٤٤٤] (٢). سورة الحديد، الآية ٢١.
- [٤٤٥] (٣). سورة الأعراف، الآية ٢٦.
- [٤٤٦] (٤). سورة يوسف، الآية ١١١.
- [٤٤٧] (٥). «نزاه» جمع «نازه» بمعنى عفيف النفس.
- [٤٤٨] (٦). «ولاه» جمع «واله» بمعنى المشتاق.
- [٤٤٩] (٧). «لا تشيموا» من مادة «شيم» على وزن «غيب» نظر إليه أين يمطر.
- [٤٥٠] (٨). «بارق» السحاب الذي يقدح منه البرق و جاء أيضاً بمعنى السيف البراق.
- [٤٥١] (٩). «ناعق» من مادة «نعق» على وزن «برق» بمعنى مناداة الحيوانات ثم اطلقت على المناداة بصورة عامة.
- [٤٥٢] (١). «اعلاق» جمع «علقة» على وزن «فتنة» بمعنى الشيء النفيس (وإن كانت له حيشة ظاهرية) وتوجب تعلق النفس بها.
- [٤٥٣] (٢). «خالب» من «خلابه» بمعنى الخادع.
- [٤٥٤] (٣). «محروبه» بمعنى منهوبة.
- [٤٥٥] (٤). «المتصدية» بمعنى المرأة تتعرض إلى الرجال وتميلهم إليها من مادة تصدى بمعنى التعرض.
- [٤٥٦] (٥). «عنون» من مادة «عن» على وزن «ظن» بمعنى الظهور.
- [٤٥٧] (٦). «جامحة» من «جموح» على وزن «فتوح» الصعبة على ركبها.
- [٤٥٨] (١). «حرون» بمعنى «الجامحة» أيضاً مع هذا الفارق أن الجموح، حيوان يركض هنا وهناك مضطرباً، وعنون، حيوان معاند متمرد يقف ولا يتحرك.
- [٤٥٩] (٢). «مائه» أى كاذبه من مادة «مين» على وزن «عين» بمعنى الكذب.
- [٤٦٠] (٣). «خؤون» المبالغة في الخيانة.
- [٤٦١] (٤). «الكنود» الجحود والبخل وتعني في الأصل الأرض التي لا يظهر عليها شيء.
- [٤٦٢] (٥). «صدود» أى المعترض والمانع من مادة «صد» وتستعمل بمعنيين الاعراض والمنع.
- [٤٦٣] (٦). «حيود» من مادة «حيد» على وزن «صيد» تعني الميل عن الطريق.
- [٤٦٤] (٧). «ميود» بمعنى المنحرف والمضطرب من مادة «ميدان» على وزن «ضربان» بمعنى الانحراف والاضطراب.
- [٤٦٥] (١). «علو وسفل» بمعنى الأعلى والأسفل والتي تلفظ أحياناً بضم الحرف الأول وكسره.
- [٤٦٦] (٢). «ساق» بمعنى «ساق» الرجل. والعبارة «على ساق» تطلق على من يقف على رجل ويستعد للقيام بعمل. وسياق من مادة سوق بمعنى التقدم والاندفاع وعليه فالعبارة على ساق وسياق أن أهل الدنيا يتأهبون للحركة للعالم الآخر.
- [٤٦٧] (٣). «لحاق وفراق» نقطتان متقابلتان بمعنى الإلتحاق والانفصال.
- [٤٦٨] (١). بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٧٣، كما ورد هذا الحديث عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في سنن البيهقي، ج ٦، ص ٣٠٧

[٤٦٩] (٢). «مهارب» جمع «مهرب» على وزن «مطلب» بمعنى مكان الهروب.

[٤٧٠] (٣). «معائل» جمع «معقل» على وزن «مجلس» بمعنى القلعة الحصينة والملجأ.

[٤٧١] (٤). «لفظت» من مادة «لفظ» على وزن «حلف» بمعنى رمت ويقال لهذه الألفاظ كأنها ترمى من الفم.

[٤٧٢] (٥). «محاول» جمع «محالة» على وزن «حوالة» تعنى الحذق وحسن التدبير والتصرف.

[٤٧٣] (١). «معقور» من مادة «عقر» على وزن «فقر» يعنى مجروح وقتل أو قطع يد الناقه ورجلها.

[٤٧٤] (٢). «مجزور» من مادة «جزر» بمعنى المسلوخ.

[٤٧٥] (٣). «شلو» بعض لحم الحيوان المذبوح.

[٤٧٦] (٤). «مسفوح» يعنى «مسفوك» من مادة «سفح» على وزن «صبر» بمعنى السفك وتستعمل عادة فى سفك الدماء.

[٤٧٧] (٥). «عاض» من مادة «عض» على وزن «سد» ويطلق هذا اللفظ عادة على أولئك الذين يعضون أيديهم بأسنانهم من شدة

الندم.

[٤٧٨] (٦). «صافق» من مادة «صفق» على وزن «دفع» تعنى ضرب اليدين ببعضها مع الصوت وتشير هنا إلى الأشخاص الذين يضربون

أيديهم ببعضها من شدة الحسرة.

[٤٧٩] (٧). «مرتفق» بمعنى الشخص الذى يستند على يديه ووردت فى العبارة كناية عن الشخص الحائر الذى وضع رأسه على يديه

وغرق فى التفكير، وارتفاق يعنى الاستناد.

[٤٨٠] (٨). «خديه» مثنى «خد» لدى الإنسان وهو معروف.

[٤٨١] (٩). «زار» بمعنى اللوم والتوبيخ من مادة «زرى» ولذلك وردت بمعنى الاستصغار والاستحقار.

[٤٨٢] (١). «الغيلة» بمعنى الشر والقرار الخطير الخفى وتطلق هذه المفردة على الاغتيال.

[٤٨٣] (٢). «لات» أداة نفي كانت فى الأصل لا نافية أضيفت إليها التاء للتأكيد بينما قيل إنها زائدة وللمبالغة.

[٤٨٤] (٣). «مناص» بمعنى من مادة «نوص» الفرار.

[٤٨٥] (٤). «بال» بمعنى القلب والخاطر.

[٤٨٦] (٥). سورة ص، الآية ٣.

[٤٨٧] (٦). سورة الدخان، الآية ٢٩.

[٤٨٨] (١). سند الخطبة:

قال صاحب مصادر نهج البلاغة بعد أن ذكر أن هذه أطول خطب أمير المؤمنين عليه السلام على ما ذكره الشارحون وهى فى عدة فصول فى المواعظ والزواجر وأن طائفة ممن عاشوا قبل السيد الرضى ذكروها فى كتبهم وكانت نسخة خطية عند السيد ابن طاووس ذكرها فى كتابه (اليقين) وقال رأيت هذه النسخة مع أخبار فى فضائل أهل البيت عليهم السلام وردت عن الأعلام السابقين ويعود تاريخها إلى سنة ٢٨٠ هجرى، كما روى المرحوم الكلينى فضلاً من هذه الخطبة فى الجزء الرابع من كتابه الكافى كما روى المرحوم الصدوق بعضها فى كتابه (من لا يحضره الفقيه) ورواها بعد السيد الرضى؛ الزمخشري فى (ربيع الأبرار) وروى الماوردى فى (أعلام النبوة) المعجزة التى رواها أمير المؤمنين عليه السلام عن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله فى حركة الشجرة (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٦).

[٤٨٩] (١). «حمى» بمعنى المنطقة الممنوعة من مادة «حمية» بمعنى الممانعة والدفاع عن الشىء ومن هنا تطلق الحمية على وزن

جزية على المريض الذى يجتنب ما يضر به.

[٤٩٠] (١). نهج البلاغة، الكلمة ٩٣.

- [٤٩١] (٢). «ادرع» من «درع» على وزن «فكر» بمعنى الثوب ويستعمل أحياناً بمعنى لبس الثوب.
- [٤٩٢] (٣). «تعزز» بمعنى افتخر ورأى نفسه عزيزاً.
- [٤٩٣] (٤). سورة ص، الآية ٧٦.
- [٤٩٤] (٥). سورة ص، الآية ٧٦.
- [٤٩٥] (١). الكافي، ج ٢، ص ٣٠٩، ح ١، باب الكبير.
- [٤٩٦] (٢). المصدر السابق، ص ٣١٠.
- [٤٩٧] (٣). «مدحور» بمعنى مطرود من مادة «دحر» على وزن «دهر».
- [٤٩٨] (٤). سورة الحجرات، الآيتان ٣٤ و ٣٥.
- [٤٩٩] (١). سورة ص، الآيتان ٨٤ و ٨٥.
- [٥٠٠] (٢). «يخطف» من «خطف» على وزن «عطف» بمعنى الأخذ بسرعة.
- [٥٠١] (١). «يبهر» من مادة «بهر» على وزن «بحر» بمعنى الحيرة والبهت.
- [٥٠٢] (٢). «رواء» بمعنى حسن المنظر.
- [٥٠٣] (٣). «عرف» بمعنى الرائحة الطيبة.
- [٥٠٤] (٤). «خُيلاء» بمعنى التكبر.
- [٥٠٥] (١). «جهد» على وزن «مهد وجهد» على وزن «كفر» كلاهما يعنى السعى الجاد وجهيد على وزن «فعليل» من هذه المادة يذكر للتأكيد وعليه فجهد وجهيد تعنى منتهى السعى.
- [٥٠٦] (٢). «سنى» هى سنين فى الأصل وحذفت النون للإضافة.
- [٥٠٧] (٣). سورة الحج، الآية ٤٧ وقريب من هذا المعنى سورة السجدة، الآية ٥.
- [٥٠٨] (٤). «هواده» بمعنى اللين والرخصة.
- [٥٠٩] (٥). «حمى» بمعنى المنطقه المحظوره من حمى على وزن «نفى» بمعنى المنع والاعراض.
- [٥١٠] (١). للوقوف على المزيد بهذا الشأن انظر: التفسير الأمثل ذيل الآية ٢١٧ من سورة البقرة.
- [٥١١] (١). سورة الكهف، الآية ٥٠.
- [٥١٢] (٢). سورة الأنبياء، الآيتان ٢٦ و ٢٧.
- [٥١٣] (١). الكافي، ج ٨، ص ٢٧١.
- [٥١٤] (٢). سورة المائدة، الآية ١٨.
- [٥١٥] (١). «يعدى» من «عدو» على وزن «صبر» تعنى فى الأصل التجاوز والعدوان والعداوة معروفة و«عدوى» بمعنى الركض وكذلك بمعنى انتقال المرض من شخص لآخر وهذا هو المراد فى العبارة أى أن الشيطان ينقل إليكم مرضه فى التعصب والغرور.
- [٥١٦] (١). «يستفز» من «استفزاز» بمعنى الاستنهاض والإثارة.
- [٥١٧] (٢). «يجلب» من «جلب» بمعنى الصراخ بشخص أو نقله من موضع إلى آخر.
- [٥١٨] (٣). «رجل» جمع «راجل» بمعنى المشاء.
- [٥١٩] (٤). سورة الاسراء، الآية ٦٢.
- [٥٢٠] (٥). «فوق» من «فوق» موضع الوتر من السهم، إشارة إلى أن الشيطان استعداد لاطلاق سهمه عليكم والمفردة تشير إلى هذا المعنى.

- [٥٢١] (٦). «اغرق» من مادة «اغراق» و«غرق» على وزن «ورق» استوفى مد قوسه ويطلق أيضاً على كل عمل بمنتهى السعى.
- [٥٢٢] (٧). «نزع» بمعنى استئصال الشيء أو جره مثل مد القوس.
- [٥٢٣] (١). سورة سبأ، الآية ٢٠.
- [٥٢٤] (٢). سورة سبأ، الآية ١٣.
- [٥٢٥] (٣). سورة ص، الآية ٢٤.
- [٥٢٦] (٤). «جامحة» بمعنى الحيوان الجامح. من «جموح» على وزن «فتوح».
- [٥٢٧] (٥). «الطماعية»، «طماعية» و«طمع» بمعنى واحد.
- [٥٢٨] (٦). «نجمت» من «نجوم» بمعنى ظهرت كما يطلق على النبات بدون ساق لأنه يظهر من الأرض و يطلق على النجوم لأنها تظهر في السماء.
- [٥٢٩] (٧). «استفحل» من مادة «استفحال» ومن «فحل» على وزن «نخل» بمعنى العظيم البارز و«استفحال» الثقيل والمتعب.
- [٥٣٠] (١). «دلف» من «دلوف» بمعنى المشى ببط ورفع الخطوات القصيرة وتشير هنا إلى التقدم التدريجي للشيطان.
- [٥٣١] (٢). «اقحموكم» من مادة «قحوم» بمعنى العمل دون تروى و«اقحام» يعنى حمل شخص بالقوة على عمل معين.
- [٥٣٢] (٣). «ولجات» بمعنى الملاجئ والكهوف جمع «ولجة» على وزن «درجة» ما يلجا إليه المارة عند المشاكل.
- [٥٣٣] (٤). «وَرَطَات» بمعنى المشاكل والمهالك جمع «وَرَطَه» على وزن «غفله».
- [٥٣٤] (٥). «اوطأوكم» من مادة «وَطَى» بمعنى الوطئ بالارجل.
- [٥٣٥] (٦). «اثخان» من «ثخونة» تعنى فى الأصل الضخامة والغلظة و«اثخان» المبالغة فى قتل العدو.
- [٥٣٦] (٧). «حَزَّ» بمعنى القطع.
- [٥٣٧] (٨). «مناخر» جمع «منخر» الانف أو خرم الانف.
- [٥٣٨] (٩). «خزائم» جمع «خزامة» على وزن «كتابة» حلقة توضع فى أنف البعير فيشد فيها الزمام ويسحب عند الجماع.
- [٥٣٩] (١٠). «خرج»، على وزن «خرج» و«حَرَج» على وزن «حرم» بمعنى الانزعاج والمحدودية الشديدة وتعنى فى الأصل اجتماع الأشجار والتفافها.
- [٥٤٠] (١). «أورى» من مادة «وَرَى» على وزن «نفى» تعنى فى الأصل الاخفاء ويطلق الورى على النار الكامنة فى الوسائل النارية وتقتدح عن طريق الجدحة وتعنى فى هذه العبارة اشعال النار.
- [٥٤١] (٢). «قَدَح» اخراج النار من الآلة (شئ أشبه بالكبريت).
- [٥٤٢] (٣). «مناصبين» جمع «مناصب» بمعنى المجاهر بالعداوة من مادة نصب بمعنى العداوة.
- [٥٤٣] (٤). «متألين» طائفة تجتمع على القيام بعمل من ماده «ألب» على وزن «سلب» بمعنى الاجتماع.
- [٥٤٤] (٥). «حَدَّ» و«حَدَّت» بمعنى الشدة والغضب، وفى الأصل بمعنى الحدّة.
- [٥٤٥] (٦). «جدّ» يعنى القطع. ولما كان كل موجود عظيم يمتاز عن الآخرين فقد اطلق على الجد وورد فى الآية الشريفة «وأنه تعالى جَدُّ رَبَّنَا» إشارة إلى عظمه الله والمعنى المراد بها قطع العلاقة.
- [٥٤٦] (١). «لعمركم» «عَمَّر»، بفتح «العين» بمعنى العمر، بضم «العين» يستعمل فى القسم وعليه فالعبارة لعمري تعنى أقسم بنفسى و«لعمركم» تعنى بقاء ذات الله تعالى.
- [٥٤٧] (٢). «حسب» تذكر هذه العبارة عادة مقرونة بالنسب لكنهما مختلفان فى المعنى. فالحسب فى الأصل قدر الشئ ومنزلته وشرفه وبما أن الأصل والنسب يؤثر على منزلة الإنسان وقدره فإن هذه المفردة تشمل أيضاً النسب الرفيع والعزیز فيقال الحسب لمقدار

كلّ شيء، والواقع أنّ هذه المفردة أخذت من مادة حساب لأنّ الأفراد يحسبون مفاخرهم ومفاخر آبائهم عند ذكر الحساب.

[٥٤٨] (٣). «يقتنصون» من مادة «قنص» على وزن «حبس» بمعنى يصيدون.

[٥٤٩] (٤). «بنان» جمع «بنانة» تعني لغوياً الأصابع ورؤوس الأصابع والشخص الذي تقطع بنانه لا يقوى على العمل.

[٥٥٠] (٥). «حومة» بمعنى أهم موضع في الشيء وتطلق الحومة على القسم الرئيسي من القتال أو الذل.

[٥٥١] (١). سورة الأنفال، الآية ١٢.

[٥٥٢] (٢). «نخوات» جمع «نخوة» بمعنى الكبر.

[٥٥٣] (٣). «نزغات» جمع «نزغة» بمعنى الفساد من مادة «نزغ» على وزن «وضع» بمعنى الدخول في فعل بقصد الفساد.

[٥٥٤] (٤). «نفثات» جمع «نفثة» بمعنى ما يخرج من الفم من اللعاب وفي الأصل من مادة «نفث» على وزن «حبس» بمعنى النفخ

واستعملت هنا لخروج مقدار من اللعاب حين النفخ على الشيء وهي كناية عن وساوس الشيطان في العبارة، السائد بين السحرة أنّهم يقرأون بعض الأوراد عند السحر وينفخون على الشخص المطلوب فهي كناية عن الوسوسة.

[٥٥٥] (١). «مسلحة» بمعنى موضع الجمع وبعبارة أخرى يطلق على المواضع ومخازن السلاح لأنهم يجمعون عادة مقداراً من الأسلحة في الموضع وقد وردت بهذا المعنى في العبارة السابقة.

[٥٥٦] (٢). سورة الأنعام، الآية ١١٢.

[٥٥٧] (٣). سورة طه، الآية ٩٤.

[٥٥٨] (١). «آتام» جمع «إثم» بمعنى الذنب وتعني في الأصل تلك الحالة التي يصل إليها روح وعقل الإنسان ويمنعه من الوصول الى الكمال والحسنات.

[٥٥٩] (٢). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ١٤٦.

[٥٦٠] (١). «أمعتم» من مادة «إمعان» بمعنى المبالغة في القيام بشيء مشتقة في الأصل من مادة «معن» على وزن «دهن» بمعنى ارتواء الأرض بالماء.

[٥٦١] (٢). «مصارحة» من مادة «صرح» بمعنى الوضوح والظهور ومصارحة تعني مواجهة الشخص بصورة علنية.

[٥٦٢] (٣). «مناصبه» من مادة «نصب» على وزن «نسب» بمعنى التعب والمشقة كما تعني المناصبه التظاهر بالعداوة التي تؤدي إلى تعب ومعاناة الطرفين.

[٥٦٣] (١). «أعنقوا» من مادة «عنق» بمعنى الرقبة و«عناق» الاسراع في الذهاب خلف الشيء.

[٥٦٤] (٢). «حنادس» جمع «حنديس» على وزن «قيرص» بمعنى الظلام ومن هنا يقال حنادس الليالي الثلاثة الأخيرة في الشهر لشدة ظلمتها وامتزاجها بالمحاق.

[٥٦٥] (٣). «مهاوى» جمع «مهواة» يعني الحفرة كما تعني الحفرة العميقة التي يقع فيها السيل وليس له من سبيل.

[٥٦٦] (٤). «ذلل» جمع «ذلول» بمعنى الشخص المنقاد والمستسلم للحيوان الهادئ.

[٥٦٧] (٥). «سلس» جمع «سلس» على وزن «خشن» بمعنى السهل والمنقاد.

[٥٦٨] (١). «هجينه» بمعنى الفعلة القبيحة والمستهجنة من مادة هجونه.

[٥٦٩] (٢). «آلاء» جمع «آلاء» على وزن «جفا» أو «إلا» على وزن «فعل» بمعنى النعم وقيل بمعنى خصوص النعم المعنوية خاصة حين تأتي مع مفردة النعمة، ويقال: «النعم والآلاء».

[٥٧٠] (٣). سورة الأحزاب، الآيتان ٦٧ و ٦٨.

[٥٧١] (٤). بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٣٨١، ح ١٦.

[٥٧٢] (١). «اعتزاء» بمعنى النسب من مادة «عزو» على وزن «رزم».

[٥٧٣] (٢). سورة النمل، الآية ٣٤.

[٥٧٤] (١). سورة سبأ، الآية ٣٤.

[٥٧٥] (٢). «أدعياء» جمع «دعى» على وزن «جلى» تعنى فى الأصل المتبنى أى الولد من أب آخر ومن ينسب نفسه لآخر، وبما أن مثل هؤلاء الأفراد لا يمتلكون نسباً واضحاً يطلق عليهم الأدعياء ووردت بمعنى عديم النسب أو ابن الزنا.

[٥٧٦] (٣). الكافى، ج ٢، ص ٣١٢.

[٥٧٧] (١). «أحلاس» جمع «حلس» على وزن «حرص» بمعنى كساء رقيق يكون على ظهر البعير ملازماً له، ثم اطلق «الحلس» على كل شىء ملازم لآخر ولذلك يقال للأفراد الذين يلازمون البيوت «أحلاس البيوت».

[٥٧٨] (٢). «عقوق» تعنى فى الأصل التقطيع والتمزيق ثم اطلقت هذه الكلمة على مخالفة الأب والأم والآخرين و«أحلاس العقوق» بمعنى الأفراد الملازمين للطغيان والعصيان.

[٥٧٩] (٣). «يصول» من مادة «صوله» بمعنى الهجوم.

[٥٨٠] (٤). «دخول» معروف المعنى ولكن يأتى بمعنى الفاسد أيضاً وهذا ما أريد به فى العبارة.

[٥٨١] (٥). «نفث» تعنى فى الأصل طرح مقدار من لعاب الفم وحيث يقترن بالنفخ فقد وردت بمعنى النفخ أيضاً.

[٥٨٢] (١). «نبل»، السهام.

[٥٨٣] (٢). سورة الأنعام، الآية ١٢١.

[٥٨٤] (١). الكامل، لابن الأثير، ج ١، ص ٥٨٨ و ٥٨٩.

[٥٨٥] (٢). منهاج البراعة، ج ١١، ص ٣٠٩.

[٥٨٦] (٣). المصدر السابق.

[٥٨٧] (١). «صولات» جمع «صول» على وزن «قول» بمعنى التسلط والغلبة.

[٥٨٨] (٢). «مثلات» جمع «مثلته» على وزن «عضلته» بمعنى العقوبة ومن ذلك العذاب الذى نزل على الأمم السابقة والذى اصبح يضرب به المثل.

[٥٨٩] (٣). سورة العنكبوت، الآية ٤٠.

[٥٩٠] (٤). «مئاوى جمع «مئوى» من مادة «ثواء» بمعنى الإقامة فى موضع، وعليه فالمئوى بمعنى المنزل والمكان.

[٥٩١] (٥). «جنوب» جمع «جنب» على وزن «جمع» بمعنى الجهة والجانب.

[٥٩٢] (٦). «لواقح» جمع «لاقح» من مادة «لقاح» تشير فى العبارة إلى عوامل ظهور الكبر والغرور.

[٥٩٣] (١). «عَفَرُوا» من مادة «عفر» بمعنى التمرغ بالتراب.

[٥٩٤] (١). «مخمصة» بمعنى الجوع وخلو البطن من الطعام، ومن مادة «خمص» على وزن «لمس» بمعنى الجوع الشديد الذى يدعو إلى خسف البطن.

[٥٩٥] (٢). «مجهدة» مصدر ميمي بمعنى المشقة من «جهد» على وزن «مهد» و«جهد» على وزن «كفر» بمعنى التعب الناتج من السعى والحركة.

[٥٩٦] (٣). «مَخَصَّ» من مادة «مخض» على وزن «خفض» تعنى فى الأصل، تحريك اللبن ليخرج زبده، ثم أُطلقت على كل حركة شديدة وشاقة.

[٥٩٧] (١). سورة المؤمنون، الآيتان ٥٥ و ٥٦.

[٥٩٨] (١). «مدارع» جمع «مدرع» على وزن «منبر» بمعنى الجبة.

[٥٩٩] (٢). «عصبي» جمع «عصا».

[٦٠٠] (٣). «أساور» و «أساور» جمع «أسورة» وجمع «سوار»، على وزن «غبار» أو «سوار» على وزن «كتاب» وهي في الأصل كلمة فارسية (دستور) بمعنى السوار الذي يوضع في اليد للزينة.

[٦٠١] (٤). «ذهبان» جمع «ذهب» معروف.

[٦٠٢] (١). «عقيان» مفردة وهو نوع من الذهب الخالص.

[٦٠٣] (٢). «مغارس» جمع «مغرس» يعني محلّ غرس الأشجار.

[٦٠٤] (١). «خصاصه» من «خصاص» على وزن «أساس» تعني في الأصل الشق الذي يظهر في جدار البيت ثم اطلق على الفقر والحاجة التي توجب الشدة في العيش.

[٦٠٥] (١). «ترام» من مادة «روم» على وزن «قوم» تعني الطلب.

[٦٠٦] (٢). «تضام» من مادة «ضيم» بمعنى الذلة.

[٦٠٧] (٣). «عقد» جمع «عقدة».

[٦٠٨] (٤). «رحال» جمع «رحل» ما يوضع على ظهر البعير ويجلس عليه و«شدّ الرحال» تعني الاستعداد للسفر أو السفر.

[٦٠٩] (١). «استكانة» تعني الخضوع.

[٦١٠] (٢). «تشوب» من «شوب» على وزن «شوق» تعني الخدعة وخلط شيء مع آخر للخداع.

[٦١١] (٣). سورة الزمر، الآية ٣.

[٦١٢] (٤). سورة البينة، الآية ٥.

[٦١٣] (١). «أوعر» من «وعر» على وزن «فعر» تعني الأرض الوعرة والشديدة.

[٦١٤] (٢). «نتائق» جمع «نتيقة» بمعنى البقاع المرتفعة من مادة «نتق»، على وزن «فتق» بمعنى الحفر والارتفاع.

[٦١٥] (٣). «مدر» بمعنى الطين اليابس.

[٦١٦] (٤). «قطر» بمعنى البلد والمنطقة.

[٦١٧] (١). «دمثة» من مادة «دماثة» بمعنى اللينة.

[٦١٨] (٢). «وشلة» بمعنى قليل الماء من «وشل» على وزن «حشر».

[٦١٩] (٣). «يزكو» من «زكاة» بمعنى النمو.

[٦٢٠] (٤). «خف» تعني في الأصل النعل وهي هنا كناية عن الدابة لأن أسفل قدمها كالحذاء.

[٦٢١] (٥). «حافر» من الحفر وتعني قدم الفرس.

[٦٢٢] (٦). «ظلف» كناية عن البقر والغنم.

[٦٢٣] (١). سورة إبراهيم، الآية ٣٧.

[٦٢٤] (٢). «يثنوا» من مادة «ثنى» بمعنى طوى الشيء، أو تقريب شيء من آخر.

[٦٢٥] (٣). «اعطاف» جمع «عطف» على وزن «كتف» بمعنى كتف الانسان.

[٦٢٦] (٤). «مثابة» مكان الرجوع «ثوب» على وزن «فوق» بمعنى العودة.

[٦٢٧] (٥). «منتجع» يعني محل الفائدة من «نجوع» بمعنى المنفع ولذلك يقال منتجع لمكان الراحة والتمتزه أيضاً.

[٦٢٨] (٦). «ملقى رحالهم» يعني محط رحالهم، من الأصل «إلقاء» و«رحال» جمع «رحل».



- [٦٢٩] (٧). «مفاوز» جمع «مفازة» بمعنى الصحراء.
- [٦٣٠] (٨). «قفار» جمع «قفر» بمعنى خلو المكان من السكن.
- [٦٣١] (٩). «سحيقة» بمعنى البعيدة من «سحق» على وزن «سقف» بمعنى التليين والتباعد.
- [٦٣٢] (١٠). «مهاوى» جمع «مهوى» منخفضات الأراضي من «هُوى» على وزن «حُلِي» بضم «حاء» وتشديد «ياء» بمعنى السقوط والوقوع.
- [٦٣٣] (١١). «فجاج» جمع «فج» بمعنى الطرق الواسعة بين الجبال من «فج» على وزن «حجج» بمعنى فتح الساقين وتبعيدهما عن بعضهما.
- [٦٣٤] (١٢). سورة البقرة، الآية ١٢٥.
- [٦٣٥] (١٣). سورة الحج، الآية ٢٨.
- [٦٣٦] (١). سورة إبراهيم، الآية ٣٧.
- [٦٣٧] (٢). سورة الحج، الآية ٢٧.
- [٦٣٨] (٣). «يهزوا» من مادة «هز» على وزن «حظ» بمعنى التحريك.
- [٦٣٩] (٤). «يرملون» من مادة «رمل» على وزن «عمل» بمعنى الهرولة.
- [٦٤٠] (٥). «شعث» جمع «أشعث» بمعنى الشعر مع تلبد فيه.
- [٦٤١] (٦). «غبر» جمع «اغبر»: من علا بدنه الغبار.
- [٦٤٢] (٧). «سرايل» جمع «سربال»: الثياب.
- [٦٤٣] (٨). «شوها» من مادة «شوه» على وزن «قول» بمعنى أن مناظرهم مشوهة.
- [٦٤٤] (٩). «إعفاء» بمعنى الترك و«إعفاء الشعور» يعنى ترك الشعر بلا قص.
- [٦٤٥] (١). الكافي، ج ٤، ص ٢٥، باب فضل الحج والعمرة، ح ٢.
- [٦٤٦] (١). «مشاعر» جمع «مشعر» موضع تقام فيه بعض مناسك الحج ويقال له «مشعر» حيث تجرى فيه الشعائر الإسلامية.
- [٦٤٧] (٢). «جم» كثير.
- [٦٤٨] (٣). «ملتف»: مجتمع ومتراكم من مادة «لف» على وزن «كف».
- [٦٤٩] (٤). «بنى» جمع «بنية» يعنى بناء.
- [٦٥٠] (٥). «بزة» و«بُر» بمعنى الشعير.
- [٦٥١] (٦). «سمراء» معروفة اللون.
- [٦٥٢] (٧). «أرياف» جمع «ريف» تعنى القرية.
- [٦٥٣] (٨). «محدقة» يعنى الموضع الذى تكثر فيه البساتين.
- [٦٥٤] (٩). «عراص» جمع «عرصة» فناء الدار.
- [٦٥٥] (١٠). «مغدقة» يعنى كثيرة وفى الأصل من «غدق» على وزن «شفق» بمعنى الماء الوفير.
- [٦٥٦] (١١). «ناضرة» الخضراء من مادة «نضرة» الرفاهية الحاصلة بسبب وفور النعمة.
- [٦٥٧] (١٢). «أساس» بكسر الهمزة جمع «أس» بفتح أو بكسر أو بضم الهمزة دعامة.
- [٦٥٨] (١). «مصارعة» من «صرع» على وزن «فرع»: الصرع فى الأرض و يقال المصروع على من أصيب بمرض الصرع لأنه يطرحه أرضاً.

- [٦٥٩] (٢). «معتلج» تعنى «التلاطم» من مادة «اعتلاج» يعنى نزاع أحدهما للآخر.
- [٦٦٠] (٣). «فتحاً» بمعنى «الفتح» معروفة.
- [٦٦١] (٤). «ذلل» جمع «ذلول» بالمعنى التسليم والانقياد.
- [٦٦٢] (١). بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ١٩١.
- [٦٦٣] (١). «مصيده» (بسكون الصاد وفتح الياء) وقرأها البعض بكسر الميم وتعنى الفخ.
- [٦٦٤] (٢). «تساور» من «سور»، على وزن «غور» بمعنى الوثوب والمقاتلة وتعنى هنا نفوذ السموم فى القلوب.
- [٦٦٥] (٣). «تكدى» من مادة «كدى» على وزن «كسب» بمعنى البخل والحبس والتعطيل.
- [٦٦٦] (٤). «تشوى» من مادة «شئى» على وزن «شر» تاتى بمعنى الطبخ أحياناً وأخرى بمعنى اليد والقدم وأطراف الجسم وإن وردت فى باب الأفعال عنت تخطىء المقتل.
- [٦٦٧] (٥). «مقل» تعنى الفقير من مادة «قليل».
- [٦٦٨] (٦). «طمر» الكساء البالى.
- [٦٦٩] (٧). اختلف الشراح والمفسرون فى تركيب هذه الجملة «عَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللَّهُ». قال ابن أبى الحديد: إن «ما» زائدة و«ذلك» إشارة إلى الظلم والتكبر، وعلى هذا الضوء يصبح مفهوم الجملة أن الله حفظ عباده من هذه الأمور الثلاثة بواسطة الصوم والصلاة والزكاة، وقال المرحوم الشارح الخوئى: إن «عن» هنا سببية وما مصدرية ومعنى الجملة إن الله لهذا السبب حفظ عباده عن الكبر والغرور والظلم بواسطة الصلاة والصوم والزكاة.
- [٦٧٠] (١). «أطراف» من مادة «طرف» على وزن «هدف» بمعنى قطعته من أى شىء وأطراف الجسم هى الأيدى والأرجل.
- [٦٧١] (٢). «تخفيض» من «خفض» على وزن «لفظ» تعنى السهولة واللين والتنزيل.
- [٦٧٢] (٣). «خيلاء» بمعنى التكبر والأنانيّة.
- [٦٧٣] (٤). سورة العنكبوت، الآية ٢٥.
- [٦٧٤] (٥). وسائل الشيعه، ج ٣، ص ٤، كتاب الصلاة، أبواب أعداد الفرائض ونوافلها، ح ٧.
- [٦٧٥] (١). وسائل الشيعه، ج ٦، ص ٥، كتاب الزكاة، أبواب ما تجب فيه الزكاة وما تستجب فيه، باب ١، ح ٧.
- [٦٧٦] (٢). من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٧٣، ح ١٧٦٧.
- [٦٧٧] (٣). «تعفير» تعنى التمرغ فى التراب من «عفر» بمعنى التراب والغبار.
- [٦٧٨] (٤). «عتاق» جمع «عتيق» بمعنى الشىء الثمين والقيم، و«عتاق الوجوه» إشارة إلى القسم المهم من وجه الإنسان، هى الجبهه.
- [٦٧٩] (٥). «كرائم» جمع «كريمة» نفيس، ثمين، شريف.
- [٦٨٠] (٦). «تصاغر» من مادة «صغر» معروفة.
- [٦٨١] (٧). «متون» جمع «متن» بمعنى الظهر ويأتى بمعنى الأصل والمراد المعنى الأول.
- [٦٨٢] (١). من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٣٦٣.
- [٦٨٣] (٢). «قمع» بمعنى القهر.
- [٦٨٤] (٣). «نواجم» جمع «ناجمة» كلما يطلع ويظهر. من «نجم» على وزن «حجم» بمعنى الطلوع والظهور.
- [٦٨٥] (٤). «قدع» تعنى الكفّ والمنع.
- [٦٨٦] (٥). سورة إبراهيم، الآية ٨.
- [٦٨٧] (٦). سورة آل عمران، الآية ٩٧.

[٦٨٨] (١). راجع كلمات نهج البلاغة القصار، الكلمة ٢٥٢.

[٦٨٩] (١). «تمويه» يعنى الخداع وتعنى فى الأصل طلى النحاس بالذهب لخداع الآخرين.

[٦٩٠] (٢). «تليط» من مادة «لوط» على وزن «موت» بمعنى الالتصاق وتستعمل عبارة «لاط بقلبي» لمن تعلق بشيء لا يفارقه وكأنه لصق به. وتستعمل هذه المفردة بصيغة أجوف واوى وأجوف يائى.

[٦٩١] (١). سورة الحجر، الآية ٢٩.

[٦٩٢] (٢). «مترفة» و«مترف» كما ورد فى لسان العرب من مادة «ترف» على وزن «هدف» بمعنى التنعم ويقال عادة للشخص أغرته وفره النعمة وساقته للطغيان.

[٦٩٣] (٣). «مواقع» جمع «موقع» بمعنى المحلل و مواقع النعم إشارة إلى النعم التى يستفاد منها والمراد من الآثار اللذات التى تتوفر لأصحاب النعم.

[٦٩٤] (٤). سورة سبأ، الآية ٣٥.

[٦٩٥] (١). «مجداء» جمع «مجيد» بمعنى العزيز والعظيم.

[٦٩٦] (٢). «نجداء» جمع «نجيد» بمعنى الشجاع من «نجد» بمعنى الأرض المرتفعة.

[٦٩٧] (٣). «يعاسيب» جمع «يعسوب» وهو أمير النحل. ويستعمل مجازاً بمعنى رئيس القوم كما هنا.

[٦٩٨] (٤). «ذمام» يعنى العهد.

[٦٩٩] (١). الكافى، ج ٢، ص ٦٦٧، ح ٨.

[٧٠٠] (١). سورة هود، الآية ٧٨.

[٧٠١] (٢). سورة النور، الآية ٢.

[٧٠٢] (٣). سورة النور، الآية ٣٢.

[٧٠٣] (٤). وسائل الشيعة، ج ١٥، الباب ٥ من أبواب المهور، ح ١١.

[٧٠٤] (١). وسائل الشيعة، ج ١٥، الباب ٥ من أبواب المهور، ح ١٠.

[٧٠٥] (١). «فقرة» وجمعها «فقرات» بمنزلة العمود الذى يشد ظهر الإنسان ويجعله يستقيم وينحنى.

[٧٠٦] (٢). «مئة» بمعنى القوة و«مئة» على وزن «عزة» بمعنى النعمة العظيمة التى توجب القدرة والقوة وقال الراغب فى المفردات إنها مشتقة فى الأصل من «من» وحدة الوزن.

[٧٠٧] (١). «أعباء» جمع «عبء» على وزن «فكر» بمعنى الحمل الثقيل.

[٧٠٨] (٢). «ساموا» من مادة «سوم» على وزن «قوم» بمعنى البحث عن شيء أو إجبار الآخرين على العمل وكذلك الاستمرار أى أن العبارة «ساموهم...» تعنى استمرارهم فى عذاب بنى اسرائيل.

[٧٠٩] (٣). «مرار» نوع من الشجرة المرة المذاق. ثم اطلقت على كل حادث مرير.

[٧١٠] (١). سورة الدخان، الآيات ٢٥-٢٨.

[٧١١] (٢). سورة القصص، الآية ٥.

[٧١٢] (١). «أملاء» جمع «ملاء» بمعنى الجماعة و القوم وأحياناً بمعنى الأيدى المتعاونة مثل أشرف القوم.

[٧١٣] (١). «غضارة» بمعنى السعة.

[٧١٤] (١). «اعتدال» الحد الوسط بين الافراط والتفريط وأيضاً المساواة بين الشئيين وتشابههما (كل واحدة عدل الأخرى) وهو المعنى المراد فى العبارة.

- [٧١٥] (١). «اشتباه» لها معنيان؛ الأول الخطأ في الفهم أو العمل و الثاني تشابه شيئين والمعنى الثاني هو المراد في العبارة أيضاً.
- [٧١٦] (٢). «أكاسرة» جمع «كسرى» (بكسر وفتح الكاف) لقب عام لملوك ايران قبل الإسلام.
- [٧١٧] (٣). «قياصرة» جمع «قيصر» على وزن «حيدر» لقب عام لملوك الروم.
- [٧١٨] (٤). «يحتازونهم» من مادة «حياز» بمعنى التملك والمعنى المراد في هذه العبارة أنهم يقبضونهم عن الأرضي الخصبة.
- [٧١٩] (٥). «ريف» الأرض الخصبة والزراعية.
- [٧٢٠] (٦). «شبح» نبات مر ذات ريحة طيبة.
- [٧٢١] (٧). «مهافى» جمع «مهفى» المواضع التي تهفّ فيها الرياح أى تهب.
- [٧٢٢] (٨). «نكد» بمعنى الشيء القليل.
- [٧٢٣] (١). «عالة» جمع «عائل» الفقير و «عيلولة» قضاء حوائج الآخرين.
- [٧٢٤] (٢). «دبر» جمع «دبرة» على وزن «شجرة» القرحة في ظهر الدابة.
- [٧٢٥] (٣). «وبر» شعر الجمال والمراد في العبارة أنهم رعاة.
- [٧٢٦] (٤). «ياوون» من مادة «إواء» على وزن «كتاب» بمعنى الدخول والسكن في مكان.
- [٧٢٧] (٥). «أزل» بمعنى الشدة؛ وتأتى بمعنى الحبس أيضاً.
- [٧٢٨] (٦). «موؤودة» من «وَأد» على وزن «رعد» تعنى فى الأصل الثقل، ثم اطلقت على البنت التى كانت تدفن وهى حيّة فى عصر الجاهلية أيضاً، لأنهم كانوا يخفونها تحت التراب ويضعون فوقها الكثير من التراب.
- [٧٢٩] (٧). «غارات» جمع «غارة» تعنى فى الأصل الهجوم، وحين يكون الهجوم من كل جانب يقال له «غارات مشنونة».
- [٧٣٠] (٨). «مشنونة» من «شَنّ» على وزن «ظنّ» الهجوم من كل جانب.
- [٧٣١] (١). «سورة الأنفال، الآية ٤٦».
- [٧٣٢] (١). «جداول» جمع «جدول» بمعنى مجرى النهر.
- [٧٣٣] (٢). «فكهين» جمع «فكه» على وزن «خشن» بمعنى الراضين والفرحين فى الأصل من «فكاهة» على وزن «قبالة» بمعنى المزاح والضحك، يقول البعض أنّ أصلها «فاكهة» أى أنّ المزاح حلو كالفاكهة الحلوة.
- [٧٣٤] (٣). «تربعت» من «تربّع» بمعنى الاقامة باطمئنان فى مكان.
- [٧٣٥] (٤). «ذرى» جمع «ذروة» (بضم الذال وكسرها) فوق كل شىء مثل قلة الجبال.
- [٧٣٦] (١). «تغمز» من مادة «غمز» على وزن «همز» تعنى الإشارة بالعين واليد للتعييب وتأتى بمعنى الانحناء وهنا المراد هو المعنى الثانى.
- [٧٣٧] (٢). «قناة» به بمعنى الرمح وتأتى بمعنى العصا أيضاً، ويقال لمسير الماء المستقيم أيضاً وهنا المراد هو المعنى الأول.
- [٧٣٨] (٣). «لا تفرع» من مادة «فرع» على وزن «فرع» يعنى صدم شىء بآخر بحيث يصدر عنهما صوت عالٍ.
- [٧٣٩] (٤). «صفاء» بمعنى الحجر الصلد وفى العبارة كناية عن القوّة.
- [٧٤٠] (١). «نفضتم» من مادة «نفض» على وزن «نفض» بمعنى تحريك الشىء لإخراج ما فى داخله والمراد فى العبارة تقطع عرى الطاعة.
- [٧٤١] (٢). «ثلتم» من مادة «ثلم» على وزن «عزم» بمعنى الخرق والكسر.
- [٧٤٢] (٣). «كنف» بمعنى الحماية.
- [٧٤٣] (٤). «سورة آل عمران، الآية ١٠٣».

[٧٤٤] (٥). وشاهدنا آثار هذا الأمر القرآني وتعليمات الإمام في أيامنا هذه، وقد أعد أعداء الإسلام والاستعمار الغربي خططاً جهنميةً ضد البلدان الإسلامية ولبنان ليسيروا عليها بواسطة عملائهم في المنطقة، لكي تضمن حماية إسرائيل من جانب ولتكون قاعدة من جانب آخر للتداول على سائر البلدان الإسلامية غير أن الشعب اللبناني عبر عن وحدته في ذلك اليوم التاريخي (يوم ٢٦ محرم الحرام ١٤٢٦) ليخرج بتلك المسيرات المليونية ويطلق الشعارات المعادية للامبريالية فأفشل تلك الخطط: «وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ».

[٧٤٥] (١). «تكفؤوا» من مادة «اكفاء» بمعنى الانقلاب.

[٧٤٦] (٢). عاش في عصر الجاهلية؛ وروى حفيده «حميد بن منهب» أن جده أوس بن الحارثة قدم على النبي صلى الله عليه وآله وباعه مع سبعين نفر من قبيلة «طى». (أسد الغابة، ج ١، ص ١٤١).

[٧٤٧] (١). مرجع الضمير في «غيره» هو الإسلام الذي سبق ذكره، كما احتمال البعض أن يكون المراد الله.

[٧٤٨] (٢). جاءت مفردة «لا» في أربعة موارد وردت في هذه الجملة ولو كانت «لا» نافية للجنس لا بد أن يراد جبرائيل وميكائيل والمهاجرون والأنصار بالنصب، كما جاء في بعض النسخ. وإن اعتبرناها «لا» نافية (اللام المشبهة بليس) فلا بد أن تقرأ الكلمات الأربع المذكورة بالرفع كما جاءت في النسخة الموجودة.

[٧٤٩] (٣). «المقارعة» النزاع والقتال والضرب.

[٧٥٠] (٤). العبارة «إِلَّا الْمُقَارَعَةَ بِاللَّيْفِ» يحتمل أن تكون من قبيل الاشتناء المنقطع، إشارة إلى أنه سوف لن يكون لكم من نصير ومعين سوى الضرب بالسيف والذي لا يسعها أن تؤدي إلى النصر مع ما أنتم عليه من الفرقة، وعليه ستهزمون، كما ذهب بعض شراح نهج البلاغة إلى أن العبارة المذكورة استثناء متصل، أي أن معينكم الوحيد سيوفكم التي فيها نصركم، ولكن يبدو أن هذا الاحتمال لا ينسجم مع سياق عبارات الإمام عليه السلام.

[٧٥١] (١). سورة القمر، الآية ١٩.

[٧٥٢] (٢). سورة القمر، الآية ٢٠.

[٧٥٣] (٣). «تستبطئوا» من مادة «استبطاء» «بُطِئَ» على وزن «فعل» ضد السرعة.

[٧٥٤] (٤). «بطش» تعني في الأصل الحصول على شيء بالقوة، وردت بمعنى العقاب لأنهم يقبضون على المجرم بالقوة حين العقوبة.

[٧٥٥] (١). «الحلماء» جمع «حليم» بمعنى العاقل ومن مادة «حلم» على وزن «سُئِلَ» بمعنى العقل.

[٧٥٦] (٢). سورة المائدة، الآيتان ٧٨ و ٧٩.

[٧٥٧] (٣). الكافي، ج ٥، ص ٥٦.

[٧٥٨] (١). «نكت» بمعنى نقض العهد. وأهل النكت إشارة إلى طلحة والزبير وأمثالهما ممن بايع الإمام عليه السلام ثم نقضوا البيعة وقاتلوا الإمام عليه السلام في معركة الجمل وأخيراً قتلوا ويقال لهم الناكثون.

[٧٥٩] (٢). «قاسطون» من مادة «قسط» تأتي بمعنى الظلم والعدالة، وتشير هنا إلى أصحاب معاوية الذين كانوا جاثرين عن الحق وظالمين بحق الناس.

[٧٦٠] (٣). «مارقة» من مادة «مروق» على وزن «غروب» بمعنى الخروج من شيء وغالباً هو السهم حين يطلق من القوس ويتجاوز الهدف، وقيل المارقة للخوارج في النهروان بسبب إفراطهم وتعصبهم وتحجرهم وأنهم كفروا الجميع غيرهم (كالوهابية).

[٧٦١] (١). «دوّخت» من مادة «دوخ» على وزن «فوق» بمعنى أضعف وأذل.

[٧٦٢] (٢). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٦، ص ١٣٠.

[٧٦٣] (٣). أسد الغابة، ج ٤، ص ٣٣.

- [٧٦٤] (٤). «ردهة» النقرة التي يتجمع فيها الماء، ويقال للغرف والصالات الواسعة في البيوت.
- [٧٦٥] (٥). «صعقة» أخذت في الأصل من الصاعقة التي تسبب الهلاك. ثم أطلقت على الهلاك أو الخوف الذي يصيب قلب الإنسان.
- [٧٦٦] (٦). «وجبة» بمعنى السقوط والخفقان والعطل والسكوت، ومفردة «وجبة» تطلق على وقت الطعام.
- [٧٦٧] (٧). «رجة» من مادة «رج» على وزن «حج» بمعنى الاهتزاز والارتعاد.
- [٧٦٨] (١). «اديلن» من مادة «دولة» تعني الانتقال وتأتي أحياناً بمعنى الضعف والمراد هنا هو المعنى الأول؛ أي لأمحقنهم.
- [٧٦٩] (٢). «يتشذر» من «تشذر» أي يتفرق.
- [٧٧٠] (١). جاء هذا الحدث وتتبأ رسول الله صلى الله عليه وآله في كتب السنة المعتمدة (مع اختلاف طفيف) من قبيل: صحيح البخاري، ج ٧، ص ١١١ و ج ٨، ص ٥٢؛ صحيح مسلم، ج ٣، ص ١١٢؛ مسند أحمد، ج ٣، ص ٥٦ و ٦٥؛ مصنف ابن أبي شيبة، ج ٨، ص ٧٤١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٦٦؛ تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٦٠؛ أسد الغابة، ج ٢، ص ١٣٩ وكنز العمال، ج ١١، ص ٣٠٧ فما فوق.
- [٧٧١] (٢). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٦٧ و ٢٦٨؛ البداية والنهاية، ج ٧، ص ٣٣٧.
- [٧٧٢] (٣). راجع، تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٥٤ و ٥٥.
- [٧٧٣] (٤). مصنف ابن أبي شيبة، ج ١٠، ص ٧٤٠.
- [٧٧٤] (٥). المصدر السابق، ص ٧٣٧.
- [٧٧٥] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٧٥-٢٧٧.
- [٧٧٦] (١). «نواجم» جمع «ناجمة» من «نجم» على وزن «حجم» بمعنى الطلوع والظهور ويقال نواجم القرون وهي من قبيل الحاق الصفة بالموصوف.
- [٧٧٧] (١). في ظلال نهج البلاغة (شرح محمد جواد مغنية لنهج البلاغة)، ج ٣، ص ١٥١-١٥٥.
- [٧٧٨] (٢). المصدر السابق، نقلت هذه العبارة عن عبدالرحمن الشرقاوي.
- [٧٧٩] (١). «عرف» بمعنى الرائحة الزكية.
- [٧٨٠] (٢). «خطلة» من مادة «خطل» على وزن «خطر» بمعنى الخطأ الذي ينشأ عن عدم الرؤية.
- [٧٨١] (٣). «فطيم» من «فطام» معروفة.
- [٧٨٢] (٤). «فصيل» ولد الناقة الفطيم.
- [٧٨٣] (١). «رنة» بمعنى العويل والصوت الحزين ويطلق أحياناً على الصراخ الشديد.
- [٧٨٤] (١). سورة الحجر، الآيتان ٣٩ و ٤٠.
- [٧٨٥] (١). أشار المرحوم السيد شرف الدين في كتابه «المراجعات» إلى هذه الحديث وكذلك ومحققو كتاب المراجعات في هوامشهم إلى مصادر عديدة لهذا الحديث. (المراجعات، ص ٢٦١، مراجعة ٢٦). وذكر في كتاب إحقاق الحق أكثر من مئة صفحة حول هذا الحديث ومصادره من كتب السنة (إحقاق الحق، ج ٥، ص ١٣٢-٢٣٨).
- [٧٨٦] (٢). انظر: تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٥٧ و ٥٨.
- [٧٨٧] (٣). أشار إلى أن علي بن أبي طالب عليه السلام كان أول الناس إسلاماً بصورة مفصلة في الجزء الثالث من هذا الكتاب.
- [٧٨٨] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٢٠٨.
- [٧٨٩] (١). بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٧٧ فما فوق.

[٧٩٠] (١). للمرحوم العلامة المجلسي بحث بهذا الخصوص في كتاب بحار الأنوار حيث يعتقد أنه صلى الله عليه وآله كان نبياً قبل البعثة لكنه لم يكن رسولاً. (ج ١٧، ص ٢٧٧-٢٨١) وللфخر الرازي بحث بهذا الشأن في كتاب المحصول (ج ١، ص ٤٢٦، طبعة دارالكتب العلمية).

[٧٩١] (١). «ملاً» يقال لما يملأ العين ويثير التعجب، ولذلك قيل «ملاً» لرؤساء وكبار القوم.

[٧٩٢] (١). «قليب» من مادة «قلب» تعنى التغيير كما وردت بمعنى البشر.

[٧٩٣] (٢). للاطلاع أكثر راجع التفسير الأمثل، ج ١٢، ذيل الآية ٤٤ سورة الاسراء «تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَّا تُفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا».

[٧٩٤] (١). «دوى» بمعنى الصوت القوى والصدى.

[٧٩٥] (٢). «قصف» تعنى فى الأصل الكسر، ويقال «قاصف» للرياح العاتية وكذلك تعنى الصوت الشديد بسبب الأصوات التى تسمع فى العواصف و....

[٧٩٦] (٣). «مرفرف» من مادة «رفرف» تعنى فى الأصل أوراق الأشجار العريضة وكذلك يقال «رفرف» للأقمشة الجميلة والملونة و«مرفرفة» هو الطائر الذى يحرك أجنحته، وكان مراد الإمام فى العبارة أن الشجرة عندما اقتربت للرسول صلى الله عليه وآله كانت أغصانها تتحرك كأنها أجنحة الطائر.

[٧٩٧] (١). «خفيف» يعنى فى الأصل القليل (كمية أو وزناً أو ...) وكذلك يقال خفيف لمن يجرى حركات سريعة بمهارة.

[٧٩٨] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ١٣، ص ٢١٤.

[٧٩٩] (٢). شرح نهج البلاغة للعلامة التستري، ج ٢، ص ٤٦٩.

[٨٠٠] (١). سورة المائدة، الآية ٥٤.

[٨٠١] (١). مجمع البيان، ذيل الآية ١٠٣ من سورة آل عمران: «وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا».

[٨٠٢] (٢). «يغْلون» من «غلل» على وزن «أجل» أو «غلول» على وزن «غروب» بمعنى الخيانة، وتعنى فى العبارة أنهم لا يخونون.

[٨٠٣] (٣). سورة النمل، الآية ٣٤.

[٨٠٤] (٤). سورة القصص، الآية ٨٣.

[٨٠٥] (١). سند الخطبة:

هذه الخطبة من الخطب المعروفة والمعتبرة وردت بأسانيد مختلفة عن غير نهج البلاغة، عاش طائفة من رواها قبل السيد الرضى وطائفة بعده.

قال صاحب مصادر نهج البلاغة: فمن رواها قبل الشريف الرضى المرحوم الشيخ الصدوق فى «الأمالي»، وابن شعبة المعاصر للشيخ الصدوق فى «تحف العقول»، وسليم بن قيس فى كتابه، ونقل ابن قتيبة (المتوفى فى القرن الثالث) قسماً من هذه الخطبة فى كتابه «الزهد» وكتابه «عيون الأخبار» وغيرهم.

هذا قبل السيد الرضى، فقد رواها جماعة من العلماء بأسانيد وصور يعرف منها على أنهم لم يأخذوها عن نهج البلاغة، منهم سبط ابن الجوزى «فى تذكرة الخواص»، وابن طلحة الشافعى فى «مطالب السؤل»، والكرجكى فى «كنز الفوائد» مع اختلاف يسير فى نقلهم. مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٦٥.

[٨٠٦] (١). راجع مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٦٥.

[٨٠٧] (١). مستدرک سفينة البحار، باب التدبير، ج ٣، ص ٤٢١.

[٨٠٨] (١). سورة الأحزاب، الآيتان ٧٠ و ٧١.

- [٨٠٩] (٢). «اقتصاد» من مادة «قصد» بمعنى الاعتدال وتشمل الاعتدال في كل شيء.
- [٨١٠] (٣). سورة الأعراف، الآية ٢٦.
- [٨١١] (٤). سورة الفرقان، الآية ٤٧.
- [٨١٢] (٥). سورة البقرة، الآية ١٨٧.
- [٨١٣] (١). تحف العقول، قسم كلام الإمام الباقر عليه السلام، ص ٢١٨.
- [٨١٤] (٢). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ١٤٠.
- [٨١٥] (٣). وسائل الشيعة، كتاب الجهاد، الباب ٢٨ أبواب جهاد النفس، ح ٢.
- [٨١٦] (٤). «غضّوا» من مادته «غضّ» على وزن «خزّ» كما ورد في الخطبة تعني التقليل، وإن استعملت في العين عنت الخفض أى خفض الرأس بغيه عدم النظر. «غمض» تعني غلق العين.
- [٨١٧] (١). الكافي، ج ٢، ص ٨٠، باب اجتناب المحارم، ح ٢.
- [٨١٨] (٢). ميزان الحكمة، ج ٤، ص ٥٥١ نقلًا عن بحار الأنوار، ج ٧٨، ص ١٠٩.
- [٨١٩] (٣). «رخاء» و«رخوه» تعني في الأصل اللين والضعف وإن استعملت بشأن الحياة فإنها تعني الحياة الهانئة.
- [٨٢٠] (١). الكافي، ج ٢، ص ٦٠، باب الرضا بالقضاء، ح ١.
- [٨٢١] (١). بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٤١٢.
- [٨٢٢] (٢). نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٤.
- [٨٢٣] (١). يقال خفق برأسه إذا أخذته سنة من النعاس فمال رأسه دون سائر جسده.
- [٨٢٤] (١). نقل المرحوم الكليني هذا الحديث في باب حقيقة الإيمان (الكافي، ج ٢، ص ٥٣) وكذلك نقله المرحوم العلامة المجلسي في بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ١٧٤ عن كتاب المحاسن.
- [٨٢٥] (٢). بحار الأنوار، ج ٦٩، ص ٧٠.
- [٨٢٦] (١). سورة يونس، الآية ٦٢.
- [٨٢٧] (٢). كنز العمال، ج ٣، ص ٥٠٢، ح ٧٦١٣.
- [٨٢٨] (٣). نهج البلاغة، خطبة ٢١.
- [٨٢٩] (٤). وسائل الشيعة، ج ١، الباب ٢٢، أبواب آداب دخول الحمام، ح ٣.
- [٨٣٠] (١). نهج البلاغة، القصار الكلمات، الكلمة ص ٥٧٤.
- [٨٣١] (٢). المصدر السابق، الكلمة ٨٢.
- [٨٣٢] (٣). الكافي، ج ٢، ص ٨٩، باب الصبر، ح ٧.
- [٨٣٣] (١). سورة فاطر، الآية ٢٩.
- [٨٣٤] (٢). سورة رعد، الآية ٢٤.
- [٨٣٥] (١). «يستثيرون» من مادة «ثور» على وزن «غور» و«ثوران» على وزن «فوران» بمعنى الهياج و«استثارة» بمعنى التهيج ويعنى في العبارة المذكورة البحث في الآيات القرآنية لشفاء الأمراض الأخلاقية والمعنوية.
- [٨٣٦] (١). «تطلعت» من طلوع «تطلع» بمعنى البحث عن شيء.
- [٨٣٧] (٢). «زفير» و«شهيق» «زفير» في الأصل إخراج الهواء من الرئة و«شهيق» بمعنى إدخال الهواء إلى داخل الرئة؛ لكن صرح البعض أن «زفير» هو إخراج الهواء مع صراخ و«شهيق» هو إدخال الهواء مع وأنين.



- [٨٣٨] (٣). بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٢١١.
- [٨٣٩] (٤). الكافي، ج ٢، كتاب فضل القرآن، باب في قراءته، ح ٢.
- [٨٤٠] (١). «حانون» من مادة «حنو» بمعنى الانعطاف، اذن «حانون» جمع «حاني» بمعنى الشخص الذي ينحني.
- [٨٤١] (٢). «أوساط» جمع «وسط» بمعنى الظهر.
- [٨٤٢] (٣). «جباه» جمع «جبهة» بمعنى الجبين.
- [٨٤٣] (٤). «أطراف» جمع «طرف» بمعنى رأس كل شيء وتعني هنا رأس البنان الذي يوضع على الأرض في السجود.
- [٨٤٤] (٥). «فكاك» و«فك» بمعنى التحرير والتفريق.
- [٨٤٥] (٦). سورة الفرقان، الآيتان ٦٤ و ٦٥.
- [٨٤٦] (١). «براهم» من مادة «برى» على وزن «سعى» بمعنى نحت القلم أو الخشب وتعني هنا التصغير.
- [٨٤٧] (٢). «قداح» جمع «قدح» على وزن «قشر» بمعنى السهم قبل أن يراش.
- [٨٤٨] (٣). «خولطوا» من «خلط» أي مزجوا وتعني هنا الأمر الذي خالط عقولهم، وكما يقال إلتبس عليه الأمر.
- [٨٤٩] (١). سورة المؤمنون، الآية ٦٠.
- [٨٥٠] (٢). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ١٤٦.
- [٨٥١] (٣). «مشفقون» من «اشفاق» بمعنى الرغبة المقرونة بالخوف؛ يعنى خائفون من التقصير فى اعمالهم، كما تعنى من يخشى على آخر يحبه تعرضه لبعض الحوادث.
- [٨٥٢] (١). الغارات، ج ١، ص ٩٠.
- [٨٥٣] (٢). وسائل الشيعة، ج ١، ص ٧٣، الباب ٢٢ من أبواب مقدمات العبادات، ح ٦.
- [٨٥٤] (١). «حزم» الإحكام والاتقان ومادته الأصلية «حزام»، رباط الحيوان (رباط محكم يربط به سرج الحيوان إلى بطنه وورد بمعنى مطلق الربط المحكم).
- [٨٥٥] (٢). «تجمل» من «جمال» التظاهر بالجمال و«تجمل» التظاهر باليسر عند الفقر والفاقة.
- [٨٥٦] (٣). «نشاط» العمل الصادق و«نشاطات» علمية بمعنى الأعمال العلمية.
- [٨٥٧] (١). «تحرج» من مادة «حرج» المشقة. وعندما تتعدى هذه المفردة بالحرف «عن» تعنى الابعاد.
- [٨٥٨] (٢). الكافي، ج ٢، ص ٥١، باب فضل الإيمان على الإسلام، ح ١.
- [٨٥٩] (١). بحار الأنوار، ج ١، ص ٢٢٦.
- [٨٦٠] (٢). سورة المؤمنون، الآية ٢.
- [٨٦١] (٣). سورة البقرة، الآية ٢٧٣.
- [٨٦٢] (٤). سورة البقرة، الآية ١٥٦.
- [٨٦٣] (٥). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٣١٩؛ بحار الأنوار، ج ٧٩، ص ١٣٧، ح ٢٢.
- [٨٦٤] (١). بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٥١.
- [٨٦٥] (٢). الكافي، ج ٥، ص ٧٨.
- [٨٦٦] (٣). سورة المؤمنون، الآية ٥١.
- [٨٦٧] (٤). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ١٨٠.
- [٨٦٨] (١). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ٢١٩.

- [٨٦٩] (٢). «وجل» بمعنى الخوف و«وَجِلَّ» على وزن «خجل» بمعنى الشخص الخائف.
- [٨٧٠] (٣). الكافي، ج ٢، ص ٦٧، كتاب الإيمان والكفر، باب الخوف والرجاء، ح ١.
- [٨٧١] (٤). سورة المؤمنون، الآية ٦٠.
- [٨٧٢] (٥). في ظلال نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٦٩.
- [٨٧٣] (١). مستدرک الوسائل، ج ١٢، الباب ٩٣ من أبواب جهاد النفس وما يناسبه، ح ٥.
- [٨٧٤] (٢). غرر الحكم، ٥٦٦٤.
- [٨٧٥] (٣). وسائل الشيعة، ج ٤، الباب ١٢ من أبواب التعقيب، ح ٧.
- [٨٧٦] (٤). سورة يونس، الآية ٥٨.
- [٨٧٧] (١). «استصعب» من «صعوبة» مأخوذة من «استصعب» بمعنى التصعب وعدم الخضوع.
- [٨٧٨] (٢). سورة هود، الآية ١٠٧.
- [٨٧٩] (٣). سورة السجدة، الآية ١٧.
- [٨٨٠] (١). بحار الأنوار، ج ٢، ص ٣٩، ح ٦٨.
- [٨٨١] (١). «منزور» من مادة «نزر» على وزن «نذر» قليل.
- [٨٨٢] (٢). «حريز» من مادة «حزز» على وزن «قرض» الحفظ و«حريز» الشيء المحفوظ.
- [٨٨٣] (٣). «مكظوم» من مادة «كظم» على وزن «هضم»، ويقال «مكظوم» للشخص الغاضب والذي يتمالك نفسه.
- [٨٨٤] (٤). سفينة البحار، ج ١، ص ٣٠، مادة «أمل»؛ بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٧٣.
- [٨٨٥] (١). سورة يوسف، الآية ٢٤.
- [٨٨٦] (٢). بحار الأنوار، ج ٦٤، ص ٦٠، ح ٣.
- [٨٨٧] (١). بحار الأنوار، ج ٦١، ص ٢٣٨.
- [٨٨٨] (٢). المصدر السابق.
- [٨٨٩] (١). الكافي، ج ٣، ص ١٤٩.
- [٨٩٠] (٢). سورة المؤمنون، الآية ٩٦.
- [٨٩١] (٣). «فحشه» يقال لكل من تجاوز حد الاعتداء وبلغ الحد الفاحش. ولذا يقال فحشاء للأعمال والأقوال القبيحة والمنكرة، وأخذت المفردتان فاحشة وفحشاء من هذا أيضاً.
- [٨٩٢] (١). الكافي، ج ٢، ص ١٠٣.
- [٨٩٣] (٢). «زلزل» جمع «زلزلة» و«زلزال» بمعنى الحركة الشديدة والصعبة. ويقال الزلازل للشدائد من الأحداث.
- [٨٩٤] (٣). «وقور» من «وفر» على وزن «فقر» تعنى فى الأصل الثقل ويقال الوقور للشخص الذى لا يضطرب.
- [٨٩٥] (٤). الكافي، ج ٢، ص ٢٤١.
- [٨٩٦] (١). «يحييف» من مادة «حيف» تعنى الظلم فى الأصل و«لا يحييف» أى لا يظلم.
- [٨٩٧] (٢). سورة المائدة، الآية ٨.
- [٨٩٨] (٣). سورة الأنعام، الآية ١٥٢.
- [٨٩٩] (١). بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١١٢.
- [٩٠٠] (٢). «ينابز» من مادة «نبر» على وزن «نبض» نعت الآخرين بلقب سيىء و«التنابز بالألقاب» أن يدعو الآخرين ويذكرهم بألقاب

سيئة.

[٩٠١] (٣). «يشمت» من «شمتة» بمعنى التقريع والفرح لحزن الآخرين.

[٩٠٢] (٤). سورة المؤمنون، الآية ٩.

[٩٠٣] (٥). سورة الأعراف، الآية ٢٠١.

[٩٠٤] (١). سورة الحجرات، الآية ١١.

[٩٠٥] (٢). نهج البلاغة، الرسائل، ٤٧.

[٩٠٦] (٣). الكافي، ج ٢، ص ٣٥٩.

[٩٠٧] (١). الكافي، ج ٢، ص ١٤٤.

[٩٠٨] (١). غررالحكم.

[٩٠٩] (٢). سورة غافر، الآية ٣٩.

[٩١٠] (١). جاءت في النسخة علامة الاستفهام على رأس «هكذا»؛ لكنها لم تذكر في الكثير من النسخ القديمة وشرح نهج البلاغة وهو الأنسب.

[٩١١] (٢). سورة الأعراف، الآية ١٤٣.

[٩١٢] (١). ذكر المرحوم العلامة التستري في شرحه نهج البلاغة، ج ١٠، ص ٤٥٩ نماذج منها.

[٩١٣] (٢). شرح نهج البلاغة للتستري، ج ١٢، ص ٤٦٢.

[٩١٤] (١). راجع الأقوال العشرة، ص ٧-١١.

[٩١٥] (١). سند الخطبة:

أشار صاحب مصادر نهج البلاغة إلى مصدرين لإثبات نقل الخطبة من أشخاص غير السيد الرضى؛ الأول: ما رواه المير يحيى العلوى في كتاب الطراز الذى ذكر جوانب من الخطبة مع بعض الاختلافات ما يدل على أنه أخذها من غير نهج البلاغة. والثانى: ما ذكره الآمدى فى غرر الحكم. (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٦٩).

[٩١٦] (١). «زاد» من مادة «زود» على وزن «ذوق» الدفع والطرود.

[٩١٧] (١). سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

[٩١٨] (٢). مجمع البيان، ذيل الآية ١٠٣، سورة آل عمران، رواه أبوسعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وآله.

[٩١٩] (٣). سورة إبراهيم، الآية ٣٤.

[٩٢٠] (٤). «غمرة» من «غمر» على وزن «خمر» إزالة أثر الشيء ثم اطلقت الغمرة والغامر على ما ازدحم وكثر من الماء.

[٩٢١] (٥). «غصة» تعنى فى الأصل الماء والغذاء وكل ما يحشر فى الحلقوم وحيث يشعر الإنسان بأن شيئاً يحشر فى حلقه عند الغم فقد عبر عن ذلك بالغصة.

[٩٢٢] (١). «أدنون» جمع «أدنى» بمعنى القريب، وعليه «أدنون» يعنى الأقرباء فى مقابل «أقصون» الأبعاد.

[٩٢٣] (٢). «تألّب» من مادة «ألّب» على وزن «أمر» بمعنى التجمع من كلّ حذب وصبوب كما تستعمل بمعنى تعبئة الآخرين وحشدهم ضد شخص معين أو جماعة.

[٩٢٤] (٣). «أعنة» جمع «عنان» وهو حبل اللجام.

[٩٢٥] (٤). «رواحل» جمع «راحلة» بمعنى المركب وغالباً ما تعنى الناقة.

[٩٢٦] (٥). «أسحق» من مادة «سحق» على وزن «فقل» بمعنى أقصى كما تعنى اسحق أقصى نقطة.

[٩٢٧] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ١٦٥.

[٩٢٨] (١). «الزائون المزؤون» من مادة «زلة» بمعنى الخطأ والزلل.

[٩٢٩] (٢). «يفتون» من «افتنان» من مادة «فن» بمعنى التزيين «يفتون افتناناً» بمعنى تزيينهم لأعمالهم بأشكال مختلفة لخداع الآخرين.

[٩٣٠] (١). سورة البقرة، الآية ١٤.

[٩٣١] (٢). «يعمدونكم» من مادة «عمد» المراد أنهم يعتمدون كل وسيلة للقدح بكم.

[٩٣٢] (٣). «يرصدونكم» من «رصد» على وزن «صدف» بمعنى الاستعداد للمراقبة وبمعنى التربص والارتقاب.

[٩٣٣] (٤). «دوية» من مادة «دوي» من «دوا» بمعنى المرض ودوي (صفة مشبهة على وزن فعيل) بمعنى المريض ومؤنثه دوية ولكن

دواء على وزن دمار من هذه المادة بمعنى ما يعالج به المرض.

[٩٣٤] (١). «صفاح» جمع «صفح» بمعنى صفحة الوجه أو الورقة وأمثال ذلك وتشير هنا إلى أن ظاهر المنافقين طاهروباطنهم سييء.

[٩٣٥] (٢). «يدبون» من «ديب» أي يمشون على هيئة الديدب ببطء وتأنى وشمل كل متحرك من حيث المفهوم اللغوي سواء كان

يمشى سريعاً أم بطيئاً.

[٩٣٦] (٣). «ضراء» يعنى الأرض الواسعة التي تلتف فيها الأشجار وتلجأ إليها الحيوانات الصحراوية للاختفاء.

[٩٣٧] (٤). «عياء» من «عي» بمعنى العجز و«داء العياء» يراد بها هنا المرض الذي أعجز الأطباء علاجه (العياء هنا مصدر له معنى

الصفة).

[٩٣٨] (٥). «حسدة» جمع «حاسد» مثل «قتلة» جمع «قاتل» بمعنى الشخص الذي يحسد.

[٩٣٩] (٦). سورة آل عمران، الآية ١٢٠.

[٩٤٠] (١). سورة محمد، الآية ٧.

[٩٤١] (٢). سورة آل عمران، الآية ١٣٩.

[٩٤٢] (٣). «صرع» من «صرع» على وزن «فرع» بمعنى المطروح على الأرض وله معنى اسم المفعول بمعنى المطروح.

[٩٤٣] (٤). «شجو» بمعنى الحزن.

[٩٤٤] (١). «أحفوا» من «الحاف» بمعنى الإصرار والإلحاح في الطلب.

[٩٤٥] (٢). «عدلوا» من «عدل» على وزن «هزل» بمعنى لاموا.

[٩٤٦] (٣). سورة البقرة، الآية ٢٧٣.

[٩٤٧] (٤). سورة البقرة، الآية ٢٠٥. والتفسير فوق أحد تفاسير هذه الآية.

[٩٤٨] (١). صحيح مسلم، ج ٨، ص ١٨٥ وسفينه البحار، مادة «عمر» وسائر مصادر الفريقين.

[٩٤٩] (٢). «إعلاق» جمع «علق» على وزن «حزب» الأشياء المحببة أو الشيء النفيس.

[٩٥٠] (٣). «يموهون» من «تمويه» بمعنى تزيين الشيء للاضلال ومزج الحق بالباطل.

[٩٥١] (١). «أضلعوا» في الأصل من مادة «ضلع» وبسبب عوج الاضلاع فإن «اضلاع» يعنى يجعلونها معوجة.

[٩٥٢] (٢). «لئة» تعنى الجماعة من النساء والرجال من ثلاثة إلى العشرة وتشير هنا إلى قلة عددهم وكثرة خطرهم.

[٩٥٣] (٣). «حمة» تعنى السم ويقال «حمة» لكل ما يلسع، مثل حمة وحرارة الشمس.

[٩٥٤] (٤). سورة المجادلة، الآية ١٩.

[٩٥٥] (١). سورة الأحزاب، الآية ١٣.

[٩٥٦] (١). سند الخطبة:

هذه الخطبة من خطب نهج البلاغة المحدودة التي لا مصدر لها سوى نهج البلاغة.

[٩٥٧] (١). «مقل» جمع «مقلّة» على وزن «غرفة» الجانب المحيط بالعين الذي يشمل السواد والبياض وقد شبه الإمام عليه السلام العقل هنا بالإنسان الذي له عين باصرة تطلع إلى الأشياء العجيبة فتندهبش لها.

[٩٥٨] (٢). «هماهم» جمع «همهمة» بمعنى الصوت الخفى الذى يطرق الأذن ولكن لا تدرك معناه.

[٩٥٩] (١). «إذعان» من «ذعن» على وزن «وطن» بمعنى الخضوع والإنقياد والطاعة، ومن هنا كان فى المرحلة الرابعة التى ذكرها الإمام عليه السلام فى العبارة، الإيمان واليقين والإخلاص ونتيجة ذلك الطاعة والإنقياد.

[٩٦٠] (٢). سورة البقرة، الآية ١٣٨.

[٩٦١] (١). «دارسة» من مادة «دراسة» تعنى تكرار الشيء وبما أن الاستاذ يكرر المطلب حين التعلم لذلك يقال درس كما ترد هذه المفردة بمعنى التآكل والاندفاع وهذا هو المعنى المراد فى الخطبة حيث إن الحوادث المتتالية والرياح والأمطار تؤدى إلى إندثار المباني فقد استعملت بهذا المعنى.

[٩٦٢] (٢). «طامسة» من «طمس» على وزن «شمس» بمعنى محو زوال آثار الشيء، كما وردت بمعنى الإزالة.

[٩٦٣] (٣). «صدع» من مادة «صدع» على وزن «صبر» مطلق الشق أو شق الأجسام القوية كما وردت بمعنى الاتضح حيث يتضح باطن الشيء بشقه وهذا هو المعنى الذى أريد بها فى الخطبة.

[٩٦٤] (١). «همل» من مادة «همل» على وزن «حمل» تعنى فى الأصل ترك الجمال دون راعٍ، ثم اطلقت على كل شخص أو عمل دون مشرف.

[٩٦٥] (١). سورة المؤمنون، الآية ١١٥.

[٩٦٦] (٢). «استفتحوا» من مادة «فتح» تعنى فى الأصل الفتح، وعليه فالاستفتاح طلب الفتح والعون.

[٩٦٧] (٣). «استنجحوا» من «نجاح» السهولة والوصول إلى المطلوب.

[٩٦٨] (٤). «استمنحوا» من مادة «منح» على وزن «منع» تعنى فى الأصل اعطاء لبن الحيوان للحيوان ثم اطلقت على مطلق البذل والعطاء، وعليه استمنح تعنى التماس العطاء.

[٩٦٩] (١). «يثلم» من مادة «ثلم» على وزن «صبر» و«ثلمة» على وزن «ضربة» تعنى فى الأصل كسر جانب الشيء، ثم اطلق على كل ما يسبب كسراً لشخص أو شيء.

[٩٧٠] (٢). «جباء» من مادة «حبو» على وزن «ختم» تعنى فى الأصل العطاء دون مكافأة وهذا هو المعنى المراد.

[٩٧١] (٣). «يلوى» من مادة «لوى» على وزن «حوى» بمعنى الاعراض والانحراف والميل.

[٩٧٢] (٤). «توله» من «وله» على وزن «فرح» بمعنى الذهول من شدة الهم والغم ولذلك يقال الواله للعاشق المغمووم.

[٩٧٣] (١). «يجن» من مادة «جن» على وزن «فن» أى يستره ولذا يقال لمن ستر عقله مجنون وكذلك يقال لطائفه الجن بسبب سترهم؛ ويقال كذلك للجنين فى رحم أمه، ويقال «جنه» للبهائم التى سترت أرضها بالأشجار والنباتات.

[٩٧٤] (٢). «دان» من مادة «دين» على وزن «غير» تعنى أحياناً القرض وأحياناً الجزاء والحساب وهو المعنى المطلوب.

[٩٧٥] (٣). «لم يذراً» من «ذراً» على وزن زرع؛ بمعنى الخلق.

[٩٧٦] (٤). «كلال» له معنى المصدر واسم المصدر ويعنى التعب.

[٩٧٧] (١). سورة مريم، الآية ٦٣.

[٩٧٨] (٢). سورة الأعراف، الآية ٩٦.

[٩٧٩] (٣). «وثائق» جمع «وثيقة» ما يعتمد عليه.

- [٩٨٠] (٤). «حقائق» جمع حقيقة، معناه معروف، ولكن أخذه بعض شراح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) بمعنى الرأية الذي لم يعثر عليه في أى قاموس لغوى.
- [٩٨١] (٥). «تؤل» التى كانت فى الأصل «تؤل» وجزمت لأنها وقعت جزاء لشرط مقدر، فأصبحت تؤل) من مادة «أول» على وزن «قول» بمعنى العوده، وعلى هذا الأساس فإن العبارة «تؤل بكم» تعنى أنها تعيدكم.
- [٩٨٢] (٦). «أكنان» جمع «كن» على وزن «جن» بمعنى الستر والحاجز.
- [٩٨٣] (٧). «دعه» بمعنى الاستراحة والهدوء.
- [٩٨٤] (٨). «معقل» جمع «معقل» على وزن «مسجد» بمعنى الملجأ والحصن ويقال أحياناً للجبال العالیه التى تحمى الناس من الفيضانات وغيرها.
- [٩٨٥] (١). «تشخص» من مادة «شخوص» بمعنى تركيز العين على نقطه معينه وإمتناعها عن الحركة، وهذه العبارة فى الغالب كناية عن الرعب والخوف.
- [٩٨٦] (٢). «صروم» جمع «صرم» على وزن «فعل» وهو القاطع من الناقه وقيل فيما بعد لمجموعه الناس أو غيرهم أيضاً.
- [٩٨٧] (٣). «عشار» جمع «عشراء» على وزن «وكلا» وهى الناقه مضى لحملها عشرة أشهر وهى نفيسه من حيثها وابنها الكامل فى بطنها وهذه المفردة كناية عن الشىء الغالى والنفيس.
- [٩٨٨] (٤). سورة الحج، الآية ٢.
- [٩٨٩] (٥). «تزهق» من «زهوق» على وزن «غروب» بمعنى الهلاك.
- [٩٩٠] (٦). «مهجه» تعنى فى الأصل الدم الموجود فى القلب والذى ترتبط بحياء الإنسان، ثم اطلقت هذه المفردة على القلب.
- [٩٩١] (٧). «تبكم» من «بكم» على وزن «قلم» بمعنى الخرس وعدم تحرك اللسان و«بكم» على وزن «قفل» جمع «أبكم» تعنى الفرد الأصم والأبكم.
- [٩٩٢] (٨). «شتم» جمع «أشتم» أى الرفيع.
- [٩٩٣] (٩). «شوامخ» جمع «شامخ» بمعنى العالى. وعلى هذا الأساس «الشّم الشوامخ» على سبيل التأكيد على علو الجبال.
- [٩٩٤] (١٠). «صم» جمع «أصم» تأتى بمعنى الأصم وكذلك الضخور الثقيله وهو المراد فى العبارة.
- [٩٩٥] (١١). «رواسخ» جمع «راسخ» بمعنى الثابت والصلد.
- [٩٩٦] (١). «صلد» يقال للصر الصلب الأملس الذى لا يثبت عليه شىء، وتأتى أيضاً بمعنى الصعب البخيل أيضاً والمراد هنا هو المعنى الأوّل.
- [٩٩٧] (٢). «رقرق» بمعنى الدمع الذى يحيط بالعين ويلمع ولا يخرج منها، ثم اطلق على كل قليل وخفيف وكذلك تعنى اللمعان والبريق.
- [٩٩٨] (٣). «معهد» المكان الذى يرجع إليه وتطلق هذه المفردة اليوم على المدارس. و«معهدا» تعنى محل الجبال.
- [٩٩٩] (٤). «قاع» تعنى الأرض المستويه.
- [١٠٠٠] (٥). «سملق» الأرض المستويه التى لا يوجد فيها مكان أعلى من الآخر.
- [١٠٠١] (٦). سورة الحج، الآيتان ١ و ٢.
- [١٠٠٢] (٧). سورة الزمر، الآية ٦٨.
- [١٠٠٣] (١). سورة غافر، الآية ١٨.
- [١٠٠٤] (٢). سورة الروم، الآية ٥٧.

[١٠٠٥] (٣). سورة الأنبياء، الآية ٢٨.

[١٠٠٦] (١). سند الخطبة:

روى الآمدى بعضها (في غرر الحكم في حرف الالف) كما روى بعض ممّا في الخطبة ١٩٢ مع جوانب من هذه الخطبة والخطبة ١٩١ وهذا يدل على أنّ الخطبتين خطبة واحدة (وأنّ الآمدى أخذها من مصدر آخر غير نهج البلاغة) (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٧٤).

[١٠٠٧] (١). «سطوع» بمعنى الصعود والاتساع والنور الساطع الذي يضيء ما حوله.

[١٠٠٨] (١). سورة الجمعة، الآية ٢.

[١٠٠٩] (٢). «شخص» بمعنى الظهور والطلوع أو الانتقال من محل إلى آخر وهذا هو المعنى المراد بهذه العبارة.

[١٠١٠] (٣). «تقصفها» من مادة «قصف» على وزن «حذف» بمعنى الكسر.

[١٠١١] (٤). «لجج» جمع «لجج» البحر العميق.

[١٠١٢] (٥). «وبق» من مادة «وبق» على وزن «فقر» بمعنى الهالك صيغة «وبق» على وزن «خشن» له معنى الصفة.

[١٠١٣] (٦). «تحفزه» من مادة «حفز» على وزن «لفظ» بمعنى الدفع قدماً والطرّد.

[١٠١٤] (١). «سكان» ما يشبه مقود المركبة الذي يقود السفينة إلى اليمين واليسار.

[١٠١٥] (٢). الكافي، ج ١، ص ١٦.

[١٠١٦] (١). «لذنة» من مادة «لدانة» على وزن «شبانة» يعنى اللين قبل حلول الشيخوخة والذبول وقلة الحركة.

[١٠١٧] (٢). «منقلب» محل الرجوع وهو إشارة هنا إلى ميدان العمل.

[١٠١٨] (٣). «فسيح» من مادة «فسح» على وزن «مسح» بمعنى الواسع.

[١٠١٩] (٤). «ارهاق» من «رهق» على وزن «شفق» بمعنى الضغط على شخص، كما وردت بمعنى الإقتراب، وعليه «ارهاق الفت»

يمكن أن تكون إشارة إلى الضغط من حيث الموت أو إقترابه.

[١٠٢٠] (١). سند الخطبة:

رواها المرحوم الشيخ المفيد قبل السيد الرضى مع اختلاف طفيف في كتاب المجالس، كما ذكر أغلبها الآمدى في غرر الحكم في حرف الواو. وفي رواية الآمدى إضافات تفيد أنه استقها من مصدر آخر غير نهج البلاغة (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٧٥ و ٧٦).

[١٠٢١] (١). ورد في هذه الخطبة الكلمة «ولقد» خمس مرات حيث تؤكد كل واحدة منها موضوعاً معيناً، ويرى بعض شراح نهج

البلاغة أنّ الواو هنا هي واو القسم، بينما ذهب بعض اساتذة العريية إلى أنّ الواو استثنائية واللام جواب القسم، ويعتقدون أنّ القسم محذوف تقديره «وأقسم بالله لقد...». وجاء في كتاب مغنى اللبيب المشهور أنّ اللام في هذه الموارد هي لام القسم؛ لكن قال

أبوحيان: إنّ اللام في الآية «ولقد علمتم...» لام الابتداء للتأكيد، وربما سبقت بقسم محذوف، (مغنى اللبيب، حرف «لام») ويحتمل أن لا يكون قسم في العبارة، بل «لام» و«قد» كلاهما للتأكيد، ولذلك لم يذكر أغلب المترجمين معنى القسم هنا في الترجمة.

[١٠٢٢] (١). سورة التوبة، الآية ٥٨.

[١٠٢٣] (٢). انظر: المصنّف عبدالرزاق الصنعاني، ج ٥، ص ٣٣٩. وكذلك نقل هذا الحديث السيوطى في الدرّ المثثور، ج ٦، ص ٧٧

ذيل الآية ٢٦ سورة الفتح، والطبرى في تاريخه المعروف في ج ٢، ص ٢٨٠ حوادث سنة ٦ للهجرة.

[١٠٢٤] (١). «واسيت» و«آسيت» كلاهما من مادة واحدة ولهما معنى واحد؛ كلاهما من «أسى» على وزن «سعى» بمعنى الاشتراك في

الشيء و«مواساة» بمعنى إشراك الآخرين في المال والإمكانات الدنيوية.

[١٠٢٥] (٢). «تنكص» من مادة «نكص» على وزن «عكس» يعنى العودة إلى الوراء وتطلق على انسحاب الجيش من المعركة و«نجدة»

بمعنى الشجاعة والصمود مقابل العدو.

[١٠٢٦] (٣). انظر: تاريخ الطبري، ج ٢، ص ١٩ (حوادث السنة الثالثة).

[١٠٢٧] (٤). المصدر السابق، ص ٢٣٩ (حوادث السنة الخامسة).

[١٠٢٨] (٥). المصدر السابق، ص ٣٠٠ (حوادث السنة السابعة).

[١٠٢٩] (٦). المصدر السابق، ص ٣٤٧ (حوادث السنة الثامنة).

[١٠٣٠] (١). انظر: شرح نهج البلاغة لابن ميثم وابن أبي الحديد؛ وفي ظلال القرآن للشيخ محمد جواد معني، (ذيل الخطبة).

[١٠٣١] (٢). سورة زمر، الآية ٤٢.

[١٠٣٢] (٣). منهاج البراعة، للمحقق الخوئي ونهج الصباغة للمحقق التستري (ذيل خطبة).

[١٠٣٣] (١). «أفنية» جمع «فناء» على وزن «غناء» ما اتسع أمام الدار وجوانبه.

[١٠٣٤] (٢). «هينمة» تعني الصوت الخفي.

[١٠٣٥] (٣). «وارينا» من مادة «واراء» ومن مادة «ورى» على وزن «نقى» بمعنى الكتمان والتغطية وتعني هنا الدفن.

[١٠٣٦] (١). بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٤٩٢.

[١٠٣٧] (٢). «مزلّة» من مادة «زلل» على وزن «ضرر» مكان الزلل الموجب للسقوط في الهلكة.

[١٠٣٨] (١). كتب المرحوم العلامة التستري في شرحه نهج البلاغة: ج ٤، ص ٨٨ هذه الخطبة من الخطب التي ألقاها أمير المؤمنين

عليه السلام في صفين حسب نقل نصر بن مزاحم في كتاب صفين.

[١٠٣٩] (١). صحيح البخاري، كتاب العلم، ح ١١٤ وكتاب المرضى، ح ٥٦٦٩.

[١٠٤٠] (٢). سورة آل عمران، الآية ١٤٤.

[١٠٤١] (٣). جاء في تاريخ الطبري أنه لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاء، كان أبو بكر في موضع «سُيخ» في أحد

أطراف المدينة، وحين توفي صلى الله عليه وآله نهض عمر وقال: يظن بعض المنافقين أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد مات،

والله إنه لم يمت وإنما رفعه الله إليه، كما غاب موسى عن قومه أربعين ليلة ثم عاد (وسوف يعود رسول الله صلى الله عليه وآله) فلما

علم أبو بكر ذهب إلى بيت النبي فعلم بوفاة النبي صلى الله عليه وآله ورجع إلى المسجد وكان عمر ما زال يحدث الناس فقاطعه

أبو بكر وقال ما ورد سابقاً. (تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٤٤٢ حوادث سنة ١١).

[١٠٤٢] (١). ورد في المصادر الروائية لأهل البيت عليهم السلام أن علياً عليه السلام قال: إن أشرف موضع هو الموضع الذي قبض فيه

الله نبيّه صلى الله عليه وآله؛ ومن هنا دفن في بيته. (الكامل البهائي، ج ١، ص ٢٨٥، تأليف عماد الدين الطبري).

[١٠٤٣] (٢). الملل والنحل للشهرستاني، ص ١٦-١٩، طبعة دار الفكر بيروت، (بتلخيص).

[١٠٤٤] (١). سند الخطبة:

قال صاحب مصادر نهج البلاغة: ما ذكره السيد الرضى هنا في الخطبة ١٠٤ (الخطبة ١٠٦ حسب التسلسل في هذا الكتاب) واحد كما

يتضح من التأمل في العبارات (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٨٢)؛ لكنه لم يذكر لذلك مصدراً آخر غير نهج البلاغة، وتفيد سائر

الدراسات والتحقيقات عدم وجود مصدر آخر غير نهج البلاغة. وللأسف فقد ذكرت في بعض الكتب (مثل نهج البلاغة نسخة

المعجم المفهرس للنشر الإسلامي التابع لجماعة المدرسين) ستة مصادر غير نهج البلاغة لهذه الخطبة وليس فيها حتى مصدر صحيح

واحد؛ إلا أن مضمون الخطبة ورفعتها لا يمكن أن تصدر من غير الإمام، وهذا دليل على قوة سندها.

[١٠٤٥] (١). «عجيج» من مادة «عجج» على وزن «حجج» بمعنى الصراخ وتستعمل غالباً للحيوانات.

[١٠٤٦] (٢). «فلوات» جمع «فلاة» بمعنى الأرض الواسعة والقاحلة ويقال أحياناً للصحراء.

[١٠٤٧] (٣). «نينان» جمع «نون» تعني السمكة الكبيرة ويقال أيضاً للحوت.



- [١٠٤٨] (٤). «غامرات» من مادة «غمر» على وزن «عمد» بمعنى محو شىء. ثم اطلقت على المياه التي تغطي الأرض أو موجوداته، والبحر الغامر هو البحر العميق.
- [١٠٤٩] (٥). «عاصفات» جمع «عاصفه» من مادة «عصف» على وزن «حذف» تعني القشَّة و«عاصف» الرياح الشديدة التي تفرق القش والأوراق اليابسة أو تفرق الأشياء كالقشَّة.
- [١٠٥٠] (١). «نجيب» من «نجابه» تعني المختار المصطفى وكل غال ونفيس.
- [١٠٥١] (٢). سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.
- [١٠٥٢] (٣). سورة التكوير، الآية ٢٠.
- [١٠٥٣] (٤). مجمع البيان، ذيل الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء.
- [١٠٥٤] (١). «مفزع» من مادة «فرع» بمعنى الخوف وتعني مفردة (مفزع) الملقب، لأنَّ الإنسان يلجأ إليها في خوفه.
- [١٠٥٥] (٢). سورة يونس، الآية ١٠٧.
- [١٠٥٦] (٣). سورة النحل، الآية ٥٣.
- [١٠٥٧] (٤). «عشا» من «عشو» على وزن «نشر» بمعنى ضعف العين أو البحث عن شىء بعين ضعيفه و«عشا» اسم مصدر تعني ضعف البصر.
- [١٠٥٨] (٥). «جأش» بمعنى ما يضطرب في القلب عند الفزع ومن حيث إنَّ القلب (الروح) هو مركز هذه الأمور فيقال أحياناً جأش للقلب أيضاً ويمكن للثان أن يكونا المعنى المراد.
- [١٠٥٩] (٦). بحار الأنوار، ج ٥٩، ص ٢٩١.
- [١٠٦٠] (١). سورة النمل، الآية ٨٩.
- [١٠٦١] (١). «منهل» بمعنى المكان الذي يصلون منه إلى الماء ومن مادة «نهل» على وزن «محل» بمعنى ابتداء شرب الماء.
- [١٠٦٢] (٢). «ورود» تعني في الأصل الذهاب قرب الماء، ثم اتسع معناها ليشمل الدخول في كل شىء.
- [١٠٦٣] (٣). «درك» على وزن «سَمَك» بمعنى اللحاق والوصول والتعويض عن شىء.
- [١٠٦٤] (٤). «أوار» على وزن «غبار» بمعنى حرارة الشمس ولهيبها وتطلق أحياناً على العطش الناتج منه.
- [١٠٦٥] (١). سورة نوح، الآيات ١٠-١٢.
- [١٠٦٦] (٢). «عزبت» من مادة «عزوب» على وزن «غروب» تعني في الأصل الغياب والبعد عن العائلة ليجاد مرتع للبهائم ثم اطلقت على كل غياب وابتعاد. ويقال كذلك للرجال والنساء البعدين عن أزواجهم، أو يقال «عزب» على وزن «عَرَب» لمن لم يختر زوجة بعد.
- [١٠٦٧] (٣). «احلوت» في الأصل من «حلو» على وزن «حكم»، معروف و«احلوت» التي من باب المزيد فيه أخذت معنى الكثرة؛ وعلى هذا الأساس فإنَّ «احلول» يعنى الكثير الحلاة، مثل «اعشوشب» بمعنى الكثير العشب.
- [١٠٦٨] (٤). «انصاب» مصدر باب الأفعال بمعنى الاتعاب من مادة «نصب» على وزن «نَسَب» بمعنى التعب.
- [١٠٦٩] (٥). «هطل» بمعنى نزول المطر المتواصل.
- [١٠٧٠] (٦). «قحوط» بمعنى المجاعة.
- [١٠٧١] (١). «تحدبت» من مادة «حدب» على وزن «أدب» تعني في الأصل الأراضى العالية بين الأراضى الواطئة، وكذلك يقال «حدب» للبروز فوق الجسم وكذلك يقال للشىء الذى يحيط بآخر وهو المعنى المقصود في العبارة.
- [١٠٧٢] (٢). «نضوب» تعني في الأصل ذهاب الماء في الأرض، ثم اطلقت على القضاء على كل شىء.

[١٠٧٣] (٣). «وبلت» من مادة «وبل» على وزن «جبل» بمعنى المطر الشديد ذى القطرات الكبيرة وهنا تعنى سقوط البركات الإلهية بكثرة.

[١٠٧٤] (٤). «إرذاذ» بمعنى سقوط المطر الخفيف.

[١٠٧٥] (٥). سورة الأعراف، الآية ٩٦.

[١٠٧٦] (٦). سورة الطلاق، الآيتان ٢ و ٣.

[١٠٧٧] (٧). سورة البقرة، الآية ١٨٣.

[١٠٧٨] (١). «اصطنع» من مادة «اصطناع» على وزن افتعال بمعنى التحضير والتنمية والتكبير لشيء.

[١٠٧٩] (٢). سورة آل عمران، الآية ٨٥.

[١٠٨٠] (٣). سورة طه، الآية ٣٩.

[١٠٨١] (٤). بحار الأنوار، ج ٦٦، ص ٢٣٧، ح ٥. والآية الواردة فى النص هى، الآية ٣١ سورة آل عمران.

[١٠٨٢] (٥). «محاذى» من «محاذة» بمعنى المخالفة والعداوة ومادته الأصلية «حدّ» التى تعنى نهايةً وطرف كلّ شىء وذلك لأنّ العدو يكون فى الطرف الآخر. «محاذة» بمعنى المخالفة) جدير ذكره أنّ «محاذى» فى الأصل «محاذين» اسم فاعل صيغته الجمع وحذفت النون للإضافة).

[١٠٨٣] (١). «أتأق» من مادة «تأق» بمعنى الامتلاء وإن وردت فى باب الأفعال عنت الملىء.

[١٠٨٤] (٢). «مواتح» جمع «ماتح» بمعنى من يسحب الماء من البئر.

[١٠٨٥] (٣). سورة الصف، الآية ٩.

[١٠٨٦] (٤). سورة الصف، الآية ٨.

[١٠٨٧] (٥). «عفاء» بمعنى القدم والاندراس وهى فى الأصل من عفوية معنى صرف النظر عن شىء ولأنّ صرف النظر يؤدى إلى قدم واندراس الشىء استخدمت هذه المفردة فى العبارة الفوق.

[١٠٨٨] (١). سورة الأحزاب، الآية ٤٠.

[١٠٨٩] (٢). «ضنك» بمعنى الضيق وهى تستخدم دائماً مفردة.

[١٠٩٠] (٣). «وعوثه» بمعنى المشقة والعسر.

[١٠٩١] (٤). «وضح» من مادة «وضوح» بمعنى الظهور والتبيان.

[١٠٩٢] (٥). «انتصاب» من مادة «نصب» يعنى الوقوف.

[١٠٩٣] (٦). «عصل» بمعنى الاعوجاج.

[١٠٩٤] (٧). «فجّ» تعنى فى الأصل الوادى؛ أى الطريق الواسع بين جبلين. ثم اطلقت على الطرق العامة بصورة عامة.

[١٠٩٥] (٨). ورد هذا الحديث فى العديد من كتب الشيعة والسنة منها فى المحصول للفخر الرازى ج ٥، ص ١٧٥، وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ١٥، ص ١٤٤؛ الكافى، ج ٥، ص ٤٩٤.

[١٠٩٦] (١). «أساخ» من مادة «سوخ» على وزن «صوت» بمعنى الغوص فى شىء ما وإن وردت فى باب الأفعال عنت الغوص والخوض.

[١٠٩٧] (٢). «أسناخ» جمع «سنخ» على وزن «صبر» بمعنى الأصل.

[١٠٩٨] (٣). «أساس» جمع «أساس» بمعنى عمود البناء.

[١٠٩٩] (٤). «غزرت» من مادة «غزارة» بمعنى الكثرة.

- [١١٠٠] (١). «سَفَار» جمع «سافر» بمعنى المسافر.
- [١١٠١] (٢). الكافي، ج ٢، ص ١٨، باب دعائم الإسلام، ح ١.
- [١١٠٢] (٣). سورة المائدة، الآية ٣.
- [١١٠٣] (١). سورة آل عمران، الآية ٨٥.
- [١١٠٤] (٢). منهاج البراعة، ج ١٢، ص ٢٩٤.
- [١١٠٥] (٣). «معوز» من مادة «اعوزاز» بمعنى الازمة والقلة.
- [١١٠٦] (١). «اطّلاع» من مادة «طلوع» بمعنى الظهور والإتيان والاشراف والعلم بشيء.
- [١١٠٧] (٢). «ساق» تعنى فى الأصل ساق الإنسان ولأنّ الإنسان يقف على ساقه فى الأعمال الصعبة والمعقدة، لذا أصبحت هذه المفردة كناية عن الشدّة والمشقّة.
- [١١٠٨] (٣). «مهاد» تعنى فى الأصل الفراش، ثم اطلقت على الأراضى المستوية بصورة عامة.
- [١١٠٩] (٤). «أزف» من مادة «ازوف» على وزن «وقوف» بمعنى التقرب.
- [١١١٠] (٥). «قياد» من «قيد» تعنى القبض و«قياد» هو الحبل الذى يوضع حول رقبة الحيوانات والعبارة «ازف منها قياداً» تعنى كأنهم وضعوا حبلاً حول رقبة الدنيا وسحبوها إليهم.
- [١١١١] (٦). «اشراط» جمع «شرط» على وزن «شرف» بمعنى العلامة.
- [١١١٢] (٧). «تصرّم» من مادة «صرم» على وزن «سرو» بمعنى القطع و«تصرّم» بمعنى الانتهاء.
- [١١١٣] (٨). «عَفَاء» تستعمل بالمعنى المصدرى والاسم المصدرى؛ يعنى الزوال والاضمحلال، واقتبس العفو من هذا المعنى؛ لأنّ الذنوب تضحل على أثر العفو.
- [١١١٤] (١). بحار الأنوار، ج ٥٤، ص ٣٣٦. وذكر المرحوم العلّامة الطباطبائى فى الجزء الرابع من الميزان فى ذيل الآية الأولى من سورة النساء بحث جامع.
- [١١١٥] (١). «يخبو» من مادّه «خبو» على وزن «سرو» بمعنى الانطفاء.
- [١١١٦] (٢). «منهاج» تعنى الطريق الواسع الواضح و«نهج» تعنى السير فى مثل هذا الطريق.
- [١١١٧] (١). سورة فصلت، الآية ٤٢.
- [١١١٨] (٢). جاء فى نسخه نهج البلاغة «لصبى الصالح» «تبيان» بدل «بيان»؛ ولكن ذكر مجموعته من الشّراح كلمة «بيان» وهى المتناسبة مع «لا تهدم أركانه».
- [١١١٩] (٣). الكافي، ج ٨، ص ٢٧٣، ح ٤٠٩.
- [١١٢٠] (١). «بحبوحه» بمعنى مركز ووسط كلّ شيء.
- [١١٢١] (٢). «رياض» جمع «روضه» بمعنى البستان.
- [١١٢٢] (٣). «عذران» جمع «عذير» بمعنى البركة والنهر وهى فى الأصل حفرة تتجمع فيها المياه من السيول.
- [١١٢٣] (٤). «أثافى» جمع «أثفية» على وزن «أضحية» من مادة «أثف» على وزن «أنف» بمعنى الثبات والاستقرار ويقال «أثفية» للصحور الثابتة التى يوضع عليها الإناء.
- [١١٢٤] (٥). «غيطان» جمع «غيط» على وزن «زيد» بمعنى الشدّة والأرض الوسيعة.
- [١١٢٥] (٦). «ينزف» من مادة «نزف» على وزن «نظم» بمعنى اخراج الماء من شيء (و كذلك بمعنى أخذ الدم) ويقال «مستنزفون» لمن يخرجوا الماء من الحفرة أو البئر بحيث ينفد.

- [١١٢٦] (٧). «ينضب» في الأصل من مادة «نضوب» بمعنى غوص الماء في الأرض وعبارة «لا ينضبها» أن الماء لا ينفذ تلك العيون.
- [١١٢٧] (٨). «ماتحون» جمع «ماتحة» من مادة «متح» على وزن «مدح» بمعنى سحب الماء من البئر أو العين.
- [١١٢٨] (٩). «يغيض» من مادة «غيض» على وزن «غيب» تعني في الأصل الغوص أو السحب (اللازم والمتعدى) وتعني في هذه العبارة التقليل.
- [١١٢٩] (١). «آكام» جمع «أكمة» على وزن «طلبه» بمعنى المرتفع الذي صنع من الصخر أو الرمل.
- [١١٣٠] (٢). سورة النساء، الآية ١٣٥.
- [١١٣١] (٣). سورة المائدة، الآية ٨.
- [١١٣٢] (١). الكافي، ج ٢، ص ١٨، باب دعائم الإسلام.
- [١١٣٣] (٢). المصدر السابق، ص ٥٩٩.
- [١١٣٤] (٣). بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٢١٣، ح ١٨.
- [١١٣٥] (١). «رى» بكسر الراء وفتحها بمعنى الارتواء.
- [١١٣٦] (٢). «محايج» جمع «محيجة» بمعنى الطريق الواسع والواضح.
- [١١٣٧] (٣). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ٤٥٧.
- [١١٣٨] (١). سورة النور، الآية ٣٥.
- [١١٣٩] (٢). «معقل» بمعنى الملجأ والموضع من مادة «عقل» بمعنى المنع، لأن الملاجىء تقى الإنسان من الحوادث.
- [١١٤٠] (٣). «انتحل» تعني قبول مذهب ودين من مادة «نحله» على وزن «خرقه» تعني الإيمان.
- [١١٤١] (٤). «فلج» بمعنى الظفر والفوز.
- [١١٤٢] (١). «توسم» من «وسم» على وزن «وصل» بمعنى نصب العلامة وتعني أحياناً الجمال.
- [١١٤٣] (٢). «استلام» من مادة «لم» على وزن «لعن» بمعنى التجميع والالتيام وتناسب شيئين و«استلام» تعني لبس الآلات الحربية والدروع، أي كما أنهم قد ناسبوا بين أجسامهم ولبس هذه الأشياء.
- [١١٤٤] (١). «ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون». (سورة البقرة، الآية ١٦٤).
- [١١٤٥] (١). «وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون». (سورة الرعد، الآية ٤).
- [١١٤٦] (٢). «ألم يروا إلى الطير مسخرات في جوار السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون». (سورة النحل، الآية ٧٩).
- [١١٤٧] (٣). «اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُحْمَلُ بِهِ الْبُحْبُوحُ وَيَنْفِثُ مِنْهَا مَاءً فَيَنْسِفُ بِهِ السَّحَابَ الْمُسَخَّرَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لِيُخْرِجَ مِنْ خِلَالِهِ» فَاَنْظُرُوا إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُعْجِبُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا». (سورة الروم، الآيتان ٤٨ و ٥٠).
- [١١٤٨] (٤). «كما بدأكم تعودون». (سورة الأعراف، الآية ٢٩).
- [١١٤٩] (٥). «واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتديراً». (سورة الكهف، الآية ٤٥).
- [١١٥٠] (٦). «وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعْجِبُ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ \* قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ».

سورة يس، الآيتان ٧٨ و ٧٩).

[١١٥١] (٧). «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ». (سورة النساء، الآية ١٣٥).  
 [١١٥٢] (٨). «وَلَمَّا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعِيدُوا عَٰمِدُلُوهُمُ اقْرَبُوا لِقَوْلِ اللَّهِ إِنَّا لِلَّهِ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ». (سورة المائدة، الآية ٨).

[١١٥٣] (١). «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا». (سورة آل عمران، الآية ١٠٣).

«وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ». (المنافقون، الآية ٨).

[١١٥٤] (٢). ثقافة المستشرقين المسلمين، تأليف حسين عبداللهى خروش، ج ١، ص ١٥.

[١١٥٥] (١). عصر الإيمان، القسم الثاني، الحضارة الإسلامية، ص ٥٢.

[١١٥٦] (٢). ثقافة المستشرقين المسلمين، ج ١، ص ١٥.

[١١٥٧] (٣). المصدر السابق، ص ١٤.

[١١٥٨] (٤). من مقدمه منظمات المدنيه للامبراطورية الإسلامية، ص ١١١.

[١١٥٩] (١). التفسير الأمثل، ج ١، ذيل تفسير الآية ٢٣ و ٢٤ من سورة البقرة.

[١١٦٠] (١). سند الخطبة:

روى المرحوم الكليني قبل السيد الرضى قسما رئيسياً من هذا الكلام فى الكافى، كتاب الجهاد (الكافى، ج ٥، ص ٣٦). ولم يرد أكثر من هذه فى مصادر نهج البلاغه. (مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ٨٥).

[١١٦١] (١). سورة الأحزاب، الآية ٧٢.

[١١٦٢] (١). سورة النساء، الآية ١٠٣.

[١١٦٣] (٢). بحار الأنوار، ج ٧٩، ص ٣٠٨، ح ٩.

[١١٦٤] (٣). وسائل الشيعة، ج ٣، باب ١٠، أبواب اعداد الفرائض، ح ٧.

[١١٦٥] (١). الكافى، ج ٣، ص ٢٦٥، ح ٦.

[١١٦٦] (٢). سورة النساء، الآية ١٠٣.

[١١٦٧] (٣). «سقر» فى الأصل من «سقر» على وزن «فقر» بمعنى التغيير والتدوب وتغيير اللون والأذى من أشعة الشمس ولأنها من آثار جهنم اطلق عليها «سقر». ويستفاد من بعض الروايات أن «سقر» يطلق على قسم خاص من جهنم هو مكان المتكبرين.

[١١٦٨] (٤). سورة المدثر، الآيتان ٤٢ و ٤٣.

[١١٦٩] (٥). سورة المدثر، الآيات ٤٤-٤٦.

[١١٧٠] (١). «حَتَّ» تعنى فى الأصل فصل الورقة عن الشجرة، واطلقت فيما بعد على فصل الأشياء عن بعضها.

[١١٧١] (٢). «ربق» على وزن «عنب» جمع «ربق» على وزن «فعل» تعنى الحبل الذى يتضمن عقد عديدة وعندما يريد الشخص أن يضعها فى صف يشد كل واحدة بإحدى العقد.

[١١٧٢] (٣). سورة العنكبوت، الآية ٤٥.

[١١٧٣] (٤). وسائل الشيعة، ج ٣، الباب ٣٢ من أبواب اعداد الفرائض، ح ٣.

[١١٧٤] (٥). «درن» على وزن «لجن» بمعنى الوسخ والقذارة.

[١١٧٥] (٦). نقل هذا الحديث المرحوم الشيخ الحرّ العاملى فى وسائل الشيعة، ج ٣، الباب الثانى من أبواب اعداد الفرائض، ح ٣، مع

- هذا الفارق أنه نقل بدل «حمّه» «نهر» و«النهر الجارى». وهذا المتن ورد فى مسند أحمد، ج ١، ص ٧٢، طباعة دار الصادر بيروت وصحيح مسلم، ج ٢، ص ١٣٢ طبعة دار الفكر أيضاً.
- [١١٧٦] (١). سورة النور، الآية ٣٧.
- [١١٧٧] (٢). «نصب» على وزن «خجل» بمعنى التعب (بكسر العين) والصفة المشبهة «نصب» على وزن «حسب» التعب.
- [١١٧٨] (٣). سورة طه، الآية ١٣٢.
- [١١٧٩] (٤). «يصبر» من «صبر» معروفه وهو غالباً ما يكون فعلاً لازماً؛ ولكن يمكن أن يكون متعدياً أحياناً؛ أى اجبارهم على الصبر وهو المعنى المراد فى العبارة.
- [١١٨٠] (١). سورة طه، الآية ١٤.
- [١١٨١] (٢). سورة العنكبوت، الآية ٤٥.
- [١١٨٢] (١). سورة الأعراف، الآية ٢٠١.
- [١١٨٣] (٢). بحار الأنوار، ج ٨٥، ص ١٦.
- [١١٨٤] (١). الكافى، ج ٤، ص ٣، ح ٦.
- [١١٨٥] (٢). سورة التوبة، الآية ٥٤.
- [١١٨٦] (٣). «لهف» بمعنى التأسف والندم والحزن.
- [١١٨٧] (٤). سورة الدهر، الآية ٩.
- [١١٨٨] (١). «إذا أُمْلِقْتُمْ فَتَاجِرُوا اللَّهَ بِالصَّدَقَةِ» (نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ٢٥٨).
- [١١٨٩] (٢). سورة البقرة، الآية ٢٧٦.
- [١١٩٠] (١). سورة التوبة، الآية ١٠٣.
- [١١٩١] (١). الكافى، ج ٢، ص ١٠٤.
- [١١٩٢] (٢). بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ١١٤.
- [١١٩٣] (٣). «مبتيّة» من مادة «بناء» ولأنّ وجود البناء فى تركيب السماء والأرض أمر بديهي فلذلك أشارت هذه المفردة إلى مفهوم أهم وهو الارتفاع والعظمة فى البناء.
- [١١٩٤] (٤). «مدحوّة» من مادة «دحو» على وزن «محو» أى البسط والمراد من «دحو الأرض» هو أنّه فى بادئ الأمر - كما تؤكد علوم الأرض - كانت الأرض مغطاة من قبل الأمطار والفيضانات، ثم تجمعت هذه المياه فى أخاديد الأرض وظهرت اليابسة من تحت الماء فأصبحت الأرض مهيتة لسكن.
- [١١٩٥] (١). سورة الإسراء، الآية ٧٠.
- [١١٩٦] (٢). سورة البقرة، الآية ٣٠.
- [١١٩٧] (٣). سورة الأعراف، الآية ١٧٩.
- [١١٩٨] (٤). سورة التوبة، الآيتان ١٢٤ و ١٢٥.
- [١١٩٩] (١). الكافى، ج ٥، ص ١٣٣، ح ٥.
- [١٢٠٠] (٢). بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ١١٤.
- [١٢٠١] (١). سورة غافر، الآية ١٩.
- [١٢٠٢] (١). سند الخطبة:

روى المرحوم الكليني هذه الخطبة (بعبارات مختصرة ومشابهة) في الجزء الثاني من أصول الكافي ص ٣٣٦ و ٣٣٨ بسندين أحدهما عن الإمام الصادق عليه السلام والآخر عن الأصعب بن نباتة عن أمير المؤمنين علي عليه السلام. وبالنظر لما ذكره ابن نباتة من أن الإمام ألقى هذه الخطبة على منبر الكوفة فإنها جانب من خطبة طويلة اكتفى المرحوم الشريف الرضي منها بهذا المقدار. (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٨٥).

[١٢٠٣] (١). «أدهي» من مادة «دهي» على وزن «وحى» بمعنى شدة الفطنة وتأتي أيضاً بمعنى الكارثة والمصيبة، والمراد في العبارة هو المعنى الأول.

[١٢٠٤] (١). نيل الأوطار، ج ٨، ص ٧٩؛ وصحيح البخاري، ج ٨، ص ٦٢ (كتاب الحيل).

[١٢٠٥] (٢). «استغمز» من مادة «غمز» على وزن «رمز» بمعنى الإضعاف وأيضاً بمعنى الضغط والكلام البذيء والمراد هنا هو المعنى الأول.

[١٢٠٦] (١). سورة القصص، الآية ٤.

[١٢٠٧] (١). انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٢١٢ - ٢٦٠.

## تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرِ الْبِحَار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرِّضَا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصبهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحدًا من جهايزة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه وطريقه لم ينطفئ مصباحها، بل تتبّع بأقوى وأحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصبهان، إيران - قد ابتدأ أنشئته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - ومع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافته الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحري الأذق للمسايل الدينيّة، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المبتدلة أو الرديئة - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامع ثقافية على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعة ثقافته القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلامية، إنالة منابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعة، و...

- منها العدالة الاجتماعية: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعدة، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - في أنحاء العالم - من جهة أخرى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

- (الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه
- (ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل فى الحاسوب و المحمول
- (ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...
- (د) إبداع الموقع الانترنتى " القائميه " [www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com) و عدده مواقع أخر
- (ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض فى القنوات القمرية
- (و) الإطلاع و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)
- (ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كاشك، و الرسائل القصيره SMS
- (ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جمكران و...

- (ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع " ما قبل المدرسه " الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين فى الجلسه
- (ى) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربيه المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه
- المكتب الرئيسى: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيد / ما بين شارع " پنج رمضان " و "مفتق و فائى / بنايه" القائميه "
- تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسيه (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

البريد الالكترونى: [Info@ghaemiyeh.com](mailto:Info@ghaemiyeh.com)

المتجر الانترنتى: [www.eslamshop.com](http://www.eslamshop.com)

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزاتية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكوميه، و غير ربحيه، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافى الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينيه و العلميه الحالية و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - فى حد التمكن لكل احد منهم - إيانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولى التوفيق.



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية  
الغمامة اصححان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

[www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com)

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

